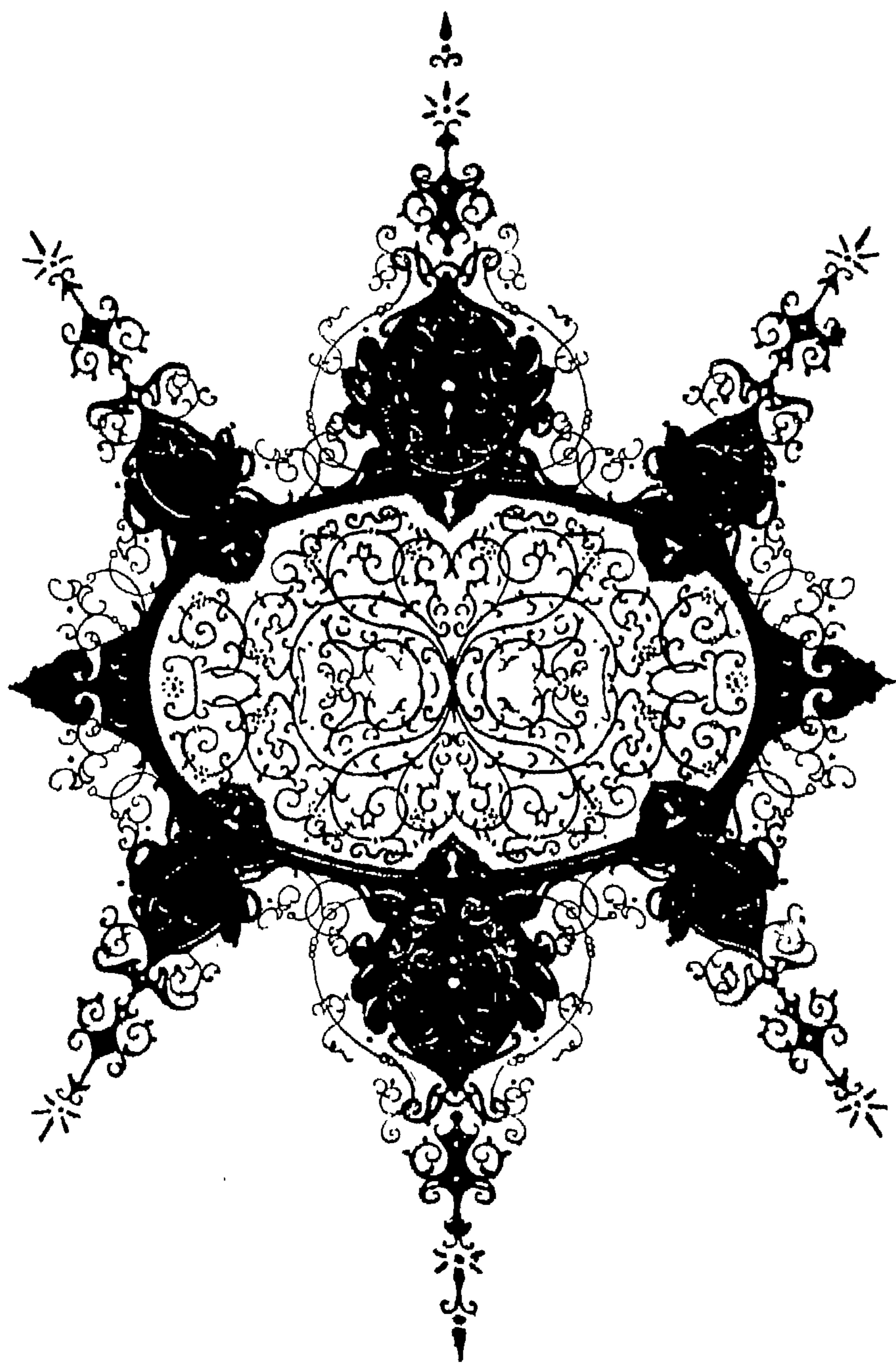


مجلة مجمع اللغة العربية



جزء التاسع والعشرون

صفر ١٣٩٢

مارس ١٩٧٢



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
٢٦ شارع مراد - الجيزة

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء التاسع والعشرون

(صفر ١٣٩٢ هـ = مارس ١٩٧٢ م)

المشرف على المجلة:

د. إبراهيم أنيس

أمين التحرير:

إبراهيم التريزى

الفهرس

تصدير :

- مسطرة اللقوى
للدكتور ابراهيم انيس

بحوث ومقالات :

- لغة العلم فى الاسلام
للدكتور ابراهيم مدكور

- الطير الابابيل فى واقعة الفيل
للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

- وديان واودية
للدكتور ناصر الدين الاسد

- هجاء الزوجات
للاستاذ على الجندى

- ابن العوام

للدكتور عبد الحليم منتصر

ص ٥٠

- بين القافية فى الشعر العربى والقافية
فى الشعر الانجليزى

للدكتور ابراهيم انيس

ص ٥٧

- تخريج نصوص ارسططالية فى كتاب
الحيوان المجاحف

للدكتور طه الحاجرى

ص ٧٤

- سجع القرآن فريد
للدكتور احمد الحوفى

ص ٩١

- كتابة الاعلام الافريقية والرومانية بحروف
مربية

للدكتور محمد محمود السلامونى

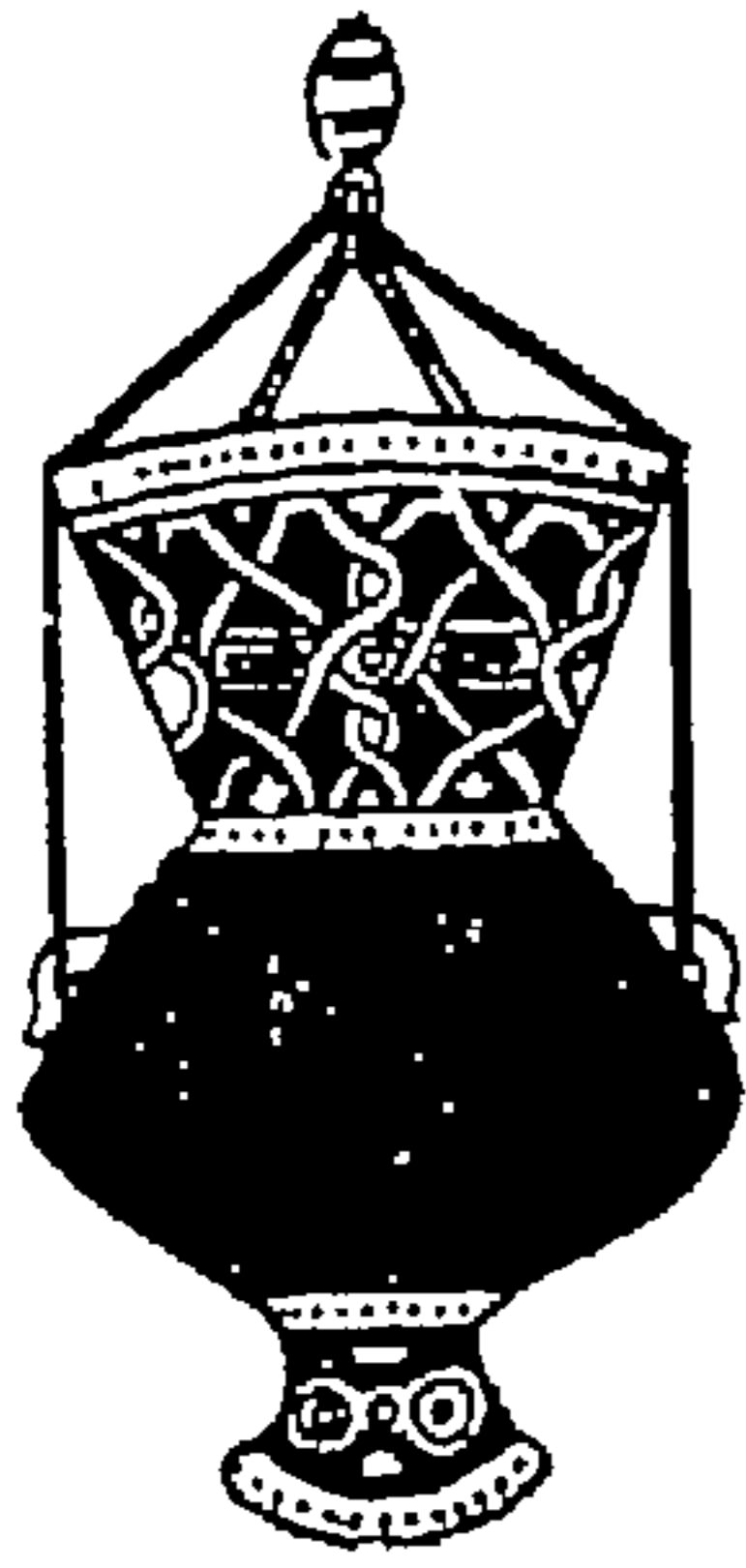
ص ٩٧

ص ١٤

ص ١٨

ص ٢٩

ص ٤٠



تعريف ونقد :

- كتاب « محاضرات في علم اللغة العام »
لفرديناند دي سوسير
للدكتور كمال بشر

ص ٢٣٠

شخصيات مجمعية :

- استقبال الدكتور الشيخ محمد الحبيب
ابن الخوجة
كلمة الأستاذ زكي المهندس

ص ٢٥٢

كلمة الدكتور ابراهيم مدكتور

ص ٢٥٣

- كلمة الدكتور الشيخ محمد الحبيب
ابن الخوجة

ص ٢٦١

- الألفاظ ذات الأصل العربى الدخيلة
فى اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية
للاستاذ نيقولا دوبريشان

ص ١٤٧

- دراسة فى حركية عين الكلمة الثلاثية
للدكتور أحمد علم الدين الجندى

ص ١٧٣

- امثال عامية بين القرنين : التاسع والرابع
عشر الهجريين

للاستاذ محمد قنديل البقلى

ص ١٩٩

من التراث اللغوى :

- لامية منظور بن مرثد الأسدى
جمعها وحققها وعلق عليها
الدكتور رمضان عبد التواب

ص ٢٠٨

● تأييد المرحوم الدكتور عبد الرزاق السنهوري ●
كلمة الأستاذ زكي المهندس

٢٦٩

● تأييد المرحوم الدكتور فدرى حافظ طوقان

ص ٢٨٧

كلمة الدكتور محمد مصطفى القللى

٢٧٠

كلمة الدكتور عبد الحلیم متتصر

ص ٢٨٨

● تأييد السير هاملتون ا . ر . جب
كلمة الدكتور مهدى علام

ص ٢٩٦

قصيدة الأستاذ عزيز أباطة

ص ٢٨٢

من أنباء المجمع :

ص ٣٠٣

كلمة الأسرة

للأستاذ حنفى الفزارى

ص ٢٨٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدير

مسطرة اللغوى

للدكتور إبراهيم أنيس

من المهندس وطالب الهندسة مسطرة حاسبة تيسر العمليات الحسابية المعقدة في دقة وأمن من الزلل ، فتغنى عن الحساب بوساطة القلم والقرطاس ، وتوفر زمنا وجهدا ذهنيا ، وتحقق نتائج سريعة دقيقة في البحوث الهندسية ، وهي تستخدم لدى المهندسين منذ عشرات من السنين .

ثم أصبحنا وإذا باللغوى الحديث وقد تهيأت له منذ شهور أداة تشبه مسطرة المهندس ، هي التي ندعوها هنا مسطرة اللغوى ، وتتمثل في تلك الجداول الإحصائية التي نشرت ووزعت على أعضاء المجامع اللغوية وأساتذة اللغات والرياضة في العالم العربى ، وبها اكتملت مسطرة اللغوى التي ظلت زمنا طويلا حُلماً لنا نحن اللغويين وأملنا نتطلع إليه ونتمنى لو ظفرنا به حتى نتحقق على يدي أستاذ الفيزياء الدكتور على حلمى موسى بعد أن استخدم ذلك الجهاز العجيب المسمى بالكومبيوتر أو العقل الإلكتروني !!

والجداول الإحصائية التي بين أيدينا الآن مؤسسة على معجم من أشهر وأصح المعاجم العربية القديمة ، هو معجم صحاح اللغة للجوهري المتوفى في أواخر القرن الرابع الهجري .

ويتساءل الدارسون منذ ظهرت تلك الإحصاءات كيف نستفيد منها في البحث اللغوي ، وهل تفسر لنا بعض تلك الظواهر اللغوية التي كنا ندهش لها ، ونعجب من أمرها ، ثم لا نكاد نجد لها تفسيراً علمياً معقولاً مقبولاً ؟ !

وقد أشرت من قبل إلى هذا التساؤل في صدر هذه المجلة ، وتنبأت بأن ذلك التفسير العلمي المنشود سيتم بإذن الله ، ودعوتُ اللغويين المحدثين إلى أن يقولوا كلمتهم بعد أن قال أهل العلوم كلمتهم ! !

وهأنذا أفتح هنا البحث اللغوي على أساس تلك الإحصاءات ، وقد كان لي حظ الاستشارة فيها والإشراف عليها ، فأصدر هذا الجزء من مجلتنا ببحث قصير أحاول فيه على ضوء هذه الإحصاءات تفسير ظاهرة من ظواهر لغتنا العربية عرفها علماءنا القدماء باسم « القلب المكاني » ! !

قنع اللغويون من العرب بالإشارة السريعة إلى هذه الظاهرة ودون محاولة لتعليلها أو تفسيرها مقررين أنها من سنن العرب ، ثم يسوقون لها مجموعة من الأمثلة لعل من أشهرها : جذب ، جبد ، يشن ، آيس ، لأك ، ألك . اضمحل ، امضحل . عجوز شهيرة ، شهيرة . اكفهر ، اكرهف .

ولست أعرف منهم من عرض لها بشيء من التفصيل سوى ابن جنى في كتابه الخصائص ، فقد قسم أمثاتها قسمين : أحدهما يكون فيه كل من الصورتين أصلاً مستقلاً بذاته ، فليست إحدى الصورتين أصلاً والأخرى فرعاً لها . ومثل لهذا القسم بالكلمة (جذب ، جبد) . ومقياس الأصالة في هاتين الصورتين ، في رأيه ، كثرة التصريف مع كل منهما إذ يقال : جذب يجذب جذبا فهو جاذب . . . الخ . كما يقال جبد يجبد جبدا فهو جابذ ! !

أما القسم الآخر فيمثل له ابن جني بكلمة (اضمحل ، امضحل) ويعدّ الصورة الأولى أصلاً ، وأن امضحل فرع لها . وذلك لأن اضمحل هي التي تتصرف فيكون منها المصدر اضمحلال ، في حين أن امضحل لم يرد منها امضحلال ! !

ويرى اللغوي الحديث في كل أمثلة القلب المكاني أن إحدى الصورتين أصل ، وأن الأخرى فرع لها ، غير أنه قد تصادف أن بعض الفروع اشتهرت وشاع استعمالها فتصرفت أيضاً كالأصول وجاءت منها مشتقاتها ، في حين أن البعض الآخر من الفروع لم تتح له تلك الشهرة أو الشيوع فلم تتصرف كأصولها .

وظاهرة القلب المكاني ليست مقصورة على اللغة العربية ، فقد عرفت في بعض اللغات الأجنبية ، وأشار إليها بعض اللغويين الأجانب ، وفسروها في لغاتهم . فيسميها « جيسبرسن » في بعض ما كتب Transpositon أو Mnetathesis⁽¹⁾

ويعزوها إلى الجيل الناشئ وتعثره في النطق بالصورة الأصلية ثم ذبوع الصورة الجديدة . ويرى أنه مع الكلمة الكبيرة البنية يشق عادةً على الطفل النطق بمجموع ما فيها من أصوات مرتبة نفس الترتيب . ويعبر عن ذلك بقوله : « ليس الأمر مرجعه إلى طول الكلمة وحده ، أي صعوبة إصدار سلسلة كبيرة من الأصوات ، لأن الطفل في مرحلة المناغاة يستطيع النطق بسلسلة أطول من الأصوات ، وذلك حين يكون نطقه غير متعمد أو مقصود . ولكن السرّ الحقيقي في هذه الظاهرة هو أن الطفل يصعب على ذاكرته الضعيفة تذكر سلاسل الأصوات مرتبةً كما يسمعها من الكبار حوله ، فلا يقدر على تذكر ترتيبها ليتحقق له النطق الصحيح . وكذلك الشأن مع بعض الكبار في بعض الأحيان ممن يكون نصيبهم من التعليم والثقافة ضئيلاً . فحين يُطلب من أحدهم ترديد كلمة طويلة البنية من لغة أجنبية عنه كالسنسكريتية مثلاً يشق عليه تذكر الترتيب الصحيح بين أصواتها ، فيحدث في نطقه ما يسمى بالقلب المكاني » . ويسوق لنا جيسبرسن أمثلة لاحظها مع بعض أطفال الإنجليز حين قالوا : Efelent بدلاً من Elefant ، وقالوا : Serreval بدلاً من Several ؛ وقالوا : Waps بدلاً من Wasp ؛ وقالوا : Pillarcat بدلاً من Caterpillar ! !

Language its nature, development & origin. P. 108. & 281.

(١)

على أننا مع التسليم بفكرة ضعف الذاكرة لدى الأطفال وأشباههم ، نتساءل لماذا يقع القلب المكاني ، مع ذلك ، في بعض الكلمات القصيرة البنية ، ثم فوق هذا ، لماذا يتخذ القلب المكاني صورة معينة في تغير ترتيب الحروف ؟ ! ولذلك لا نتصور أن يكون لضعف الذاكرة دور حقيقي في ظاهرة القلب المكاني إلا مع الألفاظ الأجنبية الطويلة البنية .

وقد تبين لنا في دراسة حديثة أن السر الحقيقي في معظم أمثلة القلب المكاني يرجع إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في كلمات اللغات .

وربما يكون ذلك أوضح في اللغات السامية ومنها اللغة العربية ، لأنها تعتمد في كلماتها على الجذور الأصلية . وعليه فمعظم الصور المروية للقلب المكاني في الكلمات العربية تعزى أولاً وقبل كل شيء إلى اختلاف نسبة شيوع السلاسل الصوتية في اللغة العربية .

وليس بين اللغويين العرب أو المستشرقين من فطن لذلك ، بل لم نفطن له نحن قبل ظهور الإحصاءات التي بين أيدينا .

وحديث ذلك ، دون الدخول في مناهات علم النفس عن الذاكرة أو الحافظة ، أن نقول : إن المرء يكتسب في سني حياته محصولاً لغوياً ضخماً يختزنه مرتباً في مخه ترتيباً خاصاً يعين على تذكره وتداعي بعضه مع بعض ، فكأن الله سبحانه قد أمد المخ في كل منا بجهاز كومبيوترى عجيب لا يكاد العلم الحديث يعرف عنه شيئاً . ويكفل لنا هذا الاستعداد الفطري اختزان المحصول اللغوى مرتباً في نظام صوتي خاص يبسر علينا تذكر ما نحتاج منه في كلامنا ، كما ترتبط عناصره بعضها ببعض ، وتتداعي بعضها مع بعض كلما خطرت في الشعور أو جرت في الاستعمال . ولا نشك في أن ذلك المحصول اللغوى لدى كل منا يتألف من سلاسل صوتية أغلبها ثلاثي الأصول أو الجذور ، وأن هذه السلاسل الصوتية تختلف في نسبة شيوعها

في الكلام العربي ؛ فمنها الكثير الشيوخ ، ومنها المتوسط الشيوخ ، ومنها النادر الشيوخ .

فإذا خطرت في الذهن إحدى تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوخ فقد تستدعي إلى الشعور سلسلة أخرى تشبهها في معظم معالمها . ونلاحظ أن السلاسل الصوتية الأكثر شيوعا من الناحية الإحصائية هي أكثر السلاسل خطورا في الأذهان ، وأسرع في الاستجابة حين الحاجة . فإذا سمع السامع أو نطق الناطق بسلسلة من تلك السلاسل الصوتية القليلة الشيوخ تداعت لها مسرعة سلسلة أخرى أشبه بها أو أقرب إليها ، وهي في نفس الوقت أكثر منها شيوعا وترددا في كلام الناس ، فكأنما كانت تطفو على سطح الشعور ، ولذلك تبادر قبل غيرها في الاستجابة إلى المتكلم أو السامع .

فحلول سلسلة صوتية محل أخرى ، وهذا هو القلب المكاني ، سرّه الحقيقي أن السلسلة الجديدة الطارئة أكثر شيوعا ودورانا في الكلام من الأخرى .

هذا هو الذي يفسر لنا ظاهرة القلب المكاني في معظم أمثلة العربية بوجه عام . فما يسمى أحيانا بتعثر اللسان أو زلة اللسان ليس مرضا عضويا في كثير من حالاته ؛ ولعلّ التعبير بقولنا : « سبق اللسان » يكون أقرب إلى ما نحاول هنا بيانه ؛ فسبق اللسان ليس إلا صدى لسبق التذكر الذي مرجعه أن بعض السلاسل الصوتية في حافظتنا أسرع استجابة للخاطر من غيرها .

فإذا نظرنا في ضوء ما تقدم ، لمجرد زيادة التوضيح ، إلى مثل من الأمثلة المروية في كتب اللغة للقلب المكاني تجلت لنا هذه الحقيقة .

خذ مثلا الفعل « يشس » مع مقلوبه « أيس » نجد أن التفسير العلمي لهذا القلب هو أننا نجد في الإحصاءات التي بين أيدينا ، والتي استخدم في استخراجها جهاز الكومبيوتر ، وهي الإحصاءات التي ندعوها هنا مسطرة اللغوى ، نجد أن الجذر

الثلاثى الذى يبدأ بالياء وبعدها الهمزة أقل شيوعا من الذى يبدأ بالهمزة وبعدها الياء ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرة واحدة فقط يرد الثانى عشر مرات .

وكذلك نجد أن الجذر الثلاثى الذى ينتهى بالهمزة وبعدها السين أقل شيوعا من الذى ينتهى بالياء وبعدها السين ، فبينما يرد الأول فى إحصاءاتنا مرتين فقط يرد الآخر ثمانى مرات . وأخيرا نجد أن المادة الثلاثية التى تبدأ بالياء وتنتهى بالسين أقل شيوعا من تلك التى تبدأ بالهمزة وتنتهى بالسين ، فبينما تزد الأولى فى إحصاءاتنا سبع مرات تزد الأخرى خمس عشرة مرة .

وهكذا نرى أن الذى سوغ القلب المكافى فى الفعل « يئس » ليصبح « آيس » هو أن نسبة شيوع السلسلة الصوتية « آيس » فى الكلام العربى أكثر كثيرا من نسبة شيوع السلسلة الأخرى .

وبالله التوفيق

ماوس ١٩٧٢ م

ابراهيم انيس
المشرف على المجلة

بحوث ومقالات

لغة العلم في الإسلام

للدكتور إبراهيم مدكور

لغة يؤدي بها ، ولا حياة
له بدونها ، يلتقى عندها
العلماء ، ويعول عليها الطلاب . وعلى
أساسها يقوم الشرح والدرس ، ويعتمد
التأليف والنشر . تسير بسير العلم ، وتقف
بوقوفه ، ولا سبيل لأن توجد في أمة جاهلة ،
ولا لأن تحيا في بيئة لا تغذيها ولا تنميها .
وعصور الازدهار العلمي في التاريخ
قديمه وحديثه هي عصور مجد الأمم
ونفوذها ، فالعلم اليوناني وليد نهضة
أثينا في القرنين الخامس والرابع قبل
الميلاد ، والعلم الإسلامي ثمرة من ثمار الصدر
العباسي الأول ، ولا تزال الثقافة الفرنسية
المعاصرة تحمل في ثناياها جهود القرنين
السابع عشر والثامن عشر .

ولغة العلم صنيع أهله يصطلح عليها
العلماء ، فتصبح لغتهم الخاصة . ولكل
علم مصطلحاته ، وكلما تقدم البحث فيه
نمت وتحددت ، تبدأ هزيلة مترددة ،

ثم لا تلبث أن تقوى وتستقر ، وحياتها
في أن تستعمل وتتبادل . وتاريخ علم إلى
حدها هو تاريخ مصطلحاته ، لأنها جزء
من منهجه ، وتعبير دقيق عما يشتمل
عليه من آراء ونظريات . ويوم أن يصطلح
العلماء على دوال معينة تضيق مسافة
الخلف بينهم ، وقديما قال ليبنتز :
« إن معظم الخلافات العلمية يرجع إلى
اختلاف معاني الألفاظ ودلالاتها » .
والعالم ، وهو الباحث عن الفكرة ، من
حقه أن يضع لها اللفظ الذي يؤديها ،
وقد درج العلماء على هذا باطراد ، فلم
يكشفوا الحقائق وحدها ، بل قدموا لها
ما استطاعوا من وسائل التعبير . وهم
في خلاف أحيانا مع اللغويين الذين
ينكرون عليهم هذا الحق المطلق ، ويقيدونه
ببعض القيود ، وربما اقترحوا لهم ألفاظا
أخرى غير تلك التي ارتضوها ، ولكن
العلماء دائما هم أصحاب الحق الأول

في تخير اللفظ الملائم للمعنى الذي قصدوا إليه ، وبقدر تمكنهم من لغتهم يكون اختيارهم أدق وأحكم . وقد لا يجد الباحث الأول اللفظ الدقيق ، فيتدارك تلاميذه مافات . وهكذا يسير العلماء ، الواحد منهم تلو الآخر ، في ضبط المعاني وتحديد الألفاظ المعبرة عنها ، وتطور العلم تطور لمصطلحاته بقدر اهو تطور لآرائه ونظرياته .

* * *

على هذا النحو تكوّنت لغة العلم في الإسلام ، فلم تنشأ دفعة واحدة ، بل نمت وتنوعت على مر الزمن . بذرت بذورها في القرن الأول الهجري ، وظهرت مصطلحات في الفقه والتفسير والكلام ، وتلتها في القرن الثاني مصطلحات في علوم اللغة والتاريخ ، في الأخلاق والسياسة ، في الطب والكيمياء ، في الفلك والهندسة . واستكملت العلوم العربية في القرن الثالث لغتها ، وتوقّرت لها أسباب الحياة . وما إن حل القرن الرابع الهجري ، وهو العصر الذهبي في تاريخ الثقافة الإسلامية ، حتى استقر المصطلح العلمي ، وتنوسى معناه

الأول ، وأصبح حقيقة عرفية لا يفهم منها إلا مدلولها الجديد . وتداوله الباحثون في المشرق والمغرب ، ولم يختلف من قطر إلى قطر . فكانت لغة العلم واحدة في قرطبة والقيروان ، في الفسطاط ودمشق ، في بغداد وأصفهان . وبدئ بتسجيلها في معجمات خاصة تحت اسم مفردات أو تعريفات . ويمكن أن نذكر منها « كتاب الحروف » للفارابي ، « ومفاتيح العلوم للخوارزمي » اللذين ظهرا في القرن الرابع ، و « كتاب التعريفات » للجرجاني في القرن الثامن ، و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في النصف الأخير من القرن الثاني عشر . ومن المصطلحات العربية مانقل إلى الفارسية والتركية ، ومنها ما سرى إلى اللاتينية ، بل إلى بعض اللغات الأوروبية الحديثة .

واستعان علماء الإسلام على تكوين لغتهم بوسيلتين هامتين ، وهما النقل والوضع ، والنقل طريق سهل مألوف في اللغات على اختلافها . ينقل اللفظ من مدلوله الأصلي إلى مدلول آخر جديد ، لا يلبث أن يستقر ويصبح حقيقة عرفية . وقد عوّل عليه مفكرو الإسلام الأول

فما وضعوه من مصطلحات ، ويلحظ بوضوح في مصطلحات الفقه والتشريع كالصلاة والصوم والزكاة ، وفي علوم النحو واللغة كالتمييز والاستثناء ، والجماد والمشتق . وكثيرا ما درج المؤلفون على شرح المصطلح في جانبيه اللغوي والعلمي . وعن طريق النقل قد يؤدي اللفظ عدة معان باختلاف الموضوعات ، فالرجعة مثلا عند الفقهاء الرجوع في الطلاق ، وعند الشيعة عودة الإمام بعد غيبته أو موته ، وعند المنجمين سير الكواكب المتحيرة على غير النظام المألوف .

وليس الوضع أقل شأنا من النقل في تكوين المصطلح العلمي ، فيبتكر لفظ جديد لأداء معنى خاص عن طريق النحت أو التركيب أو الاختزال . والاشتقاق أيسر السبل لوضع المصطلحات لأنه يخضع لقواعد محددة ويؤدي معاني متعددة ، فمنه تؤخذ صيغة الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة وصيغة المبالغة ، واسم الآلة والزمان والمكان ، وقد أفسح المصدر الصناعي المجال للدلالة على أسماء طوائف ومذاهب مختلفة كالقدرية والجبرية واللا أدرية . وإن لغة اشتقاقية

كالعربية لا يعز عليها أن تؤدي المعاني في صورها المختلفة ، وليست في هذا أقل مرونة من بعض اللغات اللاتينية التي تعتمد على نظام السوابق (Tréfinés) واللاحق (Suffinés) .

على أن علماء العرب لم يقفوا عند النقل والوضع ، بل أخذوا بالتعريب كلما دعت إليه حاجة ، فعربوا عن الفارسية والهندية ، كما عربوا عن اليونانية والسريانية . وربما آثروا المعرب على العربي الأصل إذا كان أدل على المعنى ، فأحلوا كلمة « جواهر » الفارسية الأصل محل كلمة « عين » العربية للدلالة على لفظ « أوسيا » اليونانية . ويطول بنا الحديث لونتبعنا هذه المعربات جميعها ، وفي « مفاتيح العلوم » للخوارزمي قدر منها . ويكفي أن نشير إلى أن الألفاظ الفارسية كثيرة ورود في مستحدثات الحضارة والنظم والإدارة ، وأن اليونانية والسريانية ملحوظة في العلوم والفلسفة . وفي هذا ما يدل على المصادر التي أخذ عنها العرب بوجه عام ، ويحمل المعنى معه عادة اللفظ الدال عليه . فمن الفارسية مثلا « الرزنامة » وهي

مشك حساب الخراج ، « والدفتر »
« والفهرست » وهما من مستلزمات
الديوان ، و« البريد » ، وهو في الأصل دابة
تحمل الرسائل ، أصبح نظاما متعدد
الأشكال ، و« الدستور » ، وهو كلمة
تنوسى اليوم تماما أصلها الفارسى .
ومن اليونانية على سبيل المثال أيضاً
« الناموس » « والسفسطة » في الفلسفة ،
« والارتماطيقى » « والأنطُرلاب » في
الرياضيات ، « والقولون » وهو المعى
الغليظ « والترياق » وهو دواء السم
في الطب ، ومن السريانية الكيان وهو
الطبيعة في الفلسفة ، والبُحران وهوداء
معروف في الطب .

والعلوم الإسلامية متعددة ومتنوعة ،
بين دينية ولغوية ، طبيعية ورياضية ،
ولكل علم لغته ومصطلحاته . ولا سبيل

لأن ندرس الآن نشأة هذه المصطلحات
وتطورها ، وما أجدرنا أن نفعل ، ففيها
تراث الماضي وذخيرة الحاضر ، وعون
على تكوين لغة العلم المعاصر . وعسانا
نوفق لعرض نماذج من ذلك في فرصة
تالية . وقد سبق لمجمع اللغة العربية
أن وجه في سنيه الاولى الباحثين لجمع
المصطلحات العلمية القديمة من أمهات
الكتب التي نشرت أو التي تعد للنشر ،
ولا يأخذ المحققون أنفسهم بذلك في
اطراد ، مع أنه جزء هام من أجزاء المنهج
العلمي للنشر الدقيق . وينبغي أن يختتم
كل نص قديم يخرج للقراء بفهرس
يشتمل على ماورد فيه من مصطلحات ،
نحوي بها الماضي ونعين أبناء الحاضر
على الدرس والبحث

ابراهيم مذكور
الامين العام للمجمع



الطير الأبابيل

في واقعة الفيل

وما يراه الشيخ محمد عبده في ذلك

للدكتور الشيخ عبد الرحمن تاج

صاحبه ، فإنما ينبغى التعويل على القول ذاته وصحته وجودته ، لا على القائل ومكانته أو شهرته .

وإن من تلك الآراء الخاصة ، التي انفرد بها الأستاذ الإمام - عليه سبحانه الرحمة - قوله في الطير الأبابيل^(١) التي أرسلها الله - سبحانه وتعالى - على جيش الأحباش في حادثة الفيل - إنها جماعات البعوض والذباب ، التي كانت تحمل جراثيم مرض الحصبة أو مرض الجدري ، وإنها ليست على ما يرويه المؤرخون والمفسرون من أنها أنواع من الطيور تشبه الخطاطيف ، وأن كل واحد منها كان يحمل ثلاثة أحجار على ما سنبينه فيما يلي بشيء من التفصيل .

المغفور له الشيخ « محمد

عبده » تفسير الجزء

الثلاثين من القرآن الكريم .

وله فيما كتب على بعض سور هذا الجزء آراء خاصة ، انفرد بها ، لم يقل بها - فيما نعلم - أحد ممن سبقه من أئمة التفسير القدامى ، ولا من جاء بعدهم .

وليس على الباحث عيب ، ولا عليه تبعة إذا هو خرج من بحثه برأى لم يسبقه إليه أحد ، ما دام يعتمد في هذا الرأي على حجة واضحة ، وما دامت تؤيده فيه اللغة الصحيحة .

أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك فإن المطالع المتبصر لا يسوغ له أن يأخذ بذلك الرأي أو يعتمد عليه مهما كان شأن

(١) الأبابيل جمع أبيل أو إبول أو إبالة : القطعة من الطير والحيل والإبل . والإبالة أيضاً الحزمة من الحشيش أو الحطب ، استعملت في جماعة الطير المتضامة التي فيها كثرة . وقيل إن الأبابيل جمع لا واحد له .

يرى الأستاذ الإمام رأيه الخاص في ذلك ويقول إنه الوجه الذي يصح اعتقاده والاعتداد به في تفسير قوله تعالى « وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل » .

وسنعرف قيمة هذا الرأي بعد عرضه ، بالتفصيل ومقابلته برأى العلماء الآخرين .

قد ورد في قصة الفيل - برواية الثقات - أن « أبرهة الأشرم » بن الصباح الحبشى - ملك اليمن من قبل « أصحمة النجاشي » ملك الحبشة - أنشأ كنيسة بصنعاء ، أحكم تشييدها ، وأبدع زخرفتها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر الثمينة ؛ وقد أراد بإنشائها أمرين :

(الأول) المبالغة في إرضاء النجاشي وإزالة ما قد يكون باقياً في نفسه من الغضب عليه لما كان منه من قتل « إرياط » قائد الجيش الحبشى إلى اليمن واستبداده بملك اليمن من بعده .

(الثاني) أنه - انتصارا للمسيحية - أراد أن يحوّل إلى تلك الكنيسة جموع العرب الذين كانوا يقصدون إلى « مكة » في موسم الحج ، وكتب بذلك إلى النجاشي .

وقد أثار هذا الأمر الثاني حفيظة العرب ، فخرج رجل من كنانة إلى تلك الكنيسة ليلاً متخفياً وقعد فيها أى أحدث ، ثم لطم محرابها بما أحدث . وقيل أيضاً : إن جماعة من العرب أوقدوا نارا في موضع كان قريباً من الكنيسة ، فتطابر إليها الشرر فأحرقها . وقد يكون الأمران جميعاً .

أغضب ذلك « أبرهة » غضباً شديداً فأقسم ليهدم الكعبة ، قبلة أولئك العرب ومتعبدهم ، وأرسل إلى النجاشي يبلغه ذلك ، ويسأله أن يرسل إليه الفيل الأعظم المعروف عندهم ، ويقال إن اسمه « محمود » .

ثم تجهز بستين ألفاً من الأحباش ، وقدم الفيل الذى أعده ليهدم به الكعبة وسار بالجيش ، فخرج له في بعض الطريق ، ملك من ملوك اليمن ، يقال له « ذو نفر » ، فقاتله ، ولكن أبرهة هزمه وأسره بعد ما فتك بأصحابه ، وقد همّ بقتله ، فرجاه ألا يفعل ، فربما كان بقاؤه خيراً وأنفع من قتله ؛ فعدل عن قتله ، واكتفى بأن أوثقه وأخذ معه أسيراً .

(١) يقول المؤرخون : إن « أصحمة » هذا هو جد النجاشي الذى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك زمن بعثته عليه الصلاة والسلام .

ثم سار حتى بلغ أرض « خثعم » ،
فخرج له « نفيل » بن حبيب الخثعمي
بقبيلته ومن انضم إليهم من العرب ،
فقاتلوه ، ولكنه قهرهم أيضاً ، ووقع
في يده « نفيل » أسيراً ، ولما أراد قتله
قال له لا تقتلني ، وأكون لك دليلاً بأرض
العرب ، حتى تباع ما تريد. فعدل عن قتله ،
واتخذ دليلاً ، وسار حتى بلغ « الطائف »
فخرجت له « ثقيف » برئيسها « مسعود
ابن معتب الثقفي » ، يستقبلونه ويحيونه
ويظهرون له الطاعة والخضوع ، ويقولون
له إن بيت « اللات » معبودتهم ليس
هو البيت الذي يريده ، وإنما ذلك في مكة ،
وقدموا له رجلاً منهم ، يقال له : « أبو رغال »
ليكون دليلاً إلى ذلك البيت ، فانصرف
عنهم ، وسار معه هذا الدليل حتى بلغ
موضعاً يقال له « المغمس » بضم الميم
الأولى وفتح الغين المعجمة وتشديد الميم
الثانية مفتوحة أو مكسورة . وهو في طريق
« الطائف » على بعد ثلثي فرسخ من مكة ؛
فمات هناك « أبو رغال » ، ودفن ،
ثم صار قبره بعد ذلك يرحم بالأحجار .
ومن المغمس بعث « أبرهة » قطعة
من الخيل بإمرة « الأسود بن مفسود »

« بالفاء » للغارة على مكة ، فمضى واستاق
إبلاً لقريش فيها مائتا بعير لعبد المطلب
وحده ، ولم تستطع قريش أن تصد هذه
الغارة أو تعرض لها .

ثم أرسل « أبرهة » مرة أخرى - وهو
بالمغمس - « حناطة الحميري » رسولا
إلى سيد مكة وشريفها يبلغه أن الملك لم
يأت لحرب ، وإنما جاء لهدم البيت ،
فإن لم يقاوم أهل مكة ولم يحولوا بينه
وبين مقصده فسوف لا تكون حرب .
وسينتهي الأمر بسلام ، فإنه ليس به
حاجة إلى دماهم .

وكان فيما أمر به ذلك الرسول أن
يستصحب إليه سيد مكة إذا عرف منه
أنه لا ينوي حرباً ولا مقاومة . فدخل
« حناطة » مكة وسأل عما يكون سيد
القوم ، فدلوه على « عبد المطلب بن هاشم »
فبلغه الرسالة وذهب معه إلى « أبرهة » ،
فاستقبله وأجله ، ونزل عن سريره ، وأجلسه
بعجواره على البساط لما قيل له إنه سيد مكة
وشريفها . غير أنه عاب عليه أنه لم يهتم لذلك
الأمر العظيم الذي قدم له أبرهة ، وأنه لم
يطلب - لما سأل عن حاجته - إلا أن يرد إليه
إبله ، ولم يبال بما اعتزم أبرهة أن يفعله بالبيت

الذى هو متعبد انقوم ومحل عزهم
وشرفهم ؛ فقال له « عبد المطلب » :
إني أنا رب الإبل ، وأما البيت فله رب
يحميه .

ورجع عبد المطلب بالإبل فأهداها
جميعها - فيما يروى - للحرم .

ثم أعد أبرهة الخيل والجند والفيل
لدخول مكة ، فلم يستطيعوا سوق الفيل
نحوها ، وكان كلما وجهوه إليها سقط
إلى الأرض ؛ فلإذا وجهوه إلى جهة أخرى
أى جهة هروا .

ثم نزلت بهم الكارثة العظمى التى حدثت
عنها القرآن : أرسل الله عليهم أنواعاً
من الطير ، لم يكن لأهل مكة عهد بها من
قبل : فى أشكالها وألوانها وكثرتها وشدة
هجومها ؛ وكانت ترد جماعات جماعات ،
تحلق فوق الجيش وترميهم بحجارة من
سجيل ، كما قال القرآن ؛ فقضت عليه ،
ولم يبق منه إلا عدد قليل يحمل العبرة ،
ويكون شاهداً بالهول الذى حدث ، وبِعَظَمِ
المعجزة التى أرادها الله إرهاباً وتمهيداً
لبعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحفظاً
للبيت الذى هو كعبة الإسلام .

وفيما يروى أن أبرهة قد أصابه الله
بمرض الجدري الذى تساقطت منه
أطرافه ، وانشق به صدره عن قلبه وكان
به فى آخر الأمر حتفه ، أما وزيره الذى
يدعى « أبا يكسوم » فقد فر راجعاً إلى
« أصحابه » وطائر يتبعه وهو لا يدري ؛
حتى إذا فرغ من إخبار الملك بما حدث
للجيش ألقى عليه الطائر حجراً من تلك
الحجارة فمات لساعته ، والملك ينظر
فيعرف كيف كان هلاك الجيش .

ولقد كان هلاك الجيش بتلك الحجرة
أمراً عجيباً حقاً .

لكن هل كان بتلك الحجرة ذاتها
ومن غير توسط شيء آخر ، كما يهلك
إنسان بصخرة تقع عليه ، أو بطعنة رمح
تنفذ منه فى مقتل ؟ أو أن الرمي بتلك
الحجرة كان ينشأ عنه مرض فتاك ،
يكون بسببه الهلاك ؟ ثم ما هى حقيقة
تلك الحجرة ؟

الذى قاله المفسرون والمؤرخون أن هذه
الحجرة كانت قطعاً صغيرة من طين
يابس ، شديد صلب ، وذلك هو معنى
السجيل ، فهى من طبيعة الطين ، وليست [

من طبيعة أحجار الجبال ؛ وقد عبر عنها بحجارة نظرا إلى يابسها وشدتها وصلابتها.

هذا هو ما تشهد به اللغة في معنى السجيل ؛ وهو ما تدل عليه آيات قرآنية تحدثت عما رمى به قوم « لوط » عليه السلام من مثل ذلك ، مما كان به هلاكهم كذلك : قال تعالى : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . (٨٢ هود) وقال سبحانه : « فأخذتهم الصيحة مشرقين ؛ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . (٧٣ ، ٧٤ الحجر) .

وفي سورة ثالثة بيان عن تلك الحجارة التي رمى بها قوم « لوط » أنها من الطين ، ذلك هو قوله تعالى : « قال فما خطبكم أيها المرسلون ، قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ؛ لنرسل عليهم حجارة من طين » (٣١ - ٣٣ الذاريات) .

وقد حفظ أولئك المفسرون والمؤرخون - مما بلغهم عن حادثة الفيل - أن هلاك جيش « أبرهة » كان بتلك الأحجار ذاتها ، فكان الحجر يسقط على الرجل في

أعلاه فينفذ فيه ويخرج من أسفله ؛ حتى إنه إذا كان راكباً نفذ أيضاً في مطيته .

روى « ابن كثير » بسنده عن عبيد ابن عمير قال : « لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف ، كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار : حجرين في رجليه ، وحجرا في منقاره ، قال فجاءت حتى صفت على رؤوسهم ، ثم صاحت وألقت ما في رجليها ومناقيرها ، فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ، ولا يقع على شيء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر ، وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة ، فزادتها شدة ، فأهلكوا جميعاً . (البداية والنهاية ج ٢ ص ١٧٤)

ثم إنه ليس في كلمة « حجارة » ، ولا في كلمة « سجيل » التي هي بمعنى الطين اليابس الصلب المتحجر كما قدمنا ، ولا في التعبير بالرمي ما يشعر بشيء غير الذي قاله أولئك العلماء ، فهو الذي يتبادر إلى الذهن من تلك الكلمات .

وليس بغريب في باب المعجزات وخوارق العادات - وحادثة الفيل - هي من هذا

القبيل - أن ينتقم الله من ذلك الجيش
الجرار الجبار الذى سار ليهدم الكعبة
المشرفة بيت الله الحرام ، فيرسل عليه
جماعات عظيمة من الطير تحمل أحجارا
صغيرة وشديدة ترمى بها ذلك الجيش
فيكون فيها هلاكه . .

إن الآيات الكريمة من سورة الفيل لم
تعبن ذلك الطير ، ولم تبين نوعه ، وإنما
أتت بكلمة طير : تنكرة ، لإفادة الكثرة
التي قد تكون من أغراض التنكير ، لأنه
لا يتعلق غرض خاص بتعيين ذلك الطير
وبيان نوعه أو لونه ، إذ أنه يكفى فيما
يقصد إليه الإعلام بالواقعة ، أن يحمل
لفظ الطير على ما يتبادر إلى الذهن مما هو
معهود ، أو مما يماثل ما هو معهود منه ،
أى أنه يكفى فى تحقيق المقصود من
الإخبار بواقعة الفيل أن يحمل الطير
على نحو العصفير أو الحمام أو اليمام
أو الهدد أو الخطاف أو ما شاكل ذلك .

لكن هل يمكن أن يحمل لفظ الطير
فى الآية الكريمة على البعوض أو الذباب ،
وأن يكون المراد بحجارة السجيل ما يتعلق
بأرجل ذلك البعوض أو الذباب من المواد
المسومة ، التي تشتمل على جراثيم

الأمراض الفتاكة ، ثم تكون ملازمة
أرجل البعوض أو الذباب لجسم الإنسان
هى المراد بالرمى بتلك الحجارة ؟
لا نظن أن أحدا من أئمة التفسير يجيز
مثل هذه الاحتمالات ، لا من طريق الحقيقة
ولا من طريق المجاز .

لكن الشيخ « محمد عبده » - رحمه
الله عليه - قد أجازها وقال صراحة بها ،
بل قال « إنه يجوز » أن يكون من
جماعات ذلك الطير ما يسمى الآن
بالميكروب ، فهو فرق وجماعات لا يحصى
عددها إلا بارئها .

إنه جائز من ناحية اللغة ذاتها أن يطلق
على البعوض « طير » وعلى الذباب
« طير » ، وحتى الميكروب يمكن أن
يحمل على ذلك ويطلق عليه أيضاً أنه طير ،
فالطير - كما يقول الأستاذ الإمام - كل
حيوان يطير فى الهواء مما يرى وما لا يرى .
لكن الكلام فى الطير المحدث عنه فى

سورة الفيل : ذلك الطير الذى أخبر
القرآن أنه كان يحمل أحجارا يابسة
شديدة عبر عنها بالسجيل ، وأنه كان
يرمى بها جنود جيش الحبشة فيكون فيها
هلاكهم .

فهل يصح أن يفهم أن الذباب أو البعوض أو الميكروب هو المراد بذلك الطير ؟

إن السورة ليس فيها ما يشعر بشئ من هذه الأنواع الثلاثة ، التي يريدّها الشيخ « محمد عبده » من كلمة « طير » وليس فيها ما يوجب صرف اللفظ إلى هذه الأنواع ؛ فما هو السبب الذي جعل الأستاذ الإمام يذهب في التفسير ذلك المذهب البعيد ؟ لعله استنتاج يكون قد اعتمد فيه على ما جاء في بعض الروايات عن حادثة الفيل أنه قد وقع في الجيش الحبشي الإصابة بمرض الجدري أو الحصبة . وقد اختار الشيخ « عبده » رواية وردت في ذلك لم تسعد عند المؤرخين وعلماء التفسير بشهرة من مثل ما كان لكثير من وقائع تلك الحملة الحبشية . تلك الرواية تحكى أن ذلك المرض - الجدري أو الحصبة - قد عم الجيش الحبشى كله وتفشى فيه .

فلعل « الشيخ » أراد أن يعلل هذا المرض بما يعلل به عادة في عالم الطب ؛ وذلك بإسناد إلى الإصابة بالميكروب الخاص به .

ثم لم يرد أن يذهب - مع الاحتفاظ بذلك التعليل العلمى - مذهب أولئك العلماء الذين ثبت لديهم أن ما ورد في السورة من ألفاظ « الطير والرمى والحجارة والسجيل » هى على معانيها الظاهرة ، التي لم يصرف عنها صارف ، والتي على أساسها تكون واقعة الطير ورميه الجيش الحبشى بحجارة السجيل من باب المعجزات وخوارق العادات .

لم يذهب الشيخ هذا المذهب ، واقتصر على أن ما كان هنا لك من الطير هو من نوع البعوض والذباب ، الذى حمل للجيش جراثيم ذلك المرض .

وهنا نرى أنه لابد من وقفة بإزاء ما قرره الشيخ « محمد عبده » في تفسير السورة لإبداء بعض ملاحظات ، وهى التى نورد ها فيما يلى :

١ - الملاحظة الأولى : « أنه ردد عبارات « التواتر » و « المتواتر » وما اتفقت عليه الروايات بمناسبة ما يروى من وقائع حادثة الفيل ، ثم قال « إن الذى ذكره هو واقتصر عليه من تلك الوقائع في تفسير السورة هو الذى ثبت بالتواتر ،

وهو الذى يصح الاعتماد عليه . وما عداه فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صححت روايته .

وغريب أنه يرفض هكذا رواية أخبار الأحداث التاريخية إذا لم تكن متواترة ولو كانت صحيحة لا سطعن فيها .

إنه معقول أن يشترط التواتر فى الأخبار عن أمهات الأحداث وأصول الوقائع ، التى تتحقق لها موجبات الذبوع والشهرة ، كأن تكون مما تتوافر الدواعى على نقله والإخبار به ، والحديث عنه . وفى هذه الحالة لا يقبل من آحاد الناس ادعاء الانفراد بشهودها ومعرفتها والوقوف عليها .

أما فروع الأحداث وتفصيلها التى لا تتوافر لها موجبات الذبوع والشهرة كما تتوافر لتلك الأصول فإنه يكون من الحيف ألا يقبل فيها ما يرويه الآحاد ولو كانوا عدولا صادقين غير متهمين بكذب ولا تدليس ولا تحريف ، وكان ما يخبرون به عن تلك الأحداث الفرعية لا يتعارض وما ثبت بالتواتر عن الوقائع الأصلية ، ولا يناقض روايات آحادية أخرى عن تلك الأحداث الفرعية ذاتها .

ونضرب لذلك مثلاً ما روى من أن « عبد المطلب » جد الرسول صلى الله عليه وسلم لما ذهب إلى « أبرهة » حينما كان بالمغمس طلب منه أن يرد عليه إبله التى كان قد استولى عليها قائده « الأسود بن مفسود » فى غارته على سرح مكة ، وأن « أبرهة » قد رد عليه الإبل ، وكانت مائتى بعير ، وأنها كانت كلها لعبد المطلب ، وأنه أهداها جميعها للحرم .

فهل مثل هذه الوقائع الفرعية يلزم لقبولها أن تكون مروية بالنقل المتواتر فتكون مرفوضة إذا لم يتحقق لها هذا التواتر ولو كانت صحيحة لا طعن فيها ولا تجريح ؟ إن هذا يكون من لزوم ما لا يلزم ، وهو شئ لم يقل به أحد فيما نعلم .

هذا - ونريد ألا نقف هنا طويلاً ، فإن هذه المسألة ليس لها من الأثر فى الموضوع الذى نحن بصدده إلا بالقدر الذى أشرنا إليه .

٢ - الملاحظة الثانية : أن الشيخ « محمد عبده » قد أورد فى القطعة التى قال إنها متواترة شيئاً لم يثبت بالتواتر ولم تتفق عليه روايات الرواة فإنه قال

ما نصه : « وفي اليوم الثاني - أي بعد وصول « أبرهة » إلى المغمس - فشا في جند الجيش الحبشي داء الجدري والحصبة قال « عكرمة » : وهو أول جدري ظهر ببلاد العرب . وقال « يعقوب بن عتبة » فيما حدث : إن أول ما رؤيت الحصبة والجدري ببلاد العرب ذلك العام ؛ وقد فعل ذلك الوباء بأجسامهم ما يندر وقوع مثله ، فكان لحمهم يتناثر ويتساقط ، فذعر الجيش وصاحبه وولوا هاربين . وأصيب الحبشي ، ولم يزل يسقط لحمه قطعة قطعة وأثمة أثمة ، حتى انصدع صدره ومات في صنعاء » .

ثم قال « الشيخ » : هذا ما اتفقت عليه الروايات ويصح الاعتقاد به » اهـ .

وهكذا يقرر الشيخ « محمد عبده » أن الإصابة بالجدري والحصبة قد أفزعت الجيش كله ، وفشت فيه ، وأن هذا مما ثبت بالتواتر واتفقت عليه الروايات .

ونحن نقول : إن حادثة مرض الجدري أو الحصبة وفشوه في الجيش لم تتفق

عليها الروايات ، ولم تثبت بالضرورة ثبوت التواتر ، فإن كثيراً من أعلام المؤرخين لم يذكروا شيئاً يدل على أن مرض الجدري أو الحصبة قد عم الجيش وفشا فيه ، بل إنهم لم يذكروا شيئاً أصلاً عن إصابة الجيش بهذا المرض . ومن ذكر من هؤلاء شيئاً عن مرض الجدري أو الحصبة لم يذكر أنه أصيب به أحد غير أبرهة .

إنه بعيد جداً أن تكون إصابة الجيش الحبشي بمرض الجدري هكذا إصابة عامة وبائية ثم يسكت عنها ويغفل أمرها أولئك العلماء الذين أشرنا إليهم^(١) ، إذ أنها حينئذ تكون جديرة أن يروى أخبارها كل معنى بحفظ الأحداث التاريخية العظيمة ، ولا سيما حادثة كحادثة الفيل .

ويستند المرحوم الشيخ « محمد عبده » في دعوى إصابة الجيش الحبشي بالجدري إلى ما روى عن « عكرمة » أن ذلك كان أول جدري ظهر ببلاد العرب ؛ ولكن هذه الرواية ليس فيها ما يفيد أن مرض الجدري قد تفشى في الجيش كله .

(١) من هؤلاء العلامة القسطلاني في المواهب الدينية والإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني في شرح المواهب ؛ وابن كثير في البداية والنهاية .

بل نحن نقول : إنه قد روى عن « عكرمة » ما هو أصرح من ذلك في الدلالة على وقوع الجدرى في الجيش وأنه قد تفشى فيه : ذلك هو ما أثبتته « الفخر الرازى » في التفسير الكبير إذ يقول : روى عكرمة عن ابن عباس قال : لما أرسل الله الحجارة على أصحاب الفيل لم يقع حجر على أحد منهم إلا نطقت جلده وثار به الجدرى ، قال : وهو قول « سعيد بن جبير » . ثم قال : وكانت تلك الأحجار أصغرها مثل العدسة وأكبرها مثل الحمصة ^(١) .

ولكن هذه روايات . فأين هي من دعوى التواتر أو دعوى اتفاق الروايات ؟

ثم إننا لا نمنع أن يكون جيش الحبشة قد وقعت فيه الإصابة بالجدرى ونفترض أن هذا المرض قد عم أفراد الجيش وتفشى فيهم ، وأنه كان أثراً لما رماهم به الطير الذى أرسله الله عليهم ؛ لكن يجب أن يكون ذلك كله على أساس أن تكون ألفاظ الطير والرمى والحجارة الواردة في السورة مأخوذة في معناها الظاهر الذى

يتبادر إلى الذهن من تلك الألفاظ ، وهو الذى بيناه فيما سبق واتفق عليه جميع المفسرين ، والمؤرخين ، وهو الذى روى أيضاً عن « عكرمة » الذى يستند إلى روايته المرحوم الشيخ « محمد عبده » .

وهو غير ما ذهب إليه « الشيخ » الذى يحصر سبب إصابة الجيش الحبشى بالجدرى فيما نقل إليه من الجرائم بواسطة الذباب أو البعوض ،

٣ - الملاحظة الثالثة : أن الشيخ « عبده »

- الذى يقرر أنه إنما يعتمد على التواتر في أخبار هذه الأحداث ، أو على ما اتفقت عليه الروايات - لم يأخذ بما اتفقت عليه الروايات جميعها فيما حدثت به عن الطير وعن الحجارة التى كان يلقي بها على الجند وكيف كان الهلاك بتلك الحجارة على ما بيناه فيما سبق ؛ بل نحا في ذلك ناحية لم يذهب إليها أحد قبله ، فقال بالبعوض والذباب والميكروبات ، ولم يقل بما قاله سائر العلماء الذين نقلوا أن هلاك جيش « أبرهة » كان بذلك الحدث الذى هو من المعجزات وخوارق العادات .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٨ ص ٤٨٤

٤- الملاحظة الرابعة : هي أن المرحوم الشيخ « عبده » يقول : وقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير ، مما يرسله الله مع الريح .

ونحن نرجع إلى السورة فلا نراها تبين شيئاً أو تقول شيئاً عن الجدري أو الحصبة . لم تعرض السورة لشيء من ذلك ، ولم تقل إن تلك الحصبة أو ذلك الجدري كان من أثر الجراثيم التي كانت عالقة بحجارة سقطت على الجيش من الطير الذي يرسله الله مع الريح ، تعنى الذباب والبعوض .

فالسورة لم تذكر تعليلاً للإصابة بمرض حصبة أو جدري ، لأنها لم تذكر في آياتها الحصبة والجدري .

ثم لم يثبت ثبوتاً قاطعاً متواتراً أن الجيش أصيب إصابة عامة بهذا المرض ، على ما يرى المرحوم الشيخ « محمد عبده » حتى يمكن أن يقال إن السورة قد عرضت لبيان العلة في هذه الإصابة مكثفية بذلك عن التصريح باسم الحصبة أو الجدري .

هذا - وفي ختام هذه الملاحظات نقول : إنه ليس بمثل تلك التكاليف والمحاولات ، تكون الإجابة أو التجديد ، في تفسير الآيات البيّنات ، من كتاب الله المجيد . والحمد لله رب العالمين .

عبد الرحمن تاج

عضو المجمع



وديان أودية

للدكتور ناصر الدين الأسد

(١)

بعض المحدثين - ممن لهم
عناية باللغة ، إلى تخطئة
استعمال « الوديان » جمعاً للوادي ،
ونبّهوا على أن الصواب « أودية »^(١) .

وحاولت أن أتبع جمع « الوادي »
في أساليب القدماء ، فرجعت إلى نحو
ثلاثين ديواناً لشعراء العصور المختلفة :
الجاهلية والأموية والعباسية ، وقرأت
جميع ما فيها من أبيات على قافية النون

وقبلها ألف . فلم أجد فيها « الوديان »
على كثرة الحاجة إليها في مثل هذه
القافية . ووجدت في بعض هذا الشعر
« أودية » في دَرَج البيت . ثم رجعت
إلى ما تيسر لي من كتب المسالك والبلدان
ومعاجم الجغرافيا . فلم أجد كذلك أحداً
من مؤلفيها يستعمل « الوديان » ووجدتهم
جميعاً يجمعون « الوادي » على « أودية » .

واشتد ظلي للوديان وحرصى على
التنقيب عن هذا الجمع ، ولكني لم أجده
فما قرأت من كتب تراثنا في اللغة أو
الأدب أو التاريخ أو غيرها . حتى أفسدت
على شهوة البحث عن هذا الجمع لذة
قراءة تلك الكتب وربما فوّتت على فوائد
أخرى كثيرة .

ولجأت إلى المعاجم وكتب اللغة لعلّ أجد
فيها ما لم أجد في غيرها ، فلم أفر بباطل .
فالأزهرى (ت ٣٧٠ د) يقتصر على
إيراد جمع واحد للوادي هو « الأودية »^(٢) .

(١) كتاب المنذر إلى المجمع العلمي العربي في دمشق ١ : ١٢ ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٢٧ ؛ والكتابة
الصحيحة ، لزهدي حار الله . ٣٢٩ ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٨

(٢) تهذيب اللغة ١٤ . ٢٣٢

وكذلك فعل أبو بكر الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) ولكنه أضاف فائدة جلية ، قال :^(١) « والوادي : كل بطن مطمئن من الأرض ، وربما استقر فيه الماء ، والجمع أودية ، على غير قياس . . . »

الوادي يجمع أوداء ، على أفعال . . . أمسية ، وطبي تقول : أوداء ، على القلب ، ثم أورد ما ذكره الجوهري في صحاحه عن مخالفة الجمع « أودية » للقياس .

وتابعه الجوهري (ت ٣٩٣ - ٤٠٠ هـ) في النص على مخالفة هذا الجمع للقياس ، ثم أضاف فائدة أخرى جلية ، قال :^(٢) « والجمع : الأودية ، على غير قياس ، كأنه جمع ودي ، مثل : سري وأمرية للنهر » .

واقتصر الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) على ذكر « أودية » في جمع واد^(٥) . أما مجد الدين الفيروزابادي (ت ٨١٦ أو ٨١٧ هـ) فقد أورد أربعة جموع ، هي : أوداء ، وأودية ، وأوداة ، وأوداية^(٦) .

ولم يذكر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) الجمع ، واقتصر على ذكر المفرد^(٣) . وأورد ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ثلاثة جموع ، قال :^(٤) « والجمع : الأودية . . . وقال ابن الأعرابي :

وكذلك فعل المرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) فقد أورد هذه الجموع الأربعة وزادها بيانا مما ذكره الجوهري وابن منظور^(٧) .

أما في كتاب الله فقد جاءت كلمة « واد » منكراً ومعرفة ، مجرورة

(١) لحن العوام ، تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ، مكتبة دار العروبة بالقاهرة ١٩٦٤ ، ص : ٢٤٠

(٢) الصحاح (ودي) .

(٣) أساس البلاغة (ودي) .

(٤) اللسان (ودي) .

(٥) الصباح المنير (ودي) .

(٦) القاموس المحيط (ودي) .

(٧) التاج (ودي) .

ومنصوبة ، في ثمانى آيات من ثمانى سور^(١) ، ولم يجرى الجمع إلا في صيغة « أودية » وحدها ، وذلك في آيتين من سورتين ، قال الله تعالى : (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أوديةً بِقَدَرِهَا)^(٢) وقال تعالى (فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمِطِرُنَا)^(٣)

وكان في كل هذا غناء ومقنع ، وكان بعضه حرياً أن يصرفنى عن متابعة البحث لولا اللجاجة وشهوة التنقيب .

(٢)

ثم عثرت في تاج العروس^(٤) - في آخر مستدرك الزبيدى حيث لا يظن أحد أنه سيعود إلى الحديث عن الوادى وجميعه بعد أن طال حديثه في أمور أخرى غيرهما - على قوله :

« . . . والوديان مشئى وديى كغنى : أرض بمكة لها ذكر في المغازى ، وقد يجمع الوادى أيضاً على وديان بالضم . . . »

ولكن انفراده وحده بهذا الجمع ، دون غيره من أصحاب المعاجم واللغة ، أمر يدعو إلى التوقف والبحث عن مظانه ، فليست قيمة الزبيدى في ذاته ، ولكنها فيما يجمع لنا عن غيره ممن سبقه ، ولا بد من العثور على مصدره الذى استقى منه . وقد أورد عبارته دون نسبة إلى صاحبها ، وأنزلها منزلاً مبهماً . ولم يهتدى طول التنقيب إلى كتاب آخر قبل تاج العروس يُحتمل أن يكون قد أخذ منه .

ومع ذلك فهذا عالم أورد في كتابه ما كان يحوك في النفس . وليس أقل من أن أثبت هنا ما جمعته عن هذا الأمر عسى غيرى أن يصل إلى ما عجزت عنه من اليقين القاطع .

(٣)

لا نعرف أحداً من أصحاب اللغة والنحو ذكر أن صيغة (فاعل) في أى معنى من معانيها : سواء أكانت صفة أم اسماً ، مذكراً أم مؤنثاً ، تجمع على (أفعلة)

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٧٤٧

(٢) الرعد : ١٧

(٣) الأحقاف : ٢٤

(٤) الفضل في ذلك للصدى العلامة الأستاذ حمد الجاسر .

سوى ما استدركه بعضهم من نصهم على
شذرن ثلاث كلمات ذكرها المرتضى
الزبيدي نقلا عن غيره^(١) . وهى ناد
وأندية ، وناج وأنجية ، وواد وأودية .

أما جمع ناد فقد استوفيت الحديث
عنه فى مقالة نشرت فى هذه المجلة^(٢) .
ودهبت إلى أن (أندية) جمع (نادى)
بمعنى (ناد) ، أما جمع (النادى) فهو
(النوادى) وهو جمع قياسى مطرد
لا ينكسر فى «فاعل» إذا كان اسما
أو صفة غلبت عليها الاسمىة لغير العاقل^(٣) .

أما (أنجية) جمع (ناج) فلم أعثر
عليه فى شىء مما اطلعت عليه من المعاجم
وكتب اللغة - سوى هذا الذى نقله
لزبيدي فى التاج عن أبى العباس الحلبي
المعروف بالسمين فى كتابه عمدة الحفاظ -
فجميعها تنص على أن الناجية هى «الناقة
السريعة تنجو من ركبتها» ، والبعير :
ناج^(٤) ، ولا يورد له جمعا . أما أنجية
التي وردت فى هذه المعاجم فهى جمع

نَجَى ، والنص عليه وشرحه وأمثله من
الشعر وغيره ، كل ذلك واضح الدلالة
على أن (أنجية) هم القوم الذين يتناجون
فهى جمع (نجى) وليست جمع (ناج)
بمعنى البعير .

أما جمع (واد) فهو موضوع الحديث
فى هذا البحث . وقد رأينا أن المعاجم
وكتب اللغة لم تنص إلا على جمع واحد
هو (أودية) ، ولكننا رأينا كذلك أنها
نصت على أن هذا الجمع «على غير قياس»
لأن صيغة (فاعل) لا تجمع على (أفعلة)
وزاد الجوهري فى صحاحه : «كأنه
جمع ودى» . مثل : سرى وأشرية ،
للنهر .

فإذا كان هذا صحيحا فنحن نعرف
أن (أفعلة) من جموع القاءة ، وأنها
تطرد فى صيغة (فعليل) ، وأن جمع
الكثرة لهذه الصيغة هى (فعلان) بضم
الفاء أصلا وكسرها أحيانا . وقد وضح

(١) تاج العروس (ودى) .

(٢) الجزء السابع والعشرون ، ذو الحجة سنة ١٣٩٠ هـ ، فبراير سنة ١٩٧١ ، ص : ٩٠ - ١٠٣

(٣) انظر «السان» مثلا .

سيبويه وجوه استعمال هذا الجمع بما لا مزيد عليه^(١) ، ومما قاله :

« . . . فأما ما كان من بنات الياء والواو فهو بمنزلة ما ذكرنا ، وقالوا : فرى وأقرية وقريان ، حين أرادوا بناء الأكثر ، كما قالوا جريب وأجربة وجربان ، ومثله سري وأسرية وسريان . . . »

{ وقال المبرد (ت ٢٨٥ هـ)^(٢) .

« . . . ولكن باب جمع (فعال) في العدد الكثير (فعْلان) ، كما أن باب جمع (فعيل) (فعْلان) ، نحو : ظليم وظلمان^٣ ، روضة ضيب وقضبان . . . »

وقال ابن سيدة (ت ٤٥٨ هـ)^(٣) :

« . . . وإذا سميت بصفة مما يختلف جمع الاسم والصفة فيه جمعت جمع نظائره من الأسماء ولم تُجره على ما جمعو حين كان صفة إلا أن يكونوا جمعو جمع الأسماء فتجريه على ذلك ، كرجل سمّيته بسعيد أو شريف تقول في أدنى

العدد : ثلاثة أشرفة وأسعدة ، وتقول في الكثير : سُعدان وُسُرفان وسُعد وُسُرف ، لأن هذا هو الكثير في الأسماء في جمع هذا البناء ، تقول : رغيف وأرغفة ، وجريب وأجربة ، وقالوا : رُغفان وجربان . . . »

ونص السيوطي على الصيغ التي يستعمل فيها هذا الجمع فبدأها بقوله^(٤) : « فُعْلان ، بالضم ، ويطرد جمعاً لاسم على فعيل . . . »

ونحن نرى من هذا كله أنهم حين نصوا على أن جمع (واد) على (أودية) إنما هو على غير قياس ، ذكروا أيضاً « كأنه جمع ودي ، مثل : سري وأسرية ، للنهر » ، وهذا سيبويه ينص ، كما رأينا ، نصاً واضحاً على أن (سري) يجمع على (أرية) حين يريدون جمع القلة ، ويجمع على (سريان) حين يريدون جمع الكثرة . فإذا استعملوا لواد جمع قلة هو في الأصل لصيغته

(١) الكتاب ٢ : ١٩٢ - ١٩٢

(٢) المقتضب ٢ : ٢١٢

(٣) المحقق ١٧ : ٨٥

(٤) مع المراجع ٢ : ١٧٨

(وَدَى) ، فهل لنا أن نتساءل لِمَ لا
لا نستعمل جمع الكثرة لمثل هذه الصيغة ،
فيكون (وديان) للكثرة و (أودية)
للقلّة ؟

(٤)

وذكر رضى الدين الاسترابادى

(ت ٦٨٨ هـ) أن (الوادى) لم يجمع
الجمع القياسى المطّرد على (فواعل)
وكذلك لم يجمع على (فُعْلان) ، وإنما
جمع على (أفعلة) لعلّة محدّدة ، قال^(١) :
« كأنهم استثقلوا الواوين فى أول
الكلمة لو جمعوه على (فواعل) ، وانضمام
الواو وانكسارها لو جمع على (فعْلان) ،
وإذا سلّمنا بصحة العلة الأولى وهى
استثقالهم الواوين فى أول الكلمة لو
جمعوه على (فواعل)^(٢) فإن العلة
الثانية يصدق عليها قولهم : أومى من

حجة نحوى ! وذلك أن الواو : مضمومة
أو مكسورة ، فى أول المفرد وفى أول الجمع
كثير فى كلام العرب ، لم يجدوا فيها
ثقلا ، أو لم يمنعهم ما فيها من ثقل أحس
به رضى الدين الاسترابادى من أن تكثر
فى كلامهم . وحسبنا أن نذكر من أمثلة
الجمع ، وهى كثيرة على أبنية متعددة ،
جمعين على بناء (فعْلان) - وهو مدار
حديثنا هذا - أحدهما بضم الواو
والآخر بكسرها ، وهما : وحْدان (بضم
الواو) جمع واحد ، وولْدان (بكسر
الواو) جمع ولد .

وقد استعمل العرب هذين الجمعين
منذ أقدم ما نعرف من عصور العربية ،
وما زلنا نستعملها إلى يوم الناس هذا ،
وسنظل نستعملهما إلى ما شاء الله ، لانحس
فيهما ثقلاً يمنع من استعمالهما . فكيف

(١) شرح شافية ابن الحاجب ٢ : ١٥١ مطبعة حجابى .

(٢) وكانوا يتخلصون أحيانا من اجتماع الواوين فى أول الكلمة بقلب الأولى منها همزة ، قال نشوان الحميرى
(ت ٥٧٣ هـ) : « وإذا اجتمع فى أول الكلمة واو وان قلبت الأولى منهما همزة ، وذلك فى جمع (واصل) وتصغيره ،
فتقول فى جمعه : أو اصل ، وفى تصغيره : أو يصل . والاصل : وواصل ، وويصل . وذلك لكراهية اجتماع
واوين فى أول الكلمة وثقل النطق بهما . فأما قوله تعالى : (ما وورى عنهما) فانما ذلك على أن الواو الثانية مدت لأنها
بدل من ألف (وارىت) ، وقال الشاعر فى الهزرة « هو مهلهل بن ربيعة » :

ضربت صدرها إلى وقالت يا عديا لقد وقتسك الأواق

والأصل الواو فى جمع واقية ، كما فى وعواف . (الحور العين ، مطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٤٨ ،
ص : ٧٣) وانظر أيضاً المعاجم (وق) .

نستثقل انضمام الواو أو انكسارها في (وديان) جمع (واد) ، وهي مثل (وحدان) جمع (واحد) ؟ والجمع (وديان) بكسر الواو مستعمل في عصرنا هذا على ألسنة العرب كافة في أحاديثهم من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق ومن أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب . وقد سألت نفرا من أهل كل مصر من هذه الأمصار عما يستعملونه في أحاديثهم اليومية جمعاً لواد فلم أسمع من أحد منهم أنهم يستعملون (أودية)^(١) ، وإنما يستعملون جميعاً كلمة (وديان) . والعامية تسجنح دائماً إلى استعمال الأخف والأسهل والأبعد عن الاستكراه والاستثقال ليكون ذلك أعون على دوران الكلمة على الألسنة !

(٥)

أو عاميَّاتهم ، في جميع ديارهم في عصرنا هذا وربما فيما قبله من عصور ،

وإذا كان مثل هذا الجمع هو من مألوف كلام العرب الفصحاء ومن صحيح أبنيتهم وأساليبهم وقياسهم المطرد في جمع ما جاء على وزن (فَعِيل) من الأسماء حين يريدون الكثرة ،

وإذا كانوا قد جمعوا لفظ (واد) على (أودية) على غير قياس ، كأنه جمع (وَدِي) مثل : سَرِيٍّ وأسرية ، بمعنى نهر . فهل نستطيع نحن أن نقر استعمال (وديان) جمعاً لوادٍ ، حين يُشَبَّه جمعه بجمع وَدِيٍّ ، كما استعملوا لفظ (سُرَيان) ولفظ (أسرية) معاً جمعاً لَسَرِيٍّ ، الأول للكثرة والآخر للقلَّة ؟

ذلك كله إذا أخذنا بغير القياس ، على تشبيهه ببناء (فاعل) ببناء (فَعِيل) فنستعمل في جمع (وادٍ) جمع (وَدِيٍّ)^(٢)

فإذا كانت (وديان) جمع (وادٍ) هي وحدها المستعملة في عامية العرب ،

(١) سوى ما أخبرني به - بعد طبع تجارب هذه المقالة - صديق ثقته من أنه سمع رجلاً من السراة وآخر من بعض أنحاء نجد يستعملون « الأودية » جمعاً للوادي في حديثهما .

(٢) كان العرب يشبهون بناء ببناء ، ويجمعون أحد البناءين بجمع الآخر ، جاء في اللسان (شعر) : « ... ورجل شاعر ، والجمع شعراء . قال سيبويه : شبهوا فاعلاً بفعيل كما شبهوه بفعول ، كما قالوا : صبور وصبر ، واستغنوا بفاعل عن فمیل ، وهو في أنفسهم وعلى بال من تصورهم لما كان واقعاً موقعه ، وكسر تكسيره ليكون أمانة ودليلاً على إرادته وأنه مغل عن غيره وبدل منه » .

وفي المصباح المنير (شعر) : « ... قال ابن خالويه : وإنما جمع شاعر على شعراء لأن في العرب من يقول شعر ، بالضم ، فقياسه أن تجيء الصفة على فعيل ، نحو : شرف فهو شريف ، فلو قيل كذلك لا لتلبس بشعير ، الذي هو الحب ، فقالوا : شاعر ، ونحووا في الجمع بناءه الأصلي ... » .

ولكن ما لنا نلجأ إلى هذا التشبيه والتغيير في بناء المفرد التماساً لتعميل الجمع ؟ وما لنا لا نعود إلى أصل البناء وهو (فاعل) لنرى ما قال فيه علماء اللغة والنحو ؟ قال سيبويه^(١) : « وما كان من الأسماء على (فاعل) أو (فاعل) فإنه يكسر على بناء (فواعل) ، وذلك : تأبّل وتوابل ، وطابق وطوابق ، وحاجر وحواجر ، وحائط وحوائط .

» وقد يكسرون (الفاعل) على (فُعْلان) نحو : حاجر وخُجْران^(٢) ، وسالٍ وسُلّان^(٣) ، وحائر وخُوران^(٤) وقد قال بعضهم : حيران ، كما قالوا : جانٌ وجِنّان ، وكما قال بعضهم : غائط وغيطان ، وحائط وحيطان ، قلبوها حيث صارت الواو بعد كسرة ، فالأصل (فُعْلان) . وقد قالوا : غالٌ وغُلّان^(٥) ،

وفالِق وفُلُقْسان^(٦) ، ومالٌ ومُلّان^(٧) . ولا يمتنع شيء من ذا من (فواعل) .
« وأما ما كان أصله صفة فأجرى مجرى الأسماء فقد يبنّره على (فُعْلان) كما يبنونها ، وذلك : راكب ورُكبان ، وصاحب وصُحبان ، وفارس وفُرسان ، وراعٍ ورُعَيان . . . فلما لم يخافوا الالتباس قالوا (فواعل) كما قالوا (فُعْلان) » .

فهل بعد هذا البيان بيان ؟ ودل يحتاج الأمر إلى مزيد من التمثيل والاستشهاد وضرب الأمثلة ؟ إن ما أورد سيبويه يتردد بعبارات متقاربة في كتب النحو الأخرى ، وحسبنا أن نضرب مثلاً برضى الدين الاستربادي الذي يقول^(٨) :
« قياس فاعِل - بفتح العين وكسرها - في الاسم : فواعل ، قياساً لا ينكسر

(١) الكتاب ٢ : ١٩٨

(٢) الحاجر من مسایل المياه ومنابت العشب ما استدار به سند أو نهر مرتفع .

(٣) السال : المسيل الضيق في الوادي .

(٤) الحائر : المكان المظلم الوسط المرتفع الحروف .

(٥) الفال : نبت ، أو نبات الطلح ، أو الوادي الغامض في الأرض فيه شجر .

(٦) الفالق : المكان المنحدر بين ربوتين ، والقضاء بين شقيقتين من رمل .

(٧) المسال : في اللسان (ملل) : « وحكى سيبويه مال ، وجمعه ملان ، ولم يفسره » ..

(٨) شرح الشافية ٢ : ١٥١ - ١٥٢ ، وله رأى طريف وملحظ دقيق في الفرق بين صيغتي الجمع في المعنى ،

قال : « وإذا انتقل فاعل من الصفة إلى الاسم ، كراكب الذي هو مختص بإراكب البعير ... وفارس المختص بإراكب الفرس ، وراع المختص برعى نوع مخصوص ، ليست كما ترى على طريق الفعل من العموم ، فإنه يجمع في الغالب على فُعْلان ، كحجران في الاسم الصريح ... » .

وقد جاء فعْلان كحُجْران ، وفِعْلان
كجِنان ، والأول أكثر - أى مضموم
الفاء - ويجوز أن يكون حيْطان من الأول
قلبت الضمة كسرة لتسَلَم الياء . . . »

وأورد ابن منظور في تعليل جمع (راعٍ)
على (رُعَيان) ما ذكره من أنه مثل
« ثابَّ وشَبَّان ، كسروه تكسير
الأسماء ، كحاجر وحجران ، لأنها صفة
غالبة^(١) » .

وهذه العبارة توضّح ما جاء في كلام
سيبويه وما أورده سائر علماء النحو من
أن الأسماء التى على وزن (فاعل) يجوز
جمعها جمع تكسير على بناء (فعْلان)
وأن الصفات حين تجرى معجى الأسماء
يجوز كذلك جمعها على (فعْلان) كما
جاز فى الأسماء .

وربما كان من المفيد أن نعيد ترتيب
الأسماء والصفات التى وردت فى النصوص
السابقة ترتيباً يكشف عن نوع هذه
الأسماء والصفات من حيث حروفها
الأصلية .

فمن أمثلة الأسماء والصفات ذات
الحروف الصحيحة : فالق وفلقان ،
أوراكب وركبان ، وصاحب وصُحبان ،
وفارس وفُرسان ، وحاجر وحُجران .
ونضيف إليها : راهب ورهبان ، وراجل
ورُجلان .

ومن أمثلة المضعفة اللام : شابٌ
وشَبَّان ، وسالٌ وسُلَّان ، وغالٌ وغُلَّان ،
ومالٌ ومُلَّان ، وجانٌ وجِنَّان .

ومن أمثلة المعتلة العين : حائط
وحيطان ، وحائر وحُوران أو حيران ،
وغائط وغيطان . ونضيف إليها : جائز
وجُوزان^(٢) .

ومما يحسن أن يضاف كذلك استكمالاً
لمعالم هذا التقسيم :

من أمثلة المعتل الفاء : واحد ووُحْدان .
ومن أمثلة المهموز اللام : شاطى
وشُطَّان .

(١) اللسان (رعى) .

(٢) الجائز : الخشبة التى يوضع عليها أطراف الخشب فى سقف البيت .

فهذه تسعة عشر لفظاً من الأسماء والصفات التي أُجريت مجرى الأسماء ، من الصحيحة الحروف الأصلية ، أو من معتلة الأول أو الوسط أو الآخر ، أو من مضعفة الآخر أو مهموزته . وكلها على وزن (فاعل) وتجمع على (فُعلان) بضم العين أو بكسرها ، مع أن لها كلُّها جمعاً آخر أو جمعاً أخرى على أبنية مختلفة . وجمع هذه الالفاظ على (فُعلان) ورد في المعاجم وكتب اللغة وجرى به أسلوب الفصحاء .

(٦)

وبعد

فما كنت لأتكلّف ما تكالّفت لو لم تكن كلمة (وديان) هي الجمع الجارى على السنة العرب في هذا العصر في مختلف ديارهم ؛ ولو لم يتصدّد نفر - من الحريصين على نقاء هذه اللغة وسلامتها - لتخطئة هذا الجمع .

ومن الطبيعي أن يتسرّب الفساد ويتطرق الخطأ إلى بعض ألفاظ اللغة أو أساليب العبارة عند بعض الناس ، في كل عصر من العصور ومنها هذا العصر الذي نعيش فيه ، خاصة بين جمهرة المتعلمين الذين يتأثرون بما يقرأون مما تدخله العجمة وتشوبه آثار الترجمة . أمّا أن تُجمع الأمة كلها دون استثناء - في أي عصر - على استعمال كلمة في لغتها تجرى في بنائها على بناء مشيلاتها التي تُعدّ من الكلام الصحيح الفصيح ، ثم يأتي من يخطئ تلك الكلمة ، فهذا أمر يدعو إلى التوقف أولاً ، وإلى النظر ثانياً ، ثم إلى الإسباك عن العجلة في التخطئة آخر الأمر .

وبخلاصة كل ما تقدّم :

١ - أن كلمة (وديان) هي المستعملة جمعاً لوادٍ في كلام العرب وأحاديثهم اليومية في العصور الأخيرة ، وقد أنس

إليها ذوق جمهور المعاصرين ، وجرت
على أقلام بعضهم^(١) .
وهي قاعدة غالبية ، وإن لم تكن شاملة
جامعة .

٤- أن القدماء نصّوا على أن بناء

(فاعل) للاسم أو للصفة التي تجري
معجى الاسم ، قد يكون على (فعلان) .
وقد أوردنا أمثلة متعددة على ذلك .
و (الوادى) على بناء (فاعل) .

٦ *

فهل من حرج ، بعد هذا ، على من
لا تطمئن نفسه إلى تخطئة (وديان)
إذا ما رآها في بعض ما يُكتب أو سمعها
في بعض ما يقال ، حتى تقوم على تخطئتها
بيّنة قاطعة ؟ وهيئات ! !

ناصر الدين الأسد

عضو المجمع

٢- إن هذا الجمع (فعلان) من أبنية
الجموع العربية التي نصّت عليها معاجمهم
وكتب لغتهم ، ودارت على ألسنتهم
وعلى أقلامهم في شعرهم ونثرهم .

٣- إن القدماء نصّوا على أن جمع (وادٍ)
على (أودية) هو على غير قياس كأنما هو
جمع (وديّ) ، مثل : (سريّ) .
و (سريّ) جمعه : أسريّة وسريان .
وهذه الصيغة (فعيل) تجمع جمع قلّة
على (أفعلة) وجمع كثرة على (فعلان)
وأمثلة ذلك من كلام العرب كثيرة ،

(١) وذلك كثير في الشعر والنثر ، وحسبنا أن نسوق ثلاثة أمثلة من الشعر ، أحدها من مصر ، والثاني من
لبنان ، والثالث من الجزيرة العربية .

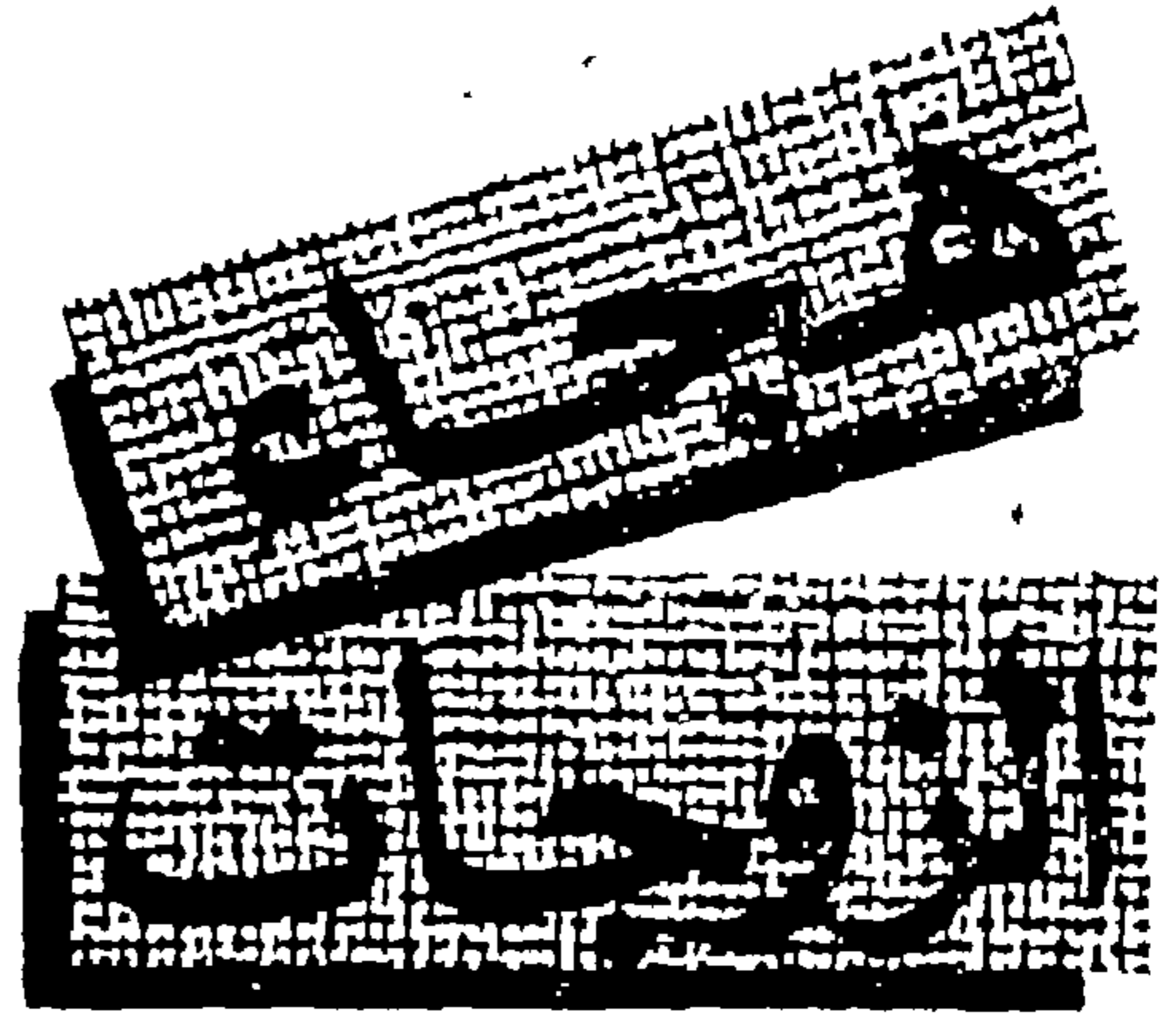
قال حافظ إبراهيم (ديوانه ، طبع دار الكتب سنة ١٩٣٧ ، ج ١ ، ص : ٢٩) :
نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان

وقال إلياس أبو شبكة (من صعيد الآلة ، بيروت ١٩٥٩ ، ص : ٤١) :

يمشى والنار في أجفائه زبد على لظى الرمل ، من واد لوديان

وقال حسن عبد الله القرشي (فلسطين وكبرياء الجرح ، دار العودة ، بيروت ١٩٧٠ ، ص : ١٠٢) :
يتنادون يا لغارات « مروا ن » فيسرى النداء في الوديان

فلو أنهم كانوا على حظ من سمو الخلق ،
ورقة الشعور ، وسلامة الذوق ، لكظموا
غيظهم ، ولطوّروا كَشْحاً على المكروه ،
ولآثروا الصمت على الكلام في مثل هذه
المواطن التي تُهَجِّن سمعة الفراش ،
وتشّى بمساوى البيوت ! فكل ما يتعلق
بالنساء يجب ستره كالنساء ! ولو كان
حسناً ! فما الظنُّ به إذا كان ممّا يقبَحُ
نشره !



للأستاذ على الجندی

أدرى من فتح باب الشر ،
لست
وإن كان يغلب على الظن :
أنه الحطيئة بقوله :

أطوفُ ما أطوفُ ثم آوى

إلى بيت قيسـلدته لكاعـ

ومع أن هذا الشاعر كان خبيث اللسان ،
كثير الفحش والبذاء ، حتى لم تسلم
نفسه من شر نفسه ! فمن الإنصاف له
أن نعترف : بأنه سلك سبيل القصد
في هجاء زوجه ! فلم يُمعن في الثلب ،
ولم يتقص العيوب كما فعل غيره ، فمن
وردوا هذا المستنقع الوخيم !

وهذا اللون من الأدب قد كشف لنا
عن ضعف بين في أخلاق هؤلاء الشعراء !

ولكن لا عجب ! فمعظم هؤلاء الشعراء
أعراب أجلاف ! لم تُغذهم رقة الحضارة !
وبعضهم قد مرّنوا على الهجاء ، وغرّوا به
كدعبل الخزاعي وأمثاله !

وإن صحّ أن منهم أشرافاً ، فينضح
عنهم اللوم ! أنهم كانوا يُعانون ثورة
نفسية عَزُب معها حلمهم ، فنطقوا
بما لا يريدون ! وكثيراً ما يستفز النساء
- بخُرْقهن وكيدهن - أرحب الرجال
صدرأ ! وأكثرهم صبراً ، وأبعدهم
أناة !

ولكن ما لنا نلومهم ، وهذه ساحات
المحاكم الشرعية يقف فيها الزوجان

« الكريمان » بين سمع الجمهور وبصره ،
يتراشقان بحصائد الألسنة ! ويهتكان
الأسرار عن مخبّآت تقنّعهما بالعار
والشّار ؟ !

قلت : إنّ هذا اللون من الأدب كشف
لنا عن ضعف في أخلاق الشعراء ! وقد
يسوغ لي أن أقول : إنه كشف لنا كذلك
عن ضعف في أبدانهم ! ذابوا أنفسهم أوتوا
بَسْطَة في الجسم ، وشدّة في الأسر ؛ لأغنتهم
بَسْطَة أيديهم عن بسطة ألسنتهم ،
ولعملوا بالحكمة العربيّة الماثورة :

« علق سوطك حيث يراه أهلك »

والكن أننى لهم العضل المجدول ،
والساعد المفتول ، والتركيب المؤثقة ،
يُرَدَّبون بها نساءهم ! وقد أنحل الشعر
أبدانهم ، ونزف قوتهم ، وأورثتهم الضعف
والأبول ! وألبسهم الهرم قبل الأوان !
فلو زين لأحدهم شيطانُ القوافي أن يمدّ
يده بسوء إلى قعيدة بيته ، لراغت عليه
ضرباً باليمين ! فإطارت مركز الشعر
من مخّه ! وردّت إليه صُبابَة عقله !

فلما لم يجدوا ما يشفون به غيظ
قلوبهم ، فزَعُوا إلى ألسنتهم يصبّونها

صَاباً وعلقماً على الزوجات ! ولكنّه انتقام
الدليل ، وقدرة الخمر التي يصورها
أبو تمام في قوله :

وضعيقة فإذا أصابتُ فرصةً

قتلتُ ، كذلك قُـسـدُـرَةُ الضعفاء

وهل يستطيع الشاعر أن ينتقم بغير
لسانه ؟ إذا ما ساق إليه القدر القاهر
زوجة ، كذاك التي يقول فيها خالد الحذاء :
خطبت امرأة من بني أسد ، فجئت لأنظر
إليها - وبينى وبينها رواق يَشِفُّ - فدعت
بجفنة مملوءة ثريدا ، مكلّلة باللحم ،
فأتت على آخرها ! وأتت بيّناً مملوء لبناً
ونبيذا ، فشربته حتى كفّأته على وجهها !
ثم قالت : يا جارية ، ارفعي السّجف ،
فإذا هي جالسة على جلد أسد ! وإذا هي
شابة جميلة !

ثم قالت : يا عبد الله ، أنا أسدة !
من بني أسد ! على جلد أسد ! وهذا مطعمي
ومشربي ! فإن أحببت أن تتقدم فافعل !
فقلت : أستخير الله وأنظر ! فخرجت
ولم أعد !

على أن هؤلاء الشعراء ، إن كانوا
قد أساءوا من جهة ، فقد أحسنوا من

جهات ، فأقوالهم قد حُشيت مُلحاً
وفُكاهات مستعذبة ، وظُرفاً بارعاً ؛ يبسط
النفوس المنقبضة ! ويُطلق بالضحك
فم التَّكلى والتَّكلان !

وهى - إلى ذلك - تُرينا قدرة الشاعر
على وضع لسانه حيث شاء ، وبراعته على
أقاب الزُّين شَيْنًا ، وتبديله الحسنات
سيئات !

وفيهما وصف دقيق لكثير من أعضاء
المرأة ، أكسبت البيان ثروة طائلة من
التشبيهات الرائعة والاستعارات الجميلة !
وفيهما تصوير للعلاقة الزوجية ، حين
تستحكّم النفرة والشُّقاق ! ويستحيل
غير الطلاق !

وبعحسن أن نشير : إلى أن هذا الشعر
قد عرض لمذمة النساء في خلقهن - بفتح
الخاء وسكون اللام - أكثر من خلقهن -
بضم الخاء واللام - والحكمة من ذلك
واضحة ، فهؤلاء النساء زوجات أو كنَّ
زوجات ، ورمى الغرائب المحصنات جُرم
شنيع ! وإسفاف ودناءة ! يَمَسُّ عارها
الرجل نفسه ؛ فكيف إذا كنَّ حليلات ؟ !

فلم يكن وَكْذُ الشعراء من هذا الهجو ،
عَصَب النساء بِسُبة لا تُمَحَى ! وإنما كان
الغرض التَّشْفِي بِإِغَاظَتِهِنَّ ! ولا شى
أشدَّ إيلاًماً للمرأة ، ولا أسرع في هدم
كبريائها ، من وصفها بالقبح والدَّامة !

هذا هو الوتر الحساس ، الذى يهزها
من أعماقها هزاً عنيفاً ! ولو كانت
تؤمن في نفسها : بأنّها خلقت على صورة
القرود والخنزير ! ولن تنسى ما عاشت
هذه الإساءة من مخلوق !

فمماً ورد في ذم الزوجات ؛ ما حكاه
الأصمعي ؛ قال : كنت أختلف إلى
أعرابي ، أقتبس منه الغريب ، فكنت
- إذا استأذنت عليه - يقول : يا «أمامة»
لا يذنى له .

فاستأذنت عليه مرارا ، فلم أسمع
يذكر أمامة ؛ فقلت : يرحمك الله !
ما أسمعك تذكر أمامة !

قال : فوجم وجمة ! فندمت على ما كان
منى ! ثم أنشأ يقول :

ظَعَنْتُ أَمَامَةً بِالطَّلَاقِ
وَنَجَوْتُ مِنْ غُلِّ الْوَثَاقِ

بانت فلم يَأْلَمْ لها

قلبي ، ولم تبك المسافر

لَسَوْ لَمْ أُرْخْ بطلاقها

لأرحت نفسي بالإباق^(١)

ودوائها ما لا تشتهيـــــــــــــــــه النَّـ

فس تعجيبـــــــــــــــــلُ الفراق

والعيش ليس يطيب بين اثـــــــــ

ـــــــــــــــــن من غير اتفاق

وقال أبو موسى في زوجته - وقد طلقها - :

تَجْهَـزِي لِلطَّـــــــــلاق وارتحلي

فإذا دوائ المجازب الشـــــــــرير

ما أنت بالحبيـــــــــة الودود ولا

عندك نفعٌ يُرْجَى للشمس^(٢)

للَيْلَتِي حِينَ بَتٌ طـــــــــالقة

أَلَدُ عِنْدِي مِنْ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

بَتٌ لـــــــــديها بشرٌ منزليـــــــــة

لا أَنسا في لذة ، ولا فريـــــــــ

تلك على الخسف لا مُعِينَ لها

وذا أَنسا لا يسوغ لي نَفْسِي

ومن الملح : أَنَّ بعض الأدباء تزوج

امرأة فلم توافقه ! فتميل له : إِنَّ حُمِّي

دمشق سريعة في موت النساء !

فحملها إليها وأنشد هذه الأبيات :

دمشقُ خُذِهَا وَأَعْلَمِي أَنَّ لَيْلَةَ

تَمَرٌ بَعُودِي نَعَشِهَا لَيْلَةُ الْقَدَرِ

أَكَلْتُ دَمَا إِنْ لَمْ أُرْعَكَ بِضَّرَّة

بعيدة مَهْوَى الْقَرطِ طَيِّبَةُ النَّشْرِ^(٣)

أَمَا لَكَ عُمْرٌ إِنَّمَا أَنْتَ حَيَّة

إذا هِيَ لَمْ تُقْتَلْ تَعَشِ آخِرَ الدَّمِ

ثلاثين حولا لا أرى منك راحة

لِيَهْنَكَ فِي الدُّنْيَا لِبَاقِيَةِ الْعُمْرِ

فإن أنفَلْتُ من جبل « صَعْبَةٌ » مرة

أَكُنْ مِنْ نَسَاءِ النَّاسِ فِي بَيْضَةِ الْعُقْرِ^(٤)

(٢) الحبة - كقبة - الحبيبة .

(١) الإباق : الهروب والذهاب .

(٣) أكلت دما : كناية من أنه يرضى بالدية من أخذه الثأر وهو عندهم ضعف وذلة . وبعيدة مهوى

القرط : كناية عن طول العنق .

(٤) لهنك : لأنك ، أبدلت الهمزة هاء .

(٥) بيضة المقر : بضم فسكون - : آخر بيضة الدجاج ، أو بيضة الديك يبيضها في السنة مرة . يريد أنه

لا يتزوج بعد ذلك .

وهذه الأبيات وما قبلها تجلو لنا حكمة
الطلاق في أبهى معرض ! فإنه وإن كان
أبغض الحلال إلى الله الطلاق ، فإنه كثيرا
ما يكون نعمة على الزوجين ، لا تطيب
لهما الحياة بدونه ! والشارع أعلم بمصالح
العباد !

وقال آخر يهجو امرأته : بأنها مضياح
خرقاء ، وهما خصلتان عمّت بها البلوى
في عصرنا الحاضر ! فكل زوج منهما
في همٍّ مُقْعِدٍ مُقِيمٍ !

يقول :

وإنّ بلائي من « رُدَيْنَة » كلّما
رجوت انتعاشا أدركتني بعائر
تُبرِّدُ ماء « السَّعْن »^(١) في ليلة الصُّبا
وتستعمل الكركور^(٢) في شهر ناجر
أما الهجاء بذكر العيوب البدنية ،
فقد قدّمنا أنه كثير ، وسنقتصر على
أملحه وألفه وأعفه !

فمن ذلك قول بعض الأعراب :
لها جسمٌ برغوثٍ وساقٌ بعوضة
ووجهٌ كوجه القرد بل هو أقبح
وتبرق عيناها إذا ما رأيتها
وتعبس في وجه الضجيع وتكلح

وتفتح - لا كانت - فما لو رأيتَه
توهّمته بابا من النار يُفتحُ
فما ضحكت في الناس إلا ظننتها
أمامهم كلّبا يهرّ وينبّح

إذا عاين الشيطان صورة وجهها
تعوذ منها حين يُمسي ويصبح
وقد أعجبتها نفسها فتملحت
بأى جمالٍ ليت شعري تملح^(٣)

وقال آخر :

ألام على بُغضى لما بين حيّة
وضبع وتمساح تَغشاك من بحر
تُحاكى نعيما زال في قُبْح وجهها
وصفحها - لما بدت - سطوة الدهر

(١) السَّعْن - كسمن : قرية تقطع من نصفها وينبذ فيها .

(٢) الكركور : من أدوات التسخين . وناجر من شهر الصيف .

(٣) تملحت : تحسنت .

هِيَ الضَّرْبَانُ فِي الْمَفَاصِلِ نَازِلَا
وَشُعْبَةٌ بِرِسَامٍ ضَمِمَتْ إِلَى النَّحْرِ^(١)

إِذَا سَفَرَتْ كَانَتْ لَعِينُكَ سُخْنَةً
وَإِنْ بُرِّقَعَتْ فَالْفَقْرُ بَلْ غَايَةُ الْفَقْرِ

وَإِنْ حَدَّثَتْ كَانَتْ جَمِيعَ مَصَائِبِ
مَوْفَرَةٍ تَأْتِي بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ

حَدِيثٌ كَقَلْعِ الضَّرْسِ أَوْ نَتْفِ شَارِبٍ
وَدَلٌّ كَحَطَمِ الْأَنْفِ عَيْلَ لَهُ صَبْرِي

وَتَفْتَرُّ عَنْ قُلُوحٍ - عَدِمَتْ حَدِيثُهَا -
وَعَنْ جَبَلِي طَى وَعَنْ هَرَمَى مَصْرٍ^(٢)

وَقَالَ الْحَنَفِيُّ :

مُنِيَتْ بِزُمُرْدَةٍ كَالْعَصَا
أَلْصُ وَأَخْبِثُ مِنْ كُنْدَشٍ^(٣)

لَهَا شَعْرٌ قَرْدٌ إِذَا أَزِينَتْ
وَلَوْنٌ كُلُّونٌ الْقَطَا الْأَبْرَشُ

وَتَسْدِيٌّ يَجُولُ عَلَى نَحْرِهَا
كَقَرْبَةٍ ذِي انْغَلَاةٍ الْمُعْطِشِ

وَسَاقٌ مُخَلَّخْلُهَا حَمْشَةً
كَسَاقِ الْجِرَادَةِ أَوْ أَحْمَشٍ^(٤)

كَأَنَّ الثَّالِيَةَ فِي وَجْهِهَا
إِذَا سَفَرَتْ بِدَدُ الْكِشْمِشِ^(٥)

لَهَا جُمَّةٌ فَوْقَهَا جَثْلَةٌ
كَمَثَلِ الْخَوَافِي مِنَ الْمَرْعَشِ^(٦)

وَقَدْ يَكُونُ لِلْهَجَاءِ سَبَبٌ ؛ لَا تَمْلِكُ مَعَهُ
إِلَّا أَنْ تَمَهَّدَ بَعْضُ الْعَذْرِ لِلشَّاعِرِ ؛ فَمَنْ
ذَلِكَ مَا حَكَاهُ الْكَلَابِيُّ : مَنْ أَنْ أَعْرَابِيًّا خُطِبَ
شَابَّةً بِالْبَصْرَةِ ، فَدَسُّوا إِلَيْهِ عَجُوزًا !

فَلَمَّا دَخَلَ بِهَا وَأَرْخِيتِ السُّتُورُ ،
وُغُلِّقَتِ الْأَبْوَابُ ، ضَجَرَ وَطَالَتْ لَيْلَتُهُ !
حَتَّى إِذَا أَصْبَحَ وَأَرَادَ الْخُرُوجَ ، مُنِعَ مِنْ
ذَلِكَ أَوْ قِيلَ لَهُ : لَا يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَخْرُجَ

(١) الضربان - كسرطان - : نخسة ووجعة . والبرسام - بكسر الراء - : علة يهذى منها .

(٢) قلح - كحمر - : أى أسنان صفر . من القلح - كسبب - وهو صفرة في الأسنان .

(٣) كندش : - بضم فسكون - : العقعق ، وهو طائر خطاف .

(٤) حمشة الساق : دقيقتها .

(٥) الثاليل : بئر صغار صلب مستدير على صور شئ . والكشيش - كسشم - : عنب صغار يكون
أصفر وأحمر وأسود .

(٦) المرعش - ككرم بفتح العين وكقعد - : جنس من الحمام يحلق في الهواء .

إلا بعد سبعة أيام ! فقال - يشكو مصابه
ويبكي حريته ! - :

أقول وقد شدوا عليها حجابها
ألا حبذا الأرواح والبلد القفر
ألا حبذا سيني ورحلى ونمرق
ولا حبذا منها الوشاحان والشذر^(١)

أتوني بها قبل المحاق بليسة
فكان محاقا كله ذلك الشهر
عجوز ترجى أن تكون فتية

وقد يبس الجنبان وأحدوب الظهر
وما غرنى إلا خضاب بكفها
وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
تسألني عن نفسها هل أحبها
فقلت ألا لا والذى أمرة الأمر

تفوح رياح المسك والعطر عندها
وأشهد عند الله ما ينفع العطر

ويشبه ذلك ما قصه عبد الملك بن
عفان ، قال : تزوج ابن عبدل امرأة

من ههنا . فلما دخل بها ، لم تقع عنده
بموقع ! فقال :

أعاذلتى - بربكما - دعانى
أقلا اللوم إن لم تغدرانى
فإني قد دلت على عجوز
مبرقة مخرقة مخرقة البنان

تغضن جلدتها واخضر إلا
إذا ما ضربت بالزعفران

فلما أن دخلت وحادثتنى
أظلتنى بيوم أرونان^(٢)

تحدثنى عن الأزمان حتى
سمعت ندا المؤذن بالأذان ؟

فقلت قد نكحت اثنين شتى
فلما صاحبانى طلقانى

وأربعة نكحتهم فماتوا
فليت عريف حى قد نعالى^(٣)

(١) الفرق - كفتدق - : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرجل . والشذر : قطع من الذهب تعلق من معدنه بلا إذابة ، أو خمرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار .

(٢) يوم أرونان : صعب .

(٣) العريف : رئيس القوم أو النقيب وهو دون الرئيس .

وقالت ما تِلَادُكَ قلت مالى
 حمار ظالِع ، وَمَزَادَتَان^(١)
 وبورى^(٢) وأربعة زُيُوف
 وثوباً مُفْلِسٍ مُتَخَرِّقَان^(٣)
 فقالت قد رضيت فسم ألفا
 ليسمع ما تقول الشاهدان
 ومالك عندنا ألف عَتِيد
 ولا تشع تُعَدُّ ولا ثمان
 ولدعبل الخزاعي في هذا الباب قدم
 راسخة ، ولكن المبالغة والإغراق في تصوير
 العيوب ، وإبرازها في إطار من التهويل ،
 قد أفسد عليه قصده ، فاستحال هجاؤه
 ضرباً من المفاكهة والتندر ، حتى ليخيل
 إليك أنه كان يقصد العبث والتلعب ،
 لا حقيقة الهجاء ! ولا أظنُّ زوجه وجاريتَه
 حين هجاهما بهذا الشعر الذى سنسوقه
 للقراء ، إلّا قابلهما بالضحك والسخرية !

يقول في امرأته .
 يا رُكبتى جَزْر وساقٍ نعامسة
 وزبيل كنَّاس ورأسٍ بعير^(٤)
 يا من أشبهها بحمى نافض
 قَطَّاعة للظهر ذاتُ زئير^(٥)
 صدغاك قد شَمِيطا ونحرك يابس
 والصدر منك كجُوجِر الطنبور^(٦)
 يا مَنْ مُعانقها يَبِيت كأنه
 فى مَجْبِسٍ قَمَل ، وفى ساجور^(٦)
 قبلتها فوجدت طعم لثاتها
 فوق اللثام كلسعة الزنبور
 ويقول في جاريتَه « غربال » :
 رأيت « غربالاً » وقد أقبلت
 فأبَدت لعيني عن مَبْصَقه

(١) ظالع : يغمز في مشيه . والمزادة : ما يحمل فيه الماء « القرية » .

(٢) البورى : الحصير .

(٣) الحرر - كجمر - الشاء . والزبيل - كزميل - : القفة .

(٤) النافض من الحمى : ذات الرعدة .

(٥) شَمِيطا : من الشمط - كسبب - وهو بياض الشعر يخالطه سواد . والجُوجِر : الصدر . والطنبور من آلات الطرب « العود » .

(٦) قمل - كفرج - كثر القمل . والساجور : خشبة تجعل في عنق الكلب .

قصيرة خلُق ودَحْدَاحَة
تَدَخَّرُجُ في المشى كَالْبُنْدَقَةِ^(١)

كَأَنَّ ذِرَاعاً عِلَتْ كَفُّهَا
- إِذَا حَسَرَتْ - ذَنْبُ الْمَلْعَقَةِ

تُخَطِّطُ حَاجِبَهَا بِالسِّدَادِ
وَتُرْبِطُ فِي عَجْزِهَا مِرْفَقَهُ

وَأَنْفٌ عَلَى وَجْهِهَا مُلْصَقٌ
قَصِيرُ الْمَنَاحِرِ كَالْفُسْتُقَةِ

وَتُدْيَانٌ : ثَدْيٌ كَبَلُوطِيَّةٌ
وَأَخْرُ كَالْقَرِيصَةِ الْمَفْهَقَةِ^(٢)

وَصَدْرٌ نَحِيفٌ كَثِيرُ الْعِظَامِ
مُتَقَعِّعٌ مِنْ فَوْقِهِ الْمِخْنَقَةُ^(٣)

وَتَغْرُ إِذَا كَثُرَتْ خِلَتَيْهِ
- يُخَالِجُ - ذَاوِيَّةٌ مُغْلَقِيَّةٌ

وَقَالَ آخِرُ :
أَلَيْمٌ بِجَوْهَرٍ بِالْقَضْبَانِ وَالْمَدَرِ
وَبِالْعَصَى^(٤) الَّتِي فِي رَأْسِهَا عُخْرٌ

أَلَيْمٌ بِهَا لَا لِتَسْلِيمٍ وَلَا مِقْسَمَةٍ
إِلَّا لِيَكْسَرَ مِنْهَا أَنْفُهَا الْحَجَرُ

أَلَيْمٌ بِرُطْبَاءٍ فِي أَشْدَاقِهَا سَعَةٍ
فِي صُورَةِ الْكَلْبِ إِلَّا أَنَّهَا بَشَرٌ^(٥)

حَدَبَاءُ وَقَصَاءُ صِيغَتِ صَيْغَةٍ عَجَباً
وَفِي تَرَائِبِهَا عَنْ صَدْرِهَا زَوْرٌ^(٦)

وَقَالَ آخِرُ :
تَمَّتْ عُبَيْدَةُ إِلَّا مِنْ مُحَاسِنِهَا

وَالْمِلْحُ مِنْهَا مَكَانُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ^(٧)
قُلْ لِلَّذِي عَابَهَا مِنْ عَائِبِ حَنِيقٍ

أَقْصِرُ فِرَاسَ الَّذِي قَدِ عَيْتَ لِلْحَجَرِ
وَقَالَ آخِرُ :

لَا تَنْكُحَنَّ الدَّهْرَ مَا عَشَتْ أَيْمَانُ
مُخْرَمَةٌ قَدْ مَلَّ مِنْهَا وَمَلَّتِ^(٨)

تَحُكُّ قَمَاهَا مِنْ وَرَاءِ خِمَارِهَا
إِذَا فَمَدَّتْ شَيْئاً مِنَ الْبَيْتِ جُنَّتْ

(١) دحداحة : قصيره .

(٢) المفهقة : المثلثة .

(٣) المخنقة : القلادة .

(٤) العجر : العقد جمع عقدة .

(٥) الرطباء : العظيمة الثديين .

(٦) الوقصاء : قصيرة العنق . والترائب : عظام الصدر . والزور - كسبب - : الميل .

(٧) الملح : الملاحاة . أى تمت في كل شيء إلا في الملاحاة ، وبعدت منها المحاسن بعد الشمس والقمر .

(٨) الأيم : التي فارقها زوجها بموت أو طلاق . مخرمة : كثر الدعاء عليها باحترام المنية لها .

أحدكم إلى المرأة الكريمة فيتزوجها ، ثم
يسئ إليها !

فأهوى الزوج ، فألقى النقاب عن
وجهها ! فقال العامل : عليك اللعنة !
كلام مظلوم ، ووجه ظالم !

على الجندي
عضو المجمع

ولنختم مقالنا بهذه الطرفة ؛ يذكر
بعض أتتياخ البصرة : أن رجلا وامرأته
اختصما إلى أمير من أمراء العراق ؛ وكانت
المرأة حسنة المتدقب ، قبيحة المنظر ،
كانت ذات لسان فصيح !

فكان العامل مال إليها ، وظن أن
تحت القبح غادة فائنة ! فقال : يعمد



ابن العوام

للدكتور عبد الحليم منتصر

أسبانية سنة ١٨٠٣ . وينقسم الكتاب إلى أربعة وثلاثين فصلاً ، تبحث الفصول الثلاثون الأولى في الفلاحة ، بينما تبحث الأربعة الأخيرة في تربية الماشية . وقد أعطى « مايرن » خلاصة لهذا الكتاب في :
"Geschichte der Botanik" » ونشر

كليمان ميرليه « ترجمة فرنسية لهذا الكتاب ١٨٦٤ ونقد « دوزي » ثم « هنكاده » كلا من المترجم والناشر .

وقد قدم ابن العوام لكتابه بمقدمة طويلة رائعة ضمنها بعض الأحاديث الشريفة مثل « أطلبوا الرزق في حنايا الأرض » وقوله « من غرس غرساً أو زرع زرعاً . فأكل منه إنسان أو طائر أو سبع كان له صدقة » وقوله « من غرس غرساً فأثمر ، أعطاه الله من الأجر بقدر ما يخرج من الثمر » كما أورد بعض الأقوال المأثورة مثل قول قيس بن عاصم لبنيه « عليكم بإصلاح المال ، فإنه منبهة للكريم ويستغنى به عن اللئيم » ومن ذلك أن يتفقد صاحب الضيعة ضيعته بنفسه ، ولا يغيب عنها ، ولا سيما في وقت عملها وفلاحتها ومن الأمثال في هذا تقول الضيعة لصاحبها « أرني ظلك آعمر »

أبوزكريا بن محمد بن العوام الأشبيلي ، اشتهر بكتاب كبير في الفلاحة عنوانه « كتاب الفلاحة » لانكاد نعرف شيئاً عن حياته ، إلا أنه كان يعيش حوالى نهاية القرن الثاني عشر الميلادى ، وأن أصله من أشبيلية ، وقد ذكره ابن خلدون ، دون أن يعرف له هذا المصنف ، الذى كان يعتبره مرجزاً لكتاب « الفلاحة النبطية » لابن وحشية ، ولم يذكره « حاجى خليفة » . ولا ابن خلكان .

وكان « كازبرى » فى فهرسه ، أول من نبه الأذهان إلى المخطوط الكامل لهذا الكتاب المحفوظ بمكتبة الأسكوريال . وقد نشر بانكوير هذا الكتاب مع ترجمة

وقد سمي ابن العوام المراجع والمصادر التي استقى منها ، ورمز لمؤلفيها بحروف ، لا يفتناً يذكرها ، كلما أراد ، فهذا الغرناطي (غ) ، وجالينوس (ج) وقسطوس (ق) ، وأرسطوطاليس (ط ط) وطامثري (ط) وهكذا . ويقول إنه لم يُثبت إلا ما جرّبه مرارا فصيح ، ويقول أحيانا إنه لم يقطع بأن هذا يصح في بلادنا ، لبعد بلادهم عنا كما أنه حدد المقاييس وعرف المصطلحات كالطمر ، والكمخ ، والنبش .

وقسم الكتاب إلى جزأين ، يقع الأول في ستة عشر بابا ، كما يقع الثاني في ثمانية عشر بابا . وخص الجزء الأول في معرفة أنواع الأراضي ، وأنواع الأسمدة ، وأنواع المياه ، والبساتين ، واتخاذ الأشجار والثمار ، ثم في تطعيم الأشجار وتسمية الأشجار المعتاد زراعتها ، ويقول في أغلب بلاد الأندلس . الجبلى والريفى والسهلى ، نحو خمسين نوعاً . ويتكلم في الباب الثامن عن تركيب الأشجار بعضها في بعض ، أوقاته وكيفية اختيار الأقلام ثم تقليم الأشجار ، وتحدث في الباب العاشر عن حرارة الأرض المغترسة

وتسمية الأشجار التي توافقها . ثم يذكر تزييل الأرض والأشجار المغروسة وغير المغروسة وما يوافق كل نوع من الزبول ، وعلاج الأرض المالحة ، وكيفية التسميد ، ثم صفة العمل في سقى الأشجار والخضر بالمياه ، وما يحتمل السقى الكثير ، ويصف عملية تذكير الأشجار ، ويتحدث عن الأشجار المتحابة والمتنافرة ، ويفرد بابا خاصا لعلاج الأشجار من الداء والأمراض وكذا علاج البقول والخضر . ويتحدث في باب آخر : عما سماه دُلحا مستطرفة تُعمل في بعض الأشجار والخضر ، وتغيير لون الورد ، وتدبير في الورد حتى يورد والتفاح حتى يثمر في غير أيامه . ويشرح كيفية العمل في اختزان الحبوب والفواكه الغضة واليابسة والتخليل وغيره مما يمكن أن يسمى الصناعات الزراعية .

ويتحدث في الباب السابع عشر عن كيفية عمل القليب ومنفعته وإصلاح الأرض بعد كلالها وما يريح الأرض ويصلحها من الحبوب والقطاني واختيار البذور ، واختيار ما يصلح لكل نوع من أنواع الحبوب من أنواع الأرض ، ومعرفة أوقات الزراعة ، وصفة العمل في زراعة الرز والذرة والدخن

والجلبان واللوبيا سقيا وبعلا ، ثم زراعة القطاني سقيا وبعلا ، وكذا الكتان والعنب والقطن وبصل الزعفران والفوة ثم اتخاذ المباقل واختيار أرضها ، وذكر ما يصلح أن ينقل ، ويخصص أبواباً متتابعة لزراعة البقول ذوات الأصول مثل السلجم والجزر والفجل ثم القثاء والبطيخ والدلاع والباذنجان والحنظل ثم البذور المستعملة في الأدوية كالكمون والكزبرة والكرامية.. مما يمكن أن نسميها النباتات الطبية . ويخصص فصلاً للرياحين وثاني لأنواع النبات التي تتخذ منه الجنان وثالث لاختيار البيادر والمدارس حيث تجمع المحاصيل وتدرس . وخص الباب الثلاثين لاختيار مواضع البنيان ووقت قطع الخشب ومعاصر الزيت .

أما الأبواب الباقية من الكتاب فقد خصصها ابن العوام لما نسميه تغذية وتربية الحيوان وكذا أمراض الحيوان ، فتحدث عن كيفية اختيار الجيد ، ومدة الحمل ، وما يصلح من العلف . وعلاج بعض أدوائها ثم التسمين والعلف ، ورياضة الأمهار ثم علاج بعض علل الدواب ، مما يمكن أن يسمى بيطرة. وتحدث في فصل خاص عن اقتناء الحيوان الطائر في البيوت

مثل الحمام والأوز والدجاج ونحل العسل ، ثم اقتناء الكلاب للصيد والزرع .

وكذلك نرى أن الكتاب على بعد عهده يعالج كل العلوم الزراعية تقريباً في أسلوب سهل جذاب ، لا تمل قراءته إن اتسم بالأمانة في العرض والاستشهاد ، ثم يتبع ذلك بقوله : لى ، وذلك حين يعرض رأيه هو . وفيما عدا ذلك فإنه ينسب الأقوال إلى قائلها من ابن حجاج إلى يוניوس أو قسطوس . الخ

يقول ابن العوام أول مراتب علم الفلاحة معرفة الأرض ، والسواد دليل الحرارة كذلك الحمرة ، إلا أن حر الحمرة أقل من السودة ، ثم يتلوها الصفرة ، إن أنت مارست الطين بيديك فأصبته شبيهاً بالشمع يلصق شديداً فاعلم أنها أرض غير موافقة للبقول ولعله يقصد الأرض الطينية الناعمة ، ويقول هذا قول « يוניوس » ويقول إن بعضهم يستدل على طيب الأرض ودنائها بأعشاب نبتتها ، لا تكاد نخطئ الاستدلال بها ويمثل بنباتات لا تنبت إلا في الأرض الجيدة ، وأخرى تنبت في الأرض الدنيئة ، والبعض ينبت في كليهما . وهذا ما يسمى في العلم الحديث

أن النباتات كواشف للبيئة ، وهى كما يقول ابن العوام لا تخطئ أبدا .

يقول : وأجود الأرض البنية سجيبة ثم شديدة الغبرة ، فيها تخلخل وطعم ترابها عذب ، لعله يريد أن يقول إنها مسامية خالية من الأملاح . وأنه ليجرى التجارب ، وإن كانت بدائية إلا أنها تدل على اعتماده على المنهج التجريبي . فهو يطلب إليك أن تأخذ قدرا معيناً من التربة ، وترجه بالماء الحار ، وتتذوق الماء وتبين رائحته ، ويطلب أن تلاحظ ما ينبت بها من نبات برى ، إن كان قميئاً أو قوياً . ويقول إن البعض يكتفون فى امتحان الأرض بالنظر إلى ما ينبت فيها ولو بحشيشة واحدة مثل السوس والعوسج والشرك والعليق فيأخذون من أغصانها وأوراقها المتوسطة ، فيدقونه ويقيسون طعمه إلى طعم مثله مما ينبت فى أرض سليمة من الآفات . فيستدلون بالخلاف والوافق . وهذه دراسة مقارنة لها قيمتها العملية . وعلى أسس علمية سليمة يقول ابن العوام . وهناك الأرض المالحة ، والنزه ، والغدقه ، والرخوة ، والدسمه المفرطة فى ذلك والقباضة والحامضة الحارة ، والمفرطة التخلخل ، والمفرطة الاستحفاف والمفرطة

التكزز ، وما أظن علم الأراضى الحديث يزيد على هذه الأنواع ، وإنما ابتكر المقاييس والتعاريف المختلفة . ثم يذكر ما يصلح لكل منها من نبات . وكيفية معالجة كل نوع من هذه الأراضى . ويقول : والأرض المالحة ، وهى أنواع منها ما يشرب طعمها مع الملوحة حموضة ومنها ما يشوبه معها مرارة ، ومنها ما يشوبه معها قبض ، ويضيف وللملوحة علاج عام وعلاج خاص وإن زرع فى هذه الأرض حب الأزاد رخت واللوز المر والآس وشجر الغار ، لقطت هذه الأشياء المرارة كلها حتى تصلح صلاحاً تاماً ، ويتم صلاحها بتكرير التزييل الحصفوف المرافق . ويقول اهرب كل الهرب من الأرض المالحة والرمل المالح ، يقول من صفات الأرض التخلخل والرخاوة والتكزز والتنكيد . ويذكر تجربة لمعرفة نوع الأرض ويقول يحفر ثلاث حفر ، عمق نصف ذراع ويجمع التراب فى آنية من الخزف بعناية شديدة ثم يأخذ من أرض متخلخلة غير مكتنزة ويوضع فى الحفاير فإن بقى شئ كانت مكتنزة ، يقول والأرض المتخلخلة تصلح للغرس . والصلبة المكتنزة لا تصلح ، وشديدة التلزز من طبعها تحبس الماء

فلا تمس كثيرا ، ولا تجذبه إلى باطنها
ويقول : ويصالح في الجبلية منها على حال
مع كثرة العمارة ، شجر الزيتون والخروب
والبلوط والشاه بلوط والغبيراء والكمثرى
والأجاص والقراصيا . ثم يقارن بين
أنواع الأسمدة البلدية . ويقول : هذا رأى
يونيوس أما قسطوس فيرتبها الأزبال
والأتبان والأرمدة ، إما مفردة أو مركبة .
ويخصص فملا لكيفية استعمال الأزبال
في الشجر والخضر . ويقول : وهذه مع منفعتها
للنبات فإنها تنفع الأرضين التي فيها النبات
والتي لا نبات فيها ولا شجر ، وذلك أنه
إن طرحت في أرض رديئة أصلحتها ،
وإن كانت الأرض صالحة زادت صلاحية
في طيبها وقوتها ، وكذلك هو فعلها في
النبات والشجر . التقوية والصلاح ودفع
العوارض الردية عنها .

ويتحدث عن أنواع المياه المستعملة
في سقى الأشجار والخضر ، فيقول هناك
الماء العذب ، والماء المر ، والماء المالح الزعاق .
والماء القابض العفن ، والماء الذي غاب
عليه طعم بعض المعادن .

يقول : ويستدل على قرب الماء بأنواع
النبات وبلون وجه أرض وطعمه وريحه .

وأنه ليوصى بتجربة اشعة لمعرفة ما إذا
كان في البشر بخار مؤذى . وطريقة إخراج
هذا البخار ، وهي طريقة مؤكدة
صحيحة وأنه ليوصى في غرس البساتين ،
بالا يكون غرس الأشجار غرساً مختلطاً ،
لكن يغرس كل واحد منها قريباً من جنسه ،
لثلا يغلب القوى منها الضعيف ، فبعدم
ذلك الضعيف منها ، وينبغي أن تكون الفرج
التي بين الغروس على قدر طبع الأرض
وقوتها ، ويضعف وأجود جميع الغروس
التي تحلل ، وخير غرس الشجر ما يكون
من غصون ، وأن الغروس التي من البذور
في الجملة أضعف من جميع الغروس
ولا تغرس الأشجار التي تعظم مع الأشجار
التي لا تعظم ، ولا التي تتعري من أوراقها
مع التي لا تتعري منها وكذلك ما يأتي
منها فائدة في وقت واحد ، يغرس دماً
في جهة واحدة ، مثل التفاح والأجاص
والكمثرى والمشمش لتخف المؤونة في
حرازتها . وبعد أن يذكر ما يصلح غرس
من زوى أوبندر ، يذكر إجماع حذاق الفلاحين
على ألا تقرر هذه الأشياء في مواضعها ، بل
تنقل ، وذلك مثل الجزر واللوز وشاه
بلوط والخوخ والأجاص والنخل والصنوبر
والسرو والغبيراء والغار والصنوبر والمشمش

والفستق ، فإذا حال عليها حولان ،
حوالت كلها إلى مكان آخر .

يقول : وما ينبغي أن يغرس من فروع
تنزع من الشجر ، التفاح فالقراصيا ،
والآس ، والزعور ، ثم يضيف ؛ ومن الناس
من يعمد إلى زرع هذه الأشجار فيميلها
ويطمرها في التراب ، حتى يصير لها
أصول ثم ينقلها ، وهو بذلك يصف
ما نسميه « الترقيد » . يقول والأشياء
التي تغرس في أوتاد التوت ، والأترج
والسفرجل والزيتون والطرفا والمحور ،
وهذه هي أيضا إن نقلت فغرس
تكون أجود . وأما شجرة التين ، وإن
كانت من الأشجار الدائمة (المعمرة)
فلم تحريف عودها وخوره ، رأوا غرسه من
القضبان الرقاق . ويتابع وصفه لطرائق
التكاثر الخضرى في الأشجار المختلفة ،
فيقول : تنقل القضبان من الترميدانات
(المشاتل) بطيئها ، وتطمر ثلاثة أرباعها
ويبقى الربع بارزا ، وينبغي أن تكون
الترميدانات في أرض لم تفاح ، جافة وأن
تكون الشمس مشرقة عليها ، وتصل إليها
الرياح التجارية ، وينبغي أن تقلب هذه
الأرض قلبا مستقصى لتنزع أصول

الحشائش ، ويحفر حول الغرس مرة كل
شهر ، وأن تكون الآلات صغارا جدا
لئلا يضر ذلك الحفر بالغرس ، وتلقط
الفروع التي تنبت في الغرس ، وهي
غضة قبل أن تخشن وينبغي أن تكون
الأرض التي تحول إليها الغرس من
وضع تربتها مقاربة في الصفة للأرضين
التي ابتداء زراعتها فيها أو مثليها ، ولا تحول
من أرض جيدة إلى أرض رديئة .

ويقول : في أوقات الغرس ، أنها تختلف
على قدر اختلاف البلدان والأمم ، أو الربيع
أو الخريف ويضيف : وإذا أردت أن تأخذ
الغرس من أى نوع شئت كان ، قطعاً ،
أو خالفاً ، أو ملخاً ، أو وتداً ، أو غرساً
بأصله ، فلا تأخذ إلا ما يلي الشمس ،
فهى تحره وتديخه ، وكلما أحترت الشمس
فهو أجود ولا تأخذ غرساً أبداً من ناحية
الشمال ، وما جاوز الشمال فإنه ظليل قليل
الحمل ، قليل التعلق . ينبغي أن تأخذ
الأغصان من أعلى الشجرة . ويضيف قول
سيد اغوس : « ينبغي ألا ننقل ما كان من
من الملاح والقضبان والنوى والأوتاد
منشؤه على السقى والرطوبة الدائمة إلا إلى
مثل ما كان عليه ، فينبغى أن ينقل السقى

إلى السقى ، والبعل إلى البعل ، وأنه
ليقارن بين أقوال يونيوس وديمقراطيس ،
وبنهاريس وتسطوس ، وابن حجاج ،
والحاج الغرناطى وغيرهم ، ثم يقول :
وتختار للغرسة من الأشجار أكثرها حملا
وأطيبها طعماً ، فإن المؤونة والنفقة في
غرسة النوع الجيد وعمارته والردىء
سواء ، فغرسة الجيد أولى ، وأنه ليدكر
ما آثرت ذلك فيضيف : قالوا نغرس
الأشجار في زيادة القمر ، فإنها تطول
وتغلظ وتفرط في ذلك ويكثر حملها إذا
غرس في ذلك الوقت . وبالصدد من ذلك
فيما يغرس أو يزرع في نقصانه ، وأنه ليؤيد
آراءه أحيانا بقوله « قال ابن الحجاج
رحمه الله : هذا إجماع من حذاق أصحاب
الفلاحة على كراهة غدران الناس وكراهة
الافراط في الزبل لشجر الزيتون ، فبعد
أن يذكر آراء سلفه يقول : جربت ذلك
فصح . كما يورد بعض الأحاديث النبوية

أو بعض الوصفات البلدية ، أو الملح
الطريفة ، ويقول لم أذهب إلا إلى التأنيس
باتفاق المتقدمين على الأشياء التي قصصتها ،
وليعلم أن هذا إجماع من حذاقهم ، ليعمل
به ويعقد عليه . ولو أتى أوردت قول
أحدهم دون أصحابه لم آمن أن يظن أنه
قد شذ عن نظرائه ، فأوردت أقوالهم
بحسب ما لقيتها ليكون الأمر أوكد عنده
وألزم له . وفضلا عن ذلك فإنه حين
يتحدث مثلا عن غرسة الخوخ والمشمش
والنارنج والجوز والدردار وقصب السكر...
الخ يلزم في كل حالة باختبار الأرض ،
وطريقة الغرس ، وموعده ، وطريقة السقى
والتعهد ، مما لا يبقى معه زيادة لمستزيد .

ذلك هو ابن العوام عالم الزراعة القديم ،
وتلك طريقته في البحث ، كما عرضها
في كتابه الفلاحة الذي نقدمه في هذا
الحديث .

عبد الحليم منتصر
عضو المجمع

بين القافية في الشعر العربي والقافية في الشعر الإنجليزي

للدكتور إبراهيم أنيس

وإذا كان هذا هو حكمنا على لغتنا العربية في مجموعها ، أى من حيث أصواتها وصيغها وتراكيبها في جل صنوف الكلام وأساليبه ، فأولى بهذا شعرها ، لأن الموسيقى أهم ما يتسم به الشعر. ليس من المغالاة إذن أن نتوقع في تلك البيئة الجاهلية ، شعرا كملت موسيقيته فأطرب السامعين في أسواقها ، وهز قلوبهم ونفوسهم هزا عنيفاً .

وحدث أن كنا أخيراً نتدارس بعض ظواهر الشعر الإنجليزي في كتب الأدب والنقد فراعنا أن وجدنا شيئاً لا تسمح به قافية الشعر الإنجليزي ونعلم في نفس الوقت أنه جائز في شعرنا العربي . ولم يكن هذا الأمر قد خطر لي وأنا أولف كتابي « موسيقى الشعر » منذ ما يقرب من عشرين عاماً .

لنا في بحث سابق أن الامية التي سادت في شبه جزيرة العرب قبل الإسلام كان لها دور كبير في صيغ ألفاظ اللغة العربية وأساليبها بصيغة موسيقية . وذلك لأن القوم قد اعتمدوا ، من حيث اللغة ، على الآذان في تلقيها ، وعلى الألسنة في أدائها ، فمرنت الآذان والألسنة ، وأصبحت الآذان مرهفة حساسة تميز الجرس الجميل المطرب من النابي النشاز ، كما أصبحت الألسنة ذلقة لبقة تنطلق بأصوات اللغة في وضوح وتطريب . وترتب على كل ذلك كلف القوم بنغمات كلامهم ، وحرصهم على جرسه ، واستمتاعهم بجمال أصواته ، وتحاشيهم لكل ما يتعثر فيه اللسان وينبو في الآذان^(١)

(١) دلالة الألفاظ : ص ١٩٥ - ٢٠٦

ولإزاء تلك الظاهرة التي وقفنا عليها في القافية الإنجليزية ، خيل إلينا لأول وهلة ، أن القافية الإنجليزية ، أدق في موسيقيتها من القافية العربية .

فبدأنا نتساءل : هل يعقل مع ماقررناه من اتسام العربية بالموسيقية ، وحرص أهلها على تلك السمة أن تتسامح فيما لا تتسامح فيه لغة أخرى ؟ وأن يجوز شعرها ظاهرة مهما كانت لطيفة في السمع ولا تكاد تدركها الأذن ، في الوقت الذي تأبأها لغة أخرى ؟ !

ثم اطمأنت النفس حين تذكرنا أن القافية العربية في أغلب حالاتها من النوع الذي يسمى بالقافية المطلقة وهي التي يحرك فيها الروى بحركة قد تستطيل في الإنشاد حتى تصبح حرف مد ، بل قد يكون حرف المد الذي تنتهى به قافيتنا العربية جزءاً من بنية الكلمة التي ينتهى بها البيت . فلنستمع لأمير الشعراء «شوقي» يقول :

رسم على القاع بمن البان والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
لما رنا حدثتني النفس قائلة
يا ويح جنبك بالسهم المصيب رُمى

فالروى في هذه القصيدة هو حرف «الميم» وقد حرك بالكسرة التي قد تستطيل في الإنشاد حتى تصبح ياء مد ، ولذلك قابلتها وانسجمت معها ياء المد الأصلية في الفعل «رمى» وهي جزء من بنية الكلمة . ويعتمد الروى على هذه الحركة في تردد وصدى القافية وحسن موسيقاها . ويتصور مَنْ لا دراية لهم بطبيعة الأصوات أن مثل هذه الحركة صوت تافه لا أثر له في السمع ، غير أن الدراسة الصوتية الحديثة تبين بجلاء أنها أوضح في السمع من الروى نفسه ، وتلقفها الآذان في وضوح وقوة لا تقل عن الروى . فهي مما يسميه الصوتيون بأصوات اللين أو ال Vowels التي تعد أوضح الأصوات في كل لغة وأقبل للتغنى بها . ليست العبرة هنا بوظيفتها النحوية وإنما العبرة بوقعها في الأذن .

وقد تبين لنا في إحصاء سابق أن نحو ٩٠٪ من الشعر العربي ، قديمه وحديثه وقعت فيه القافية المطلقة وهي التي لا يكاد يعرفها الشعر الإنجليزي الذي تنتهى أبياته بحروف ساكنة كما هو معروف ؛ أى أن المقارنة بين القافية العربية والقافية

الإنجليزية تقتصر على ما نسميه في شعرنا بالقافية المقيدة التي لا تتجاوز في الشعر العربى ١٠٪ بل نحن هنا نقصر المقارنة على ما قبل الروى من حركة أو حرف مد فى تلك القافية المقيدة .

وقبل أن نعرض لملك الظاهرة التى أزعجتنا لأول وهلة ، وقبل أن نحاول تفسيرها وبيان الحقيقة فى أمرها ، يجدر بنا أن نبين بما لا يدع مجالا للبس أو الوهم أن القافية فى الشعر العربى بوجه عام أكثر موسيقية وأجمل وقعا فى الآذان من القافية فى الشعر الإنجليزى مؤسسين هذه الحقيقة على الأسس الصوتية التالية :

أولا : أن القافية المطلقة أوضح فى السمع وأشد أسرا للأذن ، لأن الروى فيها يعتمد على حركة بعده قد تستطيل فى الإنشاد وتشبه حينئذ حرف مد . ومن المقرر فى علم الأصوات أن حروف المد أوضح فى السمع من الحروف الأخرى كالعين والفاء مثلا . وإذا كان قد ثبت لنا عن طريق الإحصاء أن القافية العربية فى الكثرة الغالبة من صورها من النوع المسمى بالقافية المطلقة وأن القافية

الإنجليزية لا تكاد تعرف هذا النوع ، اتضح من ذلك جنوح أكثر نحو الموسيقى فى القافية العربية .

وقد يتوهم بعض الدارسين أن القافية المطلقة قد وقعت أيضا فى الشعر الإنجليزى حين يقرأ تلك الأشعار الإنجليزية القليلة أو النادرة التى فيها يجد أن القافية قد انتهت بكلمتين مثل : Fro مع Free. So مع Blue. Sea مع Woe. Drew مع Below . ويتصور لذلك أن القافية هنا تشبه القافية العربية المطلقة لأنها تنتهى فى كل من القافيتين بحرف مد ! !

وفى الحق أن القافية المطلقة فى الشعر العربى لم تسم كذلك لمجرد انتهائها بحرف مد ، بل لا بد فيها من أمرين : الروى أولا وهو حرف عادى كالسين أو الميم مثلا ويضاف إليه حرف المد ، ففيها عنصران أساسيان هما : الروى + حرف المد فى حين أن الإنجليزية فى الأمثلة الآتية الذكر قد اعتمدت كل منها على حرف المد وحده . فكأن القافية العربية إذا قورنت بالإنجليزية ، تشبه ما يسمى بلزوم مالا يلزم ، أو بعبارة أدق يكثر فيها تردد .

الأصوات فيكسبها جمالا موسيقيا أكثر مما قد يتصور في نظيرتها الإنجليزية ، إذ ليس في القافية الإنجليزية في هذه الحالة ما يناظر الروي العربي .

ولعل الذي سوغ على كره ، قبول ذلك في الشعر الإنجليزي أن النبر في الأمثلة السابقة يقع على الحركة الطويلة أو حرف المد الذي تنتهي به القافية ، في حين أن طبيعة اللغة العربية تأبى وقوع النبر على المد الأخير من الكلمة ، ولذلك لا يقنع به السامع في الاعتماد عليه وحده لتكوين النغمة الشعرية ، ويتطلب معه ما يسمى بالروي . فإذا أُريدَ في بعض الحالات الوقوف على حرف المد الأخير من الكلمة العربية ونبره حينئذ ، استحسنت لغتنا العربية أن يوصل حرف المد بهاء السكت ، أو همزة الوقف ، أو بما يسمى نون الترنم .

وهذا هو السر في تردد معظم العروضيين بصدد وقوع حروف المد رويًا ، ولم يجوزوا منها إلا الألف استثناسا بتلك القصائد التي تسمى بالمقصورات وأشهرها مقصورة ابن دريد التي يروي أن مطلعها :

شرّد عن عيني الكرى طيف سرى
من أم عمرو في غياهيب الدجى

أما في حالة واو المد وياء المد فيأبى معظم أهل العروض اعتبارهما رويًا ، ويتطلبون أن يسبق كل منهما في القافية العربية بحرف عادي هو الروى الحقيقي للقصيدة كالدال أو النون مثلاً .

ومع أننا لا نكاد نعثر على شعر عربي محقق النسبة فيه واو المد أو ياء المد بمثابة الروي ، نجد أن بعض المتسامحين من العروضيين يقبلون ذلك حين تكون واو المد أو ياء المد حرفاً أصلياً من بنية الكلمة ، فإذا كان زائدا رفضوا الاعتراف به رويًا . ويستقبحون لذلك ما يروي عن مروان بن الحكم أنه قال :

وهل نحن لإمثلة من كان قبلنا
نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا
وينقص منا كل يوم ليلة
ولا بد أن يلقي من الأمر مالمقوا

* * *

ومع أن معظم المستنيرين من العروضيين لا يسمحون بقبول حتى الأصلية من واو المد وياء المد بوصف كل منهما رويًا ، نجد أن قلة من العروضيين يقنعون بذلك ويمثلون له بهيتين تبدو عليهما الصنعة

العروضية ، ويشترط أن بعينهما في كتبهم
وهما :

نروح ونغدو لحاجاتنا

وحاجات من عاش لاتنقضي^{٢٤}

تموت مع المرء حاجاته

وتبقى له حاجة ما بقي

* * *

وفي الحق أننا لا نكاد نعثر في الشعر
العربي، قديمه وحديثه، على أمثلة محققة
النسبة لهذا النوع الذي يعتبر فيه الروى
واو مد أو ياء مد .

وهكذا نرى أن القافية العربية المطلقة
وهي التي يتألف منها الكثرة الغالبة من
الشعر العربي تعد في الحقيقة إذا قورنت
بالنادر من القوافي الإنجليزية التي في مثل
blue مع dew ، أكثر عناية بالموسيقى
وأجمل وقعا في الأسماع .

ثانياً : نبين أن الكثرة الغالبة من
الشعر الإنجليزي قافيته تشبه القافية
المقيدة أي تنتهي بحرف ساكن مثل :

Street مع Rough. Sweet مع Enough

وتعتمد القافية في هذه الحالة على ذلك
لحرف الساكن اعتمادا كبيرا .

ولكننا نعرف من الدراسة الصوتية أن^{٢٥}
الحرف الساكن Consonant حين يقع
في نهاية الكلمة ثم يراد الوقوف على
كلمته ، قد يتعرض ذلك الحرف الغموض
أو الإبهام فيقل وضوحه في السمع أو قد
يسقط في النطق ، ولا سيما حين يكون
من الحروف المهموسة الشديدة كالتاء
والكاف ، فلا يكاد يتضح في الأدن
ولا يكاد السامع يدري حقيقة أمره
ولا يحسن بموسيقاه .

ومما تقدم نرى أنه ليس من الإسراف
أو المغالاة أن نقرر أن القافية في الشعر
العربي بوجه عام تعد أدق حساسية
بالموسيقى وأكثر عناية بإبرازها من القافية
في الشعر الإنجليزي التي تعتمد اعتمادا
يكاد يكون كلياً على النوع المسمى
بالقافية المقيدة .

نشرع بعد ذلك في الحديث عن تلك
الظاهرة التي راعتنا في أثناء مدارسة حديثة
محاولين تفسيرها تفسيراً موضوعياً ،
وفي حيدة وإنصاف ، لكل من الشعر العربي
والشعر الإنجليزي .

ولنبداً بالقافية الإنجليزية ، حين
يكون ما قبل الروى حركة قصيرة ، أي

ما يشبه الفتحة والضمة والكسرة مثل
الكلمات :

dead, said, bed التي تنسجم معاً حين
تكون في قواف متوالية ، مثل met مع set ،
ومثل but مع cut ، ومثل bit مع sit ،
ومثل rod مع tod ، ومثل ox مع rocks ،
ومثل flex مع sax .

وهكذا نرى أن القافية الإنجليزية تُصرُّ
على التزام الحركة القصيرة قبل الروى ،
فلذا كانت ما يشبه الفتحة التزمت ، وإذا
كانت ما يشبه الضمة التزمت ، وإذا
كانت ما يشبه الكسرة التزمت . ولا
تسمح القافية الإنجليزية أن يرد فيها sex
مع ox ، ولا مثل put مع met ، أو sit
مع cut .

في حين أن الشعر العربى قد وقع فيه شئ
من هذا ، فلنستمع إلى قصيدة شوقي تحت
عنوان انتحار الطلبة :

ناشئ في الورد من أيامه

حسبه الله أبالورد عثر ؟

راحلا في مثل أعمار المنى

ذاهباً في مثل آجال الزهر

هارباً من ساحة العيش وما
شارف الغمرة منها والغدر

وكذلك قصيدته في أبي الهول :

أبا الهول طال عليك العصر
وبلغت في الأرض أقصى العمر

فيالدة الدهر لا الدهر شاب
ولا أنت جاوزت حد الصغر

* *

ففى القصيدة الأولى وعدتها ٥٧ بيتاً
نلاحظ أن ما يقرب من ٤٩ بيتاً سبق
الروى فيها بالفتح ، وسبق الروى بالضم
في خمسة أبيات ، وبالكسر في ثلاثة .

وفى مشهد من مشاهد مسرحية عبدالرحمن
الناصر للشاعر الكبير عزيز أباظة نجد
أن هذا المشهد القصير الذى يتألف من ١١
بيتاً ومطلعه :

بعض الحنان يا شفق

حطم قلبي يا شفق

يشتمل على ٧ فتحات ، ٣ كسرات ،
وضمة واحدة قبل الروى .

وفى الحق أن جميع الشعراء المحدثين
قد تناوبت الحركات الثلاث وبكثرة

في قوافي شعرهم التي من هذا النوع ، فلا يكاد أحدهم يلتزم حركة واحدة في قصيدة من قصائده .

ورأينا إزاء هذا أن نرجع إلى الشعر الجاهلي الذي نظمته أصحابه بآذانهم المرهفة ، واعتمدوا فيه على الجرس الموسيقي وحرصوا فيه إلى أبعد حدود الحرص على الانسجام بين نغمات القوافي . فدهشنا حين تبين لنا أن في القدر القليل المروي من هذا النوع في الشعر الجاهلي قد تناوبت الحركات الثلاث ، وإن التزم بعض الشعراء في القليل من الأحيان حركة بعينها ولا سيما حين تكون الفتحة . ففي قصيدة من قصائد المفضليات عدتها تجاوز ثمانين بيتا التزمت الفتحة : مثل (وقع ، نفع) ، إلا في بيت واحد يؤكد لنا محققو الديوان أنه ينتهي بالكلمة « كنَّع » بهذا الضبط . ولست أدهش حين يتضح لنا بالبحث في المعاجم أن هذه الكلمة ينطق بها « كَنَّع » أيضاً ، أو أن لام الكلمة هنا وهي من حروف الحلق ، تسمح بفتح الوسط كما هو الشأن في كثير من الصيغ العربية .

ولما عرض أصحاب العروض لهذه الظاهرة في كتبهم عدوها من عيوب القافية

وسموها « سناد التوجيه » ، ثم روي لنا فيه ثلاثة آراء :

- (أ) رأى الأخفش وفيه يقرر أن سناد التوجيه لا عيب فيه ، أو على الأقل يمكن أن يعد رخصة شعرية ولا يلام الشاعر عليها .
- (ب) رأى الخليل الذي يجوز التناوب بين الضمة والكسرة فقط . ولا شك حين نسترشد بعلم الأصوات نجد أنهما حركتان متشابهتان وأن الموجة الصوتية الأساسية مهما واحدة ، والاختلاف بينهما في الموجات الفردية . هذا إلى أنهما من الأصوات الضيقة التي يتخذ أول اللسان معها في حالة الكسرة وضعا يشبه ما يتخذه أقصى اللسان مع الضمة . ولا غرابة لذلك أن الأذن تسمعهما وكأنهما أختان أو توأمان . ويقلل من قيمة الفرق بينهما أنهما حركتان قصيرتان تتطلبان زمناً قصيراً في النطق بكل منهما ، مما قد يساعد على ضلالة الأثر السمعى في تمييز الفرق بينهما .

ولذلك نطمئن كثيرا إلى رأى الخليل
ونرى أنه استلهم في هذا حمسه الموسيقى
المرهف .

فإذا كان من الضروري المناوبة بين
الحركات في القافية المقيدة^{٦٤} فليقتصر في
هذا على الضمة مع الكسرة ، وإن كان
التزام إحداهما أحسن وأجمل .

(ج) أما الرأى الثالث وهو المنسوب
لكراع فهو رأى عجيب غريب
لا يستند إلى طبيعة الأصوات
في شيء ، ولا يبرره ما روى فعلا من
الشعر ، ولذلك نوثر أن نتجاهله إذ ليس
له أى سند علمى .

فلنطمئن إذن على موسيقى القافية
العربية ، ذلك لأن القافية المقيدة في الشعر
العربى قليلة أو نادرة ، والحكم على شعرنا
يجب أن يؤسس على الشائع منه وعلى
الكثرة الغالبة من حالاته ويتمثل هذا
في القافية المطلقة التى لا تكاد توجد
في الشعر الإنجليزى ، والتى يعتمد الروى
فيها على الحركة التى بعده ويتمجاهل

الحركة التى قبله ، ولا عيب لذلك
أن يقول شوقى :

ريم على القاع بين البان والعلم
أحل سفك دى في الأشهر الحرم

لأن السمع في هذه القافية يتعلق بالروى
والصوت الذى بعده وهو الحركة . ولذلك
لم يتحدث علماء العروض عما يسمى
بسناد التوجيه إلا في القافية المقيدة .

أما ما يزعمه بعض أصحاب العروض
من وقوع تلك الظاهرة التى يسمونها
بالإقواء حين تختلف حركة الروى في
القافية المطلقة بين الضمة والكسرة ،
ويسمى بالإصراف حين يكون الاختلاف
بينهما وبين الفتحة ، فليس^{٦٥} كل هذا في
الحقيقة إلا صناعة عروضية ، أو مؤسسا^{٦٦}
على وهم منهم . فلا يعقل مطلقاً أن تقع
مخالفة في حركة الروى حتى بين المتشاعرين
المبتدئين . فالشاعر في القافية المطلقة يلتزم
حركة واحدة لا يحيد عنها أبداً ، ولكنه
في الأمثلة المروية مما يسمى بالإقواء أو
الإصراف قد حاد عن الحركة الإعرابية
التي تتطلبها الوضع الإعرابى ، وضحى بهذا
في نظير التزام حركة واحدة ،

أى كما يقضى النظام الشعرى وتقضى موسيقاه ، أو بتعبير آخر يمكن أن يقال إن الشاعر فى هذه الأمثلة أخطأ فى الإعراب ولم يخطئ فى موسيقى الشعر . وسواء كان هذا الخطأ الإعرابى كما يقول النحاة من الضرورة الشعرية أى يقع من الشاعر عن عمد وهو مدرك لهذا الانحراف الإعرابى مستغلاً فى ذلك الضرورة الشعرية ، أو أن الشاعر وقد ملكت عليه الموسيقى عقله وقلبه لم يفتن إلى ما قد تتطلبه القاعدة الإعرابية ، أقول سواء هذا أو ذاك فالنتيجة واحدة وهى اتحاد حركة الروى فى كل أبيات القصيدة .

ومع قلة أو ندرة القافية المقيدة فى الشعر الجاهلى ، فلا أظن أن ما روى فيه من أمثلة هذه القافية يجاوز نسبة ٢ ٪ من مجموع الشعر الجاهلى ، ومع أن العروض العربى يصم اختلاف الحركة هنا ويعده من عيوب القافية ، لا يزال فى النفس شئ من تلك الأمثلة القليلة أو النادرة التى انحدرت إلينا ونسبت لشعراء جاهليين ! إذ نتساءل كيف يقع هذا فى شعرهم وهم الذين كانوا يعتمدون فى النظم على الآذان المرهفة ، ويحرصون

كل الحرص على كمال الموسيقى فى التقفية ؟ ! ومن واجبنا إزاء ذلك أن نلتمس مسوغاً معقولاً مقبولاً لورود تلك الأمثلة على قلتها أو ندرتها .

وليس من الضرورى هنا أن نشير إلى ما يقرره كثير من الدارسين من أن بعض الشعر الجاهلى قد وقع فيه الانتحال ، لأن كل ما يمكن أن يترتب على ذلك هو أن النسبة نقل ولا تنعدم ، ولا مفر من الاعتراف بصحة بعض المروى من هذه القافية ، وأننا لا نزال بحاجة إلى تفسير هذا الصحيح ، وإن كان من العسير فصله فعلاً تاماً عن المنتحل .

وفى رأى المتواضع أن الشاعر الجاهلى برىء من هذا النوع فى القافية المقيدة ، أى لم يقع فى شعره ما يسمى بسناد التوجيه ، وأما ما ظنه المتأخرون تخالفاً فى حركة ما قبل الروى من القافية المقيدة فيشبه ما تصوره بعض العروضيين مما يسمى بالإقواء أو الإصراف ، وهو التخالف فى حركة الروى نفسه ، وقد أنكرنا آنفاً وقوع التخالف فى حركة الروى من القافية المطلقة ، وتبين لنا أن الشاعر حرص دائماً على حركة واحدة بعد الروى،

مضحياً في سبيل موسيقاه سواء عن عمد أو عن غير عمد، بما تقضى به قواعد الإعراب.

وكذلك الشأن مع القافية المقيدة نتصور أن الشاعر الجاهلي حرص دائماً على وحدة الحركة التي قبل الروى ، وأن رواة النصوص في عصر التدوين هم المسئولون وحدهم عن إبراز أمثلة التخالف التي نراها في دواوين الشعر الجاهلي ، لأنهم ربما اعتمدوا على رأى واحد في نطق الكلمة العربية ثبت لديهم أنه وحده الصحيح .

ولابد لنا هنا أن نفترض أحد فرضين:

١- بأن نقول كما قلنا في القافية المطلقة إن الشاعر قد ضحى بشيء من بنية الكلمة وأحدث فيها تغييراً طفيفاً اقتضته القافية وموسيقاها ، وهكذا نطق بالكلمة المضمومة الوسط مفتوحة أو مكسورة على حسب ما جاء في معظم أبيات القصيدة. فالذى لا شك فيه أن كل مثل من الأمثلة التي قيل إن التخالف في الحركات قد وقع فيها ، يعتمد في معظم الأبيات على حركة بعينها ، وأن قدراً ضئيلاً جداً من الأبيات جاء مخالفاً لهذه الحركة . ففى مثل من تلك الأمثلة المروية يلحظ بوضوح

أن معظم أبيات القصيدة التزمت فيه الفتحة ، ووقعت الضمة أو الكسرة في القليل أو النادر من أبياتها . وقد نجد في مثل آخر أن الضمة التزمت في معظم الأبيات قبل الروى ونجد معها الكسرة أو الفتحة في حالات قليلة أو نادرة .

٢- والفرض الثاني هو أن نقرر ونحن مطمئنون أن الشاعر في كل مثل من هذه الأمثلة المروية ، قد اتخذ حركة معينة ليؤسس عليها القصيدة ، وأنه أنشد جميع الأبيات بحركة واحدة قبل الروى ، مستلهماً في هذا حسه الموسيقي ومعتداً على نطق آخر للكلمة جائز أو سائد في لهجة قومه .

ولم يزعم أحد من اللغويين أن ما ورد في المعاجم التي بين أيدينا هو كل الوجوه الجائزة في ضبط الكلمات ، بل يكادون يجمعون على أن كثيراً من الوجوه الصحيحة في ضبط الكلمات العربية ، قد نذ عنا وافتقدناه فيما روى لنا .

وإذا سلمنا بصحة القول المشهور عن أبي عمرو بن العلاء (ما انتهى إليكم من كلام العرب إلا أقله ، ولو قد جاءكم كله

لجاءكم علم وأدب كثير) ، فلا شك أن
مما فقدناه بعض الوجوه الجائزة في ضبط
الكلمة العربية .

ليس من الإسراف إذن أن ندعو
الدارسين للشعر الجاهلي إلى إنشاد تلك
الأمثلة المروية من القافية المقيدة بحركة
واحدة أى قبل الروى ، وإلى أن ينزهوا
هذا الشعر عن ذلك العيب الموسيقى

أما ما جاء في شعر المحدثين والمولدين
مما يشبه تلك الأمثلة المنسوبة للجاهليين
فليس في الحقيقة إلا نوعاً من التقليد
على توهم أن ما جاز للقدماء أصحاب اللغة
يجوز من باب أولى للمحدثين أو المولدين .
أى أن الشعراء المحدثين والمولدين لم
يستلهموا في هذا قريحتهم الشعرية وحدها ،
بل اعتمدوا أيضاً على المروى من شعر
نسب للقدماء فقلدوه وحذوا حذوه .
ولو قد استلهموا قريحتهم الشعرية وحدها
واحتكموا إلى آذانهم المرفهة ما وقع في
شعرهم هذا التخالف في حركة القافية
المقيدة ، ولكانوا كابن الرومى الذى التزم
في كل شعره حركة بعينها اعتمدت
عليها قصائده التى من القافية المقيدة ،
فلا يكاد يشذ عن هذا ، فلم نعثر في

ديوانه على مثل واحد فيه تختلف الحركة
قبل الروى من القافية المقيدة .

وكنا نتوقع أن تسترعى هذه الظاهرة
الموسيقية في شعر ابن الرومى انتباه أستاذنا
العقاد رحمه الله في كتابه المشهور عن
ابن الرومى ، غير أننا لم نجد في كتابه
سوى بضعة سطور في فصل من الكتاب
بعنوان (صناعة ابن الرومى) فيها يقول
العقاد^(١) (كان ابن الرومى يركب
القوافى الصعبة ويتعمد رياضة الحروف
العصية فيذل له أعصاها ، حتى الثاء والخاء
والذال والزاي والظاء والغين والهاء ،
وغيرها من الحروف المتروكة في الروى
الناقصة في شعر أقدر الشعراء . . .)
ثم يقول في موضع آخر من نفس الفصل^(٢)
(نقول إن ابن الرومى كان من أقل الشعراء
تجوزاً في عروضه وأكثرهم حرصاً على
أوزانه) ، ثم يدافع عن ابن الرومى في
بيتين روي عنه وهما :

أبا عثمان أنت قريع قومك
وجودك للعشيرة دون لومك
تمتع من أخيك فما أراه
يراك ولا تراه بعد يومك

(١) ص ٣١٠

(٢) ص ٣٢٣

ذلك لأن أبا العلاء المعرى فى رسالة
الغفران قد عاب على هذين البيتين أن
القافية فيهما مقيدة وأن هذا الوزن (يعنى
الوافر) لم يجرى عن الفصحاء مقيداً إلا
حين يكون فى القافية ألف التأسيس .
ولكن الأستاذ العقاد يرى ونحن معه أنه
لا عيب فى موسيقى البيتين ، مخالفاً بهذا
الرأى ، رأى أبى العلاء .

ويعتد ابن الرومى من هذه الناحية فريداً
بين الشعراء القدماء منهم والمحدثين ،
فقد تخيرنا من بين أعظم شعراء العربية
« البحترى » وهو الذى تروى فى شأنه
كتب الأدب أنه - فى رأى المتنبى وقيل
فى رأى أبى العلاء - حين سأل سائل عن
شعر أبى تمام والبحترى والمتنبى فكان
الجواب المشهور فى كتب النقد الأدبى
« أبو تمام والمتنبى حكيمان والشاعر
البحترى » ! !

ولسنا ندعى القطع أو الجزم فى فحوى
هذه القولة المشهورة ، فقد تكون الموازنة
هنا مقصورة على الصور والأخيلة والأغراض
والموضوعات . على أننا مع هذا نفترض
أن وصف البحترى بأنه الشاعر يتضمن

أيضاً عنايته بموسيقى الشعر . وعلى
أساس هذا الفرض نظرنا فى ديوانه لنتبين
موقفه من القافية المقيدة التى سبق رويها
بحركة فلم نجده يختلف عن الشعراء
الآخرين فى شىء ، فنسبة القوافى المقيدة
فى ديوانه فى حدود ٣٠٪ والكثرة الغالبة
منها من النوع الذى سبق فيه الروى
بحركة مثل قوله :

- (أ) من أى ثغر تبتسم
وبأى طرف تحتكم (مجزوءة الكامل)
- (ب) مخلف فى الذى وعد
سيل وصلا فلم يجد (خفيف)
- (ج) قلت للائم فى الحب أفق
لا تهون طعم شىء لم تذق (الرمل)

*

نكتفى بهذا القدر فى القافية المقيدة
حين يكون قبل الروى حركة ، وننتقل
إلى تلك التى يكون قبل رويها حرف مد .
وهنا نشهد فى الشعر الإنجليزى ما يشبهها
فالكلمات الإنجليزية cat ، flat ، mat ،
sat تنسجم موسيقاها حين تقع فى القافية
الإنجليزية . ويشبه هذا فى القافية العربية

وقوع ألف المد قبل روى القافية المقيدة
مثل قول البحتري :

إن رَقَّ لى قلبك مما ألاقُ
من فرط تعذيب وطول اشتياقُ

وجُدتِ بالوصل على مغرم
فزوديني منك قبل انطلاقُ

* *

وهنا نرى كل شعراء العربية ، قديمهم
وحديثهم ، قد التزموا هذه الألف ولم يشذوا
عنها مطلقاً ، لأنها أوضح حروف المد فى
السمع ، وأن أى انحراف عنها تدركه
الأذن حتى غير المدربة أو المراهقة . ولذلك
لم تختلف القافية الإنجليزية عن العربية
فى هذا النوع .

أما الذى اختلفت فيه القافية الإنجليزية
عن العربية فهو حين يكون حرف المد قبل
روى القافية المقيدة واو مد أو ياء مد .
ففى هذه الحالة نجد أن القافية الإنجليزية
تلتزم إحداهما ولا تسمح بأن يتناوبا فى
قوافى القصيدة الواحدة :

فالكلمات الإنجليزية، intrude, conclude

crude ينسجم بعضها مع بعض فى
القافية الإنجليزية . والكلمات الإنجليزية

creed, breed, lead ينسجم بعضها مع
بعض . ولا تسمح القافية الإنجليزية بأن
يقع فيها مثلاً mood مع lead ، فى حين
أن القافية العربية ، تسمح بواو المد مع ياء
المد ، وهذه هى الظاهرة التى أزعجتنا حقاً .
فإذا كنا قد تجاوزنا عن اختلاف فى الحركة
قبل روى القافية المقيدة لصغر هذه الحركة
وسرعة النطق بها وقصر زمنها فلا تكاد
تشعر بها الأذن ، فكيف يتأتى هذا مع
واو المد وياء المد ، مع طول زمن النطق
بهما ووضوحهما فى السمع وضوحاً كبيراً ؟!

وهنا ننوه بابن الرومى مرة ثانية لأنه
لم يقع فى شعره شئ من هذا لا فى القافية
المقيدة وحدها ، بل حتى المطلقة . ففى
قصيدة له عنوانها « وحيد المغنية » وعدتها
٥٧ بيتاً ومطلعها :

يا خليلي تيمتني وحيدُ
ففؤادى بها معننى عديدُ
غادة زانها من الغصن قدُ
ومن الظبي مقلتان وجيدُ

* * *

ففى هذه القصيدة وبرغم قافيتها المطلقة
قد التزم ابن الرومى ياء المد فى كل

الأبيات وهو ما يشبه لزوم ما لا يلزم .
ذلك لأنه في القافية المطلقة نلاحظ بعد
الروى حركة تستطيل عند الإنشاد
وهي التي يعتمد عليها الروى وتعلق الأذن
بها متجاهلة ما قد يكون قبل الروى إلى
حد ما ، ولذلك جاز في القافية المطلقة
وقوع واو المد مع ياء المد قبل الروى لما
بينهما من تشابه صوتي كما أشرنا آنفاً
مع الضمة والكسرة . ويرى معظم العروضيين
جواز تناوب واو المد مع ياء المد قبل روى
القافية المطلقة . ومع هذا يقول الصبان
ما نصه (إنه يعجز من غير قببح وقوع
الواو ردفاً في بعض أبيات القصيدة
الواحدة والياء في بعضها الآخر ، وإن
كان الاتماع أحسن) . فهذا هو عالم
كثير من علماء العروض يرى أن التزام
واو المد أو ياء المد أحسن من التناوب
بينهما حتى مع القافية المطلقة ، أى على
نحو ما التزم به ابن الرومى في شعره .

أما جواز وقوع التناوب بين واو المد
وياء المد في القافية المقيدة فأمر عجيب
حقاً ، ولا ندرى كيف سمح به
الشعر العربى ؟ بل أشنع من هذا أن

هذه الظاهرة قد كثرت نسبياً بين المولدين
والمحدثين . فيقول مهيار الديلمى :

ردوا لها أيامها بالغميم
إن كان من بعد شقاء نعيم
قلوبهم رق لأهل الحمى
حيث النواصى حرة والجسوم

* *

ويقول العقاد تحت عنوان « حسناء
عمياء » :

قرة العين عزاء
لك فى الكون المنير
إن طرفاً يأسر النا
س هو الآن أسير
صدت الشمس ضياها
عذك يا أخت البدور
وجاء فى قصيدة شوقى على قبر
نابليون وهى القصيدة المؤسسة على ياء
المد والتي مطلعها :

قف على كنز بباريس دفين
من فريد للدمانى وشمين

عدة أبيات فيها واو المد قبل روى
القافية المقيدة

ولكن يبدو أن شوقي حين استلهم
قريحته الشعرية وحدها التزم ياء المد
في كل قصيدته لأُم المحسنين ومطلعها :
ارفعى الستر وحيى بالعجبين
وأرينا فلق الصبح المبين
وقفى الهودج فينا ساعة
نقتبس من نور أم المحسنين

* * *

وبصدد هذه الظاهرة نجد أن أبا العلاء
المعري وهو الشاعر المكفوف الذي يعتمد
على أذنه الموسيقية المرفهة وحدها يقول
في مقدمة ديوانه « لزوم ما لا يلزم » مانصه :
« ولم يفرقوا بين المقيد والمطلق في مجيء
الواو المضحوم ما قبلها مع الياء المكسور
ما قبلها ... » إلى أن يقول : « وأنا أفرق
بين المطلق والمقيد وأعده في المقيد أشد ،
لأن الروى لا يكون بعده ما يعتمد عليه ،
أما في المقيد فهذا عندي أقبح منه إذا
استعمل في الشعر المطلق » ١

ونحن إذا أخذنا أفعل التفضيل في
في الكلمة « أقبح » على بابه ، كان معنى
كلام أبي العلاء أن تناوب واو المد وياء
المد في قوافي القصيدة الواحدة قبيح سواء
كانت القافية مطلقة أو مقيدة ، غير أنه

أقبح مع المقيدة ، وهذه هي التي تشبه
القافية الإنجليزمية .

ويعزينا عن هذا الذي استنكره أبو العلاء
وعده أقبح أن أمثله في كل الشعر العربي
قديم وحديثه لا تكاد تتجاوز نسبة ١/٣ .

ولا شك أن تناوب واو المد وياء المد
في القافية المقيدة ظاهرة قبيحة من حيث
الموسيقى الشعرية ، ولذلك يابأها الشعر
الإنجليزى كل الإباء .

وكنا نتوقع ألا ترد لها أمثلة في الشعر
الجاهلي ذلك الذي نظمته آذان مرفهة ،
وحرص أصحابه على موسيقية كل الحرص
غير أننا عثرنا على عدة أمثلة من قطع
شعرية صغيرة نسبت في ديوان الحماسة
والمفضليات والأصمعيات لشعراء جاهليين .

مثل المقطوعات الآتية :

(١) لامرئ القيس :

وجاملي نخوع من نيبه

زجرُ المعلَى أصلاً والمنيع

وهي من بحر السريع ، وورد فيها واو
المد أيضاً .

(ب) للمرقش الأصغر :

لابنة عجلان بالجو رسوم
لم يتعفين والعهد قديم

وهى من مجزوء البسيط .

(ج) لشعبة بن عمرو :

أَسْمَاءُ لِمَ تَسْأَلِي عَنْ أَبِيكَ
والقوم قد كان فيهم خطوب

وهى من المتقارب ، وورد فيها ياء المد
أيضاً .

(د) للخنساء :

دلّ على معروفه وجهه
بورك هذا هاديا من دليل

وهى من السريع ، وورد فيها «مايحول»
، «الشليل» .

(هـ) لامرئ القيس :

أبلغ بنى أود فقد أحسنوا
أمس بضرب الهام تحت القنوش
وهى من السريع ، وورد فيها «جلوس» ،
«القليدس» ، «النفيس» .

(و) للمهلهل :

جارت بنو بكر ولم يعدلوا
والمرء قد يعرف قصد الطريق

وهى من السريع ، وورد فيها «الوسوق» ،
«بالمطيق» ، «الحقوق»

(ز) للخرنق أخت طرفة :

يارب غيث قد قرى عازب
أجش أحوى فى جمادى مطير

وهى من السريع ، وورد فيها «عشور»
«القرور» ، «بالبشير» .

(ح) للمرقش الأصغر :

الزق مُلك لمن كان له
والمُلك منه طويل وقصير

وهى من مجزوء البسيط (مستفعلات) ،
ورود فيها «صبور» .

فكيف نفسر وقوع هذا القدر الضئيل
جدا فى شعر الجاهليين ؟

كان من رأبى دائما أن المحدثين أكثر
تساهلا ، أو إن شئت قلت أكثر جرأة
على موسيقى الشعر العربى من القدماء .
ولعل فيما يسمى فى الوقت الحالى بالشعر
الحر أكبر دليل على هذا الاتجاه وقد
عشرت أخيرا على نص لأبى العلاء يؤكد
لى هذا الرأى ، إذ يقرر فى مقدمة ديوانه
لزوم مالا يلزم أن القدماء كانوا أكثر
عناية بموسيقى الشعر من المحدثين الذين
أباحوا فيه بعض الرخص ، ثم يوازن بين

شعر لأبي تمام نظم على نسق قصيدة
الشنفرى الأزدي التي مطلعها :

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت

وما ودعت جيرانها إذ تولت

وقصيدة الأعشى :

فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتي

وراكبها يوم اللقاء وقلت

ثم يقول أبو العلاء إن أبا تمام - وهو
في رأى أبي العلاء من المحدثين - لم يلتزم
شيئاً قبل التاء .

ونحن مع موافقتنا لقول أبي العلاء
نلاحظ أن الشنفرى لم يلتزم اللام قبل
التاء في كل قصيدته التي عدتها ٣٦ بيتاً ،
بل وقع فيها ما يقرب من نصفها خلوا
من اللام قبل التاء . وكان أولى بأبي العلاء
أن يمثل مع قصيدة الأعشى بقصيدة كثير
عزة التي مطلعها :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا

قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

وما أظن أن أبا العلاء يريد أن قصيدة

أبي تمام لم يقع قبل التاء فيها
ولا لام واحدة ، فالحقيقة أن عدد هذه
القصيدة ٤٤ بيتاً ووقعت اللام قبل التاء

في ١٤ بيتاً منها ، ومطلع هذه القصيدة : هو

نسائلها أي المواطن حلت

وأي ديار أوطنتها وأيت ؟

* *

وفي تفسيرنا لتلك الأمثلة الضئيلة

القدر التي وردت في الشعر الجاهلي من
القافية المقيدة وتناوبت فيها واو المد
مع ياء المد ، نلاحظ أنها مقطوعات قصيرة
وأن كلا منها يتألف من عدد من الأبيات
لا يجاوز أصابع اليدين عدا ، وأن معظمها
من بحر واحد هو السريع (خمس من
القطع الثمانية) ، واثنان من مجزوء
البسيط وواحدة من المتقارب ! !

وهنا يخامرنا شك في صحة هذه الأمثلة
ونؤثر أن نعتها مما انتحل في العصور
الإسلامية ، ونسب للجاهليين . وما أظننا
الآن نتردد في قبول تلك القضية التي
نادى بها بعض الدارسين قديماً وحديثاً
من أن بعض ما روى من الشعر الجاهلي
منتحل . وبهذا ننزه شعر القدماء الذي
نظم بالسليقة ومع الرعاية التامة لحسن
الموسيقى عن أن يكون أدنى مرتبة من الشعر
الإنعاجي في العناية بموسيقى القافية .

ابراهيم انيس

عضوالمجمع

تخريج نصوص أرسططالية

في كتاب الحيوان للجاحظ

للدكتور محمد طه الحاجري

الجليل^١ عبد السلام هارون . وما كان النص الصحيح ليأخذ مكانه لولا هذه الوسيلة ، ومنها أنها رجحت بعض القراءات على بعض ، فوضعت القراءة المرجوحة مكان القراءة الراجعة . ومنها ، فوق ذلك ، أنها ألقت بعض الضوء على قراءات النص اليوناني واحتمالاته المختلفة ، كما أثبتتها المترجم في هوامش ترجمته ، ولعلها بذلك يمكن أن ترجح بعضها على بعض .

وكننت نشرت من هذه النصوص طائفة تبلغ الثلاثين ، في مجلة كلية الآداب بجامعة الأسكندرية^(١) ، ثم صرفتني بعض الصوارف عن نشر سائرها ، ثم توالى بعض الشواغل التي صرفتني عنها ، حتى كدت أنساها ، إلى أن فرضت على طبيعة الحياة إلى التفت إلى الوراء أراجع

عهد غير قريب كنت منذ أخذت - استكمالا للدرس الجاحظ ، وتحقيقا لمصادر معرفته - أنقصي نقوله عن صاحب المنطق ، في كتاب الحيوان خاصة ، وأحاول أن أتعرف مواضع هذه النقول في كتب أرسطو ، وأوردها عنها ، كما جاءت في ترجمة سانتيلير لها . وقد أتيج لي من ذلك قدر صالح ، منها ما جاء مصدرا بعبارة الجاحظ : « قال صاحب المنطق » ، ومنها ما جاء غفلا من ذلك ، لسقط أو اضطراب أو ما إليه . وأخذت في وضع نص حيوان الجاحظ بإزاء نظيره في كلام أرسطو ، متخذاً ذلك أساسا للمقارنة بينهما . وقد أتاحت هذه المقارنة أشياء لها خطرها ، منها أنها صححت بعض الأخطاء التي وقعت في النشرة المحققة التي أخرجها الأستاذ

(١) المجلدان السادس والسابع (١٩٥٢ - ١٩٥٣) والمجلد الثامن (ديسمبر ١٩٥٤) .

ماضى ، فاذا هذه الدراسة بين يدي ،
تدعوني إليها ، لتأخذ في الحياة العلمية
مكانها .

وانى إذ أستأنف اليوم نشر هذه
النصوص أتقدم بصادق الشكر لمجلة
مجمع اللغة العربية أن أتاحت لي ولها هذه
الفرصة .

٣١- قال الجاحظ : « قال : ويستبين
خلق الفراخ إذا مضت لها ثلاثة أيام
بلياليها ، وذلك في شباب الدجاج ؛
وأما في المسان منها فهو أكثر . وفي ذلك
الوقت توجد الصفرة من الناحية العليا
من البيضة ، عند الطرف المحدد ،
وحيث يكون أول نقرها ، فثم يستبين
في بياض البيضة مثل نقطة من دم ،
وهي تختلج وتتحرك . والفرخ انما يخلق
من البياض ، ويغتنى الصفرة ، ويتم
خلقه لعشرة أيام ، والرأس وحده يكون
أكبر من سائر البدن ^(١) »

ويقع هذا النص من حيوان الجاحظ
في سياق القول في الحمام . وقد أسند
بعض القول فيه إلى من يطلق عليه إسم

« صاحب الحمام » ، وإلى « مثنى بن
زهير » . كما استطرد فيه من الحديث
عن بيض الحمام إلى الحديث عن بيض
الدجاج ، دون أن يرد ذكر « صاحب
المنطق » في شيء من ذلك ، مع أن المقارنة
دلت على أن من الأقوال التي أوردها ماهو
مأخوذ عن أرسطو ، كما نرى ذلك في
النصوص السبعة السابقة ^(٢) على هذا
النص الذى تتصدره أيضا كلمة : « قال »
مرسلة دون تعيين صاحب القول ، وهو
صاحب المنطق ، الذى تقع هذه الجملة
من كلامه في أعقاب النص السابق ،
في أول الفصل الثالث من الكتاب
السادس ، وفي أثنايه ، بعد مقدمة في
أن جميع الطير يتولد من البيض ،
في مدة تختلف باختلاف أنواعه . وذلك
إذ يقول :

« وفي الدجاج يكفى ثلاثة أيام وثلاث
ليال ليبدأ الفرخ في الاستبانة ، فأما
الطيور الكبرى فيلزمها أكثر من ذلك ،
كما يلزم الصغرى أقل . وفي تلك الفترة
تصعد الصفرة شيئا فشيئا إلى أعلى

(١) ٣ : ١٧٧ - ١٧٨

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٨٢ - ٩٠

البيضة ، وهو طرفها المحدد ، حيث مبدأ
البيضة ، وحيث تنكسر . وفي البياض
يوجد شئ كنقطة من دم ، وهى القلب .
وهذه النقطة تخفق وتضطرب ، لأنها حية »

وبعد أن يتكلم فى شئ من التفصيل
عن خلق الفرخ ، يقول : « ويخرج
الفرخ من البياض ، وغداؤه من الصفرة
من خلال السرة ، وفى عشرة أيام يتم خلق
الفرخ ، ويتميز تماما بأعضائه التى يتكون
منها جميعها ، ولا يزال رأسه أكبر من
سائر جسده ^(١) »

وبين النصين من الخلاف ما يرجع إلى
اختلاف الفهم ، كما فى عبارة النص
الجاحظى : « وذلك فى شباب الدجاج ،
وأما فى المسان منها فهو أكثر » ، وليس
الأمر فى النص الآخر خاصا بالدجاج ،
ولمّا هو فى الطير عامة . كما أن من
الخلاف ما يرجع إلى النساخ وتصرفهم
فى النص ، كما فى قوله : « فثم يستبين فى

بياض البيضة مثل نقطة من دم » ،
فهناك نسخة أخرى من الحيوان لم يرض
الناشر قراءتها فى هذا الموضع فلم يأخذ

بها ، تجعل الكلام فى هذه الجملة عن
القلب : « والقلب يستبين فى بياض
البيضة مثل نقطة من دم ، وبذلك تتفق
تماما مع النص الآخر .

على أنه - إلى جانب ما فى النصين من
خلاف - يوجد شئ من الاتفاق الدقيق
فى بعض المواضع . فالتعبير عن النقطة
الدموية بأنها تختلج وتتحرك يبدو لأول
وهلة كأنه شئ من الفضول أن يورد
الفاعلان معا فى النص الجاحظى ، ومعناهما
واحد . ولكننا نجد الأمر كذلك فى

الترجمة الفرنسية : "Ce point bat et
s'agite" ، كما نجد مثل ذلك فى
ترجمة دارسى ونتورث طومسون الانجليزية
ويصرح سانتليير فى التعليق على هذا الموضع
أن الكلمتين موجودتان فى النص اليونانى .
فليس الأمر إذن فى مثل أمر شرح أو
فضول أو تزييد فى التعبير ، وإنما هو أمر
دقة وتحرف للحرفية .

٣٢- قال الجاحظ : « وقال صاحب
المنطق : وقد باضت فيما مضى دجاجة
ثمانى عشرة بيضة ، لكل بيضة محتان ،

(١) v. II, p. 268-270

ثم سخنت وحضنت ، فخرج من كل بيضة فروجان ، ماخلا البيض الذى كان فاسدا فى الأصل . وقد يخرج من البيضة فروجان ، ويكون أحدهما أعظم جثة ^(١) ونظير هذا النص عند أرسطو يقع فى آخر الفصل الثالث من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . وذلك إذ يقول ، بعد أن ذكر أنه قد شوهد من الدجاج مالا يبيض إلا بيضا مزدوجا ، أى له محتان :

«وقد باضت دجاجة ثمانى عشرة بيضة ، وخرج من كل بيضة فروجان ، ماعدا بيض الذنب أو بيض البول les oeufs de queue ou d'urine أما الباقي فكان جميعه مخصبا . وإذا كان أحد الفرخين أكبر جثة جاء الآخر أصغر ، ويكون الفرخ الأخير مشوها ^(٢)»

ولعل أول مايلفت النظر فى هذا النص هو عبارة « بيض الذنب أو بيض البول » التى يقابلها فى النص الجاحظى الذى كان فاسدا فى الأصل ، فالترجمة الفرنسية تبدو غامضة غير مفهومة ، ومن هنا لاتظهر لنا العلاقة بينها وبين الترجمة العربية .

على أن مما يجدر ذكره هنا مما جاء فى تعليقات سانتيلير ، مما قد يكون له دلالة ، أن هذا النص قد عانى فى غير موضع منه غموضا واضطرابا دعيا إلى إدخال بعض التصحيحات عليه ، كما فعل جسنر Gessner . كما حملا سانتيلير على التردد فى ترجمة بعض الكلمات ، وهى : أحد الفرخين ، أو أحد الصفرتين .

ويتصل بالنص العربى هذه الفقرة ، كأنها تكملة له : «وكذلك الحمام . وما أقل ما يغادر الحمام أن يكون أحد الفرخين ذكرا والآخر أنثى» ، ولانظير لها عند أرسطو ، فهل سقطت من كلامه ، أم هى من كلام الجاحظ وصلها بكلام أرسطو ؟

٣٣- قال الجاحظ : «قال : وربما باضت الحمامة وأشباهاها من الفواخت ثلاث بيضات ، فاما الاطرغلات والفواخت فانها تببيض بيضين ، وربما باضت ثلاث بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحدا فقط . قال : وبعض الطير لا يبيض الا بعد

مرور الحول عليه كملا. والحمامة في
إكثر أمرها يكون أحد فرخيها
ذكرا والآخر أنثى ، وهى تبيض أولا
البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوما
وليلة ، ثم تبيض الأخرى . وتمضى
ما بين السبعة عشر يوما إلى العشرين ،
على قدر اختلاف طباع الزمان والذى
يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض
والحمام أبر بالفراخ^(١) »

وهذا النص يقع ، منشورا ، فى الفصل
الرابع من الكتاب السادس ، من تاريخ
الحيوان لأرسطو . ولا أدري أكذلك كان
بوصفه هذا فى الأصل الذى نقل الجاحظ
عنه ، أم أن الجاحظ كان يتخير :
يأخذ جملة من هنا وجملة من هنا ،
أم أن مانقله أبو عثمان قد عرض له من
البتر ما جعله على هذه الصورة ؟

ومهما يكن من أمر فهذا ما يقابل
هذا النص فى ذلك الموضع من كتاب
أرسطو :

« وجميع الطير من جنس الحمام
كالقواخت le ramier

والاطرغلات la tourterelle تبيض
عادة بيضتين ، وأكثر ما يمكن أن تبيض
الاطرغلات والقواخت ثلاث ... ولكنها
لا تربى أكثر من فرخين ، بل لا تربى أكثر
من فرخ واحد فى بعض الأحيان
ومعظم الطير لا يبيض فى عامه الأول ...
والحمام يبيض عادة ذكرا وأنثى ، وتكون
بيضة الذكر غالبا قبل الأخرى ، وبعد
تستريح فترة يوم ، ثم تبيض الأخرى ...
وتبلغ البيضة التى بيضت أولا نضجها
ثم تفقس فى عشرين يوما والأنثى
أسوأ من الذكر خلقا أثناء تربيتها
بصغارها^(٢) »

وبين النصين بعض الخلافات الطفيفة
التي لا نريد أن نقف عندها ، التماسا
لتعليقها ، كتأيد مدة الحضانة فى النص
الارسططالى بعشرين ، وتفاوتها بين
العشرين والسبعة عشر فى النص الجاحظي
وكالخلافا فى التعبير عن موقف أنثى
الحمام وذكرها من الفراخ ، فالأول
يكتفى بالقول بأن الأنثى أسوأ خلقا من
الذكر أثناء تربيتها لصغارها ، فى حين
يأخذ الآخر بمفهوم ذلك ، فيجعل الأمر

قسمة بين الذكر والأنثى ، فالذكر أبرد
بالفراخ ، والأنثى أبرد بالبيض

٣٤- قال الجاحظ : « قال : وأما
جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم
يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة
واحدة ، ما خلا الخطاف فإنه يبيض
مرتين^(١) »

ويقع هذا النص عند أرسطو في الفصل
الخامس من الكتاب السادس ، من تاريخ
الحيوان ، حيث عقد الكلام عن العقاب .
قال :

« والطيور الأخرى آكلة اللحم لا تببيض
أكثر من مرة واحدة في العام ، قد رما
يمكن أن يرى . والخطاف l'hirondelle
وحده بين آكلة اللحم هو الذي يبيض
بيضتين في السنة^(٢) »

والنصان يتفقان ، كما نرى ،
اتفاقا تاما ، فليس لنا غير ذلك من
تعليق عليهما .

٣٥- قال الجاحظ : « وقالوا :
وأما الفرخ الذي يخرج العقاب ، فإن

المكلفة ، وهي طائر يقال لها كاسر العظام ،
تقبله وترببه . والعقاب تحضن ثلاثين
يوما ، وكذلك كل طائر عظيم ، مثل
الأوز وأشباه ذلك . فأما الوسط فهو
يحضن عشرين يوما ، مثل الحداة ،
ومثل أصناف البزاة ، كالبواشق واليآيء
والحداة تببيض بيضتين ، وربما باضت
ثلاث بيضات ، وخرج منهن ثلاثة أفراخ .
قالوا : وأما العقبان السود اللوان فإنها
تربى وتحضن . وجميع الطير المعقف
المخالب تطرد فراخها من أعشاشها عند
قوتها على الطيران ، وكذلك سائر
الأصناف من الطير ، فإنها تطرد الفراخ
ثم لا تعرفها ، ماعدا الغداف ، فإنها
لاتزال لولدها قابلة ، ولحاله متفقدة^(٣) »
وهذا النص أرسططالى خالص صريح ،
وان صدر بكلمة : « وقالوا » فإنما
حقها أن تكون : « وقال صاحب المنطق ،
كما يبدو من مقارنته بهذا النص من
تاريخ الحيوان ، في الفصل الخامس من
الكتاب السادس . قال :

« والنسر (l'effraie) يقبل
(rescoit) فرخ العقاب الذي

(٢) v. II, p. 281

(١) ١٧٩ : ٣

(٣) ١٨٠ : ٣ - ١٨١

الذى طرد ويغذوه . والعقاب يحضن ثلاثين يوما تقريبا ، وهذه هي مدة الحضانة عند الطيور العظام ، مثل الأوز والحباري (l' outorde) ، وأما الطير المتوسطة الجثة فقل أن تحضن غير عشرين يوما ، مثل الحدأة والبازي . والحدأة لاتبيض في أغلب الأحوال غير بيضتين ، ومع ذلك ففي بعض الأحيان يبلغ صغارها ثلاثة ... والعقبان السود ، على العكس من ذلك ، تغزو صغارها باهتمام كبير . ومهما يكن من أمر ، فانه يمكن القول بأن جميع الطيور ذوات المخالب المعقوفة تطرد صغارها وتضربها منذ تصبح قادرة على الطيران . ونكرر القول بأن جميع الطير الأخرى شأنها ذلك تقريبا ، أو على الأقل لاتولى صغارها أدنى عناية بعد أن تغذوها بعض الوقت . ويجب أن نستثنى من ذلك الغداف الذى لايزال معينا بها زمنا ، وحين تطير يغذوها ويطير بجانبها^(١)

وهكذا نرى أن النص العربى يساير النص الآخر مسaire دقيقة ، الا فى أشياء

لا وزن لها ، كوضعه عبارة « وما أشبه ذلك » موضع كلمة « الحبارى » ، وكالتمثيل لأصناف البزاة بالبواشق واليآيىء ، ولانظير لهما فى نص أرسطو الذى ترجمه سانتيلير . على أن احدى مخطوطات الحيوان قد أغفلتهما . فاذا نحن لم نقف عند حد النسخة التى اعتمدها ناشر الحيوان فى هذا الموضع ، واعتبرنا تلك النسخة الأخرى ، وهى مخطوطة كبريلى ، أمثل النسخ وأجدرها بالثقة ، فان الاتفاق بين النصين يكاد يكون تاما . وقد أشرنا فى موضع سابق إلى أن هذه المخطوطة وضعت فى هذا النص ، فى موضع كلمة « كاسر العظام » كلمة « فينا » ، وهى بعينها الكلمة اليونانية Phóné المستعملة فى هذا الموضع^(٢)

٣٦- قال الجاحظ : « قال :

وقالوا : فراخ البزاة سمينة طيبة جدا . وأما الأوزة فانها التى تحضن دون الذكر ، وأما الغربان فعلى الاناث الحضن ، والذكورة تأتى الاناث بالطعمة ، وأما المحجل ، فان الزوج منها يهيئان للبيض

(١) v. II, p. 283-284

(٢) انظر مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد السادس والسابع ، ص ٢٠ - ٢١ .

عشرين وثيقين مقسومين عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى ؛ وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيش خمسا وعشرين سنة . ولا تلقح الأنثى بالبيض ، ولا يلحق الذكر إلا بعد ثلاث سنين^(١) »

وهذا النص - كما نرى - مضطرب في مبدئه وفي آخره . وإنما أوردناه بصورته هذه ليكون مقالا لما عاناه كتاب الحيوان من اضطراب ومادخله من خلط . فصدر هذا النص ناب في موضعه ، منقطع الصلة بما قبله وما بعده . وظاهران عبارة : « وقالوا فراخ البزاة سمينه طيبة جدا » مقحمة في غير موضعها ، وأكبر الظن أنها كانت مما جرى به قلم أحد القراء على هامش إحدى النسخ ، عند الكلام على البزاة وحضنها ، فجاء بعد ذلك أحد النساخ فأدخلها في هذا الموضع . وكذلك الأمر في آخر هذا النص ، ففيه من الخلط ما نستطيع أن نتبينه من المقارنة بينه وبين نظيره في كلام أرسطو ، كما جاء في الفصل الثامن من الكتاب السادس ، من تاريخ الحيوان . قال :

« وإناث الأوز هي التي تحضن وحدها ... وإناث الغربان هي التي عليها وحدها أن تحضن ، فلاتدع أن تكون على البيض لحظة واحدة ، والذكورة تحمل إليها ما تطعمه ... والحجلان تكوم بيضها كومتين ، فتقوم الأنثى على أحدهما ، ويقوم الذكر على الأخرى . وبعض الفقس يربي كل منهما ما حضنه خاصة^(٢) »

ثم يتحدث بعد ذلك قليلا عن سفاد الحجل ، وبهذا ينتهي الفصل الخاص به ، ليبدأ فصل جديد عن الطاووس ، دون أن نرى أثرا لهذه الجملة التي جاءت في آخر النص العربي ، « وكل منهما يعيش خمسا وعشرين سنة .. الخ » ولكننا سنجدنا في الفصل التالي ، عن الطاووس ، وقد اقتبس منه الجاحظ ، عقب كلامه عن الحجل مباشرة .

٣٧- قال الجاحظ : « قال : وأما الطاووس فأول ما تبيض فانها تبيض ثمانى بيضات ، وتبيض أيضا بيض الريح . والطاووس يلقي ريشه في زمن الخريف ، إذا بدأ أول ورق الشجر يسقط . وإذا

(٢) v. II. p. 287-288

(١) ٣ : ١٨٢ - ١٨٣

بدأ الشجر يكتسى ورقا ، بدأ الطاووس
فاكتسى ريشا^(١) »

ويقع هذا القول - كما قلنا في الفقرة
السابقة - في الفصل التالي ، وهو الفصل
التاسع من الكتاب السادس . ويبدأ هذا
الفصل بالكلام عن مدة حياة الطاووس ،
فيقول : « الطاووس يعيش إلى خمس
وعشرين سنة تقريبا ، ويلقح ، عامة ،
في الثالثة من عمره » . ثم يقول :

« وأنثى الطاووس التي تبيض للمرة
الأولى قلما تبيض غير ثمان بيضات ،
وتبيض أيضا بيضا رائقا (Oeufs-clairs)
. . . ويلقى الطاووس ريشه مع
سقوط أول أوراق الشجر التي تسقط ،
ثم يأخذ في استرداد ريشه حين تسترد
الأشجار أيضا خضرتها^(٢) »

ومن هذا نرى أن العبارة التي جعلت في
آخر الكلام عن الحجل في النص العربي ،
إنما هي من جملة الكلام عن الطاووس ،
أخطأت موضعها وزحلت عنه ، فأدمجت
فيها قبلها ، ووهب عمر الطاووس ، وهو

خمس وعشرون عاما للحجل ، وقد قال
أرسطو في موضع آخر أنه ستة عشر عاما
أو فوقها^(٣)

أما وضع كلمة بيض الريح في النص
الجاحظي للتعبير عن البيض الرائق ،
فقد عرضنا له في موضع له سابق^(٤) .

٣٨ - قال الجاحظ : « قال : وما كان
من الطير الثقيل الجثة فليس يهيئ لبيضه
عشا ، من أجل أنه لا يجيد الطيران ،
ويثقل عليه النهوض ، ولا يتخلق مثل
الدراج والقبج ، وإنما يبيض على
التراب^(٥) »

وهذا المعنى نجده عند أرسطو في
الفصل الأول من الكتاب السادس من
تاريخ الحيوان ، إذ يقول :
« والطيور تبيض بصفة عامة في

أعشاش ، ولكن التي لاتطير كثيرا
لاتعمل أعشاشا ، مثل الحجل والقبج
les perdrix et les cailles التي
تبيض على الأرض ، وتغطي بيضها
ببعض الأغصان^(٦) »

V. II, p. 280 (٣)

II, V. II, p. 289-290 (٢)

(١) ١٨٣ : ٢

(٤) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية . المجلد الثامن ص ٨٦ - ٨٧

V. II, p. 266 (٦)

(٥) ١٨٤ : ٢

وبين النصين ، وإن كانا يتفقان في
المعنى العام ، شيء من التفاوت ، ففي النص
العربي إسهاب في التعبير عن العجز عن
الطيران ، بما هو شبيه بأسلوب الجاحظ .
وفيه أيضا وضعت أيضا كلمة الدراج
في مقابل ما ترجم قبل بالـ *perdrix*

٣٩- قال الجاحظ : « قال : وإذا دنا
الصياد من عش القبجة ، ولها فراخ ،
مرت بين يديه مرا غير مفيت ، وأطمعته
في نفسها لاتباعها ، فتمر الفراخ في
رجوعها إلى موضع عشها . والفراخ ليس
معه من الهداية مامع أمها . وعلى أن
القبجة سيئة الدلالة والهداية ، وكذلك
كل طائر يعجل له الكيس والكسوة ،
ويعجل له الكسب في صغره . وهذا
إنما اعتراها لقراءة ما بينها وبين الديك

قال : فإذا أمعن الصائد خلفها وقد
خرجت الفراخ من موضعها ، طارت
وقد نحتت إلى حيث لا يهتدي الرجوع منه
إلى موضع عشها . فإذا سقطت قريبا
دعتها بأصوات لها ، حتى يجتمع
إليها .

قال : وإناث القبج تببيض خمس
عشرة بيضة إلى ست عشرة بيضة .

قال : والقبج طير منكر ، وهي تفر
ببيضها من الذكر ، لأن الأنثى تشتغل
بالحضن عن طاعة الذكر في طلب السفاد .
والقبج الذكر يوصف بالقوة على السفاد ،
كما يوصف الديك والحجل والعصفور
قال : فإذا شغلت عنه بالحضن ، طلب
مواضع ببيضها حتى يفسده . فلذلك ترتاد
الأنثى عشها في مخاني ، إذا أحست بوقف
البيض . وإذا قاتل بعض ذكورة القبج
بعضا فالمغلوب منها مسفود ، والغالب
سافد . وهذا العرض يعرض للديكة
ولذكور الدراج ، فإذا دخل بين الديكة
ديك غريب ، فما أكثر ما تجتمع عليه
حتى تسفده ^(١) .

ونستطيع أن نجد ما يناظر هذا النص
في الفصل التاسع من الكتاب التاسع
من تاريخ الحيوان ، في الحديث
عما ترجم أولا بالحجل ، ثم ترجم ثانيا ،
كما رأينا في النص السابق ، بالدراج ،
وما ترجم في هذا النص بالقبج ، وهو
ما يسمى بالفرنسية ، كما يذكره سانتيلير ،

perdrix . وأكبر الظن أن هذا النوع من الخلط يرجع إلى سوء صنيع النساخ ، إذ يبعد عندنا أن يقع من مترجم واحد قال :

« وإذا وقع الصسائد على العش استدارت الحجلة la perdrix ، لتنجو بنفسها ، كما لو كانت متدعه بمسكها ، ثم تطمعه في إمساكها ، فتجتذبه إليها ، فتتيح لصغارها الوقت ليهربوا . وبعد هذا التدبير تطير وتدعو الصغار إليها . والحجلة لا تبيض أقل من عشر بيضات ، وأحيانا تبيض إلى ستة عشر بيضة . والحجلة ، كما قيل طير خبيث ماكر... وإذا كانت الذكورة شديدة الغلظة ، فإنها ، لكي تمنع الأنثى من الحضن ، تبثر البيض وتكسره حيث تجده ، والأنثى تدافع قدر ما تستطيع عنه ، تخلص بنفسها لتبيض في مكان آخر . وكثيرا ما يحدث ، حين يعجلها البيض ، أن تضع بيضها حيثما اتفق ، بشرط أن يكون الذكر غير مطيق . ومن أجل أن تنقذه جملة واحدة ، فإنها لا تعود إليه... وإذا تقابلت الذكورة ، فالذكر المنهزم

يتبع غالبه ، ولا يدع لغيره أن يسمه ، وإذا هزم الذكر وسمه الثاني ، أو أى واحد آخر في خفية عن الغالب ... ومثل هذا يحدث عند القبج les cailles ، كما يلاحظ هذا أحيانا عند الديكة . وفي المعابد التي تربي فيها الديكة بدون إنائها ، تتتابع جميعا على رسم القادم الجديد^(١) .

وبين النصين - كما نرى - تفاوت واضح ، وإن اتفقا في الجملة . فبينما نرى النص الجاحظي يتبسط أحيانا بالشرح والتنظير نراه يتجاوز عن بعض التفاصيل التي وردت في النص الآخر ولا يعيننا الآن التماس مرجع^١ هذا التجاوز . أما البسطة في النص الجاحظي فربما كانت ترجع - فيما يخيل إلينا - إلى أنه قد داخل كلام أرسطو بعض التعليقات التي أقحمها الجاحظ عليه ، وفصل بها بين أجزائه ، كقوله ، في سياق ذلك النص ، فيما نحسب : « والفراخ ليس معها من الهداية مامع أمها ... » إلى قوله : « وهذا إنما اعتراها لقراءة ما بينهما وبين الديك .

كما نحسب أن شيئاً من هذا التفاوت يرجع إلى غموض النص اليوناني في بعض مواضعه . فوسم الذكر الغالب للذكر المغلوب أو حزه شئ يعترف سانتيلير بأنه غير مفهوم . ولكنه يقول أن النص لا يعطى غير هذا المعنى ، والمخطوطات لاتقدم أى قراءة أخرى . أما المترجم العربى فقد فهمه على أن المراد به السفاد ، وجاء المعنى على هذا واضحا .

أما المعابد التى تربى فيها الديكة المقدسة ، فأكبر الظن أن المترجم العربى لم يكن ليستطيع إدراك المراد بها ، لذلك أغفل ذكرها ، وعبر عن المعنى بعبارة عامة .

٤٠- قال الجاحظ : « زعم صاحب المنطق أن البزاة عشرة أجناس ؛ فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائمة ، ومنها ما لا يضرب الحمام إلا وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طيرانه ، ولا فى حال جثومه ، ولا يعرض له إلا أن يجده فى بعض الأغصان ، أو على بعض الأنشاز والأشجار . فعدد أجناس صيدها . ثم ذكر أن الحمام لا يخفى عليه فى أول ما يرى البازى فى الهواء :

أى البزاة هو . وأى نوع صيده ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمام بذلك من البازى أشكال : أول ذلك أن الحمام فى أول نهوضه يفصل بين النسر والعقاب ، وبين الرخمة والبازى ، وبين الغراب والصقر ، فهو يرى الكركى والطيرزين ولا يستوحش منهما ، ويرى الزرق فهتضاعل ، فان رأى الشاهين فقد رأى السم الذعاف الناقع »^(١)

وهذا النص الذى يبدو أن الجاحظ أورد فيه كلام أرسطو بمعناه ، وعبر عنه بعبارته هو ، يقع فى الفصل الرابع والعشرين من الكتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان حيث يقول :

« يقال أنه يوجد عشرة أجناس من البزاة على الأقل ، تمثل الفروق الكبرى بينها ، فبعضها ينقض على الحمام وهو على الأرض ، ويحتمله ، ولا يمسسه وهو يطير ؛ وبعضها يطارد الحمام وهو متشبث بشجرة أو أى شئ آخر ، ولكنه لا يمسكه وهو على الأرض ، ولا حين يكون متشبثا ؛ وبعضها لا يهاجمه وهو على الأرض ولا حين يكون متشبثا ، بل لا يحاول

إمساكه إلا وهو يطير . ويؤكدون أن الحمام تستطيع معرفة هذه الأنواع المختلفة من البزاة ، حين يطير البازي نحوها ، فإذا كان من البزاة التي لاتصطاد إلا في الهواء ، فإنها لا تترك مكانها الذي هي فيه ، ولكن إذا كان البازي الذي ينقض فوقها من البزاة التي تضرب على الأرض ، فإنها لاتنتظره ، بل تسارع بالطيران^(١) .

وظاهر أن الجاحظ لخص في هذا النص شيئا وأشار إلى شيء . ولكن فيه زيادة لانجدها في النص الآخر ، وذلك قوله : « ولمعرفة الحمام بذلك من البازي أشكال » إلى آخر النص ، فهل هي زيادة سقطت من النص الآخر ، إذ لم توجد في المخطوطات التي ترجم عنها في أوربا ؟ أم هي زيادة غير أرسطالية ، وقد أوردتها الجاحظ عن مصدر آخر من مصادره الكثيرة لكتاب الحيوان ؟ ذلك ما لا يمكن القطع به الآن فيما يبدو .

٤١ - قال الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع

الحيوان من دم ، أو من شيء يشاكل الدم^(٢) .

وقد كرر الجاحظ هذا النقل في موضع آخر ، فقال : « وأما صاحب المنطق فإنه قال باضطرار أنه لا يعيش حيوان إلا وفيه دم أو شيء يشاكل الدم^(٣) »

وقد جاء هذا القول في الفصل الثاني من الكتاب الثاني ، من أعضاء الحيوان إذ يقول :

« دعامة الحيوان منه ماله دم ، ومنه سائل يشبه الدم ، يحل محله »^(٤) .

٤٢ - قال الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق وزعم في كتاب الحيوان أن لكل طائر يعيش شكلا يتخذ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر اختلاف المواضع ، وعلى قدر اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن الهدهد من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نقل منه ، كما تنقل الأرضة من التراب ، ويبني منه بيتا كما تبني الأرضة ، ويضع جزءا على جزء ، فإذا طال مكثه في ذلك البيت ،

(٢) ١٢٩ : ٦

(٣) ٣٦٩ : ٣

(١) V.III, p. 212-213

(٤) Traité des parties des animaux . . . V. I, p 83

وفيه أيضا ولد ، أو في مثله ، وترى ريشه وبدنه بتلك الرائحة ، فأخلق به أيضا أن يورث ابنه النتن الذي علقه ، كما أورث جده أباه ، و كما أورثه أبوه . قال : ولذلك يكون منتنا^(١) »

ولم نجد نظير هذا النص ، بهذه الصورة فيما بين يدينا من حيوان أرسطو ، ولم نجد هذه المعاني ، بهذا الوضع ، لديه . وإن يكن أرسطو تكلم عن الأعشاش في غير موضع ، وعن اختلافها باختلاف أصحابها ، كما تكلم عن الهدهد وعشه خاصة ، وذكر أصل القول هنا فيه ، أما ماعدا ذلك من تفصيلات وصور فلم يقع لنا منها شيء فيما أتىح لنا ، فإما أن يكون ذلك قد كان في حيوان أرسطو الذي نقلت نسخته إلى العربية ، ثم سقط وضاع ، وإما أن يكون شيئا أقحم عليه ، أقحمه المترجم ، أو أقحمه الجاحظ نفسه . وكل ذلك جائز محتمل فيما نحن فيه .

وهذا هو نص كلام أرسطو عن عش الهدهد ، كما جاء في الفصل السادس

عشر من الكتاب التاسع من تاريخ الحيوان :

«والهدهد يصنع عشه كله تقريبا من زبل الإنسان^(٢) ،

٤٣- قال الجاحظ : «وذكر صاحب المنطق أن الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية : أغتيولس ، يحكم عشه ويتقنه ويجعله مستديرا مداخله كأنه كرة معمولة . وروى أنهم يزعمون أن هذا الطائر يجلب الدار صيني من موضعه ، فيفرش به عشه ، ولا يعيش إلا في أعالي الشجر المرتفعة المواضع . قال : وربما عمد الناس إلى سهام يشدون عليها رصاصا ، ثم يرمون بها أعششها ، فيسقط عليهم الدار صيني ، فيلتقطونه ويأخذونه^(٣) »

ويقع نظير هذا النص في آخر الفصل الرابع عشر من كتاب التاسع ، من تاريخ الحيوان ، إذ يقول أرسطو :

«ويؤكد أهل البلاد أن الطائر المسمى سيناموم le cinnamome يجلب أيضا من حيث لا يعرف أحد المادة المسماة

(٢) V. III, p. 185

(١) ٥١٣ : ٣ - ٥١٤

(٣) ٥١٥ : ٣

بهذا الاسم ، ويصنع منها عشه ، وهو يجعله فوق الأشجار وفي أعلا الأغصان . والأهالي يسقطون هذا العش بضربه بالسهم المشدود إليها الرصاص ، فيجمعون ما جلبه هذا الطائر من الدار صيني^{١١} .

وبين النصين - كما نرى - بعض الفروق ، وإن كان أصل المعنى واحدا ، وجملة الصورة متفقة فيهما .

ولعل أول ما يلفت النظر ويشير التساؤل من وجوه الخلاف هو الخلاف في اسم ذلك الطائر ، إذ يجعله النص الجاحظي «أغتيولس» ، ويجعله النص الآخر «سيناموم» . فهل يرجع هذا الخلاف إلى أن الاسم ، كما جاء في النص الأول ، تعرض للتحريف الذي حوله من «سيناموم» إلى «أغتيولس» ؟ ذلك فرض بعيد ، إذ لا تكاد الكلمتان تلتقيان بوجه من الوجوه في الصورة الخطية ، إلا أن تكون الكلمة الأولى قد مرت في مراحل مختلفة من التحريفات والتصحيفات انتهت بها إلى أن فقدت كل صلة بصورتها الأولى .

أم أن الاسم الذي جاء به النص الجاحظي أو ما يشبهه ضاع أو انبهم في الأصول اليونانية المخطوطة التي كانت مادة الترجمة الأوربية ، وبذلك أطلق على الطائر اسم النبات الذي يصنع منه عشه ؟

أم أنه - قبل الاسترسال في الفروض - لابد من الرجوع إلى الأصول اليونانية ، فلعلها تحتفظ بهذا الاسم أو ما يشبهه ؟

ولعل من تمام القول في هذا النص أن نذكر ما علق به الجاحظ عليه ، وذلك إذ يقول :

«ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن صاحب الدار صيني ، وإن كنت لأعرف الوجه في أن طائرا ينهض من وكره في الجبال ، أو بفارس ، أو باليمن ، فيؤم ويعمد نحو بلاد الدار صيني ، وهو لم يجاور موضعه ولا قرب منه . وليس يخلو هذا الطائر من أن يكون من الأوابد أو من القواطع ، وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصحصححان الأملس ، وبطون الأودية ، وأهضام الجبال ،

بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السميت ،
لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه .
وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه
ما يصير فراشا له ومهادا ، إلا بالاختلاف
الطويل . وبعد فإنه ليس بالوطىء الوثير ،
ولا هو له بطعام . فأنا وإن كنت لأعرف
العلة بعينها ، فلست أنكر الأمور من هذه
الجهة ، فأذكر هذا ^(١) .

وقبل أن ندع هذا النص نقول إن
الترجمة العربية التي وضعت كلمة
« الدار صيني » بإزاء كلمة « cinnamome »
قد فصلت في حيرة سانتيلير حين قال
في تعليقه على هذه الكلمة : إنه لا يدرى ،
على وجه الدقة ، ماذا كان القدماء يعنون
بها : أهو الم (myrhe) أم
هي القرفة (Cannelle)

٤٤ - قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب
المنطق أن ذوات الأربع كلها تحيض ،
على اختلاف في القلة والكثرة ، والزمان ،
والحمرة والصفرة ، والرقة والغلظ » ^(٢) .

٤٥ - قال الجاحظ : « وقد زعم صاحب
المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت
في السن كان أقوى لها على المعاظلة » ^(٣) .
وقد سبق للجاحظ أن ذكر هذا المعنى ،
حاكيا له عن أرسطو ، في سياق فصل
طويل خاص بالكلاب ، نقله عنه ،
ونص عبارته هناك :

« ويعرض للكلاب السلوقية عرض
خاص ، وهي أنها كلما بقيت كانت
أقوى على السفاد » ^(٤) .

ونظيرها في كلام أرسطو قوله :
« وللكلاب اللقونية خاصية تمتاز بها ،
وهي أنها كلما تعبت كانت أقوى على
السفاد من التي لم تتعب » .

وقد لاحظنا أن في عبارة أرسطو -
كما أوردتها الجاحظ - تحريفين :
أولهما في كلمة « السلوقية » ، فينبغي
أن تكون محرفة عن « اللقونية » ،
والآخر في كلمة « بقيت » ، فينبغي
أن تكون محرفة عن « تعبت » ^(٥) .

(١) ٣ : ٥١٧ - ٥١٨

(٢) ٣ : ٥٢٩ - ٥٣٠

(٣) ٣ : ٥٣٣

(٤) ٢ : ٢٢٢

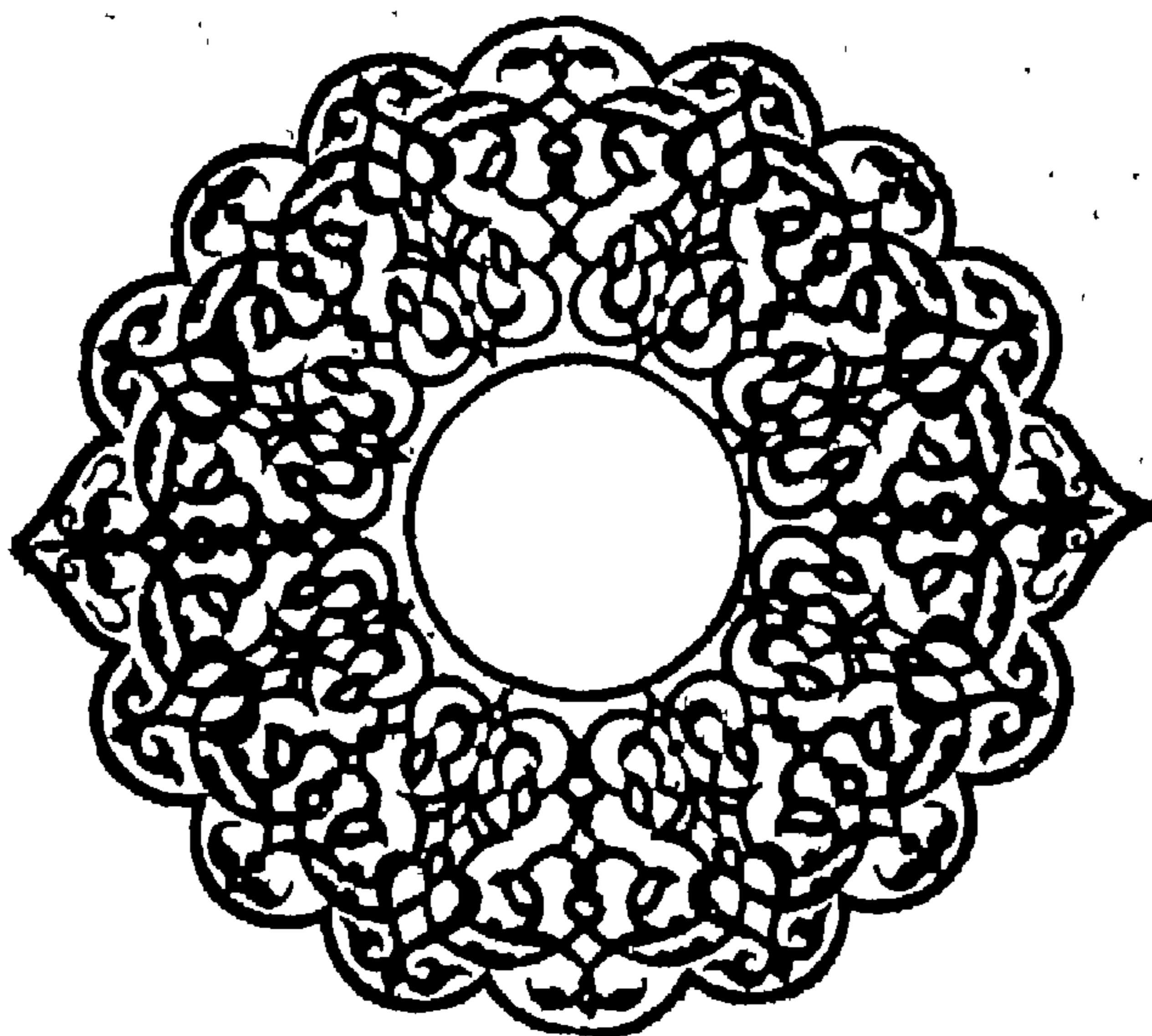
(٥) مجلة كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، المجلد الثامن ، ص ٧٧

بقيت « ومن ذلك كان تعليقه على كلام
أرسطو بقوله :

« وهذا غريب جدا . وقد علمنا أن
الغلام أحد ما يكون وأشيق وأنكح وأحرص
عند أول بلوغه ، ثم لا يزال كذلك حتى
يقطعه الكبير ، أو إصفاد ، أو تعرض له
آفة . »

محمد طه الحاجري

وهنا نستطيع أن نقول إن هذا
التحريف الأخير ليس تحريفا في نسخ
حيوان الجاحظ التي بلغتنا ، وإنما كان
تحريفا في نسخة حيوان أرسطو التي
كانت بين يدي الجاحظ ينقل عنها ،
بدليل أنه ، حين روى هنا بالمعنى
ما كان أورده قبل نصا ، قال : « كلما
دخلت في السن » بدلا من قوله : « كلما



سَجْعُ الْقُرْآنِ فَرِيدٌ

للدكتور أحمد الحوفي

أهلكنا من القرون من بعد نوح ، وكفى
بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا ^(٢) .
وهنا سجع داخلي بين مترفيها وفيها .
ومثل قوله تعالى : « وما تفرقوا إلا من
من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، ولولا
كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى
لقضى بينهم ، وإن الدين أورشوا الكتاب
من بعدهم لفي شك منه مريب . فلذلك
فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع
أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ،
وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا ، وربكم ،
لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا حجة بيننا
وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير ^(٣) »

فالسجع الداخلي واضح في الآيتين .

٥- ولقد ترد الفاصلة مسبوقة بلفظ
يمهد لها ويكاد يعينها ، سواء أكان هذا
اللفظ المهد في أول الآية مثل قوله تعالى :

في البحث السابق ^(*) بعض
خصائص السجع القرآني ،
وهذا طرف آخر من تلك الخصائص .

٤- قد يتداخل في القرينتين سجع
آخر غير سجهما ، فيتضاعف نغم
التعبير ، وتعلو موسيقاه ، ويعظم في
السمع وقعة ، ويعمق في النفس أثره ،
كقوله سبحانه وتعالى : « ربنا اطمس
على أموالهم ، واشدد على قلوبهم ، فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم . قال قد
أجيببت دعوتكما ، فاستقيا ، ولا تتبعان
سبيل الدين لا يعلمون ^(١) » .

فها هنا سجع داخلي بين أموالهم وقلوبهم .
ومثل قوله سبحانه : « وإذا أردنا
أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها ،
فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم

(*) نشر بالجزء السابق من المجلة (٢٨) .

(١) سورة يونس ٨٨ - ٨٩

(٣) سورة الشورى ١٤ - ١٥

(٢) سورة الإسراء ١٦ - ١٧

« ولقد فتنّا سليمان ، وألقينا على كرسيه جسداً ، ثم أناب . قال رب اغفر لي ،^(١) وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب »^(٢) ، أم كان في صدر الآية نحو قوله سبحانه : « قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ، فيُشحتكم بعذاب ، وقد خاب من افتري ، فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرّوا النجوى »^(٣) ، ونحو قوله سبحانه : « وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ، ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »^(٤) .

آ فإن كلمتي الوهاب وهب ، وكلمتي لا تفتروا وافتري ، وكلمتي اختلفوا ويختلفون ، ثلاث كل منهما الأخرى .

٦- وأحيانا تأتي الفاصلة موافقة لمعنى ما قبلها وإن لم تتفق معه في لفظه ، مثل قوله تعالى : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون »^(٥) ، لأن الفواصل السابقة للآية نون ، وانسلاخ النهار من الليل ومجيئه بعده يرشح أن

تكون الفاصلة كلمة (مظلمون) . وكذلك قوله سبحانه : « لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير »^(٦) ، لأن كلمة اللطيف هي التي تناسب الذات العلية التي لا يدركها بصر ، وكلمة الخبير هي التي تلائم الخالق القدير الذي يدرك أبصار الخلق وأحوالهم جميعها .

وقوله تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ، فيضاعفه له وله أجر كريم . يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم »^(٧)

لأن الأجر الكريم هو الذي يناسب مضاعفة الأجر ، والفوز العظيم هو الذي يناسب النور الهادي والنعيم في الجنات .

٧- وكثيرا ما ترافق الفواصل أغراض بلاغية أصيلة تتجلى من نسق الآية أو من إيثار لفظ على لفظ ، وهذا مجال رحب لدراسة متأنية مفصلة .

(١) سورة ص ٣٤ - ٣٥

(٢) سورة يونس ١٩

(٣) سورة الأنعام ١٠٣

(٤) سورة طه ٦١ - ٦٢

(٥) سورة يس ٣٧

(٦) سورة الحديد ١١ - ١٢

ففي قوله تعالى : « يا أيها المدثر قم
فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر .
والرجز فاهجر . ولا تمشن تستكثر . ولربك
فاصبر »^(١) قدمت المفعولات (ربك
وثيابك والرجز) على الأفعال (كبر
وطهر واهجر) للقصر البلاغي من ناحية ،
ولتحقيق موسيقى الفواصل من ناحية ،
وقدم الجار والمجرور (ولربك) على
الفعل (اصبر) للغرض نفسه .

وفي قوله سبحانه وتعالى : « قالوا
يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول
من ألقى . قال : بل ألقوا ، فإذا حبالهم
وعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ إليه من سحرهم أنها
تَسْعَى . فأوجس في نفسه خيفة موسى ،
قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى . وألق
ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا
كيدٌ ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث
أتى »^(٢) .

قدم الضمير وهو الهاء في كلمة (نفسه)
على (موسى) لسبب معنوي هو الدلالة
على أن خوف موسى كان يجيش في نفسه
ولكنه خفي على السحرة ، مستور عنهم وهذا

التقديم أدق من التأخير ، ولسبب لفظي
هو أن الفاصلة ألف مقصورة ساسبها
أن تجي » كلمة موسى في آخر الآية .
وفي قوله تعالى : « مَأْصِلِيهِ مَقَر .
وما أدراك ما مَقَر ؟ لا تُبْقِي ولا تَذَر .
لَوَاحَةٌ للبشر . عليها تسعة عشر »

حذف المفعول بعد الفعل (تذر)
للدلالة على التعميم وأن سقر لا تبقى شيئاً ،
ولتحقيق الفاصلة وهي الراء .

كذلك حذف المفعول في قوله تعالى :
« والضحى والليل إذا سجى ، ما ودَّعك
ربك وما قلَى »^(٤) لإيناس رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنبي هجر الله تعالى
له نفياً قاطعاً يتضمن الرفق والرحمة
والمحبة ، ولهذا لم يذكر الضمير وهو
الكاف حتى لا يتصل بالهجر وإن كان
منفياً ، ومع هذا حقق حذف الضمير
موسيقى السجع .

أما الذين ذهبوا إلى أن حذف الضمير
في الآية رعاية للفاصلة كالحموى وغيره^(٥)
فإن نظرهم محتاجة إلى تصويب ، لأن

(٢) سورة طه ٦٥ - ٦٩

(٤) سورة الضحى ١ - ٣

(١) سورة المدثر ١ - ٧

(٣) سورة المدثر ٢٦ - ٣٠

(٥) خزائن الأدب للحموى ٥١٧

الحذف لرعاية الفاصلة وحدها يودى إلى إظهار اللفظ على المعنى ، وإلى التكلف في التعبير ، وإلى الغفلة عما تقتضيه بلاغة البشر ، فما بالناس بالقرآن الكريم؟ وأما قوله تعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى . فقلنا : يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك ، أفلا يخرجكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظمأ فيها ولا تضحى^(١) » .

فقد جاء الفعل (تشقى) بدلا من تشقيان ، للدلالة على أن في شقاء آدم شقاء لحواء ، لأن الحياة الزوجية شركة بين الزوج والزوجة ، تسعد فيها الزوجة أو تشقى بسعادة زوجها وشقاؤه ، ولأن الرجل هو القوام على المرأة ، وفي هذا رعاية للفاصلة أيضا .

٨- على أن الفاصلة قد تجيء وليس لها رجحان في المعنى ولا طغيان عليه ، مثل : « فإياكم المتكلم في قوله تعالى : « كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر^(٢) » .

فإن الياء حذفت من (نذرى) ولا أثر لهذا في المعنى .

ومثل حذف الياء من الاسم المنقوص المعرف في قوله سبحانه : « ويقول الذين كفروا : لولا أنزل عليه آية من ربه ، إنما أنت منذر ، ولكل قوم هاد . الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام وما تزداد . وكل شيء عنده بمقدار . عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال^(٣) » .

فقد حذفت الياء من (المتعال) وليس لحذفها أى أثر في المعنى .

وشبيه هذا الحذف إثبات هاء السكت في قوله تعالى : « يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية . فإما من أوتى كتابه بيمينه فيقول : هاؤم اقرأوا كتابه . إني ظننت أنى ملاق حسابه . فهو في عيشة راضية . في جنة عالية . قطوفها دانية^(٤) » . إذ جاءت كلمة (كتابه) بدلا من كتابي ، وكلمة (حسابه) بدلا من حسابي ، وليس في هذا جور على المعنى .

(٢) سورة القمر ١٨ - ١٩

(٤) سورة الحاقة ١٨ - ٢٣

(١) سورة طه ١١٦ - ١١٩

(٣) سورة الرعد ٧ - ٩

على أن في القرآن الكريم كثيرا من الأساليب المرسلة ، فلماذا لم ينزل مسجوعا كله ؟

أجاب ابن الأثير على هذا بقوله : « وما منع أن يأتى القرآن كله مسجوعا إلا أنه سلك مسلك الإيجاز والاختصار ، والسجع لا يأتى فى كل موضع من الكلام على حد الإيجاز والاختصار ، فترك استعماله فى جميع القرآن لهذا السبب »

وهذا تعليل متهافت ، لأنه إن صدق على الأديب غير المتمكن لا يصدق على الأديب اللبق المجيد ، وإذا جاز على البشر فليس بجائز على رب البشر . وكأنما أحس ابن الأثير بضعف تعليله ، فعقب عليه بقوله : « وما هنا وجه آخر هو أقوى من الأول ، ولذلك ثبت أن المسجوع من الكلام أفضل من غير المسجوع ، وإنما تضمن القرآن غير المسجوع ، لأن ورود غير المسجوع معجزاً أبلغ فى باب الإعجاز من ورود المسجوع ، ومن أجل ذلك

(١) المثل السائر ١ - ٢٧٧

(٢) سورة الإنسان ٢٨ - ٣٠

على أننى أزيد على هذا أن الكتاب الكريم نزل هادياً ، ومشرعاً ، ومبطلا لعقائد ، ومؤسسا لعقائد ، يجادل ، ويقص ، ويعد ، وينذر ، ويبشر ، ويرغب ، ويستميل ، فلا بد أن يراوح فى عباداته بين مجمل ومفصل ، وبين مسجوع ومرسل ، مراعاة للموضوع وللمقام .

لهذا نزل منشورا ، وتصريف أسلوبه تصرفا بديعا ، فهو آنا مرسل ، وحينما مسجوع ، وطورا مزدوج أو متوازن لا تتحد فواصله ، بل تجيء من أحرف متقاربة المخارج كقوله تعالى : « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون .. إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر ، قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين »^(٢)

وقوله سبحانه : « إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا . وما تشاءون إلا أن يشاء الله ، إن الله كان عليما حكما . يدخل من يشاء فى رحمته ، والظالمين أعد لهم عذابا أليما »^(٣)

(٢) سورة الحاقة ٣٨ - ٤٣

(٣) سورة الأعراف ١٧٧ - ١٨٢

وقوله تعالى : « كلا ، بل لا تكرمون
اليتيم . ولا تحاضون على طعام المسكين »^(١)
على أن المزدوج قد يرد من أحرف متباعدة
المخارج ، ولكن وحدة الوزن كقبلة
بالتنظيم والتنغيم ، مثل قوله تعالى :
« والسماء والطارق . وما أدراك ما الطارق ؟
النجم الثاقب . إن كل نفس لما عليها
حافظ . فلينظر الإنسان مم خلق ؟ خلق
من ماء دافق . يخرج من بين الصلب
والترائب . إنه على رجعه لقادر يوم
تُبلى السرائر . فما له من قوة ولا ناصر »^(٢)
وقوله سبحانه : « قل أوحى إلى أنه
استمع نقر من الجن قالوا إنا سمعنا
فرآنا عجبا . يهذى إلى الرشد فآمنا به
ولن نشرك بربنا أحدا . وأنه تعالى جَدُّ
ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا ، وأنه كان
بقول سفيهننا على الله شططا . وأنا ظننا

أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا ،
وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن فزادوهم رهقا »^(٣)

(٤)

وبعد ، فقد كان للعرب نشر مرسل ،
وكان لهم نشر مسجوع ، وكان لهم نشر
مزدوج ، وكانوا في فنون مقالهم نشرا
وشعرا أصحاب براعة وافتنان ، فلما
نزل القرآن الكريم مرسلا ومسجوعا
ومزدوجا تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله
فعجزوا ، ودانوا ببلاغته التي لا تلحق ،
وتظامنوا لروعته التي لا تعجد ، فصدقوا
قول الله تعالى : « قل لئن اجتمعت
الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم
لبعض ظهيراً »^(٤) .

أحمد الحوفي

(٢) سورة الطارق ١ - ١٠

(٤) سورة الإسراء ٨٨

(١) سورة الفجر ١٧ - ١٨

(٣) سورة الجن ١ - ٦

دراسة تفصيلية

في كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية بحروف عربية

للدكتور محمد محمود السلاّموني

من نطقها في اللغتين اليونانية واللاتينية وتوَّج هذه المحاولة مجمع اللغة العربية في مصر، فأصدر قرارات تضمنت القواعد التي تساعد على تحقيق هذا الغرض^(١).

ولما كانت اللجنة الموقرة التي ألفها المجمع لدراسة هذا الموضوع قد ذكرت في تصديرها للقواعد التي وضعتها «أنها لاتقيد^(٢) باحثاً مختصاً بالآداب اليونانية

كتابة الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك الأعلام الأجنبية التي وردت في أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف عربية موضوع جدير بالناية، ولهذا حاول بعض الأعلام للمحدثين وضع قواعد تيسر على المعربين نقل أسماء الأعلام بما يقرب جرسها في اللغة العربية

(١) لقد تناول هذا الموضوع الأستاذ الجليل الفريق أمين المعلوف في مقتطف يونيو ويوليو سنة ١٩١١ (وقد أعاد نشر هذا البحث في مقتطف فبراير سنة ١٩٣٣) وكذلك الأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى في كتاب التهذيب في أصول التعريف، القاهرة ١٩٢٣.

وأما مجمع اللغة العربية بمصر (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) فقد عني بهذا الموضوع كذلك، فأصدر قرارات في «كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية» (انظر الدورة الرابعة، الجلستين الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين، ص ٤٠٤ - ٤٢٦، ١٩٢٧) وقد نشرت هذه القرارات في مجلة مجمع اللغة العربية (مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية)، الجزء الرابع، ص ٣١ - ٣٨، ١٩٣٩، خلوا من الأمثلة ثم ذكرت الأمثلة في مكان آخر من المجلة في ص ١٢٤ - ١٤٠. ونشرت هذه القرارات مرة ثالثة في مجموعة القرارات العلمية - ٣ - بعنوان «مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً، ١٩٣٢ - ١٩٦٢» خلوا من الأمثلة، ص ١٠١ - ١١١، القاهرة، ١٩٦٣.

وأضيف إلى هذا كتاب الأستاذ الجليل الأمير مصطفى الشهابي «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث»، باب كتابة الحروف اليونانية واللاتينية بحروف عربية - ص ١٠٦ - ١١٣ - حيث نقل قرارات المجمع الموقر ثم أضاف إليها بعض ملاحظات قيمة جديرة بالنظر، ص ١١٣ - ١١٤، القاهرة، ١٩٥٥.

ولما كانت اللجنة الموقرة المؤلفة لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية قد استعانت ببعض الأستاذ الفريق أمين المعلوف والأستاذ الجليل الدكتور أحمد عيسى واستمدت من هذين الباحثين قواعد كثيرة (انظر د. ٤ - ص ٣٣ - ٤٠٦)، فقد رأيت أن أقصر ملاحظاتي على ما ورد في قرارات المجمع في ص ٤٠٤ - ٤٢٦ من الدورة الرابعة (٣٣ - ٣٤)، فهي المصدر الرئيسي لهذه القرارات.

[واللاتينية ولا تمنعه من أن يتبع قواعد
] أخرى إن أراد التقصى في ضبط هذه الأعلام
ضبطاً أدق^(٢) فقد تركت بهذا ، مشكورة
الباب مفتوحاً للمختص ليدلى بدلوه في هذا
الموضوع ، ولكنى أختلف معها في فصل أعلام
الآداب اليونانية واللاتينية عن أعلام العلوم
المختلفة الذين ورد ذكرهم في الترجمات
العربية القديمة ، ذلك أن القواعد التي
تنقل على أساسها أسماء هؤلاء الأعلام
ينبغي أن تكون موحدة ، وهذا ما سأحاول
القيام به في هذه الدراسة المتواضعة حيث
استأنس فيها بما ورد في قرارات المجمع
الموقر وأناقش بعض مضامينها كلما دعت
الحاجة إلى ذلك ، وأرجو أن يتفضل
المجمع الموقر ، ممثلاً في أعضائه المختصين
بالصوتيات ، بمناقشتي فيما أثرته من
آراء تخالف ماورد في بعض قراراته ،
حتى إذا وافق هؤلاء الأعضاء الأجلاء على

رأى من آرائى أو صححوا رأياً واتفقت
آخر الأمر وجهات النظر ، صدر ملحق
للقرارات السابقة ، وذلك بغية توحيد
طريقة النقل ليسترشدها السادة العربون ،
ومن أولى بالمجمع الموقر في مواصلة تبنيه
لهذا الموضوع وأجدر منه في إصدار مرشد
يتوخى فيه النقل الدقيق لأصوات الحروف
في هاتين اللغتين ، اليونانية واللاتينية ،
بقدر الإمكان . فالحاجة ملحة إلى هذا
المرشد ، فإن غالبية العربيين المحدثين
لا يتبعون قاعدة ثابتة فيما ينقلون من أسماء
الأعلام الإغريق والرومان إلى العربية ، بل
إن بعضهم ينقل أسماء هؤلاء الأعلام عن
طريق اللغة الفرنسية مع اختلاف أصوات
الحروف الجامة^(٣) في هذه اللغة عن
نظائرها في اللغتين اليونانية واللاتينية ،
والأمثلة على ذلك ليست بالقليلة .

منهج البحث

إلى العربية ، أرى من الضروري أن
ألقى نظرة سريعة على أسلوب القدامى

لما كان هدف الإسهام في وضع قواعد
تيسر نقل الأعلام الإغريقية والرومانية

(٢) د ٤٠ ، ٣٣ ، ص ٤٠٥

(٣) أطلق على الحروف اليونانية واللاتينية المقابلة للحروف العربية (الباء والطاء والذال والجيم إلى آخره) اسم الحروف الجامة كما أطلق على الحروف المقابلة للحروف الممتلئة في العربية اسم اللينة ، وذلك بناء على توسيع السيد الأستاذ الدكتور طه حسين الذى كان قد تفضل بمراجعة كتاب « اللغة اللاتينية » وهو من تاليف وتأليف زميلين كريمين آخرين ، القاهرة ، ١٩٤٨

في نقل الحروف اليونانية واللاتينية إلى العربية لتكون تمهيداً للطريقة التي سأتبعها في نقل هذه الحروف أو بعضها إلى العربية ، وهذه الطريقة تعتمد أساساً على أصوات الحروف في اللغتين المذكورتين . ولهذا ينبغي على أن أعرف أولاً بحروف الأبجدية اليونانية ، جامدها وليتها وبأصواتها الأصلية وأعطى ما يقابلها من أصوات حروف الأبجدية العربية أو ما يكون أشد قرباً من جرسها ، إذا لم يكن في العربية أصوات مشابهة تماماً ، وسأخصص لكل حرف تعليقاً مستقلاً أناقش فيه قاعدة المجمع الموقر المتصلة بالحرف الذي سأتناوله وسأشير إلى قاعدة المجمع بجانب كل تعليق . وستكون هذه التعليقات مرقمة ومسلسلة لسهولة الرجوع إليها . فإذا انتهيت من ذلك سقت أمثلة من أسماء الأعلام المختارة بغية التطبيق على ماتضمنته بعض التعليقات ، وحتى يكون التطبيق واضحاً سأشير أسفل الأعلام المختارة إلى التعليقات التي أرى تذكير القارئ الكريم بها . ثم أنتقل بعد ذلك إلى التعريف بحروف الأبجدية اللاتينية

وأنتهج معها نفس المنهج الذي اتبعته مع حروف الأبجدية اليونانية تماماً ثم أختتم دراستي بإبداء بعض ملاحظات عن طريقة الأقدمين في تعريف الأعلام عن طريق أمثلة أسوقها مما عرب قديماً منها

وأفصل هذا المنهج تحت رؤوس الموضوعات الآتية :

١- نظرة سريعة في أسلوب القدامى في النقل .

٢- الطريقة المقترحة لكتابة الأعلام بحروف عربية .

٣- كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية .

٤- كتابة الأعلام الرومانية بحروف عربية .

ملاحظة : إن ما دعاني إلى تناول الأعلام الإغريقية (٣) والرومانية (٤) كل على حدة ، هو اختلاف أصوات بعض الحروف اليونانية عنها في اللاتينية ولأسباب أخرى سأذكرها في مواضعها إن شاء الله .

٥- ملاحظات على طريقة القدامى في النقل .

١ - نظرة سريية في أسلوب القدامى في النقل

الذين لا ينكر فضلهم فيما أنجزوه من أعمال جديرة بالتقدير العظيم ، لم يلتزموا بالقواعد الصوتية للحروف الجامدة والليننة اليونانية واللاتينية - وحتى المتأخرة منها - في نقلهم الأعلام الإغريقية والرومانية ، ففيما يتعلق بأصوات الحروف الجامدة ، فخموا أصوات بعض الحروف ، فأحالوا ، على سبيل المثال ، صوت الحرف الذي يقابل حرف التاء في العربية طاء . أمّا ما يقابل صوت حرف الباء فقد جعلوه فاء على مقتضى قواعد النطق والخط السرياني ومن العجيب أن المترجمين غير السريان قد جروا على عرفهم (إلى غير ذلك مما سأناقشه في موضعه) ، كذلك لم يعن هؤلاء النقلة بأصوات الحروف اللينة فلم يميزوا بين أصوات حروف المدوالين ولم يتنبهوا إلى وظيفة الحركات فلم يضبطوا الأعلام عند نقلها . وهذه ظاهرة

عندما بزغ فجر العصر العباسي وأخذ خلفاؤه يشجعون حركة ترجمة العلوم من لغات الأمم القديمة ومنها علوم الإغريق بمخاصة ، قام المترجمون ابتداء من القرن الثامن الميلادي بترجمة هذه العلوم إلى السريانية أولاً ثم إلى العربية ثانياً ، كانت اللغتان ، اليونانية واللاتينية قد أصابهما الاضمحلال^(٤) ، أما أصوات بعض حروف هاتين اللغتين ، وهي ماتعنينا في هذه الدراسة ، فقد فقدت جرسها الأول الأصيل وأصبح لها أصوات جديدة بعيدة كل البعد عن أصواتها الأولى وكان من نتيجة ذلك أن الصورة الصوتية للأسماء الإغريقية والرومانية لم تعد نفس الصورة الأصلية التي نطق بها من قبل . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المترجمين القدامى

(٤) أعنى باللغة اليونانية لهجتها النموذجية ، وهي الأتيكية ، لهجة أثينا في عصر زعامتها الأدبية والعلمية ابتداء من القرن الخامس ق . م ، وهي ما كتبت بها أعمال الشعراء والكتاب المجيدين في أكثر من فن ؛ وكانت تعد في نفس الوقت أكثر اللهجات جمالا وأبدعها صقلا . أما قواعد اللغوية - وكذلك الصوتية إلى حد ما - فأتخذت أساساً في دراسة اللهجات الأخرى . ومثل هذا يقال عن اللغة اللاتينية في القرن الأول ق . م في عصرها الذهبي ، عصر الشعراء والكتاب الفحول . إلا أن هاتين اللغتين قد عانتا الكثير مع تعاقب الأجيال والقرون ، فأخذتا تفقدان مزاياهما اللغوية الأولى شيئاً فشيئاً حيث تحرر كتاب المصور المتعاقبة من قواعد اللغتين الأساسية فحرفوا بعضها وانصرفوا عن بعضها الآخر وذلك لانتشار هاتين اللغتين في بقاع بعيدة ولأسباب أخرى ، منها محاولة كتاب ليسوا لإغريق ولا رومان الكتابة باليونانية واللاتينية .

لايستطاع معها التعرف على الاسم في لغته الأصلية (إلى غير ذلك مما سأذكره في موضعه) ، وهم عندما فعلوا ذلك قد باعدوا بين صورة الاسم الإغريقية والروماني وصورته في العربية ، وما كان ينبغي لهم أن يتخطوا حدودهم فيطوعوا أصوات حروف لغة ليست بلغتهم ، ويفرضوا عليها أصواتا سريانية أو عربية لاتقابل أصوات الحروف التي ينقلونها إلى العربية . إن هذا الذي فعلوه غير مقبول علمياً طالما كان المقصود نقل الاسم إلى العربية وفق صورته الأصلية ولا يسعى الآن إلا أن أطالب بالحد من مبدأ «القديم على قدمه» فإن لهذا المبدأ نتائج خطيرة على مدى العصور خصوصاً وأن بعض الكتاب المحدثين المحاكين للقدامى قد بالغوا في محاكاتهم لهم وأساءوا إليهم ، ولأضرب مثلاً يقوم ذليلاً على ما أقول : لقد ورد في كتب العرب الأقدمين الاسم

«قليوبطرة» - وهو للملكة مصر البطلمية المعروفة - وبالرغم من أن أصوات حروف الاسم الجامدة العربية لاتقابل أصوات حروفه في اليونانية أو اللاتينية تماماً ، إلا أنه يعتبر أقرب ما يكون إلى صورته الأصلية إذا ما قورن بالصورة التي نقلها أحد الكتاب المحدثين لهذا الاسم ، فقد نقلها «قلاو فطرة»^(٥) ويبدو لي أن ما لم يكن هذا الكاتب قد أخذ بأسلوب القدامى بطريقة غير ذكية لما تجرأ على على هذا النقل المعيب .

ومجمل القول : إن قدامى النقلة : في رأي مجتهدون ، قاموا مشكورين بكل ما استطاعوا ولكن المجتهد قد يصيب وقد يخطئ ولن يقلل من شأنهم إعادة النظر في أسلوبهم في النقل والإبقاء على ما نراه صحيحاً والانصراف عما نراه لا يمثل أصوات الحروف في اللغتين المنقول عنهما ومحاولة التصحيح

(٥) انظر الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي ، نفس الكتاب ، ص ١١٥

الطريقة المقترحة لكتابة الاعلام بحروف عربية

الحروف الجامدة والليننة اليونانية واللاتينية وبين نظائرها في العربية ؛ أضف إلى هذا أن باليونانية واللاتينية ما يسمى بالحروف اللينة المزدوجة^(٦) ، وهى غير واضحة في العربية كما يجب بالرغم مما يقال من أن العرب تصوروا « المزدوج » الذى يوجد فى لسانهم والذى لم يسموه قط^(٧) ، فإن كل هذه الخلافات ستكون موضع مناقشة ، وقد أصل فى بعض الحالات إلى حل وسط ولكن ذلك لن يكون على حساب أصوات الحروف اليونانية واللاتينية لأن هذا يبعدنا كل البعد عن نطق الأسماء كما نطق بها أصحاب اللغتين .

أما الأصوات السريانية لبعض الحروف فسوف أتحدثها وكذلك سأصرف النظر عن تفخيم بعض الحروف الجامدة التى فخمها القدامى ون مبرر صوتى لا فى اليونانية ولا فى اللاتينية ولا فى العربية .

والآن فإن ما ذكرته فى هذه النظرة السريعة - وهو قل من كثر - فى أسلوب القدامى فى النقل جعلنى أحاول طريقة أخرى فى نقل الاعلام إلى العربية أكثر دقة ، لأنها تعتمد أساساً على أصوات الحروف الجامدة والليننة فى اللغتين اليونانية واللاتينية المنقول عنهما . وهذه الأصوات هى ما أقرأها معظم علماء فقه اللغة الذين قاموا بجهود جبارة فى الوصول إلى خصائص هذه الحروف وأصواتها . ولما كانت اللغتان اليونانية واللاتينية تنتميان إلى أسرة اللغات « الهندية - الأوروبية » ، أو « الآرية » وتنتمى العربية إلى السامية ، فلا ينتظر أن تكون طبيعة اللغتين اليونانية واللاتينية من ناحية ، وطبيعة اللغة العربية من ناحية أخرى ، واحدة أو متسقة ، بل إن من المحقق أن هناك خلافاً بين بعض أصوات

(٦) انظر - الحروف اللينة المزدوجة اليونانية وخصائصها ، ص ١١٣ - ١١٦ ، - الحروف اللينة المزدوجة اللاتينية وخصائصها ، ص ١٣٠ - ١٣٤ .

(٧) انظر « التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الأعراب لابن جنى » للدكتور الأب هنرى فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، مجلة اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٧٤ .

٣ - كتابة الأعلام الإغريقية بحروف عربية

١ - أصوات حروف الأبجدية اليونانية الحاملة :

تنبيه : للحرف الحامل اليوناني صوت واحد لا يتغير (فيما عدا حرف (جاما ، γ و Γ) انظر التعليق (٢) .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

الحروف اليونانية	أسماء الحروف باللاتينية	أسماء الحروف بالعربية	الحروف العربية المقابلة	التعليق
الكبيرة	الصغيرة			
Beta	B	بيتا	الباء	(١)
Gamma	Γ	جاما	الجميم	(٢)
Delta	Δ	ديلتا	الدال	(٣)
Zeta	Z	زيتا	الزاي	(٤)
Theta	Θ	ثيتا	الثاء	(٥)
Kappa	K	كابا	الكاف	(٦)
Lambda	Λ	لامبدا	اللام	(٧)
Mu	M	مو	الميم	(٨)
Nu	N	نو	النون	(٩)
Xi	Ξ	إكسي	ينطق كس بسكون الكاف	(١٠)
Pi	Π	بي	(الهاء)	(١١)
Rho	P	رو	الراء	(١٢)
Sigma	Σ	سيجما	السين	(١٣)
Tau	T	تاو	الثاء	(١٤)
Phi	Φ	في	الفاء	(١٥)
Chi	X	نحي	الخاء	(١٦)
Psi	Ψ	إبسي	ينطق بس بسكون (الهاء)	(١٧)

ملاحظة : ليس في اليونانية حرف جامد يقابل حرف الهاء في العربية ، ولكن هناك علامة تمثل صوت

هذا الحرف . انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦ - ١١٧

التعليقات

التعليق (١) :

«يرسم هذا الحرف جيما شديدة

(غير معطشة)»

ملاحظة : يلاحظ أن هذا الحرف يحل محل الحرف (نو ، ٧ ، N) ، أى ينطق نوناً في العربية قبل الحروف الآتية (جاماً ، ٧ . كايًا ، ٧ ، غي ، ٧ ، ٧ ، ٧) . وأقترح أن تكون هذه الملاحظة بديلاً للفقرة الثانية من القاعدة .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة ، في الحرف (ديلتا ، ٨ ، ٨ ، ٨) - د ٤ . ج ٣٤ ص ١٣٤ .

كان صوت هذا الحرف حتى القرن الرابع الميلادي يقابل في العربية صوت حرف الدال المهملة ثم أصبح صوته يقابل صوت حرف الدال الأعجمية كما ينطق الآن في اللغة الحديثة .

وأرى من الأفضل أن نبقى على صوته الأول في رسم دالاً مهملة .

التعليق (٤) :

قارن المجمع . القاعدة الثالثة والعشرون ، في الحرف (زيتا ، ٩ ، ٩ ، ٩) - د ٤ . ج ٣٤ ص ٢٦٤ .

في الحرف (بيتا ، ٦ ، ٦ ، ٦) ، لم يأت ذكره في قواعد المجمع .

بالرغم من أن صوت هذا الحرف صار في العصور المتأخرة مثل صوت الحرف (٧) في الإنجليزية ، إلا أن النقلة القدامى انصرفوا عن هذا الصوت لأنه غير موجود في الأبجدية العربية ، وعلى ذلك يرسم باء خفيفة في العربية .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ، في الحرف (جاماً ، ٧ ، ٧ ، ٧) - د ٤ . ج ٣٤ ص ١٦٤-١٧٤ .

لم أصل إلى أن الإغريق القدامى قد نطقوا هذا الحرف بما يشبه صوت حرف الغين في العربية كما ينطق الآن في اللغة الحديثة ، ولعله كان نطقاً دارجاً جرى على السنة العامة في عصور الترجمة أو أن المترجمين قد خلطوا بين أصوات الحروف في اللغات المختلفة التي كانوا يترجمونها . وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالآتي :

إن صوت هذا الحرف لا يقابل تماماً صوت حرف الزاى العربية ، فهو مركب من حرفي (الدلتا والسيجما ، $\sigma, s + \delta$) ، ومع ذلك فالزاى العربية قريبة الشبه به ، ولهذا أقر رأى المجمع ، في إثبات هذا الحرف زايا .

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة عشرة ، في الحرف (ثيتا ، θ ، Θ) - د ٤٤ - ص ٤٢٣ .

أقر رأى المجمع في نقل هذا الحرف إلى العربية ثاء .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، في الحرف (كابا ، κ ، K) - د ٤٤ - ص ٤١١ - ٤١٢ .

إن صوت هذا الحرف يقابل في العربية حرف الكاف تماماً ولذلك لا أرى رسمه قافاً ، فهذا لا يقابل صوت الحرف في لغته الأصلية ثم إنه لا يتفق مع قواعد الصوتيات العربية ، فابن جني^(٨) يقول

إن القاف أصل لا بدل ولا داعي لقلب الكاف قافاً . ويسرنى أن بعض أعضاء اللجنة بالمجمع قد قال بهذا ولكن لم يؤخذ برأيه . ومازلت أعتقد أن القرار في حاجة إلى مراجعة ، وأقترح على أية حال التعديل الآتي :

«يثبت هذا الحرف كافاً في العربية»

التعليق (٧) :

في الحرف (لامبدا ، λ ، Λ) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع

«يرسم هذا الحرف في العربية لاماً»

التعليق (٨) :

في الحرف (مو ، μ ، M) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع «يرسم هذا الحرف في العربية ميماً»

التعليق (٩) :

في الحرف (نو ، ν ، N) ، لم يأت ذكره في قرارات المجمع

«يرسم هذا الحرف في العربية نوناً»

(٨) انظر سر صناعة الإعراب لابن جني ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذة : مصطفى السقا وآخرين ، طبعة

التعليق (١٠) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ،
في الحرف (إكسى ، ع ، هـ) -
د ٤ . ح ٣٤ ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب
من حرفي (كا پا وسيمجما ، ka, s, σ) وأنفق
مع المجمع الموقر في أن يؤدي صوت هذا
الحرف في العربية كما ينطق . كافاً
ساكنة متبوعة بحرف السين . وأيسر
نقلها إلى العربية كالاتي :

١ - يرسم في أول الاسم (إكس)
طبقاً لقاعدة الابتداء بالساكّن (انظر
التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بالساكّن
ص ١١٧)

٢ - يرسم في وسط الاسم (كس)
بسكون الكاف ، (أما حرف السين فيحرك
وفقاً لحركة الحرف اللين التالي له) .

التعليق ١١ :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة عشرة ،
في الحرف (بي ، π ، Π) - د ٤ .
ح ٣٤ ص ٤٢٠ - ٤٢١ خلافاً لما ورد بهذه

القاعدة في الأرقام (١ - ٣) . فإن صوت
هذا الحرف في لغته الأصلية يقابل صوت
باء شديدة لا فاء (فالصوت الأخير
سرياني لا يوناني) وعلى ذلك أرى
الاحتفاظ بصوته اليوناني دون تحفظ .

وهنا يتعين إدخال صوت الحرف باء
الشديد في العربية أسوة بما قرره المجمع
الموقر بقبول صوت الحرف (V
الانجليزى) ونقله في العربية فاء بثلاث
نقط^(٩) ، فيكتب باء أسفلها ثلاث
نقط (پ) . إن الحاجة ماسة إلى هذا

الحرف لأنه سيرفع اللبس بين صوت
الحرفين الباء والفاء . وأسوق المثل التالي
الذى يقوم دليلاً على ضرورة التمييز
بين الباء والفاء : انظر إلى الاسمين
الآتين Πάρος - وبالحروف اللاتينية
Paros (، Paros) وبالحروف اللاتينية
Pharos (فأولهما يبدأ بالحرف (پي Π)
والثاني بالحرف (في φ)

وينطقان بطريقة السريان « فاروس »
مع أنهما علمين مختلفين تمام الاختلاف ،
فالاسم الأول علم على جزيرة في بحر
إيجة والثاني علم على جزيرة مصرية

(٩) انظر د ٤ . ح ٣٢ ، ص ٣٩٨

تجاه مدينة الإسكندرية القديمة ، وعلى
هذا أقترح تعديل القاعدة كالاتي :

« يرسم هذا الحرف باء شديدة (پ)

وذلك في جميع الأحوال »

التعليق (١٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة عشرة ،
[في الحرف (تاو ، τ ، T) - د ٤
ح ٣٤ ، ص ٤٢٣

أرى أن نقل هذا الحرف طاء في
العربية بسبب غلبة استعماله كذلك
عند العرب لاسئله لغوياً وصوتياً. أضف
إلى هذا أن أصحاب اللغة أنفسهم لم يعرفوا
هذا الصوت في جميع عصور اللغة ، ولهذا
يجب التخلي عن هذا الصوت وأقترح
تعديل القاعدة كالاتي :

« يرسم هذا الحرف في العربية تاء »

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، في
الحرف (في ، φ ، Φ) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤١٦

هذا الحرف منفّس في اليونانية ، أي
له جرس حرف (بي ، π) الهائي . وهو
في حقيقة الأمر لا يقابل صوت الحرف

التعليق (١٢) :

في الحرف (رو ، ρ ، P) ، لم
يأت ذكره في قرارات المجمع .

هذا الحرف منفّس في اليونانية ،
أي هائي الجرس ولكن نقله بصوته
اليوناني متعذر في العربية ، ولهذا يرسم
راء كما نصت قاعدة المجمع بذلك .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة
عشرة ، في الحرف (سيجما ، σ ، Σ)

- د ٤ ج ٣٤ ، ص ٤٢٢

ملاحظة : للحرف سيجما الصدير شكلان :
أولهما (σ) يكتب في أول الكلمة اليونانية وفي أي
موضع آخر منها إلا نهايتها . أما الثاني (ς) فيكتب
فقط في نهاية الكلمة ، مثال ذلك : σύνταξις .

أرى أن يكتب في برسم هذا الحرف
سينا وصرف النظر عن حرفي الصاد
والشين المعجمة ، لأن صوت الصاد
والشين لا تقابلان صوت الحرف

المركب (Ph) في اللغات الأوروبية ولا الفاء في العربية ، ولكن تيسيرا لنطقه اصطلح على أن يكون صوته مثل صوت (Ph) في اللغات الأوروبية ، ولهذا يرسم فاء في العربية .

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة ، في الحرف (خي ، % ، X) - د ، ء ، ح ٣٤ ، ص ٤١٢ .

أوافق على نقل هذا الحرف اليوناني خاء في العربية ، ولكن لما كانت القاعدة قد قرنته بالحرف اللاتيني المركب (kh ، ch) ، الذي لا يقابل صوته صوت الخاء في العربية لأن الأبجدية اللاتينية ليس بها مثل هذا الصوت (انظر - أ - أصوات الحروف الجامدة اللاتينية ، التعليق (٢٠) الخاص بالحرف المركب (Ch) ، فإني أقترح تعديل القاعدة كالآتي :

« يرسم هذا الحرف اليوناني خاء في »

التعريب :

القاعدة (١٧) :

في الحرف المركب (إيسى ، ψ ، Ψ) لم يأت ذكره في قرارات المجمع المقرر .

هذا حرف جامد مركب ، يتركب من (بي ، π ، σ ، σ) ، أى إيس بسكون الباء الشديدة ، وهو يرسم كالحرف المركب (إكسى ، ξ ، Ξ) أى كما ينطق ، باء ساكنة متبوعة بالحرف سين . وأيسر نقلها إلى العربية كالآتي :

١- يرسم في أول الاسم (إيس) طبقا لقاعدة الابتداء بالساكن (انظر التنبيه الخاص بالأعلام المبدوءة بحرف ساكن ، ص ١١٧ - ١١٨) .

٢- يرسم في وسط الاسم (يس) بسكون الباء (أما حرف السين فيحرك وفقا لحركة الحرف اللين التالى له) .

(ب) أصوات حروف الأبجدية اليونانية اللينة :

ملاحظة : للحرف اللين اليوناني صوت واحد لا يتغير وإن كان يكون ممدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف السبعة هي :

(ألفا ، α ، A) ، (إيسيلون ، ε ، E) ، (إيتا ، η ، H) ، (إيوتا ، ι ، I) ، (وأميكرون ، ο ، O) ، (أوبسيلون ، υ ، Y) ، (أوميغا ، ω ، Ω) ، وهي إما ممدودة أو مخففة على النحو الآتي :

١- (H ، η) ، (Ω ، ω) حرفا مد بطبيعتهما .

٢ - (E, ε) ، (O, o) حرفان مخففان (قد يكونان ممدودين في بعض المواضع) .
 ٣ - (A, α) ، (I, ι) ، (Y, υ) إما ممدودة أو مخففة .
 وفيما يلي بيان بهذه الحروف وأصواتها

التعليق	أصوات الحروف مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية	أسماء الحروف بالعربية	أسماء الحروف باللاتينية	الحروف اليونانية	
				الكبيرة	الصغيرة
(١)	الحرف الممدود : مثل صوت (a) في كلمة (father) الإنجليزية .	ألفا	Alpha	A	α
(٢)	الحرف المخفف : مثل صوت (e) في كلمة (met) الإنجليزية .	إي-يولون	Epsilon	E	ε
(٣)	الحرف الممدود : مثل صوت الحرف (a) في كلمة (mate) الإنجليزية .	إيتا	Eta	H	η
(٤)	الحرف الممدود : مثل صوت الحرفين (ee) في كلمة (feed) الإنجليزية . الحرف المخفف مثل صوف (i) في كلمة (fit) الإنجليزية .	إيوتا	Iota	I	ι
(٥)	الحرف المخفف : مثل صوت (o) في كلمة (not) الإنجليزية .	أوميكرون	Omicron	O	o
(٦)	الحرف الممدود : مثل صوت (u) في كلمة (tue) الفرنسية . الحرف المخفف : مثل صوت (u) في كلمة (du pan) الفرنسية .	أوبسيلون	Upsilon	Y	υ
(٧)	الحرف الممدود : مثل صوت الحرفين (oa) في كلمة (broad) الإنجليزية .	أوميغا	Omega	Ω	ω

تنبه : أصوات الحروف اللينة كما أقرحها :

إن حروف الرقمين (٢) ، (٣) وهى مخففة بطبيعتها بعامية ، قد تكون ممدودة أيضاً إذا تلا أى حرف منها حرفان جامدان أو حرف جامد مركب وفى حالات أخرى معقدة وحافلة بالاستثناءات التى لا يستطيع الوقوف على أسرارها إلا مختص ، وبالرغم من أن صوت الحرف الممدود اليونانى يقابله الألف والواو والياء فى العربية بحسب صوت الحرف اللين اليونانى وبالرغم من أن صوت الحرف اليونانى المخفف يودى بالفتحة والضمة والكسرة ، فإن المربين القدامى - وكذلك المحدثين - لم يعمدوا بنقل أصوات هذه الحروف إلى العربية كما يجب ، فإنهم أحياناً يجمعون الممدود مخففاً والمخفف ممدوداً ، ولهم مدرهم فى ذلك لأن التمييز بين الممدود والمخفف يتطلب دراسة بصوتية متخصصة وعقيقة . ثم إن هؤلاء المربين ، قدامى ومحدثين ، فى نقلهم الأعلام إلى العربية لا يعمدون بالتشكيل ، كالفتحة والضمة والكسرة التى تمثل ما يقابلها من الحروف اليونانية المخففة ، الأمر الذى لا يمكن القارىء من

قراءة الاسم وفقاً لأصوات الحروف اللينة اليونانية ولا من الاهتداء كذلك إلى صورة الاسم الحقيقية فى لفته . كل هذا حداً بي إلى أن أعتبر جميع الحروف اللينة حروف مد . وهذا الاتجاه ، وإن كان غير دقيق صوتياً من حيث طبقة الصوت للحرف ، مدداً وقصيراً ، إلا أنه فى اعتقادى أفضل بكثير من الطريقة المشوائية التى اتبعها المربون القدامى ويتبعها الآن المربون المحدثون بجعل الممدود مخففاً والمخفف ممدوداً ، وهو كذلك أفضل من عزوفهم عن التشكيل . وأضرب مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل عند تعريب العلم (Αργος - وبالْحروف اللاتينية Argos) أن توضع ضمة على الحرف السابق على الحرف اللين المخفف (σ) ، فإذا أهمل وضع الضمة على هذا الحرف ونقل الاسم إلى العربية (أرجس) ، فإن القارىء لهذا الاسم لا يستطيع معرفة العلم ولا صورته الأصلية فى لفته ، وبالعكس إذا استعاض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (أرجوس) لاستطاع أن يهتدى إلى الاسم المقصود والرجوع إليه فى لفته الأصلية بسهولة .

التعليقات

٢- يُرسم فى وسط الاسم ألفاً .

٣- يُرسم فى آخر الاسم ألفاً لينّة .

٤- يُرسم تجوزاً فى آخر الاسم تاء مربوطة إذا سبقه الحرف (ا) أو المزدوجان (ة) أو الحرف الجامد (رو ، ، p ، q) الذى يعتبر وسطاً بين الجامد واللين لميوعته .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، فى الحرف (إيپسيليون ، ε ، E) ، الرقمان

التعليق (١) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية ، فى الحرف (ألفا ، α ، A) - د ٤ ج ٣٣ ص ٤٠٨ - ٤٠٩

أحاول فى هذا التعليق أن أكون قريباً من أصوات الحروف اليونانية وأن أبسط عرض الحرف فى الوقت نفسه . وأرى أن ينقل إلى العربية كالاتى :

١- يُرسم هذا الحرف فى أول الاسم همزة مفتوحة .

(١) ، (٢) - د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤١٣ - ٤١٤

كلمة ضحى وأقترح أن ينقل إلى العربية
كالاتى :

صوت هذا الحرف يشبه في العربية
الألف الممالة في سكارى ، وأقترح أن
ينقل إلى العربية كالاتى :

١ - يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة
(وليس همزة مفترحة كما ورد فى قاعدة
المجمع) .

٢ - يرسم فى وسط الاسم ياء (أو كسرة
إذا عني بالتشكيل) .

١ - فى أول الاسم يرسم ألفاً مكسورة
بعدها ياء (ذلك لأن الإمالة أن تميل
بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو
الياء) .

٢ - فى وسط الاسم يرسم ياء ممدودة .

٣ - فى آخر الاسم يرسم ياء ممدودة
أو ألفاً لينية * .

ملاحظة : إن مادمانى إلى مخالفة المجمع الموقر فى
الرقمين (١) ، (٢) هو حرصى الشديد على تجنب اللبس
بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف (ألفا ، α ، A) -
انظر التعليق رقم (١) - وأضرب مثلاً يوضح حرصى
هذا : إذ نقل الاسم Ephesos - بحروف لاتينية
إلى العربية (أفسوس) كما ورد فى قاعدة
المجمع (١) ، أصبح صوت الحرف (α) فى أول الاسم
وفى وسطه هو صوت الحرف (α) ، وفى هذا لبس
شديد . إن كتابة هذا الاسم فى العربية (إفيسوس أو
إفسوس) لأقرب إلى صورة الاسم الأصلية . ولهذا
أرجو أن يأخذ المجمع الموقر برأى هذا أو يتفضل
بمناقشتى فيما ذهبت إليه .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة ، رقم
(٣) فى الحرف (إيتا ، H, η) - د ٤
ح ٣٤ ص ٤١٤ - ٤١٥

صوت هذا الحرف الممدود بطبيعته
يقابل صوت الألف الممالة الممدودة فى

ملاحظة : الألف اللينة هنا تقابل (الحرف α)
وهو نهاية الكلمة المؤنثة المفردة فى اللهجة الدورية
(ذلك أن الأسماء المؤنثة المفردة فى اللهجة الأتيكية ، إذا
ما انتهت فى حالة الرفع بالحرف (η) انتهت فى اللهجة
الدورية بالحرف (α) ويصح فى هذه الحالة عند التعريب
أن يحل صوت الحرف (α) محل الحرف (η) وذلك لحفة
الحرف الأول عن الثانى . وهذا ما حدا بالأستاذ الجليل
الدكتور طه حسين إلى تعريب مأساة (Ἀντιγόνη)
بالاسم (أنيتجوننا) بدلا من (أنيتجونى) .

وأما ذكره المجمع الموقر فى رقم (٣)

يرسم هذا الحرف - η - بياء وتاء مربوطة
(ية) أسوة بالقلة القدامى فهو لا يمثل
صوت الحرف فى لغته ولا يعتمد على
قاعدة صوتية عربية . . وأرى أن (أفريكا)
أصح من (أفريقية) و (روما) أصح من
(رومية) .

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ،
في الحرف (ايوتا ، I ، I) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤١٨ - ٤١٩

أقترح أن يرسم هذا الحرف كآلاتي :
١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة ،
وهذا ما قال به المجمع الموقر .

٢ - يرسم في أي جزء من بنية الاسم
ياء (مخافة إغفال وضع الكسرة تحت
الحرف الذي قبله ، إذ بالرغم من أن
المجمع الموقر قد قرر أن يمثل هذا الحرف
بكسرة تحت الحرف الذي قبله ، فإني
لم أر أثرا لهذه الكسرة في الأمثلة التي
صاحبت القاعدة ، وهذا ما يجعلني أتمسك
مضطرا باتجاهي في هذا الصدد) .

التعليق (٥) :

قارن المجمع - القاعدة الثالثة عشرة في
الحرف (أوميكرون ، O ، O) - د ٤
ح ٣٤ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

خشية إهمال وضع حركات التشكيل ،
أخالف المجمع الموقر في رقم (١) ، (٢)
الذي صحبته أسماء لم يظهر فيها أي أثرا

للحركات التي تنص القاعدة عليها .
وأقترح أن يكون صوته كآلاتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة
فقط أو بعدها واو .

٢ - يرسم في أي جزء من بنية الاسم
واوا .

وأود أن يأخذ المجمع الموقر برأيي
ويتنازل عما ذكره في رقم (١) ، (٢)
من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية
يونانية .

وأقترح حذف ما ذكر في رقم (٣)
لأن الكلام هنا عن حرف (أوميكرون)
لا الحرف (أوميجا) وسوف أناقش هذا
عند الكلام عن صوت الحرف (أوميجا)
الذي لم يعالج هنا بطريقة علمية انظر
التعليق (٧) ، ملاحظة .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ،
في الحرف (أوبسيلون ، Y ، Y) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦

ليس لصوت هذا الحرف شبيه في اللغة
العربية إذ أن صوته واو مائلة إلى الياء ؛

وهذا ما حدا بالمعربين القدامى إلى نقله إلى العربية واوا حيناً وياء حيناً آخر . وعلى هذا يمكن رسم هذا الحرف تجوزاً واوا أو ياء . ويكون صوته كالأتي :

١- يرسم هذا الحرف في أول الاسم «هُو» وذلك لأنه بطبيعته هائي الجرس في أول الكلمة (انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي، ص ١١٦-١١٧)

٢- يرسم في أي جزء من بنية الاسم واوا أو ياء .

ملاحظة : لكي يكون نطق العلم مستساغاً في العربية أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان في بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو . مثال ذلك الاسم (Λιχνομήδης) فكتابة هذا الاسم بالعربية (ليكوميدس) أخف في النطق من (لوكوميدس) .

التعليق (٧) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، في الحرف (أوميجا ، Ω ، ω) ، رقم (٣) - د ٤ . ح ٣٤ ، ص ٤٢٠

ليس لهذا الحرف الممدود بطبيعته صوت مقابل في اللغة العربية ، إلا أنه يمكن القول بأن صوته قريب من صوت الواو المائلة إلى الألف في كلمة (عون ، النطق الدارج للفظ العربي عون) . ويرسم هذا الحرف في العربية كالأتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة ممدودة (مائلة إلى الألف) أو همزة مضمومة بعدها واو وذلك للتيسير .

٢ - يرسم في أي جزء من بنية الاسم واوا (مائلة إلى الألف) .

ملاحظة : لاحظت أن صياغة ماورد في رقم (٣) - وهو عن هذا الحرف - غير واضحة ومضطربة في نفس الوقت . وأغلب الظن أنه وقع فيها بعض الأخطاء المطبعية ، ذلك لأنه من المستحيل أن يرسم هذا الحرف واوا ونوناً إلا إذا كان حرف (٧) أحد حروف الاسم ، وأذكر على سبيل المثال الاسم (Σαπρω) فهو ينطق (سافو) لا سفون (كما ورد في الأمثلة المصاحبة لهذه القاعدة ، فن أين أتت هذه النون التي لا وجود لها في بنية الاسم ؟ انظر ، ١ - أصوات الحروف اللاتينية اللينة ، التعليق - ٤ - ، فاذكرته هناك يعتبر تصحيحاً لما ورد في هذه القاعدة .

ج - أصوات الحروف اللينة المزدوجة اليونانية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين لينين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها على أن يكون ذلك مختلفاً ، وقد ظل صوت المزدوج ممدوداً في عصور اللغة المختلفة .

والحروف اللينة المزدوجة هي : αι ، αυ ، ει ، ευ ، οι ، ου ، أما جرسها اليوناني فمأحواول تقريبه بأصوات ، إنجليزية أو فرنسية ، وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة في التعليقات انظر ، (١) - (٦) .

تلبيه : لقد اعتري بعض أصوات هذه الحروف التغيير والتحريف عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تتعرف عن أصواتها الأولى الأصلية التي كانت تمثل صوت المزدوج كأحسن ما يكون التمثيل فأصبح صوت المزدوج (αλ ، ελ) يقابل صوت الحرف (ε الممدود) وصار صوت المزدوجين (ou ، ol) يقابل صوت الحرف (u الممدود) وما لاريب فيه أن عدم التمييز بين أصوات المزدوجين (αλ ، ελ) ثم بين المزدوجين (ou ، ol) كما رأينا يسبب لبساً شديداً للمعرب ولا يساعده على الوصول إلى الهم المعرب في لغته . لقد اكتفى المجمع الموقر في قراراته بوضع قواعد عن المزدوجين (ελ) (١٠) ، (αλ) (١١) ولم يتعرض لأصوات الحروف المزدوجة الأخرى التي ذكرتها ، ولو أنه فعل لوقف على هذه الظاهرة المؤسفة . وأغلب الظن أنه لم يتناولها بالبحث لأن أصوات هذه الحروف المزدوجة اليونانية ليس لها نظائر في العربية فيما عدا صوت المزدوج المكون من الهمزة أو الألف المفتوحة بعدها ياء ساكنة مثل (أي) وهي تقابل في

اليونانية المزدوج (αλ) والمزدوج المكون من الألف المفتوحة بعدها واو ساكنة مثل (أو) وهي تقابل في اليونانية المزدوج (αυ) وقد توافق صوتا هذين المزدوجين في العربية وفي اليونانية كما سنرى على أساس أن محيى الياء أو الواو بعد الفتحة أمر ممكن (١٢) .

وبالنسبة لأصوات المزدوج الأصلية والمتأخرة ، فأراني أجنع إلى التمسك بالأصوات القديمة الأصلية لأنها وحدها التي تساعد على النطق الصحيح للأعلام كما نطقها أصحاب الأعلام أنفسهم ، ومع ذلك سأعرض تعليقا في الأصوات الأصلية والمتأخرة ، وأناقش ما أراه جديراً بالمناقشة وأترك للمعرب تخير ما يحلو له من هذه الأصوات ، أصلية كانت أو متأخرة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام في صورتها اليونانية وأنقلها إلى العربية ، بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اليونانية ، جامدة ولينة

وفيما يلي بيان بهذه الحروف .

المزدوج	صوته الأصلي مقربا بأصوات إنجليزية	صوته المتأخر	التعليق
αλ	مثل صوت الحرف (i) في كلمة (idle) الإنجليزية .	تغير صوته في القرن الثاني الميلادي إلى صوت الحرف (e) الممدود	(١)
αυ	مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (house) الإنجليزية .	احتفظ بصوته الأصل	(٢)
ελ	مثل صوت الحرفين (ee) في كلمة « meet » الإنجليزية أو صوت الحرفين (ey) في كلمة (grey) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (e) الممدود (أو صوت الحرف l الممدود) في القرن الأول ق . م	(٣)
ευ	مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (new) الإنجليزية .	احتفظ بصوته الأصل	(٤)
ολ	مثل صوت الحرفين (oi) في كلمة (boil) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (u) الممدود في القرن الثالث الميلادي	(٥)
ου	مثل صوت الحرفين (oo) في كلمة (moon) الإنجليزية أو صوت الحرفين (ou) في كلمة (youth) الإنجليزية .	تغير صوته إلى صوت الحرف (u) الممدود ، دام ١٥٠ ق . م	(٦)

(١٠) انظر القاعدة الثانية ، د ٤ ، ٣٣ ، ص ٤٠٩ - ٤١٠

(١١) انظر القاعدة السابعة د ٤ ، ٣٤ ، ص ٤١٥ - ٤١٦

(١٢) انظر ص ٧٦ من بحث « التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سر صناعة الإعراب لابن جني » انظر كذلك الحاشية رقم (٧) .

التعليقات

التعليق (١) :

صوت هذا المزدوج الذى احتفظ بصوته

الأصلى كالاتى :

قارن قرار المجمع . القاعدة الثانية

فى المزدوج (av) رقم (١) - د ٤ ،
ح ٣٣ ص ٤٠٩ - ٤١٠ .

١ - يرسم هذا الحرف فى أول الاسم

همزة ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة

وهذا ممكن فى العربية . مثال ذلك :

يُرسَم هذا المزدوج كالاتى :

أوليس Aulís

١ - يرسم فى أول الاسم همزة ممدودة

مفتوحة بعدها ياء ساكنة ، وهذا ممكن

فى العربية (وليس همزة مكسورة كما

ورد فى قاعدة المجمع) ، مثال ذلك :

٢ - يرسم فى وسط الاسم ألفاً بعدها

واو ، مثال ذلك :

تاوروس Tauros

آيسوپوس Aisōpos

التعليق (٣) :

فى المزدوج (av) ؛ لم يأت ذكره فى

قرارات المجمع المقرر ، وصوته كالاتى :

٢ - يرسم فى أى جزء من بنية الاسم

ألفاً بعدها ياء (الصوت الأصلى) أو

ياء مكسورة (الصوت المتأخر) ،

مثال ذلك

١ - يرسم فى أول الاسم همزة مكسورة

بعدها ياء مكسورة (الصوت المتأخر)

مثال ذلك :

أريستايوس (الصوت الأصلى) ،

أريستيوس (الصوت المتأخر) Aristaios

إيراس Eirás

التعليق (٢) :

٢ - يرسم فى وسط الاسم ياء مكسورة

(الصوت المتأخر) ، مثال ذلك :

فى المزدوج (av) ؛ لم يأت ذكره فى

قرارات المجمع المقرر .

بوسيدون Ποσειδών

التعليق (٤) :

قارن المجمع القاعدة السابعة

في المزدوج (ev) - د ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٥ - ٤١٦ . وصوت هذا المزدوج
كالاتي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم
همزة مكسورة بعدها ياء مضمومة أو
يرسم ياء مضمومة بعدها واو (أمّا ما أقره
المجمع برسمها همزة مضمومة بعدها
واو ففيه لبس يأتى من عدم التمييز بين
صوت هذا المزدوج وبين صوت الحرف
(أوميغا ω) ، مثال ذلك :

إيوكليديس أو يوكليديس (إقليدس)
Eὐκλείδης

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك :

تيوكروس Teùkros

التعليق (٥) :

في المزدوج (oi) ، لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر ، وصوته

١ - يرسم هذا المزدوج في أول الاسم
همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة (الصوت
الأصلي) ، أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها
واو (الصوت المتأخر) ، مثال ذلك :

أينوني (أينونا) (الصوت الأصلي) ،

أونوني (أونونا) (الصوت المتأخر) ،
Oivónnē

٢ - يرسم في وسط الاسم واو بعدها ياء
ساكنة (الصوت الأصلي) أو واو
(الصوت المتأخر) مثال ذلك :

فوينيكس (الصوت الأصلي) ،
Φοινίξ (الصوت المتأخر)

ملاحظة : يلاحظ أن صوت هذا المزدوج أصبح
مثل صوت الحرف اللين (ι) في عصور متأخرة ولكن
لا أستطيع الأخذ بهذا الصوت لأن أحداً من العربيين
سوف لا يلتفت إليه عند التعريب ، ثم إنه صوت مفتعل .

التعليق (٦) :

في المزدوج (ov) ، لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر .

إن صوت هذا المزدوج يتفق في
صوته الأصلي والمتأخر مع صرت الواو
في العربية ، صوته كالاتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك :

أورانوس Ouranos

٢ - يرسم في وسط الاسم واو ممدودة .
بوسيريس Bousiris .

تلييه : علامة التنفيس أو الجرس الهائى :
ليس في الأبجدية اليونانية حرف يقابل حرف الهاء
في العربية ، ولكن هناك علامة تشبه القوس الصغير
المفتوح من الجهة اليمنى توضع عن يسار الحرف اللين

الأول من الاسم مثل (A) وعلى الحرف الثاني من المزدوج ، مثل (Aλ) لتكسب الحرف اللين أو المزدوج صوتاً هائياً . وبهذا ينطق الحرف (A) على سبيل المثال (ها) ، وينطق المزدوج (Aλ) (هاي) . وهذه العلامة إذاً إن صاحبت الحروف اللينة والمزدوجة التي يبدأ بها الاسم وكذلك الحرف الجامد (رو ، ρ ، P) أكسبته جرساً هائياً ، مثال ذلك :

هالوس ἅλως

هيكاتور ἑκτωρ

هيراكليس (هرقل) Ἡρακλῆς

هوميروس Ὅμηρος

هوروس (حورس) Ὠρος

رودوبي (رودوبيا) Ροδόπη

(يلاحظ أن حرف (P) لم يظهر معه الجرس الهائى في التعريب ، وذلك لصعوبة النطق به في العربية .)

هايمون (الصوت الأصلي) ، هيمون (الصوت المتأخر) . Ἁῖμων

ملاحظة : الحرفان (أوبسيلون v ، رو P) هما الوحيدان اللذان تصاحبهما علامة التنفيس دائماً ، وأما الحروف الأخرى فقد تكون هائية الصوت كما رأينا أو لا تكون ، مثال ذلك :

أكاديمية ، أكاديمية Ἀκαδημία

تنبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى -

د ، ح ٣٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨

إذا استحال النطق بالمبدوء بالساكن في العربية ، فالأمر غير كذلك في

اليونانية ، وعلى ذلك إن طبقت قاعدة الابتداء بالساكن على الأعلام الإغريقية فسوف تكون صورة هذه الأعلام في العربية مختلفة عن صورتها في اليونانية ومادام بعض المعربين العرب لم يأخذوا بهذه القاعدة ، فأرى أن يرسم طبقاً للقاعدة العربية في حالة واحدة فقط ، وهي رقم (١) وفيما عدا هذا يُتبع أسلوب صوتي آخر في رقمي (٢) ، (٣) كالآتي :

١ - تزداد همزة مكسورة في أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو (ε) أو (ι) أو (η) ، مثال ذلك :

إفريكسوس φριξος

إكسيراكيس ξέρξης

٢ - تزداد همزة مفتوحة في أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف (α) ، مثال ذلك :

أبلاطون (أفلاطون) Πλάτων

٣ - يضم الحرف الأول من الاسم إن كان الحرف اللين الأول منه هو حرف (ο أو v أو u أو h) ، مثال ذلك :

بروميثيوس Προμηθεύς

أسيخا Ψύχη

Πλούταρχος	بلوتارخوس	نوع واحد مثل (λλ ، μμ) في
Πρωταγόρας	پروتاجوراس	العربية حرفاً واحداً مشدداً ، مثال ذلك :
Καλλίμαχος	كاليماخوس	تنبيه : نطق الحروف المشددة (المضعفة) في الاسم :
Λισσός	ليسسوس	ينطق الحرفان الجامدان اللذان من ،

نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات (١٣)

Γοργώ	جورجو	Ἀρχιμήδης (أرشميدس)	أرخيميديس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، تعليق - γ - ، ملاحظة)		(انظر) ١ - أصوات الحروف الجامدة : التعليق (- ١٦ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق (- ٣ -)	
Διώνυσος	ديونيوسوس	Ἀφροδίτη	أفروديتي ، أفروديتا .
انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق (- ٣ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق (- ٦ - ، رقم - ٢ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٣ - ، رقم - ٣ -)	
Ἐνδυμίων	إيندوميون	Ἀνδρομέδα	أندروميدا .
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق (- ٢ - ، رقم - ١ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق (- ١ - ، رقم - ٣ -)	
Ἑλος	هيلوس	Ἀγχίσις	هأنخيسييس
انظر (التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائى ، ص ١١٦)		انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق (- ٢ - ملاحظة)	
Ζήνων	زينون	Βρασιδᾶς	أبراسيداس
انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق (- ٤ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق (- ٧ -)		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٢ - ، ص ١١٧)	
Ἡλέκτρα	إيليكترا ، إيليكتره	Γοργίας	جورجياس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق (- ٣ - ، رقم - ١ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)		انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق (- ٢ -)	

(١٣) عن المزدوج ، انظر : ح - أصوات الحروف اللينة المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها .

أوسيريس (أوزيريس) *Oσιρις

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٥ -)

بيثاجوراس (فيثاغورس) Πυθαγόρας

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١١ -)

رودوس (رودس) *Ρόδος

انظر (التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس
الهائى ولاحظ تملز نطق الراء المنفسة فى العربية)

إستيسيخوروس Σιτησιχορος

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ،
رقم - ١ - ، ص ١١٧)

تيموكراتيس Τιμοκράτης

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١٤ -)

إفريجيا ، فريجيا ، فريجية Φρυγία

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق ،
- ١٥ -)

فيليبوس (فليب) Φιλίππος

انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة فى الاسم ص ١١٨)

خيمائرا ، خمايرة ، خيميرا ، خيميرة ،

(الصوت الأصيل والأخير) Χίμαιρα

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١٦ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة
المزدوجة - التعليق ، - ١ -)

أوريون Ωρίων

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٧ - ، رقم - ١ - ، - ٢ -)

ثيساليا ، ثيسالية Θεσσαλία

انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة فى الاسم ،
ص ١١٨) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ،
التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)

إيونيا ، إيونية *Ιωνία

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ -)

كادموس Κάδμος

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة التعليق
- ٦ - ، - ٤ -)

إكليوباترا ، كليوباترا ، كليوباترة .

Κλεοπάτρα
انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١٤ -)

ليبيا Λιβύη

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٦ - رقم - ٢ -)

ماراثون Μαραθών

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٨ -)

ميديا ، ميديّة Μηδεια

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٣ - ، - ٤ -)

ناكسوس : Νάξος

انظر (أ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٩ - ، - ١٠ -)

إكسينوفون Ξενοφών

انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ،
رقم - ١ - ، ص ١١٧)

٤ - كتابة الاعلام الرومانية بحروف عربية

(١) أصوات حروف الأبجدية اللاتينية الحامدة :

ملاحظة : أسماء الحروف اللاتينية ، جامدها ولينها هي تقريباً الأسماء التي تطلق على حروف اللغة الإنجليزية .
تنبية : للحرف الحامد اللاتيني صوت واحد لا يتغير مطلقاً .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف وما يقابلها من حروف الأبجدية العربية :

التعليق	الحروف العربية المقابلة والأصوات المقترحة	الحروف الحامدة	
		الكبير	الصغير
(١)	الباء	B	b
(٢)	الكاف	C	c
(٣)	الدال	D	d
(٤)	الفاء	F	f
(٥)	الجيم (غير المعطشة)	G	g
(٦)	الهاء	H	h
(٧)	(الياء)	I,J	i,j
(٨)	(الكاف)	(K	k)
(٩)	اللام	L	l
(١٠)	الميم	M	m
(١١)	النون	N	n
(١٢)	(الهاء)	P	p
(١٣)	الكاف	Q	q
(١٤)	الراء	R	r
(١٥)	السين	S	s
(١٦)	التاء	T	t
(١٧)	واو أو فاء بثلاث فقط	V	u(v)
(١٨)	تنطق كس بسكون الكاف	X	x
(١٩)	الزاي	Z	z
الحروف المركبة			
(٢٠)	الكاف	Ch	ch
(٢١)	الفاء	Ph	ph
(٢٢)	الشاء	Th	th

التعليقات

التعليق (١) :

الحرف (B, b) لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر . وصوته كالأتي :
« يرسم هذا الحرف باء في العربية »

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة ، في الحرف (O, o) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١١ - ٤١٢

ملاحظة : كان هذا الحرف ينطق في العصور الأولى للغة كحرف (Gt) جيم غير معطشة ، يشهد بذلك أن اختصار بعض الأعلام التي تبدأ بالحرف (Gt) كان يمثل الحرف (C) مثل (Gaius) . وأصبح هذا الحرف ينطق كحرف (K) ، أي كالفا وعند هذا اختفى الحرف الأخير من الاستعمال فيما عدا بضع أعلام احتفظت في بنيتها بهذا الحرف مثل (Kaeso) .

صوت هذا الحرف يقابل في العربية حرف الكاف ولا أجده مبرراً صوتياً يسمح بقلب الكاف قافاً ، لأن أصحاب اللغة لم ينطقوه كذلك ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن ابن جنى يقول إن القاف أصلاً لا بدلاً ويقول كذلك بأنه

ليس هناك داع لقلب الكاف قافاً ، (١٤)
فإذا كان قلب الكاف قافاً معترضاً عليه في العربية ، فهل يفرض على لغة أخرى ، لهذا أقترح تعديل القاعدة كالأتي :
« يرسم هذا الحرف كافاً في العربية »

التعليق (٣) :

قارن المجمع القاعدة الخامسة ، في الحرف (D, d) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٣ .

صوت هذا الحرف لا يقابل دالاً معجمة ، فإن صح هذا تجاوزاً على الحرف (Δ, δ) اليوناني فلا يصح على هذا الحرف بالمرّة ، وعلى ذلك أقترح تعديل القاعدة كالأتي :

« يرسم هذا الحرف دالا مهملة »

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثامنة ، في الحرف (F, f) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٦ .

(١٤) انظر « سر صناعة الاعراب » ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧٨ . انظر كذلك الحاشية (٨) .

صوت هذا الحرف يقابله في العربية
حرف الفاء، وهو وقف على اللاتينية دون
اليونانية، ويرسم هذا الحرف كالاتي :
«يرسم هذا الحرف فاء في العربية» .

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة ،
في الحرف (G, g) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٦ - ٤١٧ .

صوت هذا الحرف حتى القرن السادس
الميلادي يقابل صوت الجيم العربية غير
المعطشة ، وليس هناك دليل على أنه نطق
غنيا بالمرّة ، وعلى هذا أقترح تعديل
هذه القاعدة كالاتي :

«يرسم هذا الحرف جيماً غير معطشة»

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة العاشرة ، في
الحرف (H, h) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١٧ - ٤١٨ .

صوت هذا الحرف كالاتي :

«يرسم هذا الحرف في العربية هاء»

التعليق (٧) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية
عشرة في الحرف (J, j) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤١٩ .

ملاحظة : الحرف (I, i) ، أحد الحروف اللينة ،
هو أيضاً حرف جامد (أو نصف جامد كما يسميه النحاة
المحدثون) . وهذا الحرف يكون جامداً إذا سبقه حرف
لين أو تلاه آخر . وينطق ياء مثل (iam) وينطق
(يام) ، (ius) وتنطق (إيوس) . وللتمييز بين
الحرف (i) اللين والجامد رؤى في عصور متأخرة أن
يمثل الحرف (J) - وهو ليس أحد حروف الأبجدية
اللاتينية - الحرف (I, i) الجامد على أن ينطق ياء
مثل (jam) فهي تنطق (يام) كما لو كانت قد
كتبت (iam) .

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن
يكون صوت الحرف (J) مقابلاً لصوت
الحرف جيم (المعطشة) وذلك لسهولة
الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف في
المعاجم الكبرى التي خصصت له باباً
خاصاً به . ولكن لا مانع من نطقه ياء
أيضاً . ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر
على التعديل الآتي :

«يرسم الحرف (J) الممثل للحرف

(I, i) الجامد جيماً معطشة إذا بدأ به

علم من الأعلام الرومانية فقط ولا مانع

من رسمه ياء أيضاً» .

التعليق (٨) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة في
الحرف (K, k) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
ص ٤١١

لقد أهمل استعمال هذا الحرف وحل
محلّه الحرف (C, c) ؛ انظر التعليق
- ٢ - ، ملاحظة .

التعليق (٩) :

في الحرف (L, l) ؛ لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر ، وصوته كآلآتى :
« يرسم هذا الحرف في العربية لاماً »

التعليق (١٠) :

في الحرف (M, m) ؛ لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر ، وصوته
كآلآتى :

« يرسم هذا الحرف في العربية ميماً » .

التعليق (١١) :

في الحرف (N, n) ؛ لم يأت ذكره
في قرارات المجمع الموقر ، وصوته
كآلآتى :

« يرسم هذا الحرف في العربية نوناً »

التعليق (١٢) :

قارن المجمع ، القاعدة الرابعة
عشرة ، في الحرف (P, p) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٠ - ٤٢١ .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الپاء
لا الفاء في العربية وذلك في جميع الأحوال
والمواضع ؛ انظر ما ذكرته عن حرف (پي
اليوناني) - (١) - أصوات الحروف
الجامدة اليونانية ، التعليق - (١١) - ،
وأود أن يوافق المجمع على تعديل القاعدة
كآلآتى :

« يرسم هذا الحرف باء شديدة (أى

باء تحتها ثلاث نقط) » .

التعليق (١٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الخامسة
عشرة ، في الحرف (Q, q) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

ملاحظة : يتبع هذا الحرف دائماً بالحرف اللين
(U) ويبتزان حرفاً واحداً .

صوت هذا الحرف يقابل صوت الحرف
(ق) تماماً ، أى يرسم كافاً لا قافاً (انظر ،
١ - أصوات الحروف الجامدة اللاتينية ،

التعليق ٢ -) ، ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف في العربية كافاً شأنه في ذلك شأن الحرف (C) .

التعليق (١٤) :

في الحرف (R , r) ؛ لم يأت ذكره في قرارات المجمع الموقر فصوته كالتالي :

« يرسم هذا الحرف في العربية راء » .

التعليق (١٥) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة

عشرة ، في الحرف (S , s) - د ، ع ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٢ .

يقابل هذا الحرف السين العربية ولا

علاقة له البتة بصوت الصاد أو الشين

المعجمة كما كتبه بعض النقلة القدامى ،

ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

« يرسم هذا الحرف سيناً فقط »

التعليق (١٦) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة

عشرة ، في الحرف (T , t) - د ، ع ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٣

هذا الحرف يقابل التاء لا الطاء في

العربية (انظر ا - أصوات الحروف

الجامدة اليونانية ، القاعدة - ١٤ -)

ولهذا أقترح أن تعدل القاعدة كالتالي :

« يرسم الحرف في العربية تاء فقط »

القاعدة (١٧) :

قارن المجمع ، القاعدة العشرون ،

في صوت الحرف (V , v) - د ، ع ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٤ .

ملاحظة : الشكل (V) في اللغة اللاتينية يمثل

الحرف الكبير للحرف الصغير (u) ، أى أنه لا يمثل

الحرف (V , v) ، أحد حروف الأبجدية الإنجليزية مثلاً .

وهذا الحرف ، وإن كان أحد الحروف اللينة ،

إلا أنه حرف جامد كذلك (أو نصف جامد كما يسميه

النحاة المحدثون) . ويكون هذا الحرف جامداً إذا تلاه

حرف لين وينطق واواً ، مثل (Venio,uenio)

وتنطق في العربية (وينيو) . ولتمييز بين صوتي

الحرف (V , v) اللين والجامد روئى في عصور متأخرة

أن يمثل الحرف (V , v) - وهو ليس أحد حروف

الأبجدية اللاتينية - الحرف (V , v) الجامد على أن ينطق

واواً أو فاء بثلاث فقط وذلك للتيسير ، وعلى هذا

تكتب الكلمة المذكورة (Venio, venio) وتنطق

(وينيو أو فينيو) . ويسرى أن المجمع الموقر قد قبل

صوت الحرف (V - ف) وأوصى برسمه فاء بثلاث

نقط (١٥) .

وبالنسبة للأعلام الرومانية ، أرى أن يكون صوت الحرف (V, v = V, u) مقابلاً لصوت الحرف (V - ف) ، وذلك لسهولة الرجوع إلى الأعلام المبدوءة بهذا الحرف في المعاجم الكبرى . ولكن لا مانع من نطقه واواً أيضاً ولهذا أود أن يقرنى المجمع الموقر على التعديل الآتى :

١ - يرسم الحرف (V) الجامد الكبير

في أول الاسم فاء بثلاث نقط أو واوا .

٢ - يرسم الحرف (v) الجامد الصغير

وسط الاسم فاء بثلاث نقط .

التعليق (١٨) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية والعشرون ، في الحرف (X, x) - د ٤ ح ٣٤ ، ص ٤٢٤ - ٤٢٥ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من (S, s) وينطق «كس» بسكون الكاف وصوته كالأتى :

١ - يرسم في أول الاسم (كس) طبقاً للتنبيه الخاص بالابتداء بالساكن ، انظر ص ١٣٣ - ١٣٤) .

٢ - يرسم في وسط الاسم (كس) بسكون الكاف ، أما حرف السين فيحرك وفقاً لحركة الحرف اللين التالى له .

التعليق (١٩) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة والعشرون ، في الحرف (Z, z) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٦ .

هذا الحرف من الحروف الأبجدية اليونانية التى دخلت الأبجدية اللاتينية (انظر ، ١ - أصوات الحروف الجامدة اليونانية ، التعليق - ٤ -) وهو يقابل في العربية زايًا .

التعليق (٢٠) :

قارن المجمع القاعدة الرابعة فى الحرف المركب (Ch, ch) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص ٤١٢

هذا حرف مركب ، يتركب من حرفي (h, o) وصوته فى اللاتينية كاف منفسة ذات جرس هائى . وأقرب صوت له فى العربية هو صوت الكاف لا الخاء ،

في الحرف المركب (Th, th) - د ٤ ،
ح ٣٤ ، ص ٤٢٣ .

هذا الحرف مركب ، يتركب من
(h, t) وصوته في لغته هو صوت التاء
المنفّسة أو التاء ذات الجرس الهائى .
وأقرب صوت له في العربية هو صوت
الشاء ، وعلى ذلك أقترح أن يكون صوته
كالاتى :

« يرسم هذا الحرف المركب ثاء في
العربية »

(ب) أصوات حروف الأبجدية
اللاتينية اللينة :

ملاحظة : للحرف اللين اللاتينى صوت واحد لايتغير
ولكنه يكون ممدوداً أو مخففاً .

وهذه الحروف الستة هى :

y, u, o, i, e, a

وفيما يلى بيان بهذه الحروف وأصواتها
اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو
فرنسية . أما الأصوات العربية المقابلة
فستذكر في التعليقات ، انظر (١) - (٦)

لأن صوت الخاء ليس صوتاً لاتينياً ،
وعلى هذا أقترح تعديل القاعدة كالاتى :

١ - يرسم في الأعلام الرومانية كافاً .

٢ - قد يرسم في الأعلام الإغريقية
المكتوبة بحروف لاتينية خاء ، وذلك
للاحتفاظ بالصورة الصوتية للعلم الإغريقى .

التعليق (٢١) :

في الحرف المركب (Ph, ph) ؛ لم
يأت ذكره في قرارات المجمع .

هذا الحرف مركب ، يتركب من
(h, p) وصوته في لغة صوت الباء المنفّسة
أو الباء ذات الجرس الهائى . وأقرب
صوت له في العربية هو صوت الفاء ،
وعلى هذا أقترح أن يكون صوته كالاتى :

« يرسم هذا الحرف المركب فاء
في العربية »

التعليق (٢٢) :

قارن المجمع القاعدة ، الثامنة عشرة ،

التعليق	أصواتها اللاتينية مقربة بأصوات إنجليزية أو فرنسية	الحروف اللينة	
		الكبيرة	الصغيرة
(١)	<ul style="list-style-type: none"> الممدود : مثل صوت الحرف (a) الثاني في كلمة (Papa) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (a) الأول في كلمة (Papa) الإنجليزية . 	A	a
(٢)	<ul style="list-style-type: none"> الممدود : مثل صوت الحرفين (e e) في كلمة (feet) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (e) في كلمة (net) الإنجليزية . 	E	e
(٣)	<ul style="list-style-type: none"> الممدود مثل صوت الحرف (i) في كلمة (caprice) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (i) في كلمة (Pin) الإنجليزية . 	I	i
(٤)	<ul style="list-style-type: none"> الممدود : مثل صوت الحرف (o) في كلمة (note) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرف (o) في كلمة (not) الإنجليزية . 	O	o
(٥)	<ul style="list-style-type: none"> الممدود : مثل صوت الحرفين (o o) في كلمة (shoot) الإنجليزية . المخفف : مثل صوت الحرفين (o o) في كلمة (Took) الإنجليزية . 	V	u
(٦)	<ul style="list-style-type: none"> الممدود : مثل صوت الحرف (U) في كلمة (pure) الفرنسية . المخفف : مثل صوت الحرف (U) في كلمة (pu) الفرنسية . 	Y	y

دقيق نسبياً إلا أنه أفضل من التخبط في نقل صوت الحرف وهو كذلك أفضل من اغفال وضع الحركات وكثيراً ما يحدث هذا ، بل إن ذلك يحدث في معظم الأحيان . وأسوق مثلاً يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه نسبياً : فالأصل في نقل الاسم (Balbus) الذي ينتهي بحرف (u المخفف) أن توضع ضمة على الحرف السابق على هذا الحرف اللين ، فإذا أغفل وضع هذه الضمة ونقل الاسم إلى العربية (بالبس) ، فإن القارئ لهذا الاسم لا يستطيع معرفة صورة العلم في لفظه ، ولكن إذا استعاض عن الضمة بالواو وكتب الاسم (بالبوس) استطاع أن يبتدىء إلى الاسم المقصود والرجوع إليه بمهولة في مراجعته .

تنبيه : أصوات الحروف اللينة كما اقترحها :
الأصل في نقل حروف المد أن ترسم ألفاً أو واواً أو ياء بحسب صوت الحرف اللين اللاتيني . أما المخففة فتقابلها الحركات : الفتحة والضمة والكسرة بحسب صوت الحرف اللين اللاتيني ، ولكن لما كان التمييز بين الحرف الممدود والمخفف يتطلب دراسة متخصصة لا تخلو من الصعوبة التي أشرت إلى بعضها سابقاً (انظر التنبيه الخاص بأصوات الحروف اللينة اليونانية ، ص ١٠٨) فأرى أن تعتبر الحروف كلها حروف مد بدامة : مادام ذلك لا يغير طبيعة صوت الحرف وإن كان يغير طبيعته ، مداً وقصراً ، وإذا كان هذا الاتجاه غير

التعليقات

- التعليق (١) :
 ٢ - يرسم في وسط الاسم ياء (أو يودى
 بكسرة إذا عني بالتشكيل) .
 ٣ - يرسم في آخر الاسم ألفاً مائلة أو
 ألفاً ليناً للتخفيف .

صوت هذا الحرف كالآتي :

ملاحظة : إن مادعاني إلى مخالفة المجمع
 الموقر فيما ورد في رقمي (١) ، (٢) هو حرصي على
 تجنب اللبس بين صوت هذا الحرف وصوت الحرف
 (A, a) ، انظر التعليق - ١ - (وأضرب مثلاً
 يقوم دليلاً على سلامة هذا الاتجاه : إذا نقل الاسم
 (Ephesus) إلى العربية (أفاسوس) ، كما ورد في
 قاعدة المجمع رقم (١) ، أصبح صوت الحرف (e) في
 أول الاسم وفي وسطه هو نفس صوت الحرف (a)
 وسيسبب هذا ابساً للقارئ ، أضف إلى هذا أنه لا يوجد
 حرف لين يتفق صوته مع صوت حرف لين آخر ،
 وهكذا فكتابة هذا الاسم في العربية (إفيسوس
 أو إفاسوس) صحيحة صوتياً وأقرب إلى صورة الاسم
 الأصلي المعرب .

ولهذا أرجو أن يأخذ المجمع الموقر بهذا الرأي
 أو يناقشني فيه .

التعليق (٣) :

قارن المجمع ، القاعدة الحادية عشرة ،
 في الحرف (I, i) - د ٤ ، ح ٣٤ ،
 ص ٤١٨ - ٤١٩ .

ملاحظة : (انظر ، ١ - أصوات الحروف
 اللاتينية الجامدة ، التعليق - ٧ - ، ملاحظة ، حيث
 تناولت هذا الحرف بالتعريف بوصفه جامداً) .

قارن المجمع ، القاعدة الثانية :
 في الحرف (A, a) - د ٤ ، ح ٣٣ ،
 ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

- ١ - يرسم في أول الاسم همزة مفتوحة .
 ٢ - يرسم في وسط الاسم ألفاً .
 ٣ - يرسم في نهاية الاسم ألفاً ليناً .
 ٤ - يرسم في آخر الاسم تجوزاً تاء
 مربوطة إذا سبقه الحرف اللين (e) أو
 (i) أو الحرف الجامد (r) (لأنه
 حرف مائع ، وسط بين الجامد واللين) .

التعليق (٢) :

قارن المجمع ، القاعدة السادسة :
 في الحرف (E, e) ، - د ٤ ، ح ٣٤ ،
 ص ٤١٣ - ٤١٤ .

صوت هذا الحرف يشبه في العربية
 الألف المائلة في كلمة سكارى ، وأرى
 أن ينقل إلى العربية كالآتي :

- ١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
 (لا مفتوحة كما ورد في قاعدة المجمع) .

هذا الحرف حرف لين ، ويكون ليناً إذا كان أساساً في تكوين مقطع مثل (in)

وصوت هذا الحرف كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مكسورة أو همزة بعدها ياء ، (كما ورد في قاعدة المجمع) .

٢ - يرسم في وسط الاسم ياء .

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة الثالثة عشرة ، في الحرف (O, o) - د ، ح ٣٤ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

صوت هذا الحرف كما اقترحه كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة أو بعدها واو .

٢ - يرسم في وسط الاسم أو في آخره واوا .

ملاحظة : أود أن يأخذ المجمع الموقر برأيي ويتنازل عما ورد ذكره في الرقمين (١) ، (٢) من القاعدة لأنه لا يمثل قاعدة صوتية لاتينية .

ملاحظة : ورد في رقم (٣) من هذه القاعدة النص الآتي « في وسط الاسم يرسم الحرف (o) واوا في الغالب ، إلا في الأسماء اللاتينية ؛ فيرسم واوا ونوناً » ويؤسفني أن أقول إن هذه ليست قاعدة صوتية ولا تنطبق في نفس الوقت على الأمثلة المصاحبة للقاعدة ، وأغلب الظن أنه وقع خطأ في كتابة العبارة بدليل أن المقصود هو الأسماء بحروف يونانية لا لاتينية وبعبارة أوضح

أسماء إفريقية ؛ لهذا أقترح تعديل القاعدة أو تصحيحها كالآتي :

« قد يمثل الحرف (o) في آخر الاسم المقطع (ov) في اللغة اليونانية ؛ ومع ذلك فينبغي الالتزام عند التعريب بالصوت اللاتيني مادام الاسم مكتوباً بحروف لاتينية ، مثال ذلك :

أبولولا (أبولون) = Apollo = Απόλλων

التعليق (٥) :

قارن المجمع ، القاعدة التاسعة عشرة ، في الحرف (V, u) - د ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

ملاحظة : (انظر ١ - أصوات الحروف اللاتينية الجامدة ، التعليق - ١٧ - ، ملاحظة ، حيث تناولت هذا الحرف بالتحريف بوصفه جامداً) ؛ وهذا الحرف لين كذلك ، ويكون ليناً إذا كان أساساً في تكوين مقطع مثل (nuno) .

وصوت هذا الحرف كالآتي :

١ - يرسم في أول الاسم همزة مضمومة أو همزة بعدها واو .

٢ - يرسم في وسط الاسم وفي المقطع الأخير منه واوا .

ملاحظة : لما كانت قاعدة المجمع الموقر لم تحدد صوت هذا الحرف في أول الاسم وفي وسطه ، أود أن تعدل القاعدة كما وردت في هذا التعليق .

التعليق (٦) :

قارن المجمع ، القاعدة الثانية والعشرون ، في حرف (Y, y) - د ، ح ٣٤ ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .

(ج) أصوات الحروف اللينة المزدوجة اللاتينية :

ملاحظة : المزدوج هو وحدة صوتية تتألف من حرفين اثنين معينين ويشترط عند النطق بها أن يحس كلا الحرفين المكونين لها ، على أن يكون ذلك مختلصاً .

والحروف اللينة المزدوجة هي :

ae ، au ، ei ، eu ، oe . أما جرسها اللاتيني فسأحاول تقريبه بأصوات إنجليزية ، أو فرنسية وسوف أذكر الأصوات العربية المقابلة في التعليقات ، انظر ، (١) - (٥) .

تنبيه : لقد تناول بعض أصوات هذه الحروف التعبير عبر الأجيال والقرون ، فأخذت تنحرف بسرعة عن أصواتها الأولى الأصلية التي كانت تمثل صوت الوحدة الصوتية كأحسن ما يكون التمثيل ، ومع ميل إلى الأخذ بالأصوات الأولى في بعض الأحيان لأصالتها ووضوحها ودقتها ، إلا أني سأحاول في تعليقاتي عرض الأصوات الأصلية والمتطورة ومناقشة ما أراه جديراً بالمناقشة مراعيّاً في هذا تخير الأصوات المحققة لنقل العلم بدقة ، وأترك للمعرب حرية تخير ما يحلو له من الأصوات ، أصلية كانت أو متطورة .

ولأول مرة سأذكر بعض الأعلام في صورتها اللاتينية وأنقلها إلى العربية بعد أن انتهيت من الكلام عن الحروف اللاتينية ، جامدة لينة .

هذا الحرف ليس من حروف الأبجدية اللاتينية أصلاً وقد صار بعد عصور اللغة الأولى أحد حروفها . وصوت هذا الحرف هو تماماً صوت الحرف اليوناني (أو پسيلون v ، Y) - (انظر ب - أصوات الحروف اللينة اليونانية ، التعليق - ٦ -) ، وهو لا يأتي في أول الأعلام الرومانية ويرد فقط في أول الأعلام الإغريقية ، وصوته كالاتي :

١ - يرسم هذا الحرف في أول الاسم الإغريقي المكتوب بحروف لاتينية (هو Hy =) ، انظر التنبيه الخاص بعلامة التنفيس أو الجرس الهائي ، ص ١١٦ - ١١٧)

٢ - يرسم في أي جزء من بنية الاسم واواً أو ياء .

ملاحظة : لكي يكون نطق العلم مستساغاً في العربية ، أقترح أن يرسم هذا الحرف ياء فقط إذا كان في بنية الاسم صوت أو أكثر يقابل حرف الواو ، مثال ذلك : اسم العلم (Myconus) فكتابة هذا الاسم بالعربية (ميكونوس) أخف في النطق من (موكونوس) .

وفيما يلي بيان بهذه الحروف المزدوجة :

المزدوج	صوته الأصلي مقرباً بأصوات إنجليزية	صوته المتطور	التعليق
ae	صوته مثل صوت الحرف (i) في كلمة (island) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (e) في القرن الثاني ، ق.م	(١)
au	صوته مثل صوت الحرفين (ou) في كلمة (our) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (o) في القرن الأول ق.م وفي العصور المتأخرة صار صوته مثل الحرف (a) ومن الصعب الأخذ بالصوت الأخير	(٢)
ei	صوته مثل صوت الحرفين (ay) في كلمة (pray) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (i) أو (e) في القرن الثاني ق.م.	(٣)
eu	صوته مثل صوت الحرفين (ew) في كلمة (few) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (u) ابتداء من القرن الثالث ق.م.	(٤)
oe	صوته مثل صوت الحرفين (oy) في كلمة (toy) الإنجليزية	صار صوته مثل صوت الحرف (u) في القرن الثاني ق.م. ثم أصبح صوته مثل صوت الحرف (e) فيما بعد وأرى أن الصوت الأخير يسبب لبساً كبيراً	(٥)

التعليقات

التعليق (١) :
 قارن المجمع ، القاعدة الثانية المزدوج
 (ae) ، رقم (١) - د ٤ ح ٣٤ ،
 ص ٤٠٩ - ٤١٠

صوت هذا المزدوج كالاتي :
 ١- يرسم في أول الاسم همزة ممدودة مفتوحة بعدها ياء ساكنة (الصوت
 ٢- يرسم في أي جزء من بنية الاسم ألفاً بعدها ياء ساكنة (الصوت الأصلي)

أو ياء مكسورة (الصوت المتطور) ،
مثال ذلك :

كايكوبوم (لصوت الأصلي) ،
كيكوبوم (الصوت المتطور) Caecubum

٣ - يرسم في آخر الاسم ألفاً مماله
(الصوت المتطور) أو ألفاً لينه للتخفيف ،
مثال ذلك :

أثينا (الصوت المتطور) ، أثينا
(الصوت المقترح) Athenae

التعليق (٢) :

في الحرف (au) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر .

وصوت هذا المزدوج كآلى :

١- يرسم في أول الاسم همزة ممدودة
مفتوحة بعدها واو ساكنة (الصوت
الأصلى) أو همزة مضمومة بعدها واو ،
مثال ذلك :

أوجوستوس (الصوت الأصلي) ،
أوجوستوس (الصوت المتطور) Augustus

ملاحظة : إن كتابة أوغسطس أو
أغسطس لا تتفق والقواعد الصوتية .

٢- يرسم في وسط الاسم ألفاً بعدها
واو ساكنة (الصوت الأصلي) أو يرسم
واوا ممدودة ، مثال ذلك :

كاوكاسوس (الصوت الأصلي) ،
كوكاسوس (الصوت المتطور) Caucasus
وقد عرّب الاسم قديماً بالقوقاز .

التعليق (٣) :

في المزدوج (ei) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع الموقر .

صوت هذا المزدوج كآلى :

١- يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
بعدها ياء ساكنة (الصوت الأصلي)
أو همزة مكسورة بعدها ياء مكسورة
(الصوت المتطور) ، مثال ذلك :

إيدوثيا ، إيدوثية (الصوت الأصلي) ،
إيدوثيا ، إيدوثية (الصوت المتطور)
Eidothea

٢- يرسم في وسط الاسم ياء ساكنة
(الصوت الأصلي) أو ياء مكسورة (الصوت
المتطور) مثال ذلك :

إيليثويا ، إيليثوية (الصوت الأصلي) ،
إيليثويا ، إيليثوية (الصوت المتطور)
Eileithyia

التعليق (٤) :

قارن المجمع ، القاعدة السابعة ، في
المزدوج (eu) - د ٤ ، ح ٣٤ ، ص
٤١٥ - ٤١٦

صوت هذا المزدوج كالاتي :

١- يرسم في أول الاسم همزة مكسورة
بعدها ياء مضمومة أو يرسم ياء مضمومة
بعدها واو ، مثال ذلك .

إيوتروبيوس (الصوت الأصلي) ،
يوتروبيوس (الصوت المتطور) Eutropius

٢- يرسم في وسط الاسم ياء مضمومة
بعدها واو (وليس كما ورد في قاعدة
المجمع برسم هذا الحرف واوا) ، ذلك
أن الصوت المتطور لا يمثل المزدوج بالمرّة ؛
مثال ذلك

ديوكاليون (الصوت الأصلي) ،
دوكاليون (الصوت المتطور) Deucalion

التعليق (٥) :

في المزدوج (oe) ، لم يأت ذكره في
قرارات المجمع المقرر

صوت هذا المزدوج كالاتي

١- يرسم هذا المزدوج في أول الاسم

همزة مضمومة بعدها ياء ساكنة (الصوت
الأصلي) أو يرسم ألفاً مضمومة بعدها
واو (الصوت المتطور) ، مثال ذلك :
أيبالوس (اله ت الأصلي) ،
أوبالوس (الصوت المتطور) Oebalus

٢- يرسم في وسط الاسم واوا بعدها
ياء ساكنة (الصوت الأصلي) أو يرسم
واوا فقط (الصوت المتطور) مثال ذلك :
فويبوس (الصوت الأصلي) ، فوبوس
(الصوت المتطور) Phoebus

يلاحظ أن المزدوج (oe) في هذا الاسم
يقابل أيضاً الحرف (o) فينقل على هذا
الأساس فيبوس .

ملاحظة : يؤسفني أن الصوت المتطور للمزدوج
(eu) ، المزدوج (oe) يقابل صوت (u) ، أي
يقابل واوا في العربية ، أما صوت المزدوج (oe)
الذي يقابل صوت الحرف (e) فهو يدعو إلى أسف
أعظم . إن هذا يجعل مهمة الباحث عسيرة إذا أراد
الرجوع إلى اسم علم من الأعلام في لفته (اللاتينية) ،
وهذا ما يجعلني أجترح إلى النقل على أساس الأصوات
الأصلية .

تتبيه : الابتداء بالساكن :

قارن المجمع ، القاعدة الأولى - د ٤ ،
ح ٣٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨

تيسيرا لهذه القاعدة التي لم يعمل بها
بدقة قديماً ، أقترح تعديل صياغتها بما

يتفق وأصوات الحروف اللاتينية (انظر أيضاً التنبيه الخاص بالابتداء بالساکن في الأسماء الإغريقية ص ١١٧ ، فالقاعدة بالنسبة للأعلام الإغريقية والرومانية واحدة) :

١- تزداد همزة وصل مكسرة في أول الاسم إذا كان أول حرف لين فيه هو (e) أو (i) ، مثال ذلك :

إپلینوس Plinius

٢- تزداد همزة مفتوحة في أول الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه هو (a) ، مثال ذلك :

أفلافيوس Flavius

٣- يضم الحرف الأول من الاسم ، إذا كان الحرف اللين الأول منه حرف (o) أو (u) أو ou (١٦) ؛ مثال ذلك :

پلوتینوس Plotinus

بلوتو Pluto

تنبيه : الحروف المشددة في الاسم :

ينطق الحرفان الجامدان اللذان من نوع واحد مثل (nn) ، (ss) ، (ll) في العربية حرفاً واحداً مشدداً ، مثال ذلك :

رافینا Ravenna

مولوسوس Molossus

لوكيلوس Lucillus

نماذج من الأعلام للتطبيق على التعليقات

أكوينوس Aquinus
انظر (أ - أصوات الحروف الجامة ، التعليق - ١٣ -)

أشوريا (آشور) Assyria
انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة) ،
(ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٦ - ،
رقم - ٢ -)

أوجوستينوس ، أوجوستينوس Augustinus
انظر (ح - أصوات الحروف اللينة المزدوجة ،
تعليق - ١ -)

أجريبّا Agrippa
انظر (أ - أصوات الحروف الجامة ، التعليق - ٥ -) ، (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)

الإسكندرية (أليكساندرية)
Alexandrea, Alexandria
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)

أفروديتي ، أفروديتا Aphrodite
انظر (أ - أصوات الحروف الجامة ، التعليق - ٣ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة - التعليق - ٢ - ، رقم - ٣ -)

(١٦) من المزدوج ، انظر (ح - أصوات الحروف المزدوجة والتعليق على كل مزدوج منها) .

Demeter	ديميتير	Bactria	باكتريا ، باكترية
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢ -)	
Drusus	درووس	Bithynia	بيثينيا ، بيثينية
انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٣ - ، ص ١٣٤)		انظر (١ - أصوات الحروف المركبة الجامدة ، التعليق - ٢٢ -)	
Elaeus	إيلايوس ، إيليوس	Brundisium	برونديسيوم (برنديزي)
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، رقم - ١ -) ، (- أصوات الحروف اللينة المزدوجة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٢ -)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٥ -)	
Elephantis	إيليفانتييس	Byzantium	بيزانتيوم (بيزنطة)
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٢ - ، ملاحظة)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٦ -)	
Febius	فابيوس	Cicero	كيكيرو (شيشرون)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٤ -)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٤ - ، ملاحظة - ٢ -)	
Flaccus	أفلاكوس	Cnidus	إكنيدوس ، كنيديوس
انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٢ -) ، (الحروف المشددة ، ص ١٣٤)		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣١ - ١٣٤)	
Fluvius	فلوڤيوس	Corcyra	كوركييرا ، كوركيرة
انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف ساكن ، رقم - ٣ - ، ص ١٣١ - ١٣٤) ، (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ١٧ - ، ملاحظة)		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ١ - ، رقم - ٤ -)	
Gonrus	جونوس	Cyprus	كوبروس (قبرص)
انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق - ٢ -)	

أوروسيوس ، أروسيوس (هروثيوس ؟)
Orosios

انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، رقم - ١ ، ٢ -)

أورتيجيا ، أورتجية
Ortygia
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٦ - ، رقم - ٢ -)

بيرجاموم
Pergamum
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

بولاً
Polla
(انظر التنبية الخاص بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)

كوينتوس
Quintus
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ١٣ -)

روما (رومية)
Roma
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ١ - ، رقم - ٣ -)

سيميراميس
Semiramis
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

سيلوكوس ، سيلوكوس (سلوقس)
Seleucus
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة المزدوجة ،
التعليق - ٤ -) وقارن صوت (eu) بصوت الحرف
(u) ، انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ،
التعليق - ٥ - ، رقم - ٢ - حيث أشرت إلى اللبس)

هيلينا (هيلانة)
Helena
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)

ياپيتوس (= Iapetus)
Iapetus
إيونيا ، إيونية (= Ionia)
Ionia
* هذان الاسمان يونانيان كتباً بحروف لاتينية ،
ولهذا فان الحرف (I) حرف لين فلا يعامل معاملة
الحرف (I) الجامد في اللاتينية ، انظر (ب - أصوات
الحروف اللينة اليونانية ، التعليق - ٣ -)

إيليبا ، إيليبا
Ilipa
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة اللاتينية ،
التعليق - ٣ - رقم - ١ ، ٢ -)

جانوس ، يانوس
Janus (= Ianus)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٧ - ، ملاحظة)

جوبيتير ، يوبيتير
Jupiter (= Iupiter)
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٧ - ، ملاحظة)

ليجوريا ، ليجورية
Liguria
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق
- ٥ -)

ماجو
Mago
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٤ - ، ملاحظة - ٢ -)

ميلامبوس
Melampus
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق
- ٢ - ، ملاحظة)

Zama	زاما	Servius	سيرفيوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
- ١٩ -)		- ١٧ -) ، (أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
		- ٥ - ، رقم - ٢ -)	
Zenobia	زينوبيا ، زينوبية	Tarentum	تارينثوم
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
- ٢ - ، رقم - ٢ -)		- ١٦ -)	
Zmyrna	إزميرنا (أزميز)	Torquatus	توركواتوس
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
- ٦ - ، رقم - ٢ -)		- ١٣ -)	
Zopyrus	زوبيروس	Utica	أوتيكا ، أوتيكا
انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
- ٦ - ، رقم - ٢ - ، ملاحظة)		- ٥ - ، رقم - ١ -)	
Chlorus	كلوروس	Sulla	سولا
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة المركبة ،		انظر (ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق	
التعليق - ٢٠ - ، رقم - ١ - ، ورسم هذا الحرف		- ٥ - ، رقم - ٢ -) ، (انظر التنبيه الخاص	
كافاً لأنه ورد في اسم روماني ، وكما قلت فإن اللاتينية		بتشديد الحروف ، ص ١٣٤)	
لا تعرف صوت الخاء)			
Chrysippus	خريسبيوس	Valeria	فاليريا ، فاليرية
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة المركبة ،		انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق	
التعليق - ٢٠ - ، رقم - ٢ - ، وصوت هذا الحرف		- ١٧ -) ، (ب - أصوات الحروف اللينة ،	
(Ch) هنا يقابل صوت الخاء لأن الاسم يوناني)		التعليق - ٢ - : ملاحظة)	
Phosphorus	فوسفوروس	Varro	فارو
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق		انظر (التنبيه الخاص بالحروف المشددة) ،	
- ٢١ -)		(ب - أصوات الحروف اللينة ، التعليق - ٤ -	
		ملاحظة - ٢ -)	
Thessalia	ثيساليا ، ثيسالية	Xanthus	إكسانثوس
انظر (١ - أصوات الحروف الجامدة ، التعليق		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف	
- ٢٢ -) ، (التنبيه الخاص بالحروف المشددة ، ص ١٣٤)		ساكن ، رقم - ٢ - ، ص ١٣٣)	
		Xenophanes	إكسينوفانييس
		انظر (التنبيه الخاص بالأسماء المبدوءة بحرف	
		ساكن ، رقم - ١ - ، ص ١٣٣)	

هـ - ملاحظات على طريقة القدامى في النقل

ولا يسعنى الآن بعد هذه الدراسة إلا
المناداة بإعادة النظر فى أسلوب القدامى
أو غالبيتهم فى تعريب الأعلام الإغريقية
والرومانية ، فإنها فى حاجة ماسة إلى إعادة
النظر والفحص . ولأنى لعلى يقين أن هذه
الصيحة لن تجد آذاناً صاغية من البعض ،
فقد طالب ، على سبيل المثال ، الأستاذ
نلينو ، وهو المستشرق الفذ ، بأن يبقى
القديم على قدمه ، وما هو ذا يقول
بالحرف الواحد « يجب أن يبقى القديم
مما عرف عن العرب على قدمه ، ونحن
لا نتصرف إلا فيما يجد وفيما لم ينطق به
العرب ولم يكتبوه »^(١٧) ومثل هذا القول
يعنى أن النقلة القدامى الأجلاء أو بعضهم
كانوا على دراية تامة بأصوات الحروف
اليونانية واللاتينية ، جامدة ولينة وكانوا
كذلك على علم تام بقواعد اللغتين ،
اليونانية واللاتينية النحوية ، وهذا للأسف
غير صحيح فإن الكثير من الأعلام المعربة
ثبت أن أخطاء وقعت فى التعريب

وأسوق مثلاً استقيته من تصدير اللجنة
الموقرة التى ألفها المجمع لوضع قواعد
« لكتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف
عربية » ، فقد أشارت هذه اللجنة إلى
أن بعض الأعلام عربت على غير قاعدة
أو غلطا وذكرت أن معرباً قد أخطأ
فى تعريب الاسم Hypsiotes ونقله إلى
العربية (أبسقلاوس) لأنه عربته فى
صيغة الجر (المضاف إليه) بدلا من أن
يعربه فى صيغة الرفع (وهى الصيغة
الوحيدة التى ينبغى نقل الاسم على أساسها)
وقد عجبت لأن اللجنة رأت أن تحافظ
على مثل هذا النقل الشاذ^(١٨) لأن هذا
التعريب ليس شاذاً بل خطأ ، والعلم
لا يقر الخطأ وينبغى تصحيحه لا الإبقاء
عليه ، وهذه مسئولية المختصين ولا مهرب
منها بئى حال من الأحوال حتى يقدموا
يد العون إلى الباحث الذى يرغب فى
الوصول إلى الاسم العرب صحيحاً ليرجع
إلى أصله فى لغته فى يسر .

(١٧) انظر ، ٤٥ ، ٣٤٢ ، ص ١١٢

(١٨) انظر ، ٤٥ ، ٣٣٢ ، ص ١٠٦

ولما كنت أدرك أن ما أنادى به من إعادة النظر والفحص في طريقة القدامى في النقل لن يلقى ترحيباً بالدرجة الأولى ما لم أقنع المختصين بوجهة نظري بأسلوب علمي والتدليل على ما أقول بالأمثلة ، فقد حرصت على عرض طائفة من النماذج من الأعلام التي عربت قديماً ، وهذه سوف أناقشها مناقشة موضوعية بغية الوصول إلى الهدف الذي أنشده . وسبيلي في المناقشة سيكون على أساس ما اتبعته في ثانياً دراستي . وهو مراعاة الأمانة في نقل أصوات الحروف الجامدة والليننة في اللغتين المذكورتين إلى العربية وعدم الأخذ بالأصوات الدخيلة التي فرضت على حروف اللغتين المذكورتين وتحاشي تفخيم الحروف ، لأنني أعتقد أن هذا وحده هو الذي يحفظ للاسم المعرب صورته الأصلية . وقد يقول البعض إن الوقت قد تأخر للأخذ بطريقة جديدة - وسيقولون أكثر من ذلك بما لا أود الخوض فيه الآن أو بعد الآن - إلا أنني أرى أن تأخر الوقت يجب ألا يدخل في حساب الدارسين التقاعسين ما دام الغرض هو التصحيح وهو هدف له وزنه وكيف يقال إن الوقت قد تأخر وقد عني ويعني القرن الذي

نعيشه بإحياء التراث القديم وتحقيقه ، ولا يخفى أن بعض هذا التراث قد ترجم عن اليونانية واللاتينية أو يتصل اتصالاً مباشراً أو غير مباشر بعلوم الإغريق والرومان . ومما لا ريب فيه أن أعلاماً إغريقية ورومانية قد وردت في ثانياً نصوص هذا التراث والكثير منها لا يسير على القواعد الصوتية للغتين المذكورتين . أفليس من الواجب إذاً أن ننقل ما يمكن إنقاذه ونعيد النظر فيما نراه في حاجة إلى التصحيح ؟ وإذا تساءل البعض عن الطريقة التي تتبع لتصحيح ما عرّب قديماً ، فإني أقترح الآتي :

(١) بالنسبة للأعلام الواردة في نصوص التراث القديم المحقق المراد تصحيحها ، أرى الإبقاء على المعرب القديم في مكان من النص بين حاصرتين وكتابة الاسم المصحح في الحاشية وحبذا لو كتب بجانبه الاسم الإغريقي والروماني بحروف لاتينية للمقابلة بين المعرب وأصله في لغته .

(ب) وبالنسبة للأعلام الواردة في الكتب المؤلفة حديثاً التي يرجع فيها المؤلف إلى المخطوطات القديمة أو إلى مراجع حديثة تحوى هذه الأعلام (المراد تصحيحها) أرى أن يكتب العلم في النص صحيحاً ويكتب بجانبه الاسم الإغريقي والرومانى بحروف لاتينية للمقابلة بين العرب وأصله في لغته على أن يكتب العرب القديم بين حاصرتين في الحاشية .

وأود قبل مناقشة بعض النماذج أن أؤكد بأنى لا أرى بالنقلة القدامى الأجلاء ولا أنتقص من جهودهم الجديرة بكل تقدير، بيد أنى أنظر إليهم بوصفهم روادا مجتهدين قاموا بكل ما استطاعوه وليس علينا، نحن المحدثين، إلا أن نكمل ما نقص بما يحقق ما قصدوا إليه ولم يحالفهم الصواب .

وها أنذا أسوق طائفة من النماذج من الأعلام الإغريقية والرومانية وكذلك

الأعلام الأجنبية التي وردت في أعمال الكتاب الإغريق والرومان بحروف يونانية ولاتينية، ولن أتقيد بالنسبة للأعلام الأخيرة، بأصوات الحروف في لغاتها الأصلية .

وفيما يلى هذه الطائفة من الأعلام التي سأناقشها وأقترح تصحيحها^(١٩)

*Apns (= Lat. Arés)

نقل هذا العلم قديماً (أرس)، ونلاحظ أن العرب قد أهمل صوت الحرف (η) الذى يقابل في العربية ياء ممدودة، ثم أغفل وضع الحركات على الحروف . وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو (أريس) .

*Agáθw (= Lat. Agathon)

نقل هذا العلم قديماً (أغاثن) ونلاحظ أن العرب قد نقل حرف (γ) غيناً وأغفل صوت الحرف (ω) وهو يقابل الواو الممدودة . وما أقترحه نقلا لهذا العلم هو (أجاثون) .

*Assupia (= Lat. Assyria)

نقل هذا العلم قديماً (آشور) ويلاحظ أن العرب قد نقل الحرفين (σσ) شينا

(١٩) المرجو الرجوع إلى أصوات الحروف، جامعة ولينة ولينة مزدوجة (يونانية ولاتينية) في التعليقات الواردة في هذه الدراسة .

Ἐμπεδοκλῆς (= Lat. Empedocles)

نقل هذا العلم قديماً (أمفاد قليس) ،
أى أن الحرف (ε) الأول والثاني نقلًا
ألفاً ، وصوت هذا الحرف يقابل كسرة
مماثلة أو كسرة مشربة بالفتحة وليست على
كل حال ألفاً صريحة ، أما الحرف (π)
فقد نقل فاء على طريقة السريان ونقل
الحرف (χ) قافاً وهذا غير صحيح ،
وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(إيمپيدوكليس) .

Θεοδέκτης (= Lat. Theodectés)

نقل هذا العلم قديماً (ثاو داقطس) ،
أى أن الحرفين (ε ο) يقابلان (أو)
وهذا خطأ ثم إن صوت الحرف (ε)
نقل ألفاً ، وأما الحرف (χ) فنقل
قافاً ، ونقل الحرف (τ) طاء وأهمل
صوت الحرف (η) مع أنه حرف لين
مدود . وعلى ذلك فالنقل أبعد ما يكون
عن الأصل ، وما اقترحه نقلًا لهذا العلم
هو (ثيوديكيتيس) .

Ἴσις (= Lat. Isis)

نقل هذا العلم قديماً (إيزيس) أى
نقل الحرف (σ) الأول زايا وهذا
خطأ ، أما الثاني فنقل صحيحاً .

ثم أهمل صوت الحرفين اللينين (ι α) ،
وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو (أسوريا ،
أسورية) .

Βυζάντιον (= Lat. Byzantium)

نقل هذا العلم قديماً (بيزنطة) ويلاحظ
أن المعرب قد نقل الحرف (τ) طاء
ونقل الحروف (ium) تاء مربوطة
ولا أدري على أية قاعدة فعل هذا ،
وما اقترحه نقلًا لهذا العلم هو (بيزانتيون)
ويلاحظ أن النهاية (ov) فى اليونانية
يقابلها فى اللاتينية النهاية (um) .

Δάριος (= Lat. Darius)

نقل هذا العلم قديماً (دارا) وهذا
يخالف صورة الاسم فى اليونانية وخاصة
فى النهاية (ελος) ، وما اقترحه نقلًا
لهذا العلم هو (داريوس) .

Ἑλένη (= Lat. Helene, Helena)

نقل هذا العلم (هيلانة) ، أى أن
الحرف (ε) الأول نقل ياء وأما الثانى
فنقل ألفاً مع أن صوت هذا الحرف
لا يتغير ثم إن الحرف (η) فى نهاية
الكلمة نقل تاء مربوطة وكان يجب أن
ينقل ألفاً مماثلة أو ألفاً لينية ، وما اقترحه
نقلًا لهذا العلم هو (هيلينى أو هيلينا) .

والسؤال الآن : كيف يتغير صوت الحرف الواحد في الكلمة الواحدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (إيسيس) .

Καμβύσης (= Lat. Cambyses)

نقل هذا العلم قديماً (قميز) ، أى نقل صوت الحرف (K) قافاً ونقل صوت الحرف (σ) الأول زائاً وسقط المقطع (ης) في نهاية الاسم مع أن الحرف (η) حرف لين ممدود ، ولهذا فإن النقل لا يطابق صورة الاسم في اللغة اليونانية ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كامبسيس أو كامبوسيس) .

Κλεοφών (= Lat. Cleophon)

نقل هذا العلم قديماً (قلافون) ، أى نقل الحرف (K) قافاً ونقل صوت الحرفين (εο) (أَوْ) في العربية وهذا يخالف القاعدة ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (إكليوفون) مع ملاحظة أن الاسم مبدوء بساكن .

Κύρος (= Lat. Cyrus)

نقل هذا العلم قديماً (قورش) ، وذلك بنقل الحرف (K) قافاً ونقل الحرف (σ) شيناً وهذا أمر يدعو إلى

العجب ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كيروس) .

Ὅμηρος (= Lat. Homerus)

نقل هذا العلم قديماً (أوميروش) فانصرف العرب عن جرس الهاء في الاسم ونقل الحرف (σ) شيناً وهذا لا يتفق مع أصوات اللغة المنقول عنها . وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (هوميروس) وقد سبقني إلى ذلك بعض الدارسين والمربين المحدثين .

Περικλῆς (= Lat. Pericles)

نقل هذا العلم قديماً (بركليز) ، فأغفل العرب صوتي الحرفين اللينين (ι, ε) ونقل الحرف (σ) في آخر الاسم زائاً ولا يتفق هذا مع أصوات اللغة المنقول عنها ، وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (بيريكليس) .

Πορφύρων (= Lat. Porphorion)

نقل هذا العلم قديماً (فورفوريون) . فنقل العرب صوت الحرف (π) فاء وجعل بذلك صوت الحرفين (π) الپاء Φ الفاء) واحداً وهو الفاء ، وأعتبر أن هذا أسوأ مثل للنقل على طريقة السريان ، فكيف يهتدى الباحث إلى

الاسم الأصلي على هذه الصورة . وما أقترحه
نقلًا لهذا العلم هو (بورفوريون) .

Πρωτάγορας (= Lat. Protagoras)

نُقل هذا العلم قديماً (فروطاغورس) .
إن هذا التعريب حافل بالأخطاء ، فقد
نقل الحرف (π) فاء ونقل الحرف (τ)
طاء ونقل الحرف (γ) غيناً وأغفل
صوت (α) في آخر الاسم وكان لابد من
نقله ألفاً ، وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(بروتاجوراس) .

Σαλαμίς (= Lat. Salamis)

نُقل هذا العلم قديماً (سالامينا)
وسالامينا هذه ليست إلا صيغة المفعول
به للعلم والتعريب لا يكون إلا في صيغة
الرفع للعلم ، ويدل هذا على أن المعرب لم
يُميز بين صيغتي الرفع والنصب ، والنقل
الصحيح لهذا العلم هو إذا (سالاميس) .

Σέλευκος (= Lat. Seleucus)

نقل هذا العلم قديماً (سلوقوس) ،
سلوقس () ، فأغفل المعرب صوت
الحرف (ε) عند التعريب ونقل .
المزدوج (ε υ) واواً وهو ، وإن كان
جائزاً ، إلا أنه يسبب اللبس مع
أصوات الحروف (ο) ، (υ) ،

عند النقل ثم نقل الحرف (x) قافاً ،
وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(سيليوكوس) .

Σθένελος (= Lat. Sthenelos)

نقل هذا العلم قديماً (استانلس)
فنقل المعرب الحرف (ε) الأول ألفاً
وأغفل صوت الحرف (ε) الثاني ،
وباعد بذلك بين الأصل والمعرب ،
وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(استينيلوس) .

Σίσυφος (= Lat. Sisyphos)

نقل هذا العلم قديماً (سيوسيفوس)
وقد دهشت لهذا النقل الغريب ووددت
أن يكون خطأ مطبعياً ، إذ ليس في
بنية العلم ما يقابل الصوت (يو) ،
وما أقترحه نقلًا لهذا العلم هو
(سيسيفوس) .

Σοφοκλῆς (= Lat. Sophocles)

نقل هذا العلم قديماً (سوفقلس)
فنقل المعرب الحرف (ο) الأول واواً
وأما الحرف (ο) الثاني فقد أهمل
صوته . ونقل الحرف (x) قافاً وأهمل
صوت الحرف اللين (η) الممدود .

بطبيعته ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو
(سوفوكليس) .

Τηλέμαχος (= Lat. Telemachus)

نقل هذا العلم قديماً (طيلاماخوس)
فنقل المغرب الحرف (T) طاءً ونقل
الحرف (s) ألفاً مع أن الحرف
اليوناني (s) هو حرف لين مخفف
للحرف (η) ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا العلم
هو (تيلياماخوس) .

Africa

نقل هذا العلم قديماً (افريقية) فنقل
المغرب الحرف (e) قافاً ونقل الحرف
(s) في آخر العلم ياء وتاء مربوطة ؛
ولا تسمح القواعد الصوتية بذلك ،
فالحرف المقابل للحرف (s) في
العربية هو الألف اللينة ؛ وعلى ذلك فإن
ما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (أفريكا)
كما نقول الآن (أمريكا) .

Augustus

نقل هذا العلم قديماً (أوغسطس) ،
أغسطس () ، فنقل المغرب صوت
المزدوج (au) في المغرب الأول ألفاً
مضمومة بعدها واو ونقله في المغرب

الثاني ألفاً وأرى أن نقل المزدوج همزة
ممدودة مفتوحة بعدها واو ساكنة أقرب
إلى الصوت الأصلي له ، أما نقله ألفاً
ففيه من اللبس ما فيه ، إذ يكون صوته
مثل صوت الحرف (a) تماماً ومع أن
صوت المزدوج صار في الأزمنة الأخيرة
مثل صوت الحرف (s) فإن هذا يدعو
إلى بليلة المغرب المعاصر على الأقل . ثم إن
نقل صوت الحرف (g) غيناً وهذا
لا يتفق مع صوت الحرف في لغته ،
وأهمل كذلك صوت الحرفين (u) في
وسط العلم وفي آخره ولم يضع على الأقل
ضمة على كلا الحرفين الجامدين
السابقين عليهما . ونقل التاء طاء
كالعادة . ويعتبر هذا كله خروجاً على
القواعد الصوتية اللاتينية ؛ وما أقترحه
نقلاً لهذا العلم هو (أوجوستوس) ،
أوجستوس) .

Brundisium

نقل هذا العلم قديماً (برنديزي) ،
فأهمل المغرب صوت الحرف (u) ونقل
صوت الحرف (s) زايّاً ثم نقل
الحروف (ium) ياء . وهذا لا يسير
على أية قاعدة صوتية لا في العربية

نقل هذا العلم قديماً (هوروشوريوس)
ولا أعرف من أين أتى العرب بالجرس
الهائى فى أول العلم ، ونقل الحرف
(■) الأول شهناً ونقل الحرف (■)
الثانى سيناً ، إن ما أقترحه على أية حال
أن ينقل هذا العلم (أوريوس) .

نقل هذا العلم قديماً (رومية) ،
فنقل المعرب الحرف (a) فى آخر
العلم ياء وناء مربوطة وهذا مالا تسمح
به القواعد الصوتية ، فالحرف المقابل
للحرف (a) فى العربية هو الألف
المينة ، وعلى ذلك فإن ما أقترحه نقلاً
لهذا العلم هو (روما) .
والآن أليس تعريب النقلة القدامى
للأعلام الإغريقية والرومانية فى حاجة
إلى إعادة النظر ؟

ولا فى اللاتينية ؛ وما أقترحه نقلاً لهذا
العلم هو (برونديسيوم) .

نقل هذا العلم قديماً (شيشرون) ،
فنقل المعرب صوت الحرف (o) شيناً
ونقل الحرف (o) فى نهاية العلم واواً
ونوناً وهذا عجيب حقاً لأن النون ليست
من حروف العلم فى صيغة الرفع ؛
وما أقترحه نقلاً لهذا العلم هو (كيكىرو) .

نقل هذا العلم قديماً (لاطيوم) ،
فنقل المعرب صوت الحرف (t)
طاء ، وصوت الطاء ، كما قلت مراراً
وتكراراً ليس صوتاً لاتينياً . وبالمناسبة
فإن (اللاتينية) بوصفها صفة مشتقة
من Latium ، ينبغى أن تنطق طبقاً
لصوت الحرف (t) فى هذا العلم الذى
أقترح نقله (لاتيوم) وعلى هذا الأساس
يقال (اللاتينية) (لا اللاتينية) .

المراجع

(أ) المراجع العربية :

- ١ - « قواعد كتابة الأعلام اليونانية واللاتينية بحروف عربية » للأساتذة : فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين ، حسن حسنى عبد الوهاب (باشا) والدكتور منصور فهمى (بك) ، محمد كردعلى (باك) نلينو وجب ، وهم أعضاء اللجنة التى ألفها المجمع الموقر لوضع هذه القواعد (انظر مجمع اللغة العربية - مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، محاضر جلسات دور الانعقاد الرابع ، الثالثة والثلاثين والرابعة والثلاثين ، ص ٤٠٤ - ٤٢٦ ، القاهرة ، ١٩٣٧) .
- ٢ - « سر صناعة الإعراب » ، صنمه الشيخ أبى الفتح عثمان بن جنى ، الجزء الأول ، تحقيق الأستاذ إبراهيم مصطفى وأساتذة آخرين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ٣ - « المصطلحات العلمية فى اللغة العربية فى القديم والحديث » الأستاذ الأمير مصطفى الشهابى ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- ٤ - « التفكير الصوتى عند العرب فى ضوء سر صناعة الإعراب لابن جنى » للدكتور الأب هنرى فليش ، تعريب وتحقيق الدكتور عبد الصبور شاهين ، ص ٥٣ - ٨٩ ، مقال نشر فى مجلة مجمع اللغة العربية ، الجزء الثالث والعشرون ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- ٥ - أرسطو طاليس (ومصنعه أريستوتاليس) « فن الشعر » مع الترجمة العربية القديمة وشروح الفارابى وابن سينا وابن رشد ، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه الدكتور عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- ٦ - « علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب » تأليف أوليرى ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، راجعه الأستاذ زكى على ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

(ب) المعاجم الأجنبية :

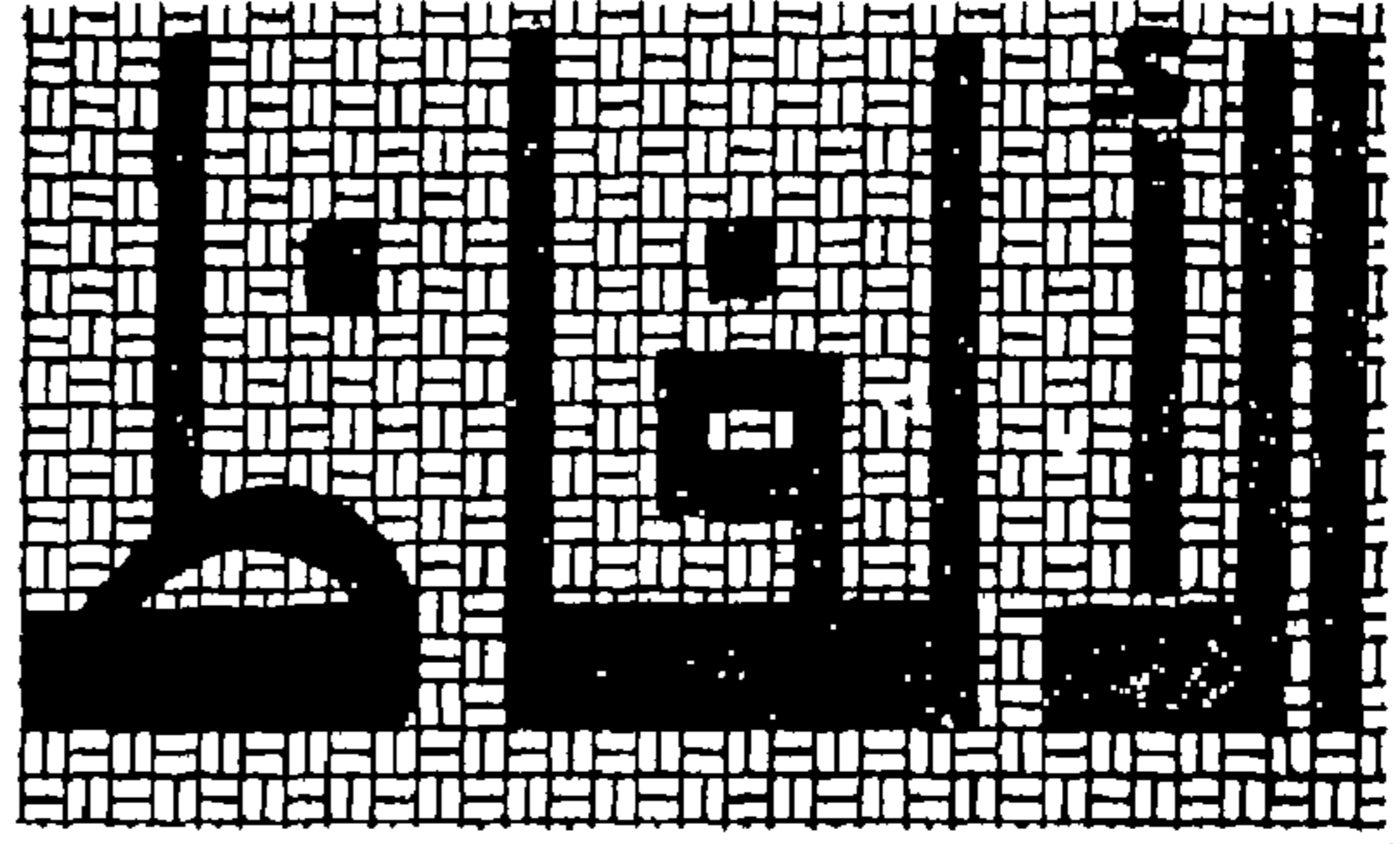
- 1.—Greek - English Lexicon, Liddell & Scott, Oxford, 1953.
- 2.—A Latin Dictionary, Lewis & Short, Oxford, 19٢7.
- 3.—The Oxford Classical Dictionary, Edited by Cary (M) & Others, Oxford, 1949.

(ج) المراجع الأجنبية :

- 1.—Atkinson (B.F.C.), The Greek Language, London, 1933
- 2.—Buck (Carl Darling), The Greek Dialects, Chicago, 1928.
- 3.—“ (“ “) , Comparative Grammar of Greek & Latin, Chicago. 1948.
- 4.—Crowford (D.S.), Greek & Latin : An Introduction to the Historical Study of Classical Languages, Cairo, 1939.
- 5.—Gildersleeve (B.L.), Latin Grammar, London, 1948.
- 6.—Giles (P.) A Short Manual of Comparative Philology, London, 1895.
- 7.—Goodwin (William W), A Greek Grammar, London, 1916.
- 8.—Niedermann (M.), Phonétique historique du latin, Paris, 1953.
- 9.—Roby (H.J.), School Latin Grammar, London, 1904.

محمد محمود السلامونى

ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية



للأستاذ نيقولا دوبريشان

نسبياً من الألفاظ التركية . ومما يلفت النظر فيما يتعلق بهذه الألفاظ أن أغلبيتها أصلها عربي . ومن المعروف - وهو جدير بالذكر هنا - أن اللغة التركية بدورها تأثرت تأثراً هاماً باللغة العربية ، إذ كانت هذه الأخيرة حاملة ثقافة وحضارة متطورة غنية ، بينما كانت لغة العثمانيين لغة فقيرة غير قادرة على التعبير عن منجزات الحياة المتحضرة لذلك العصر .

وبالإضافة إلى هذه الألفاظ دخلت في اللغة الرومانية ألفاظ عربية أخرى - وعددها

البلدان الرومانية^(١)



ما يقارب خمسة قرون

تحت نير الإمبراطورية العثمانية ، إذ يتشابه تاريخها في هذه المدة الطويلة مع تاريخ أغلبية مناطق العالم العربي ، لكنها لم تصبح أبداً أقاليم تابعة لهذه الإمبراطورية رغم أنها كانت تدفع الأتاوات ورغم أن الباب العالي كان يعيّن قادة هذه البلاد . وطوال عصور الاحتلال العثماني للبلدان الرومانية تأثرت اللغة الرومانية باللغة التركية تأثراً ملحوظاً ، فقد وصل إليها عدد كبير

(١) أراضي رومانيا الحالية كانت مقسمة إلى ثلاث دويلات : « مولدوفا » و « فالاهيا » (أو البلاد الرومانية) و « ترانسيلفانيا » .

واتحدت « مولدوفا » مع « فالاهيا » في دولة واحدة سنة ١٨٥٩ وحصلت الدولة الرومانية القومية على استقلالها الوطني إذ تحررت من السيطرة العثمانية سنة ١٨٧٧ . ووقعت الدويلة المسماة بـ « ترانسيلفانيا » لمدة قرون تحت سيطرة الإمبراطورية النمساوية المجرية وحصلت هذه المنطقة الرومانية على استقلالها بعد الحرب العالمية الأولى ، أي بعد انهيار هذه الإمبراطورية ، وانضمت إلى الدولة الرومانية الموحدة .

أصغر - عن طريق اللغة الأسبانية ولغات
غربية أخرى ، ولا نرغب في أن نحلل
هذه الألفاظ في مقالنا هذا لأن وضعها في
اللغة الرومانية يختلف اختلافا كبيرا عن
وضع الكلمات الدخيلة بواسطة اللغة التركية .
إن أغلبية الكلمات الدخيلة بواسطة
الأسبانية واللغات الغربية الأخرى أصبحت
مصطلحات علمية ولها مواضع ثابتة في
اللغة في الوقت الحاضر كذلك .

وأصبحت الألفاظ ذات الأصل العربي
موضع البحث من جانب الباحثين الرومانيين
في نهاية القرن التاسع عشر وبداية قرننا
العشرين ولكنهم كانوا يعتبرون جميع
الكلمات التي لها أصل شرقي (ومنها ألفاظ
أصلها فارسي أو تركي أو تترى)
« كلمات تركية » أو بمصطلح أوسع
وغير واضح « كلمات شرقية » أو
« عناصر لفظية شرقية ^(١) » .

(١) ونذكر بين أهم الدراسات في هذا المجال :

(أ) بحث « التأثير الشرقي على اللغة والثقافة الرومانية » للعالم اللغوي « لازار شينيانو » الذي صدر في بوخارست سنة ١٩٠٠ (العنوان باللغة الرومانية : *Influenta orientala asupra limbii si a culturii române Bucuresti, 1900*) وهو إكمال لبحث آخر عنوانه : « ألفاظ تركية في اللغة الرومانية » صدر في سنة ١٨٥٥ (العنوان باللغة الرومانية : *Elemente turcesti in limba română, Bucuresti, 1855*) ويعتبر بحثا « لازار شينيانو » من أكمل البحوث التي وضعت حتى الآن في هذا الموضوع رغم أن مؤلفهما لم يوضح ما هي مكانة الألفاظ العربية والتركية والفارسية بين هذه الكلمات . أما الجزء الثاني من هذا البحث ، فهو قائمة بالكلمات الشرقية وفي هذا الجزء يشير الباحث إلى الأصل العربي لعدد من الكلمات الشرقية . أما أغلبيتها فهو يشير إلى الكلمة التركية فقط بدون أي إشارة إلى أصلها العربي أو الفارسي . ونذكر كذلك أن « لازار شينيانو » لم يسجل في القائمة التي حددتها عددا كبيرا من الألفاظ العربية . وهو يقع في كثير من الأخطاء لأنه لم يعرف اللغة العربية ومن المحتمل أنه لم يعرف الفارسية ولا التركية . ولهذا السبب يعتبر عددا من الكلمات العربية فارسية أو العكس كما أنه لا يشير بصورة صحيحة إلى اللفظ العربي الذي كان أصلا للكلمة الرومانية .

(ب) بحثا « تيوفيل ليوبيل » : « ألفاظ تركية وعربية وفارسية في اللغة الرومانية » الصادر في ليهزيغ سنة ١٨٩٤ (العنوان باللغة الرومانية : *Elemente turcesti arabesti si persane in limba română, 1894*) و « اسهام في تحديد الأصل الشرقي لعدد من الألفاظ الرومانية » الصادر في بوخارست سنة ١٩٠٨ (العنوان باللغة الرومانية : *Contributuni la stabilirea originii orientale a unor cuvinte românești, Bucuresti, 1908*) ويكمل هذان البحثان عمل « لازار شينيانو » وتكون أغلبية تصحيحاته سليمة على الرغم من أنه يقع في بعض الأخطاء كذلك . وكان « تيوفيل ليوبيل » يجيد اللغة التركية كما عرف شيئا ما العربية . وما يشير الاهتمام أنه اعتبر الكلمات ذات الأصل العربي عربية وما كان منها تركي الأصل ألفاظا تركية وما كان منها فارسي الأصل ألفاظا فارسية (البحث الأول ص ١٧٠ - ١٨ ، البحث الثاني ص ٣٠)

واعتبرت « قضية الألفاظ العربية الأصل » محلولة من خلال هذه الأبحاث ولم يتناولها بالبحث اللغويون خلال نصف قرن تقريباً وأشار مؤخراً « ألكساندرو روسيتي » عضو أكاديمية العلوم الرومانية والأستاذ « بوريس كازكو » في كتابهما (تاريخ اللغة الرومانية) ، أشارا إلى ضرورة إعادة بحث هذه الكلمات في ضوء الإنجازات الجديدة في ميدان علم الاستشراق^(١) .

ويبدو أن عدداً من الباحثين لا يزالون يعدون جميع الألفاظ الشرقية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية عناصر لفظية تركية بصرف النظر عن أصلها العربي أو الفارسي .

إن الأصل المباشر لهذه الكلمات من اللغة الرومانية يوجد في اللغة التركية ،

ولكن دراسة عميقة دقيقة لأصل الألفاظ يجب ألا تكتفى بالإشارة إلى اللغة التي جاءت الكلمة منها مباشرة ، بل يجب أن تتابع الطريق الذي سارت عليه الكلمة وأن تصل إلى اللغة التي خرجت الكلمة المعنية منها . إن مثل هذه الدراسة تشير إلى إسهام اللغات في نقل منجزات ثقافة مختلف الشعوب كما تشير إلى أن لغات شعوب متباعدة ظاهرياً كانت بينها روابط ربما لا تزال قائمة ، كما توضح تحقيق التبادل بين مختلف الحضارات .

وقد نبّه اللغوي السوفياتي (ر. أ. بوداغوف) - حين أشار إلى هذه الفكرة - إلى أصل مختلف الألفاظ الدخيلة ، فنص على أنها تؤخذ مباشرة وغير مباشرة أي بواسطة لغة ثالثة أو حتى رابعة أو خامسة^(٢)

= (ج) بحث « بعض الألفاظ الرومانية ذات الأصل العربي والتركي والفارسي والعبري » لـ « غيورغي بوبيسكو تشوكايل » ، باريس ، ١٩٠٧ (العنوان باللغة الفرنسية : Quelques mots roumains d'origine arabe, turque, persane et hebraïque)

وهذا البحث يجافي المنهج العلمي الصحيح إذ يعتبر مؤلفه عدداً من الكلمات التي لا يوجد أي شك بصدد أصلها ، يعتبرها شرقية انطلاقاً من التشابه اللفظي أو الدلالي فقط بدون أن يأخذ في الاعتبار تاريخها والبحوث الأخرى التي وضعت إلى ذلك التاريخ والتي تشير بوضوح إلى أصلها .

(١) ألكساندرو روسيتي وبوريس كازكو ، تاريخ اللغة الرومانية ص ٣٤١٠ ، Al. Rosetti, B. Cazacu, Istoria limbii române literare, Bucuresti, 1961, p. 341

(٢) ر. أ. بوداغوف : مقدمة في علم اللغة (الطبعة الرومانية) ، بوخارست ١٩٦١ ، ص ١٣٧٠ .

أما الكلمات العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية فقد وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة ثالثة أى اللغة التركية ولكن هناك كلمات عربية وصلت إلى اللغة الرومانية بواسطة لغة رابعة (العربية - فالتركية - فالبلغارية) أو (الصربية أو اليونانية) - فالرومانية (أو العربية - فاللاتينية - فالفرنسية - فالرومانية) أو (العربية - فالأسبانية - فالفرنسية - فالرومانية) .

واعتبرت المستشرقة السوفيتية (ج. ف. زافا وفسكايا) الكلمات العربية الدخيلة في اللغة الفرنسية مثلاً اعتبرتها عربية - حتى لو لم تدخل إلى اللغة الفرنسية مباشرة من اللغة العربية^(١) .

وأشار (لويس ديروا) حيث تحدث عن كلمة magasin الموجودة في اللغة الفرنسية إلى أنها عربية الأصل وأصلها كلمة (مخازن) جمع (مخزن) بالرغم من أنها وصلت إلى اللغة الفرنسية بواسطة

الإيطالية أو البروفانسية^(٢) . ، وأشار في موضع آخر من نفس مؤلفه إلى أن بعض الكلمات الأجنبية قد دخلت الفرنسية عن طريق مباشر أو غير مباشر . « ومن الممكن أن نقول إن الفرنسية أخذت كلمات من جميع لغات العالم تقريباً إذا لم نأخذ في الاعتبار أن عدداً منها وصل إليها بواسطة لغة أخرى^(٣) » .

وفي رأينا أنه يجب أن نعتبر الألفاظ ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية ألفاظاً عربية لا تركية ولا شرقية تحرياً للدقة في التعبير .

وليس في نيتنا أن نتناول التغيرات الصوتية التي حدثت عند انتقال الكلمات العربية إلى اللغة التركية إذ أشار إليها اللغوي الفرنسي (جان ديوني) في كتابه « مبادئ النحو التركي^(٤) » . كما أشار (لازار شاينيانو) في كتابه (التأثير الشرقي على اللغة والثقافة الرومانية) المذكور إلى التغيرات الصوتية التي حدثت عند انتقال الكلمات من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية^(٥) .

(١) اللغات السامية (Semitskie iaziki) « الطبعة الروسية » ، موسكو ، ١٩٦٣ ص ٩٩ .

(٢) Louis Deroy, L'emprunt linguistique, Paris, 1956, p. 20

(٣) نفس المرجع ، ص ٢٨٠

(٤) Jean Deny, Principes de grammaire turque, Paris, 1955, P. 26

(٥) لازار شاينيانو ، العمل المذكور ، ص ٤١٠ - ٤٥ .

ويلفت النظر أن اللغة التركية قد أثّرت بخصائصها الصوتية في الكلمات العربية الدخيلة وعملت الرومانية بدورها نفس الشيء عند انتقال هذه الكلمات إليها . وفي حالة الكلمات الطويلة الحجم أو بعض التركيبات تم تقصيرها عند دخولها في الرومانية . وفيما يلي بعض الأمثلة : ع . استفتاح < ت . siftah < ر . saftea ؛ ع . مصادرة < ت . (mu) sadere < ر . satara ؛ ع . دار الصناعة < ت . tersane < ر . tersana ؛ ع . ما شاء الله < ت . masallah < ر . masala ؛ ع . سلام عليكم < ت . selamlie < ر . selamlie .

وجرى تغيير آخر في مجال الصوتيات كذلك ، ألا وهو فقد الحروف العربية الشدّة تشديدها عند انتقالها من اللغة التركية إلى اللغة الرومانية وذلك أن التشديد ليس من خواص اللغة الرومانية ، فمثلا : ع . بطّال < ت . battal < ر . batal ؛ ع . جلّاد < ت . gellad < ر . gealat ؛ ع . حمّال

< ت . hamma < ر . hamal ع . محلّة < ت . mahalle < ر . mahala ؛ ع . مقلّد < ت . mukallit < ر . mucalit إلى آخرها .

وهناك عدد من الأدلّة تشير إلى أن أغلبية الكلمات التي أخذتها اللغة التركية من اللغة العربية أخذتها من اللهجات الدارجة ولم تأخذها من اللغة الفصحى . والدليل الأول على ذلك أنها كلمات تحمل أسماء أدوات ملموسة لها انتشار واسع ، وقليل منها فقط يسمى عناصر للحياة الروحية .

والدليل الثاني هو فقد التنوين الذي الذي يمثل سمة للأغلبية الساحقة من الأسماء والصفات في اللغة الفصحى ، ولا يصدر إلا في حالات نادرة في اللهجات الدارجة . وقد تركت التنوين جميع الكلمات العربية الأصل التي أخذتها الرومانية بواسطة التركية ، فمثلا :

ع . بلاء < اللهجة بَلَا < ت . bela < ر . belea ؛ ع . كيف < اللهجة كَيْف < ت . keiyf < ر . chef ؛ ع . ترتيب < اللهجة ترتيب < ت . tertip < ر . tertip .

والدليل الثالث أنه لا يوجد هناك لفظ واحد وصل إلى اللغة الرومانية مسبقاً بأداة التعريف (ال) ، إن كل الألفاظ من اللغة الدارجة ولها استخدام واسع وهذا مما يفسر نقص أداة التعريف ^(١) .

والدليل الرابع أن أغلبية الألفاظ التي تنتهى في اللغة العربية بتاء مربوطة قد فقدت هذه التاء عند انتقالها إلى اللغة التركية : ع . عقيدة < t . akydo < ر . acadia ؛ ع . لقمة < t . lokna < ر . locma ؛ ع . نفقة < t . nafaka < ر . nafaca (وجرى عند الانتقال إلى اللغة الرومانية كما يبدو تغيير لترتيب الحروف الأصلية) .

وفي عصر التأثير التركي الطويل على البلدان الرومانية – وبالتالي على اللغة الرومانية – لم يُعَمَّس ما يسمى بالتركيب الأساسي للغة الرومانية . ونفس الشيء من

الممكن أن نقوله بصدد التركيب النحوي والتركيب الصوتي . إن الكلمات ذات الأصل العربي الدخيلة في اللغة الرومانية والتي بلغ عددها بعض المئات ترتبط بالحياة السياسية والعسكرية والإدارية للبلدان الرومانية وبالأثاوات التي كانت هذه البلاد مضطرة إلى دفعها ، وبالثياب الشرقية الأصل من ذلك العصر .

ودخل عدد من هذه الكلمات اللغة الرومانية بالعادات والعلاقات التي كانت تسميها بينما كان عدد منها يسمى العلاقات القائمة في الامبراطورية العثمانية ولما زالت العلاقات التي كانت تسميها هذه الألفاظ وتبدلت الأدوات التي دخلت معها اللغة الرومانية ، فإن هذه الألفاظ أصبحت غير معروفة وغير مستعملة وتعتبر في عصرنا هذا كلمات قديمة لا تستخدم إلا في كتب التاريخ أو كتب الأدب ذات الطابع التاريخي .

(١) والجدير بالذكر أنه دخل في اللغة الرومانية بواسطة اللغات الغربية كثير من الألفاظ العربية التي كانت مصطلحات علمية في اللغة العربية . وقد وصلت إلى اللغة الرومانية مسبقة بأداة التعريف ومن هذه الألفاظ مثلا : alambic, alcali, alcool, algebra, alidada وغيرها ، ويبدو أن استخدام أداة التعريف كان يشير إلى أن هذه الكلمات مصطلحات علمية إذا أخذنا في الاعتبار أن هناك كلمات من اللغة الدارجة وصلت بنوع آخر إلى اللغة الفرنسية ومنها إلى الرومانية ، مثل ع . فقير < ف . faguir < ر . fachir ؛ ع . مسكين < ف . mesquin < ر . meschin ؛ ع . فلاح < ف . fellah < ر . felah .

وفما يلي قائمة بالألفاظ العربية الأصل التي كانت تسمى علاقات سياسية وإدارية وعسكرية من عصر السيطرة التركية وأدوات ملموسة لها ارتباط بهذه العلاقات. ascher, cadi ascher^(١), caid, caimacam^o, calem, carar, cișt, dandana, gerid, hanger, harsa, hatıserif^o, havalea, hochim, huzmet, leafa, mazdrac, menzil, merchez, mertepca, meterez, mucaesca, mucarer, muchealemea, muhafiz, muhaserea, muhemat, muhur, mumbașir, murahaș, mușir, muteveliu, naip, nazir, nefer, nizam, nobet, raia, redif, regeal, reiz, rusumat, rușfet, sacat sadrazan^o, saltanat, seleaf, seraschier^o, serhat^o, sultan, tabie, tacir, talhîs, tarapana^o, teșcherea. teșrifat, umur, ușur, validea, valiu, vechil, vilaet, vizir, zabet, zaherea, zaim.

ولا يستخدم من هذه القائمة الطويلة إلا بعض الألفاظ في أيامنا ، بعضها نتيجة للتطور الدلالي وبعضها في الأدب ذي الطابع التاريخي

dandana, hanger, leafa, meterez, raia, sultan, tarapana, vechil, vizir.

ومن الممكن أن يجرى هذا التغير لأن العلاقات التي كانت تسميها تغيرت تغيرا مستمرا كبيرا .

ولا يزال يستخدم في عصرنا عدد من الكلمات التي كانت تسمى أنواعا من المنسوجات أو الثياب ، مثل : aba, anterieu, burnuz, catifea, cutnie, fes, giubea, halat, inamea, iminei, marama, melez قد تغير في خلال القرون .

وقد وصل إلى اللغة الرومانية عدد من الألفاظ التي لها وزن « فَعَّال » الذي يشير إلى المهنة أو الحرفة :

bacal, casap, cavaf, gealat, gerah, hamal, telal, zaraf وصلت إلى اللغة الرومانية بحرف عين غير مشدد . وبالإضافة إلى هذه ، وصلت كذلك كلمات أخرى تشير إلى الحرف أولها صلة بالحرف :

alvitar, calfa, hadîmb, halvagi, isnaf, māmular, nalbar, rușet, tergiman, seiz, surugiu يستخدم بعض هذه الألفاظ : casap التي اشتق منها في اللغة الرومانية الفعل cășăpi الذي له انتشار واسع و gealat, و surugiu و zaraf .

ومن الجدير بالذكر أن أغلبية الألفاظ التي لها صلة بالحياة المالية والتجارية

(١) الكلمات التي تتبعها هذه الإشارة (٥) تكونت في اللغة التركية من كلمتين عربيتين أو من كلمة عربية وكلمة فارسية

hardal, haşîş, liliac, mucava, sabur,
sidef, tahîn, zambac, zof, zambila

وكثير من هذه الكلمات يوجد في اللغة
الرومانية الحديثة ويستخدم بعضها
كمصطلحات علمية .

ويستخدم كذلك جزء من الألفاظ
التي كانت تدل على أسماء الأعيان :

alem, acaret, bagdadie, bina, cafas,
calup, canat, cherpedin, chiub, cîlf,
cubea, cula, halca, hap, havuz,
hazna, hurtum, mahmudea, macaz,
maden, magazie, mahala, maidan,
masala, matara, aba, anterior, burnuz
catifea, cutni, fes, giubea, halat
mehlem, merea, minaret, nastrapa,
sel, saca, satîr, zâraf, inamea,
iminei, marama, melez

ولبعض هذه الألفاظ انتشار واسع في
أيامنا أيضا .

والجدير بالذكر أن ١٥ كلمة من
مجموع الـ ٢١^(٢) كلمة التي دخلت إلى اللغة

تستخدم كذلك في عصرنا :

aiar, amanet, calp, chesat,
chila, mezat, magazie, mofluz,
musteriu, oca, raft, saftea, tarapana°,
telal, zaraf,

كما تحتفظ اللغة الرومانية الحالية
بأغلبية الألفاظ العربية الأصل التي كانت
تسمى أطعمة ومشروبات

acadea, cafea, cataif, chebap,
ciorba halva, locma, magiun,
musaca, rachiu, rahat, serbet,
talin , كما وصلت إلى الرومانية بعض
الألفاظ التي لها صلة بالأطعمة ومنها :
nutpah, nastrapa, sahan, satîr,
sofra, sufertas°, tain
satîr, sufertas°, tain. منها

ووصلت إلى اللغة الرومانية كذلك
بعض الكلمات العربية الأصل التي تسمى
نباتات ومواد مثل :

afion, cafea, cafea, cana, catran,^(١)
chibrit, chimen, cîrmîz, cubeba,

(١) دخلت كذلك بواسطة الفرنسية بشكل gudron

(٢) وسجل هذه الكلمات الـ ٢١ « الكساندرو روسيتي » و « بوريس كازاكو » في كتابهما المذكور ،

الرومانية عن اللغة التركية وكانت تحمل
دلالات مجردة أصلها عربي

bolea, berechet chef, cusur,
dandana, habar, hal haltir, huzur,
mahmur, marafet, nuri, sart, tabiet,
tertip

وبالرغم من أن مجال الديانة لم يُمسَّ
بالتأثير الإسلامي خلال القرون الماضية
فقد دخل إلى اللغة الرومانية عدد من
الكلمات التي كانت تسمى الأمور التي
لها علاقة بالدين الإسلامي . ومن الطبيعي
أن يكون أصل هذه الكلمات عربيا إذا
أخذنا في الاعتبار أن العرب^(١) هم الذين
أثسوا هذه الديانة . ولا تزال تستخدم
أغلبية الألفاظ التي تسمى وقائع لها صلة
بالدين الإسلامي :

cadu, Coran, geamie, gheaur, hagialic,
hagiu, hurie, imam, mecet, muezin,
musulman, rama - zan, salavat,
segedea. seic, seiton, ulema, vacuf

ومن المتوقع أنه جرت تغيرات كبيرة
في (دلالة) الألفاظ العربية الأصل
الدخيلة في اللغة الرومانية باعتبار أنها
وصلت إلى الرومانية بواسطة لغة أخرى
قبل قرون كثيرة . وعلى الرغم من هذه
الظروف فإن هذه الألفاظ لم تتغير معانيها

إلا في حالات نادرة وبصورة ضئيلة .
ودخل إلى الرومانية الألفاظ التي كانت
تسمى علاقات سياسية أو شرعية أو إدارية
أو عسكرية في عصر معين أي في عصر
الاحتلال العثماني في نفس الوقت مع
العلاقات التي كانت تسميها . أما اللغة
التركية فأخذتها في أغلب الحالات من
العربية بدون أن تحدث فيها أي تغيير
أو محدثة في بعضها تغيرات ضئيلة
صغيرة . وأغلبية هذه الكلمات لها نفس
المعاني في العربية والتركية والرومانية

ونذكر من بينها : *hochim* < حكم ،
mumbaşir < محافظ ، *muhafiz* ، مباشر ،
محاصرة < *muhaseera* ، متولى <
muteveliu ، مسلم < *muselim* ،
نائب < *naip* ، سلطان < *sultan* ،
تقرير < *tacrir* ، تذكرة < *tescherea* ،
والي < *valiu* ، ولاية < *vilaet* ،
وزير < *vizir* ، ضابط < *zabet* ،
زعيم < *zaim* كما لم تحدث
تغيرات في معاني الكلمات التي تسمى
أسماء الأعيان مثل :

acaret, alem, cafas, calup, havuz,
hurtum, musama, nastrapa

(١) لم نمن هنا بالسكان الأتراك والتتار الذين يعيشون في رومانيا حاليا والذين يتجاوز عددهم ٤٠ ألفا
والذين يعتنقون الإسلام .

وغيرها . وكذلك في معاني أسماء النباتات
والمواد مثل :

afon, cafea, cana, cafea, catran,
chimen, cîrmîz, cubeba, hardal, haşîş,
liliac, sabur, sidof, sofran, tahîn,
zambac

وفي المصطلحات الدينية مثل :

Cadiu, Coran, geamie, hagi, imam,
mecet, muezin, ramazan, şeic, seged e,
vacuf

أما الألفاظ التي تسمى أصحاب الحرف
وأشياء أخرى تتصل بهم ، فلم تجر فيها
إلا تغييرات طفيفة

bacal (bacan), casap, cavaş, gerah,
halvagi, hamal, isnaş, ruşet, seiz,
telal, tergişman, zaraf

وقد جرت أهم التغييرات في معاني الألفاظ
التي تسمى صفات أو عيوباً ولكن مدلولات
هذه الألفاظ أيضاً كانت أقرب إلى
المدلولات الموجودة في اللغة التركية أو في
اللغة العربية في عصر قديم من تاريخ اللغة
الرومانية . فمثلاً كلمة عجمي < acemi
بالمعاني الآتية : « فارس ؛ بربري ؛ جاهل ،
خشن ، غليظ ؛ مبتدئ ، شخص ليست
له خبرة < ageamî بالمعنى
« مبتدئ ، شخص ليست له خبرة بالحياة
أولا يحسن التصرف » ، ع . خائن <

hain بنفس المدلول الموجود في اللغة
العربية < ر . hain ، وكان للفظ الروماني
المعنى العام الموجود في العربية والتركية ولكنه
اكتسب كذلك معنى آخر « قاس » ؛ ع .
مقلد < ت . mukallit < ر . mucalit
وبالإضافة إلى الدلالة الأصلية تطورت هذه
الكلمة في اللغة الرومانية إلى معنى « مضحك
وهو جاذ ، متندر » . وفي ع . « تلبيس »
نجد أنها أصبحت في الرومانية telpiz
وأنها صفة في هذه اللغة ولها معنى « ماهر ،
[متكلف ، متصنع] . « [ألفاظ أخرى]

وجرت التغييرات التي تتصل بمعاني هذه
الكلمات في اللغة الرومانية بعد أن انقطعت
علاقاتها المباشرة مع اللغة التركية . إن حالة
من حالات تطور الدلالة يمثلها فقط عدد من
المدلولات الأصلية حيث يقتصر اللفظ على
معنى واحد وحسب ، دون المدلولات الأخرى
التي كانت له في التركية أو العربية . وهذه
الظاهرة تحدث في أغلبية الألفاظ العربية
الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية . كما
يحدث في بعض الحالات أن التركية بدورها
قد اقتصرت على أحد مدلولات اللفظ دون
غيرها . وفيما يلي بعض الأمثلة :

ع . عوائد (جمع العائدة) ^(١) < ت .
 await ؛ «مداخيل ، ضرائب » < ر .
 avat «ضريبة كانت تدفع لمداخيل
 معينة » . ونلاحظ أن الكلمة «عوائد»
 التي لها معان كثيرة في اللغة العربية دخلت
 في اللغة التركية ببعضها بينما لم تحتفظ
 الرومانية إلا بمعنى واحد . ونفس الظاهرة
 جرت بكلمات أخرى : ع . قيد < ت
 kayd < ر . caid «ملف ، أرشيف» ؛
 ع . خاطر < ت . hatin < ر . hatîr
 «رغبة» ؛ ع . مسافر < ت musafir <
 ر . musafir «ضيف» وغيرها .

وهناك طبعاً ألفاظ وصلت إلى الرومانية
 واحتفظت بمعانيها المختلفة من اللغة المانحة ،
 مثل اللفظ «حريم» الذي له في الرومانية
 المدلولان الموجودان في اللغة الأصلية :
 «زوجات رجل مسلم متعدد الزوجات»
 و «جزء من البيت الخاص بالنساء» .

ومن الطبيعي أن تتغير مدلولات كثير
 من الكلمات الدخيلة إذ أنها أصبحت ذات
 سمات جديدة تتسم بها ألفاظ اللغة التي
 وصلت إليها وتطورت في ظروف تاريخية

جديدة تحدّد تطوّر اللغة في مجموعها . وهناك
 في اللغة الرومانية كلمات عربية الأصل
 ابتعدت معانيها عن المعاني الموجودة لها في اللغة
 العربية وحتى في اللغة التركية . وهذا ما
 حدث مثلاً في اللفظ «أبرش» الذي كان
 يشير في اللغة العربية إلى صفة من صفات
 الحصان والذي أصبح في الرومانية (وشكلها
 abraş) يشير إلى صفة أخرى بالنسبة
 للحصان ألا وهي «جامع» وبالإضافة إلى
 هذه يشير إلى صفة من صفات الإنسان ألا
 وهي «عنيف وشرير» وإلى صفة لأعمال
 الإنسان ألا وهي «فاشل وخائب» . ومن
 الملاحظ أنه بينما كان يدل في العربية
 والتركية على صفة من صفات الإنسان فقط ،
 توسع في الرومانية نطاق الدلالة وأصبح
 يشمل بالإضافة إلى صفة الحصان صفات
 أخرى خاصة بالإنسان . إن تطورا مشابها
 جرى بالنسبة لكلمة «خفيف» والتي
 أصبحت تدل في الرومانية (وشكلها xif)
 على صفة «المفلس» .

وفي حالات أخرى لا يقتصر تطور اللفظ
 الدخيل على التعبير عن معان جديدة بل في

(١) لا تسجل هنا معاني الكلمات في العربية اعتباراً أن الباحث يجهلها في القواميس العربية .

إمكانها أن تكسب قيا بلاغية معينة وطابعا اجتماعيا معيناً . وقد أشار « لازار شاينيانو »^(١) في عمله المذكور إلى بعض هذه الكلمات ونحن نضيف إليها أمثلة أخرى :

afif (ع . خفيف) بمعنى « مفلس »
و ageamîu (ع . عجمي) بمعنى
« مبتدئ » و berechet (ع . بركة)
بمعنى « مكّار » و ciorba (ع .
شربة) في المثل a te băga în ciorba
cuiva بمعنى « تدخل في شؤون شخص آخر
و fes (ع . فاس) في المثل a turti
fesul cuiva بمعنى « خيب آماله »
و fitil (ع . فتيل) في المثل a băga
fitiluri بمعنى « دس الدسائس » و
hap (ع . حبّ) في المثل a îngbiți
hapul بمعنى « فشل » إلى آخرها .

وفيا يتعلق بالقيمة الاجتماعية التي تكسبها كلمة في مرحلة من مراحل تطورها ، أبلغ مثل هو مثل اللفظ chiabur (ع . كبير) . وقد أصبح لهذا اللفظ استخدام واسع جدًا في مرحلة انتقال رومانيا من الرأسمالية إلى الاشتراكية أي في سنوات

الكفاح ضد ملاك الأراضي الكبار ومن أجل الإصلاح الزراعي والتحول الاشتراكي للزراعة . واكتسبت هذه الكلمة في تلك السنوات معنى الكلمة الروسية « كولاك » تحت تأثير اللغة الروسية طبعاً وكانت لا تدل على الإقطاعيين بالضبط ، بل على فئة ريفية أخرى - فئة برجوازية الأرياف وصغار الملاك الذين لم تقم الدولة الاشتراكية بتأميم ممتلكاتهم أو بتوزيعها على الفلاحين الفقراء ولكنها ضغطت عليهم لكي يتجهوا إلى الاشتراكية . ونتيجة لاكتساب هذا المعنى أصبح لهذه الكلمة انتشار واسع إذ كان يستخدمها جميع متحدثي اللغة الرومانية واشتق منها أحد عشر مشتقاً جديداً بوسائل اشتقاقية خاصة للغة الرومانية وهي : صفة chiaburese واسم chiaburan واسم se chiaburime وفعل se chiaburi واسم chiaburoi ومصدر deschiaburire وفعل deschiaburi ومصدر deschiaburire وصفة închiaburit .

(١) لازار شاينيانو ، الكتاب المذكور ، ص . ٤٧

ومما يلفت النظر أن الانتشار الواسع لهذه الكلمة ومشتقاتها كان محدودا زمنيا ، ولا يستخدمها متحدثو الرومانية اليوم إلا عندما يتحدثون عن وقائع تلك الفترة التي تجاوزها المجتمع الروماني .

وحصلت الكلمة *vechil* (وكيل) كذلك في مرحلة معينة من تاريخها على ظل دلالي اجتماعي . وكان من بين معاني الكلمة العربية معنى « منتدب » و « مفوض » و « نائب » واحتفظت الكلمة بنفس الدلالات في اللغة التركية بينابذلتها في اللغة الرومانية إذ أصبحت تعني فيها بالإضافة إلى « نائب قائد الدولة » و « المحامي » معنى آخر ألا وهو « الشخص المفوض بالإشراف على العمل في إقطاع » أي « نائب الإقطاعي » و « مشرف » . ويعرفها متحدثو الرومانية بهذه المعاني الأخيرة نتيجة لاستخدامها في فترة طويلة من الزمن بهذه المعاني .

إن كثيرا من الكلمات العربية الأصل الموجودة في اللغة الرومانية اكتسبت ظلا دلاليا فكاهيا . فمثلا كلمة *berechet*

(بركة) اكتسبت بالإضافة إلى معنى « زيادة الخير » الأصلي معنى « مكّار » ، شاطر » وكذلك الكلمة *fudul* (فضول) التي لها بالإضافة إلى معنى يكون ممكنا تفسير ارتباطه بالمعنى الأصلي اكتسبت معنى آخر في المثل *fudul de-o ureche* أي « أصم » ، وكذلك الكلمة *hap* (حب) لها معنى جديد فكاهي في المثل *a inghiti hapul* بمعنى « تحمل شيئا غير محبوب » . هذا ، وقد اكتسبت ألفاظ أخرى ظلا دلاليا ممزوجا بالفكاهة ، ومنها *gealat* (جلاد) بمعنى « فتوة ، جدع » *mahala* (محلة) بمعنى « ساحة ، خاصّة في ضواحي المدن ، تجمع فيها الزبالة أو يستخدمها الأطفال للعب » . ويعرف كذلك متحدثو الرومانية هذه الكلمة في عصرنا هذا بمعانيها الجديدة هذه .

وأشار اللغوي الفرنسي « لويس ديروا » في إحصاء عامّ للكلمات الدخيلة إلى أن أغلبيتها (ما بين ٧١ في المئة و ٧٥ في المئة) أسماء وما بين ١٨ - ٢٣ في المئة أفعال ، وما بين ٣ - ٤ في المئة صفات ، و ١ في المئة حروف .^(١) ونلاحظ أن

(١) Louis Deroy ، الكتاب المذكور ص ٦٧ .

هذه الإحصائيات تؤكد كدها كذلك حالة الكلمات العربية الدخيلة إلى اللغة الرومانية: حوالى ٨٥ فى المئة منها أسماء وحوالى ١٠ فى المئة منها صفات وحوالى ١٠ فى المئة تكون حروفاً وأدوات تعجب . ومما يلفت النظر كذلك أنه لم يصل إلى الرومانية فعل واحد وربما ذلك بسبب الشكل المقيّد للفعل العربى .

وكثيراً ما يحدث عند انتقال لفظ من لغة إلى لغة أخرى تغير له من أجل إدخاله فى نوع صرفى معين كما يحدث تنقله من الاسم إلى الصفة أو العكس . وهناك بعض الأمثلة من هذه الناحية : اللفظ « فضول » كان اسماً فى العربية والتركية وأصبحت fudul فى الرومانية صفة واشتقت الرومانية من هذه الصفة اسماً جديداً حسب نظامها فى الاشتقاق fudulia . واللفظ « تلبيس » telpiz الذى هو مصدر فى العربية أصبح فى التركية اسماً وصفة وفى الرومانية صفة فقط . والحالة العكسية : اللفظ chiabur الذى تحدثنا عن معانيها أعلاه .

وبين الألفاظ العربية الأصل هناك بعض الصفات التى تدل على خواص أو

عيوب . ومن الجدير بالذكر أنها كانت فى اللغة العربية أسماء ومنها hain (خائن) بمعنى « شرير » و « قاس » و mofluz (مفلس) بمعنى « غير مرضى » و siret (شرة) بمعنى « ماكر » ، مخدع وغيرها . وهناك بعض الحالات التى لا تعتبر فيها اللغة التركىة الجمع جمعاً بل تعتبره مفرداً وتشتق منه جمعاً جديداً حسب نظام اشتقاقها للجمع كما تحدث هذه الظاهرة عند انتقال عدد من هذه المجموع إلى الرومانية . فمثلاً acarot (عقارات جمع عقار) يشتق منها جمع رومانى acaroturi ، وكذلك cataif (قطائف جمع قطيفة) يشتق منها جمع cataifuri . وكذلك من havadis (حوادث جمع حادثة) يشتق جمع havadisuri وغيرها . وهذا هو دليل آخر على أن هذه الكلمات وصلت إلى الرومانية عن طريق الحديث لا عن طريق الكتابة .

وأصبحت بعض أسماء المدن والمناطق العربية تسمى فى الرومانية بأشياء ملموسة أصلها فى هذه المناطق ، ومنها fes (مدينة فاس) بمعنى « طربوش » و misir

(مصر) بمعنى «حصان عربى» و sama
(شام) بمعنى «منسوج معين». واحتفظت
هذه الكلمات لفترة بعد دخولها الرومانية
بالمعنى الأصلي وفي مرحلة أخرى فقدت هذا
المعنى وأصبحت تعرف بمعانى هذه الأشياء
المللموسة التي اعتبر أصلها في هذه المناطق
العربية المذكورة .

كما وصل إلى اللغة الرومانية عدد من
النسب المشتقة من أسماء مناطق أو مدن
عربية كذلك . ومنها iminei (يمنى)
ويدل اللفظ على نوع خاص من الأحذية
يعتبر أصلها في اليمن و bagdadio
(بغدادى) الذى يدل على أسلوب معين في
طلاء المباني يتشابه مع الطلاء الذى كان
يستخدم في بناء البيوت ببغداد وغيرها .
وفي أغلب الحالات أصبحت هذه النسب
أسماء في الرومانية .

وليست الألفاظ التي تسمى ظروفًا أو
أدوات تعجب ليست في أغلب الحالات
كذلك في العربية ، بل هي إما أسماء وإما
مصادر وإما تركيبات لفظية ، فمثلا
اللفظ hareci (حراج) بمعنى «صوت
يستخدمه قائد بيع المزار» و masala
(ماشاء الله) بمعنى «أحسننت ، برافو

عليك» و tiptil (تبديل) بمعنى
«خفية» . ونذكر كذلك أن عددا من
الألفاظ العربية الأصل احتفظت بها
الرومانية في عبارات مركبة فقط على
الرغم من أن لها معان خاصة في العربية
وفي التركية ، ومنها : oherem (كرام)
في المثل la cheremul cuiva بمعنى
«تحت أمر شخص» و chelemet
(كلمة) في المثل a face chelemet
cu cineva بمعنى «أتصل بشخص اتصالا
وديا» و naht (نقد) في العبارة în naht
بمعنى «نقدا» و naiba (نايبة)
في العبارة la naiba بمعنى : في الداهية
وغيرها .

وتعتبر أغلبية هذه الأمثال قديمة ومن
الممكن أنه في فترة معينة من تاريخ
اللغة الرومانية كانت لهذه الكلمات معان
خاصة . ويبدو أن هذا سيكون مصير
ألفاظ لها معان خاصة وهي منفردة ولكن
أغلبية المتحدثين يعرفونها في أمثال . ومن
هذه الألفاظ : aman, abraş, habar, har,
hal, halal, haram, hatîr, hap,
iaca, mertepca, nazar, ramazan,
safta, sart

وكان عدد الألفاظ العربية الأصل التي
دخلت في اللغة الرومانية بواسطة التركية
يتجاوز ٤٠٠ لفظا . ويحتوى هذا الرقم

şaca, saftea, satîr, sidef, sofa, sufertas, şerbet, şiret, tabiot, tacîm, taman, talpiz, tertip, tiptil, vechil, zaiafet, zambila, zarzavat, zurliu.

وهناك ألفاظ أخرى تستخدم في اللغة الدارجة بصورة خاصة .

والجدير بالذكر أن عددا منها لا يزال يستخدم نتيجة للسعاني الجديدة التي حصل عليها في اللغة الرومانية ، مثل :

abras, ageamiu, avan, berechet, bira, dandana, fudul, gealat, halat, hatîr, leafa, magazie

وهناك ألفاظ أخرى بقيت في اللغة نتيجة لدخولها في أمثلة لها استعمال واسع ، ومنها : hac, habar, halal, hatîr, naiba وغيرها .

ومن أهم الملاحظات أن هناك عددا من الكلمات العربية الأصل التي وصلت إلى رصيد اللغة الأساسي أي أنها تُعدّ بين [الآلاف القليلة من ألفاظ اللغة الرومانية] التي تعتبر أساس متن اللغة وهذه الألفاظ هي cafea, chef, chirie, hal كلمة خامسة - cîntar - التي نشك في أن أصلها عري ولكنها دخلت بالمعنى

على الألفاظ الأصلية فقط ولا يشمل المشتقات المختلفة التي تكونت من هذه الألفاظ على التربة الرومانية ولا الأشكال اللهجية التي كانت متعددة في بعض الحالات . وتستخدم في الوقت الحاضر أغلبية هذه الألفاظ في لغة الكتابة ولكنها غير شائعة في الاستعمال العادي للغة .

إن عددا من هذه الألفاظ استخدم في قرون السيطرة العثمانية فقط وفي أغلب الحالات زالت في نفس الوقت بزوال الأدوات والمؤسسات والعلاقات التي كانت ترتبط بها .

إن كثيرا من الألفاظ التي حُلِّناها لا تزال تستخدم في عصرنا الحديث استخداما واسعا ، وهذه قائمة لها :

abras, acaret, ageamiu, bina, celp, catifea, catran, chef, chibrit, chirie, ciorba, cusur, dandana, fes, fitil, fudul, furtun, gealat, get-beget, habar, hac, hal, halal, ha'at, halva, hamal, haram, hatîr, haz, hazna, huzur, leafa, liliac, macaz, magazie, magiun, mahala, mahmur, marafot, marama, meremet, mezat, mofluz, mosor, mucalit, mucava, musaca, muşama, muşteriu, naiba, nãframa, oca, rachiu, rahat, ramazan, raft,

أما اللفظة chirie (كراء) فلها
تسعة مشتقات ويُعدُّ بعضها مهجورا :
الاسم chiriş والاسم chirigiu
> ت. kiragy والفعل închiria
والمصدر închiriere والمفعول închiriat
والفعل reînchiria والمصدر reînchiriere
والفعل subînchiria والمصدر
subînchiriere

أما اللفظة haI (حال) فبالرغم من أنه ليست لها مشتقات فلها استعمال جدّ واسع نتيجة لدخولها في عدد من الأمثال الواسعة الاستخدام .

وفيما يخص اللفظة cîntar فلها ستة مشتقات وكلها تستخدم بصورة خاصة في لغة التجارة ، وهي اسم الحرفة cantaragiũ > ت. kantaragy والفعل cîntări والمصدر cîntărire والمفعول cîntărit والصفة necîntărit والصفة recîntărit .

إن كثيرا من الألفاظ التي ذكرناها
أعلاه دخلت في لغة الأدب نتيجة لظلالها

ت. > keyfli والفعل chefui واسم
التصغير chefulet واسم التصغير chofusor.

البلاغية أو نتيجة لقوتها التعبيرية الكبيرة ، كما دخل عدد آخر منها في رصيد الألفاظ المهجورة للغة الرومانية والتي تخرج من مخفأها وتستخدم لوصف وضع خاص من ماضى التاريخ .

ومن المفترض أن جزءاً من الكلمات العربية الأصل الدخيلة إلى اللغة الرومانية سوف يستمر استخدامها لمدة طويلة بعد إما نتيجة لأنه لا يوجد هناك مترادفات تنافسها وإما نتيجة للظلال الدلالية الجديدة التي اكتسبتها .

هذا ، ونقدم فيما يلي قائمة كاملة بالألفاظ العربية الأصل الدخيلة في اللغة الرومانية بواسطة اللغة التركية ولأسباب من السهل فهمها نقتصر على الإشارة إلى الأصل العربى والوسيط التركى من غير

أن نشير إلى معانيها . إن الراغبين في بحث هذه الكلمات في إمكانهم أن يجدوا دلالاتها مسجلة في قواميس اللغة الرومانية . ولا نسجل في هذه القائمة كذلك إلا الشكل الأساسى لكل كلمة أى الشكل الذى يستخدم في اللغة الفصيحة أو الذى كان له أكبر انتشار في حالة الكلمات التى لا تستخدم في الوقت الحالى . ولانسجل الأشكال اللهجية الأخرى التى لها استخدام محلى أو محدود زمنياً رغم أنه في عدد من الحالات تكون هذه الأشكال أقرب من الأصل وتساعدنا في فهم التطور الدلالي . ولانتناول المشتقات الأخرى المكونة في اللغة الرومانية . ورتبنا الألفاظ في هذه القائمة حسب الحروف الأبجدية الرومانية .

اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية
عبار	aiar
علم	alam
أما	amma
أمان	aman
أمانة	amanet, emanet
عرب	arab
عرض	arz
عرض حال	arzi hal
عجم	Arzihal ^o
عبار	aba
أبرش	abraş
عقيدة	akyde
عقارات	akaret
عادة	âdet
خفيف	hafif, afif }
عجمى	agemî
عجم	Agem
	aba
	abraş
	acadea
	acaret
	adet
	afif
	ageamiu
	agem

اللغة العربية < التركية < الرومانية	اللغة العربية < التركية < الرومانية				
ascher(iu)	asker	عسكر	caid	kayd	قيد
atlaz	atlaz, atlas	أطلس	caimacam ^o	kaymakam	قائم مقام
avaet	avait, avaid	عوائد	caimea	kayme	قائمة
avan	havan	خوان	calem	kalem	قلم
bacal	bakkal	بقال	calta	kalfa	خليفة
bagdadie	bagdadi	بغدادى	calp	kalp, kalb	قلب
batal	battal	بطل	canat	kanat	كنة
băcan	bakkal	بقال	carar	karar	قرار
bacon	bakkam	بقم	casap	kasab, kassab	قصاب
becher	bekâr	بكر	cataif	kataif	قطائف
belea	helâ	بلاء	catifea	katifa	قطيفة
berechet	bereket	بركة ؛ بركات	catran	katran	قطران
bidiviu	bedevi	بدوى	cavaf	kavaf	خفاف
bina	bina	بناء	cavas	kavas	قواس
budala	budala	بدلاء	căneala, cana	kana	حناء
burnuz	burnuz, burnus	برنس	chebap	kebap	كباب
cabul	kabul	قبول	chef	kef, keiyf	كيف
cadiascher	kadyasker	قاضى عسكر	chelemet	kelimet	كلمة
oadiu	kady	قاضى	cherem	kerem	كرام
cafas	kafas	قفص	cherpedin	kerpedin	كلبتان
cafea	kahve	قهوة	chesat	kesat, kesad	كساد
caiafet	kiyafet	كيفية	chiabur	kebir	كبير
			chiafir	kyafir	كافر

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
دولة	devlet	devlet	كاتب	kyatib	chiatip
دخان	duhan	duhan	كبريت	kibrit	chibrit
دعاء	duva	duva	كيلة	kile	chila
أتباع	etba	ecpaia	غلاف	kîlîf, gylaf	chilîf
فرفرة	farfara	farfara	كراء	kira	chirie
فاس	fes	fes	كوب	kup, kub	chiup
وسوسة	fesfese, vesvese	fesfesea	شربة	ciorba	ciorba
فيل	fil	fil	قنطار	kantar	cînter
فضول	fudul	hudul	قرمز	kîrmîz	cîrîmîz
خرطوم	hortum	furtun	قسط	kyst	cîştîu
جلاد	gellât, gellâd	gealat	القرآن	Koran	Coran
جمال	gemal	geamala	قبّة	kubbe	cubea
جامع	gami	geamie	كبابية	kebâbe	cubeba
جلاب	gelep	gelep	قلعة	kula	cula
جراح	gerrah	gerah	قماش	kumaş	cumaş
جريمة	gereme	geremea	قصور	kusur	cusur
جدّ بجدّ	ged-bi-ged	get-beget	كسكس + كباب	kuş-kebaby	cuşchiebap ^o
كافر	gâvur	ghiaur	قطنية	kutnie	cutnie
كرديّة	kurdiye	ghiordie	دهى	ḍahi	ḍahiu
جلّ	gul	giol	دائرة	daire	dairea
جبّة	ğubbe	giubea	طنطنة	tantana	dandana
خبر	habar, haber	habar	دعوى	dava	dava
حقّ	hak	hao	دور	devir	dever

العربية <	التركية <	الرومانية	العربية <	التركية <	الرومانية
حوادث	havadis	havadis	خادم	hadym	hadim
هووى	lavayi	havaiu	حاج	hagi	hagiu
حوالة	havale	havalea	خائن	hain	hain
حوض	havuz	havuz	حال	hal	hal
هزل	haz, hazl	haz	حلال	halâl	balal
خزينة	hazine	hazna	خلعة	halat	balat
البت	elbet, elbette	helbet	آلات	alât	halat
حكم	hüküm	hochim	حلقة	halka	balca
حورية	hurie	hurie	حلوى	halva	halva
خرطوم	hortum	hurtum	حمال	hammal	hamal
خدمة	byzmet	huzmet	خنجر	hanger	hanger
حضور	buzur	huzur	حب	hap	bap
خفيف	afifli, hafifli	iffliu	خراج	haraci	haraci
إمام	imam	imam	حرام	haram	haram
يمنى	yemeni	iminei	حراج	harec	hareci
عناد	inat, inad	inat	خردل	hardal	hardal
عطر شامى	ytri-sahi	indrus aim	حريم	hareem	hareem
أصناف	esnaf	isnaf	غاشية	hasa	harşa
علوفة	olefe, ülefe	leafa	غشاء	hasa	hasa
ليلك	leylak	liliac	خط	hatt	hat
لقمة	lokma	locma	حد	hat	hat
مقعد	makat	macat	خطأ	bata	hata
مقص	makas	macaz	خاطر	hatir	hatîr

اللغة العربية <	التركية <	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
مكتوب	mektup	مكتوب	mehtup	madea
ملس	melez	ملس	melez	madem
منزل	menzil	منزل	menzil	magazie
مركز	merkez	مركز	n.erchez	magiun
مرعى	mera	مرعى	merea	magmuza
مرمة	meremet, meramet	مرمة	meremet	mahela
مرتبة	mertebe	مرتبة	mertepea	mahnudea
متاع	metah, meta	متاع	metah	mahmur
متراس	meteriz	متراس	meterez	maidan
مزداد	mezat	مزداد	mezat	mansub
منارة	minare	منارة	minarea	marafet
ميراث	miraz	ميراث	miraz	marama
مصر	Misir	مصر	nisir	maraz
مفلس	muflus	مفلس	mofluz	masala
مسلم	moslim	مسلم	moslim	masat
مزور	muzevvir	مزور	mozavir	mascara
مبايعة	mubaya	مبايعة	mubaia	maşala
مكدم	mukadim	مكدم	mucadin	matara
مقايسة	mukayese	مقايسة	mucaesea	matuf
مقلد	mukallit	مقلد	mucahit	mazdrac
مكرمة	mukarreme	مكرمة	mucaremea	mazil
مقوى	mukavva	مقوى	mucava	māmular
مكالمة	mukâleme	مكالمة	mucâlemea, mukâleme	mecet

العربية <	التركية <	الرومانية	العربية <	التركية <	الرومانية
نقش	nakaşlik	nacaşlic	مكلف،	mukellef	muchelef
نقد	nakt, nakd	naht	مدير	mudir	mudir
نايبة	nayba	naiba	موزن	muezzin	muezin
نائب	naip, naib	naip	مفتي	mufti	moftiu
مشربة	meşrebe	nastropa	محافظ	muhafiz	muhafiz
نظر	nazar	nazar	محاصرة	mubasere	mubaserea
ناظر	nazir	nazir	مهمات	muhimmat	muhemat
نعل + بند	nalbant	nālbar	مهر ، مهر	muhur	muhur
نفر	nefer	nefer	مباشر	mubaşir	mumbaşir
نتيجة	netige	netogea	مرخص	murabbas	murabaş
نصف	nisfiyet	nisfia	مساعدة	musaade	musaadea
نظام	nizam	nizam	مسقم	musakka	musaca
نوبة	nobet, nevbet	nobet	مسافر	musafir	musafir
نور	nur	nur	مصاحب	musahip	musaip
أقّة	okka	oca	مسلم	musellim	muselim
ألماس	elmas	olmaz	مشمع	muşama	muşama
رفّ	raf	raft	مشاورة	muşavere	muşaverea
رجاء	reğa	ragea	مشير	muşir	muşir
رجال	rigal	rageal	مشتري	muşteri	muşteriu
راحة	rahat	rahat	متفرّكة	muteferrika	muteferica
راحة الحلقوم	rahatlokum	rahatlocum	مطبخ	mutbah	mutpah
رعايا	raya	raia	متولّي	mutevelli	muteveliu
رمضان	ramazan	ramazan	نفقة	nafaka	nafaca

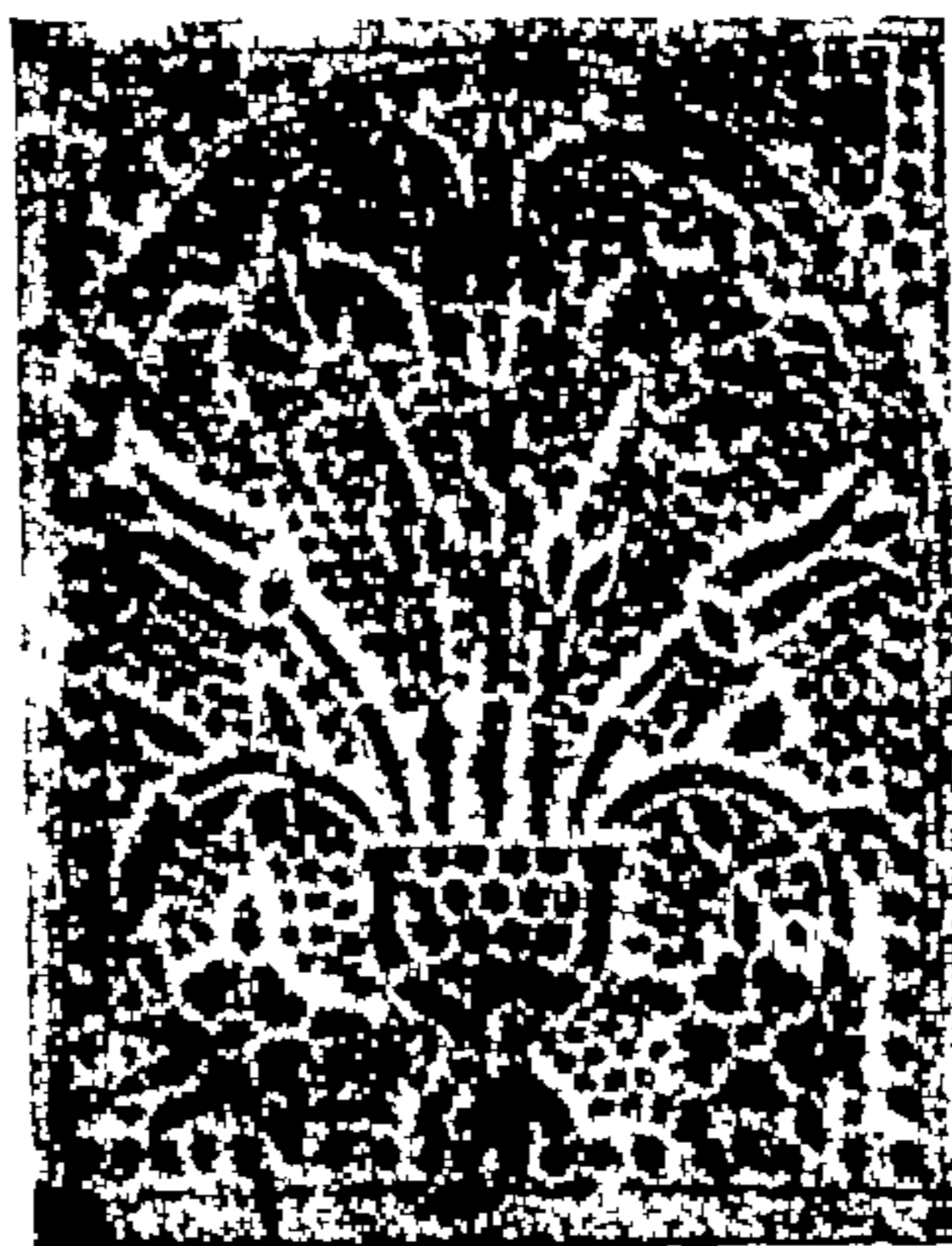
اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
ساطور	satir	satır	رقم كاب	rakam	răcam
سائس + خانه	seysane	saxana°	ركاب	rikiab	rechiab
سجادة	seggade	segedea	رديف	redif	redif
سائس	seyis	seiz	رئيس	reis	reiz
ميل	sel	sel	ربعة	rubiye	rubia
سلام عليكم	selâmlık	selamlıc	رقعة	ruka	ruca
سلامة	selâmet	selemet	حرفة	rufet, hyrfet	rufet
سر + عسكر	serasker	seraschier°	ربع	rüb	rup
سر + حد	serhat	serhat°	رسومات	rusumat	rusumat
صدف	sedef	sedef	رشوة	rüşvet	ruşfet
سلاح	sileaf, silâh	sileaf	رتبة	rüte, rütbe	rutea
سميد	simit	simit	صبر	sabyr	sabur
سند [م]	senet	sinet	سقاء	saka	saca
صينية	sini	sinie	سقط	sakat	sacat
زقاق	sokrak	socac	صدر أعظم	sadrazam	sadrazan°
صفة	sofa	sofa	صافي	sâf	safi
سفرة	sofra	sofra	استفتاح	sefte, sifta	safta
سلطان	sultan	sultan	صحن	sahan	sahan
[صورة	suret	suret	سلام عليكم	selamalek	salamalec°
سروجي	surugi	surugiu	صلوات	salavat	salavat
شبكة	şebeke	şabaca	سحلب	salep	salep
شاه مات	şah mat	şah mat	سلطنة	saltanat	saltanat
شام	şam	şam (ă)	مصادرة	musadere	satara

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
تعليم	talim	talim	شرط	şart	şart
طمع + كر	tamakar	tamachiar ^o	شاطر	şatir	şatir
تمام	tamam	taman	شربات	şerbet	şerbet
تنور	tandur	tandur	شيخ	şeyh	şeyh
طرف	taraf	taraf	شريف	şerif	şerif
ضرب + خانة	tarabhane	tarapana ^o	شرّة	şirret	şiret
تقسيم	taksim	taxim	زعفران	şafran, zaferan	şofran
تكليفات	teklifat	teclifat	شروط	şurut	şurut
دلال	tellâl, dellâl	telal	دبّاغ	tabak	tabac
تلبيس	telbis	telpiz	طابية	tabiye	tabie
تمنى	temenna	temenea	طبيعة	tabbiat	tabiet
ترجمان	tergeman	tergiman	طاقم	takim	tacim
دار صناعة	tersane	tersana ^o	تقليد	taklit, taklid	taclit
ترتيب	tertip	tertip	تقرير	takrir	tacrir
تذكرة	tezkere	teşcherea	طحين	tahin	tahin
طباشير	tebeşir	tibişir	تخمين	tahmin	tahmin
تبديل	tebdil	tiptil	تحميص	tahmis	tahmis
ثلث	suls	tult	طائفة	taife	taifa
علماء	ulema	ulema	طائفة	taife	taifas
أمور	umur	umur	طائفة	taife	taifet
عشر	öşur	uşur	تعيين	tayin	tain
وقف	vakuf	vacuf	تلخيص	telhis	talhiş
وعدة	vâde	vadea	طالع	tâli	tali

اللغة العربية <	التركية <	الرومانية	اللغة العربية <	التركية <	الرومانية
زنبق	zambak	zambac	والدة	valide	validea
سمبل	sümbül	zambila	والى	valii	valiu
ضبط	zapt, zabt	zapt	وكيل	vekil	vechil
صراف	zaraf	zaraf	وزنة	vezine	veznea
ظرف	zarf	zarf	ولاية	vilâyet	vilaiet
ظريف	zarif	zarif	وزير	vezir	vizir
خضروات	zerzevat	zarzavat	ضابط	zabit	zabet
ذوق	zevk	zefchi	ذخيرة	zahire	zaharea
صوف	sof	zuf	ضيافة	ziyafet	zaiafet
ظلم	zulüm	zulum	ضعيف	zayif	zaif
			زعيم	zaîm	zaim

NICOLAE DOBRISAN
 Section de langues orientales
 Université de Bucarest
 Roumanie

نيقولا دوبريشان
 أستاذ قسم اللغات الشرقية
 جامعة بوخارست - رومانيا



دراسة

في حركية عين الكلمة الثلاثية في العربية ولهجاتها

للدكتور أحمد علم الدين الجندى

مقدمة :

توهم القدماء من علمائنا ضالة قيمة الحركات - وأنها أمر ثانوى بالقياس على الحروف ، وفى هذا القول بعض المغالاة ، فللمحركات خطورتها فى تنويع أصل كل معنى ، وعن طريقها يتحقق تغاير المعنى الصرفى ، والدور البنائى الوظيئى . وتاريخ الحركات - جزء هام من تاريخ الكتابة العربية فى عصورها

الإسلامية ، غايتها تصوير كل صوت برمز كتابى يدل عليه . ولقد مرت العربية فى تاريخها الطويل بإصلاحات فى هذه الحركات متنقلة بيس النقط^(١) وغيره حتى استقرت على يد الخليل بن أحمد - رائد هذه المدرسة العلمية بإبدال طريقة النقط التى وضعها أبو الأسود الدؤلى للدلالة على الحركات الإعرابية بجرات علوية وسفلية للدلالة على الفتح والكسر ، وبرأس واو للدلالة على الضم^(٢) ، وما قام به الخليل فى هذا الشأن يرمى إلى العبقرية العربية ، وأياً ما كان فالكتابة وحركاتها ترتبط بال عقيدة الإسلامية حيث حملت الدين الجديد على جناحيها شرقاً وغرباً ، بل كانت له خيراً من صليل السيوف ومشروعات الرماح ، كما ترتبط بالفن الهندسى الجمالى تارة أخرى .

(١) ألف فى النقط كثيرون من العلماء منهم أبو عمرو الدانى صاحب كتاب: النقط والشكل: مكتب الدراسات الإسلامية فى دمشق ١٩٤٠ م . تحدث فيه عن نقط المصاحف وكيفية ضبطها على الفاظ التلاوة ومذاهب القراءة ، كما ذكر مواضع الحركات من الحروف ، والتنوين وتتابعه ، وعلامة السكون والتشديد ، وتحدث كذلك عن أحكام نقط ما نقص من هجائه ومازید فى هجائه بالنسبة للمصحف ...

(٢) وآخر هذه الإصلاحات فى الحركات حتى الآن ما قام به الدكتور خليل عساكر حيث أضاف خمس علامات مبتكرة وجعلها رموزاً لخمس حركات ترد فى نطق اللهجات العربية الحديثة ، وقد رأى اتفاق هذه العلامات الجديدة وانسجامها مع طبيعة الكتابة العربية . انظر مجلة مجمع اللغة العربية ج ٨ . وأرى أن هذا الإصلاح هو الرابع فى تاريخ إصلاح الكتابة .

وفي العربية نجد أنماطا من الحركات المختلفة من بسيطة ومزدوجة Diphthong ومطولة ومخطوفة أو مختلصة إلى آخر ما نراه في كتب العربية وعلوم القرآن ، على أن الحركات يمكن أن ترتبط بنظرية نحويى العربية الذين يرون أن الحركات الأساسية هي التي بواسطتها تحرك نهاية الكلمة في حالات الإعراب ، غير أنه يوجد إلى جانب هذه الحركات حركات أخرى نشأت بتأثير الحرف الصامت سابقا أو لاحقا ، مع بعض العوامل الأخرى .

والحركات قصيرة وطويلة وليس من فرق بينهما إلا في الكمية ، والأولى قامت بدور المخالفة بين الصيغ التي لا تفترق إلا في حركة محققة البناء الوظيفي في الصيغة ، من ذلك :

حفرت وسط الدار بئرا	بين الظرفية والإسمية .	شَاتِمُ فلان فلانا وَشَاتِمُ فلان
وحفرت وسط الدار بئرا		
قاتل فلان فلانا وقاتل فلانا	بين المشاركة وبين الأمر	

شَاتِمُ فلان فلانا
وَشَاتِمُ فلان

سَقَف وسُقُف
ضُحْكة وضُحْكة
شُرْبة وشِرْبة

فما رأيت من تفاوت أو تغاير في المعنى
الوظيفي فمرجه الاختلاف في الحركات
دون غيرها .

حركة العين وتنويع المعنى :

قد تتوالى الحركات والسكنات على الصيغة ، وتتقاصف عليها فتألف نمطا منسجما يتواكب مع المعاني الوظيفية^(١) ، ويمكن أن نرى نموذجا لما وقع فيه التخفيف بالإسكان في عين الكلمة ، ونرصده دلالاته فإذا نظرت إلى :

(أ) ثَبَّت وثَبَّت ، فالدلالة في الأول على المتثبت ، وفي الثاني على زيادة التمكن في الوصف .

(ب) النَّفْض والنَّفْض ، والخَبِط والخَبَط ،
والطَّرْد والطَّرَد ،
فقد كثر عنهم مجيء المصدر

(١) انظر : الوحدات الصرفية ص ٢٥٢ (مخطوط بمكتبة كلية دار العلوم) الأستاذ أحمد عبد العظيم .

على فعل سا كن العين ، واسم
المفعول منه على فعل مفتوحها^(١)
كما يمكن أن تختلف دلالة
الكلمة أيضا باختلاف أى
حركة فيها ولو كانت الحركة
غير السكون :

(١) فمن ذلك : قول ابن درستويه
« وقد يلتزمون أحد الوجهين
للفرق بين المعاني كقولهم :
ينفر - بالضم من النفار
والاشمئزاز ، وينفر - بالكسر
من نفر الحجاج من عرفات^(٢) »
إلا أن هذه المفاهيم الدقيقة قد
تجمدت فيما بعد وزالت الحدود
بينها رويدا رويدا ، نخذ
مثلا قول الله تعالى : « ويهلك
الحرث والنسل^(٣) » فقد
روى هارون عن الحسن وابن
أبي إسحق وابن محيصن .
« وَيَهْلِك » بفتح الياء واللام
ورفع الكاف . الحرث والنسل :

رفع فيهما ، وابن مجاهد
يغلط القراءة ، وابن جني
يتصدي للدفاع عنها معتمدا
على دربته الذهنية وأقيسته
الصناعية إذ يقول : لعمري
إن ذلك ترك لما عليه اللغة....
ثم ينقل ابن جني عن أبي بكر
(أنه كان يذهب في هذا إلى
أنها لغات تداخلت^(٤)) . وكان
على اللغويين أن يبحثوا في
المعنى أولا بمعنى أن الفعل هلك
- إذا جاء في قبيلة من باب
ضرب ، وفي أخرى من باب
علم - هل يكون المعنى واحدا
فيهما أم يختلف باختلاف
الصيغة ؟ وكان عليهم أيضا
أن يفتشوا عن الباب الأصلي
لهذه المادة والفرع منها ، وهل
الأصلي يتساوى مع الفرع
في المعنى أو يزيد أو ينقص
أو ينحرف معناه قليلا أو
كثيرا ؟ .

(١) المحتسب لابن جني ٢ / ٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) المزهر للسيوطي ١ / ٢٠٨ (٣) سورة البقرة آية ٢٠٥

(٤) المحتسب ١ / ١٣١ خط بالميمورية .

(ب) وقد كان لدى الفراء شفافية في لحظ هذه الظلال الدقيقة بين الضم والفتح ، وذلك في كتابه « المذكر والمؤنث »^(١) قال الفراء : أكثر القراء على فتح القاف في قوله تعالى : « إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله » وقرأ أصحاب عبد الله : قرح - بالضم . وكان القرح - بالضم ألم الجراحات وكان القرح - بالفتح الجراحات بأعيانها . على أن كثيرا من المتأخرين يملكون على مثل هذا ، ولا يكادون يقفون تلك الوقفة الرائعة التي وقفها الفراء حين نظر إلى الصيغة من الجانب الفني الدلالي لا الجانب الميكانيكي الصناعي الذي ينحصر في استبدال حركة بأخرى على حين تبقى الدلالة في الصيغة راکدة هامة .

التفريع والتفريع في عين الكلمة :

معلوم أن الثلاثي المجرد له الأوزان الآتية : فعل ، فعل ، فعل بفتح العين وكسرها وضمها ولكن لوحظ أن الصيغتين الأخيرتين تعتورهما تغيرات عدة لا سيما في الأوزان الصرفية ، والقصد من هذه التغيرات هو التخفيف وتوفير الجهد الذي تنزع إليه القبائل العربية في أثناء كلامها ، وأمثال ذلك ما نجده في :
 ١- فَعِلَ : بكسر العين سواء كانت اسما أو فعلا حيث ينطق بها (فَعْل) بتسكين العين مثل : عَلِمَ تقول فيه : عَلِمَ ، وفي كَتَفَ : كَتَفَ ، وفي فَخَذَ : فَخَذَ ، ويظهر أن هذه التغيرات أو التفريعات تختص بلهجة تميم ، على حين لهجة الحجاز أبقنتها على حالها بدون تفريع ، يقول الرضي « وجميع هذه التفريعات في كلام بني تميم ، وأما أهل الحجاز فلا يغيرون البناء ولا يفرعون^(٢) » وعزاه سيبويه « إلى بكر بن وائل وأناس كثير من

(١) ٢٦ ، وانظر اللسان ٦ / ١٤٨

(٢) شرح الشافية : ابن الحاجب : ١ / ٤٠ ط حجازي .

تميم^(١) ، وبالإستقراء وجد أن صيغة :
(فَعِل) بكسر العين يتفرع عنها ما يلي :

(١) تسكين العين : مثل فعل .

(ب) تسكينها بعد نقل حركتها إلى
الفاء فتصير (فَعِل) نحو :
شهد ، فخذ ، في حلقى العين ،
وكتف ، وكبر ، في غير الحلقى .

(ج) التفرع الثالث : فَعِل :
بكسرتين وهذا التفرع يختص
بما كان حلقى العين نحو ضحك .
هذه هي تفرعات (فَعِل)
بكسر العين .

(١) فَعِل : بكسر العين وتفرعها
إلى فَعُل بسكون العين .

ولما كانت النصوص القرآنية ، وغيرها
هي سبيلنا في إثبات كل قضية فالإليك
ما يلي :

١ - كلمة على وزن نبتة وهي الفصحى
وهي لغة الحجاز ، وبها جاء التنزيل ،
وكلمة على وزن (سدره) ، وعلى وزن
(تمرة) وهي لغتا تميم^(٢) . ويقول
المصباح بأن « الكلمة » تخفف على
لغة بنى تميم^(٣) . وفي قوله تعالى : « قل
يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء^(٤) »
قرئت كلمة - على وزن نمربة ، وكلمة
على وزن (سدره)^(٥) .

٢ - وفي الآية « وكأين من نبي قاتل
معه ربيون كثير ، فما وهنوا لما
أصابهم^(٦) . قرأ عكرمة وأبو السمال :
وهنوا بإسكان الهاء^(٧) .

٣ - يرى الأزهري أن (الوسمة)
بكسر السين وهو كلام العرب - وعزى
كسر السين إلى لغة الحجاز^(٨) ، وقال
الجوهري تسكينها لغة^(٩) . ولا شك
أن التسكين تفرع عن الكسر وأرجح
أن التسكين لتميم .

(١) سيويه : ٢ - ٢٥٧

(٢) ابن هشام : شذور الذهب : ١٣/١ ، وحاشية عبادة على الشذور : ١٣/١

(٣) المصباح : ٨٣١/١ ، شرح المفصل : ابن يعيش : ١٩/١ ، اللسان : ٤٢٨/١٥

(٤) سورة آل عمران آية : ٦٤ (٥) البحر : ٤٤٧/٢ : ٤٨٢

(٦) آل عمران آية : ١٤٦ (٧) البحر : ٧٤/٣

(٨) المصباح : ١٠٢٤/٢ (٩) اللسان : ١٢٣/١٦

٤- في قوله تعالى : « وإن كان ذو غسرة فنظرة إلى ميسرة »^(١) فقرأ أبو رجاء ومجاهد والحسن وغيرهم بسكون الظاء - وهى لغة تميمية^(٢) - كما عزاها في المحتسب إلى تميم^(٣) أيضا . ولا شك أن هذا التسكين فى الظاء للتخفيف من نظرة - بكسر الظاء .

٥- وما رواه ابن السكيت من أنه سمع أعرابيا من بنى تميم يقول : « نَعَمْ »^(٤) وقرأ ابن وثاب قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار »^(٥) بفتح النون وسكون العين ، قال أبو حيان وتخفيف فعل لغة تميمية^(٦) .

ويظهر أن هذا التخفيف لم يكن خاصا بتميم بل شمل كثيرا من المناطق العربية ، فكانت بكر بن وائل تخفف مثل هذا فقد ذكر سيبويه فى كتابه « أن من

العرب من يقول : نَعَمْ الرجل - فى نَعَمْ - كأن أصله : نَعَمْ ثم خفف بإسكان الكسرة على لغة بكر بن وائل^(٧) ، وما يزيد هذا الدليل قوة ما روى عن أبي هريرة وعاصم الجحدري فى قراءتهما « مَلِك يوم الدين »^(٨) فى « مالك يوم الدين »^(٩) على الصفة المشبهة . وقد قرأ بها أيضا عبد الوارث عن أبي عمرو^(١٠) ، كما عزيت هذه القراءة فى مكان آخر لربيعة ، واستشهد لها بقول الأعشى : فقال للملك أطلق منهم مائة رَسَلًا من القول مخفوضا^(١١) ومارفعا

وإذا كانت الظاهرة واحدة فى بكر بن وائل وربيعة ، فذلك لأن العلاقة النسبية بينهما قائمة ، إذ أن بكرا هذه - كما ترى كتب الأنساب - بطن من ربيعة^(١٢) .

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٠

(٢) (٢) ٣٤٠/٢ من البحر المحيط ، ومختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ١٧

(٣) المحتسب : ابن جنى : ١٦٤/١ مخطوطة بالتيمورية رقم ٣٧٩ تفسير تيمور .

(٤) لإصلاح المنطق : ١٠٥ (٥) سورة الرعد آية : ٢٤ (٦) البحر المحيط : ٣٨٧/٥

(٧) اللسان : ٦٦/١٦ (٨) البحر : ٢٠/١

(٩) سورة الفاتحة آية : ٤ (١٠) مختصر شواذ القرآن لابن خالويه : ١

(١١) الاشتقاق : ١٧ ط وستنفلد . (١٢) نهاية الأرب : القلقشنلى : ١٧٨

وإذا كان هذا التسكين جائزا فإننا نرى بعض المتزمتين يسمونه بعدم الصحة مستدلين بقول الشاعر :

وأحفظ من أخى ما حفظ منى

ويكفينى البلاء إذا بهـلموت

فسكن حفظ - وهو غير سائغ على رأيهم !! والصحيح أنه جائز في سعة الكلام وليس من الضرورة في شيء .

والأمثلة السابقة فيها تفرعت الصيغة (فَعِل) إلى (فَعَل) بسكون العين .

وقد تتفرغ صيغة (فَعَل) بكسر العين إلى (فَعِل) بسكونها ، وذلك في لهجة تميم ، ومن ذلك :

(ب) فَعِل : بكسر العين وتفريعها إلى فَعِل بكسر الفاء ، وسكون العين .

١- وذلك قوله تعالى « بثسما اشتروا به أنفسهم » ^(١) فأصل بثس : بثس من البؤس ، سكنت همزتها ، ثم نقلت

حركاتها إلى الباء ، كما قيل : لكبد : كبد .

قال الطبري في تفسيره « وهى من لغة الذين ينقلون حركة العين من فَعِل إلى الفاء إذا كانت عين الفعل أحد حروف الحلق الستة - وذلك فيما يقال لغة فاشية في تميم » ^(٢) .

٢- وقرأ الجمهور قوله تعالى « سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » ^(٣) بكسر النون وسكون العين وهى أكثر استعمالاً ^(٤) ، وأصلها : نَعِم ، فسكنت العين ثم نقلت حركاتها إلى النون قبلها فصارت (نَعِم) .

٣- وفى المخصص أنه سمع من العرب من يقول « وَرِكَ ، و - وَرِكَ ، وَكَيْفَ وَكَيْفَ » ^(٥) ، وَلَجِبَ وَلِجِب ^(٦) .

والغرض من هذا التفريع المعزى إلى تميم هو كراهة الانتقال من الأَخَف إلى الأَثْقَل . ولهذا آثرت تميم تسكين العين فى هذا كله ، والسكون أخف من الحركة .

(١) سورة البقرة آية : ٩٠

(٣) سورة الرعد آية : ٢٤

(٥) المخصص : سفر ١٤ ص : ٢٢١

(٢) تفسير الطبري : ٢/٢٣٨ دار المعارف .

(٤) البحر : ٥/٣٨٧

(٦) تفسير الطبري : ٢/٣٣٨ دار المعارف

وقد تتصرع صيغة : فَعِلَ إلى فِعِل ،
بكسر الفاء والعين وهذا التفريع لا يكون
إلا في الحلقى العين .

(ج) فَعِل : بفتح الفاء وكسر العين
وتفريعها إلى فِعِل : بكسر
الفاء والعين .

وهذا التفريع لا يكون إلا في الحلقى
العين كَنِعْم وبئس : فتقول فيها على
التفريع نعم وبئس ، بكسر الفاء والعين
في كل منهما والأصل فيهما ، نعم وبئس
بفتح فكسر ، وقد عزا صاحب التوضيح
الصيغتين نعم وبئس ، بكسر الحرفين
الأولين إلى تميم حيث قال « وكسرهما
عند بني تميم ، ولا يعجز الحجازيون فيهما
إلا الأصل »^(١) ، وقد ساق سيبويه
عدة صيغ على فعل : بكسر الفاء والعين
منها : رجل لعب : بكسر الفاء والعين ،
ورجل محك ، وهو ماضغ لهم : بكسر الفاء
والعين ، وهذا رجل وعك^(٢) .

ولقد علل الرضى هذا التفريع في تلك

الصيغة فقال « وإنما جعلوا ما قبل الحلقى
تابعاً له في الحركة ، مع أن حق الحلقى
أن يفتح نفسه أو ما قبله كما في « يد مع »
لثقل الحلقى وخفة الفتحة ، فأتبع
فاؤه لعينه في الكسر^(٣) . وعلل سيبويه
لهذا التفريع بأن حرف الحلق لا يناسبه
إلا الفتح ، ولم تفتح العين الحلقية هنا
خوفاً من أن تلتبس صيغة (فعل) بفتح
العين مع صيغة (فعل) بكسرها ، فلما
لزمت العين الكسر ، وهى حرف حلق ،
وفى ذلك شيء من الثقل - أتبعوا الفاء
العين ليحدث نوع من التخفيف بالميل
من كسرة إلى كسرة ، وذلك لأن اللسان
يعمل في جهة واحدة ، فيكون العمل من
وجه واحد^(٤) .

٢- فَعِل : بفتح الفاء وضم العين
وتفريعها إلى فَعِل : بفتح الفاء وسكون
العين . وقد جاء التفريع فيها بسكون
العين تخفيفاً ولا يكون ذلك إلا عند بني
تميم . وأمثلة ذلك : ما قرئ به في قوله

(١) التصريح والتوضيح : ٩٥/٢

(٢) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، شرح السيراني على سيبويه : ٥-٣١٣ مخطوط بالتيمورية .

(٣) شرح الشافية : ٤٠/١

(٤) كتاب سيبويه : ٢٥٥/٢ ، وانظر : المخصص لابن سيده : سفر : ١٤ ص ٢١٣

تعالى : كبرت كلمة تخرج من أفواههم^(١)
بسكون الباء في (كبر) - وعزاها
أبو حيان إلى تميم^(٢) . كما قرأ أبو السمال
قوله تعالى : « وحسن أولئك رفيقا »^(٣)
بسكون السين - وعزاها أبو حيان إلى
تميم كذلك^(٤) : ونسب ابن خالويه في
البدیع هذه القراءة إلى قعنب^(٥) .

على حين لغة الحجاز لا تفرع في تلك
الصيغة ، فقد قرأ الجمهور الآية السابقة
« وحسن » بفتح الفاء وضم العين وهي
الأصل ، قال أبو حيان : وهي لغة الحجاز^(٦) ،
ويظهر أن التفرع في تلك الصيغة لم يكن
خاصا بتميم وحدها - فقد شمل بقاعا
أخرى من الجزيرة العربية ، ومما يؤيد
هذا ما جاء عن سيبويه من أن التسكين
في العين لغة بكر بن وائل ، وأناس كثير
من تميم ، ومثل لذلك بقوله : « عَضِدْ
في عَضِدْ وفي كَرُم الرجل : كرم^(٧)
بفتح فسكون ، وقد وجدنا صدى للهجة

بكر بن وائل في كتاب الله أذكر منها :

(١) قال تعالى : « حتى إذا ضاقت

عليهم الأرض بما رحبت »^(٨)

قرأ زيد بن علي « بما رحبت »
بسكون الحاء^(٩) .

(ب) وقال تعالى : « كبرت كلمة
تخرج من أفواههم »^(١٠) .

فقد قرئ « كبرت » بسكون الباء -
وهي لغة تميم^(١١) .

ويجوز في هذا التفرع أي صيغة
« فَعَلْ » أن تنقل ضمة عينه إلى فائه
فيكون على وزن (فُعْل) بضم الفاء
وتسكين العين - وعليها قرئ قوله تعالى :
« وحسن أولئك رفيقا »^(١٢) « وحسن »
بضم الحاء وسكون السين ، والذي حدث
في تلك الصيغة : أن حركة السين وهي
الضمة ، نقلت إلى الحاء قبلها - وقد
عزى هذه الصيغة المنقولة حركتها -

(٢) البحر : ٩٧/٦

(٤) البحر : ٢٨٩/٣

(٨) سورة التوبة آية : ١١٨

(١٠) سورة الكهف آية : ٥

(١٢) سورة النساء آية : ٦٩

(١) سورة الكهف آية : ٥

(٣) سورة النساء آية : ٦٩

(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٧

(٦) البحر : ٢٨٩/٣ ، الدر اللقيط : ٢٩٠/٣

(٧) الكتاب : ٢٥٧/٢

(٩) البحر : ٢٤ / ٥

(١١) البحر : ٩٧/٦

أبو حيان « إلى لغة بعض قيس »^(١) -
ويظهر أن النقل في الحركة هنا لا يصح
إلا إذا لمحمنا معنى التعجب فيها ، لأن التغيير
في اللفظ بالنقل صحبه معنى آخر زائدا
وهو التعجب ، وهذا معنى كلام الرضى
« من أن فعل - الذى فيه معنى التعجب يقال
فيه فعل^(٢) » بسكون العين وضم الفاء .

واستشهد لذلك بقول الأخطل :

« وحبَّ بها مقتولة حين تُقتل »

ولعل ذلك دلالة على نقله إلى معنى
التعجب^(٣) .

وأصل : حُبَّ : حَبَب - بفتح العين ،
ثم حول إلى فَعُل : بضم العين لإرادة
المدح والتعجب فصار « حبيب » بضم
العين ، ثم نقلت العين إلى الفاء بعد
حذف حركتها فصار : حُبَّ بضم ففتح .

وفى نسبة البيت السابق إلى الأخطل
دليل يفيدنا فى قضيتنا ، وهو أن هذا
التفريع فى الصيغ لم يكن فى تميم فقط ،
ولكنه شمل أجزاء كبرى من الجزيرة

العربية - فالأخطل هذا من تغلب ، وتغلب
وبكر ابنا وائل من ربيعة . وفى الكامل
للمبرد نجد شيئا من التفريع فى صيغة
فَعُل بضم العين ، وتحويلها إلى فَعُل
بسكونها .

من ذلك قول عمران بن حطان :

من الأزد إن الأزد أكرم معشر

يمانية طابوا إذا نسب البشر^(٤)

ويعقب المبرد على البيت السابق بقوله :

وينشد :

(يمانية قربوا إذا نسب البشر)

بسكون الراء .

يريد : قربوا - بضم الراء . قال
المبرد : « وهذا جائز فى كل شئ مضموم
أو مكسور إذا لم يكن من حركات
الإعراب : تقول فى الأسماء : فى فَعِلْ :
فَعِلْ وفى عَصْد : عَصْد بسكون العين ،
وتقول فى الأفعال : كرم عبد الله بسكون
العين أى كرم^(٥) » ، وقول المبرد « وهذا
جائز . . . » دليل على أن هذا ليس
بابه الضرورة ، بل يكون فى سعة الكلام .

(١) البحر : ٢٨٩/٣

(٢) شرح الشافى لابن الحاجب : ٤٣/١

(٤) الكامل : ١١/١٢ ط حجازى ١٣٦٥

(٣) شرح الشافى : ٤٣/١

(٥) الكامل المبرد : ١١٤/٢

ولمّا كان القصد من هذا التفريع - هو التخفيف ، لأن النطق بصيغة : فَعْل بسكون العين أخف من صيغة فعل : أى بضم العين ، ولا شك أن السكون أخف من الضم . ولو لم يسكنوا العين بل تركوها على الضم لترتب عليه أن اللسان ينتقل من الأَخَف وهي الفتحة - إلى الأَثْقَل منه - وهي الضمة ، ولهذا سكنت الضمة في تفريعه ، لأن السكون أخف . ويظهر أن التسكين كما كان في الكلمة الواحدة عند تميم ، شمل الكلمتين أيضا ، ويظهر هذا في غير المتصل بأن تكون الكسرة أو الضمة ليست في وسط الكلمة - كما تقدم من الأمثلة - بل ينظر إليها بجانب كلمة أخرى ، ومن هذا أنهم يسكنون هاء - هو وهي ، إذا سبقتهما واو ، أو فاء ، أو لام ، وقد وردت بعض القراءات على ذلك : منها قوله تعالى : « وهو بكل شئ عليم »^(١) ، « وإن تخفوها وتؤتوها المقرء فهو خير لكم »^(٢) ، « وإن الدار الآخرة لهي الحيوان »^(٣)

فقد قرأ قراء عديدون بسكون الهاء من الآيات السابقة منهم أبو عمرو والكسائي وأبو جعفر^(٤) ، وعزا صاحب الإتحاف هذا التسكين إلى نجد ، كما نسب التحريك فيها إلى الحجاز^(٥) .

والسبب في هذا التسكين عند نجد أو تميم أن (فَهُوَ) على وزن (فعل) فكما جاز أن نسكن عَضُدًا - فتكون (عَضُد) ، جاز تسكين الهاء من (فهو) التي برزن (فَعْل) بضم العين فتصير (فهو) (وهو) ، بسكونها وهذا إن دل فإنما يدل على أن التسكين كان كثيرا شاملا في تميم في الأسماء والأفعال .

ومما جاء من التفريع على تلك الصيغة قوله تعالى « فخر عليهم السقف »^(٦) بسكون القاف وهي قراءة الجمهور ، وقد عزاها أبو حيان إلى تميم^(٧) ، وهي مخففة من « السقف » بضم العين ، كما عزا صاحب البحر صيغة « عَضُدًا » في قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين

(١) سورة البقرة آية : ٢٩

(٢) سورة العنكبوت آية : ٦٤

(٣) المرجع السابق .

(٤) البحر : ٤٨٥/٥

(٥) سورة البقرة آية : ٢٧١

(٦) إتحاف فضلاء البشر : ١٣٢

(٧) سورة النحل آية : ٢٦

عضدا^(١) « إلى تميم^(٢) ، وبهذه اللغة قرأ عيسى^(٣) ، وفي المصباح عزيت إلى تميم وبكر بن وائل^(٤) ، على حين عزا ابن منظور ناقلاً عن أبي يزيد أن صيغة « العُضْد والعُجْز - بضميتين - في لغة تهامة^(٥) » وفي المصباح أن تلك الصيغة السابقة معزوة إلى الحجاز^(٦) ، وهذا يشير إلى أن التفريع لم يكن في الحجاز . ويشير إلى معنى آخر وهو أن اللهجات كان بعضها يحل مكان بعض في نظر اللغويين والرواة ، فالصيغة عزيت في كتاب إلى تهامة ، وفي كتاب آخر إلى الحجاز ولا شك أن الصيغة الأصلية هي : عضد - بفتح فضم - ثم حدث فيها التخفيف فسكنت الضاد ، فصارت : عضد : بسكون الضاد - وأما نطقها في تهامة عضد : بضميتين فهي صورة متطورة عن الأصل ، ولأنها أخف من عَضْد - واللغة في سيرها تميل إلى السهولة ، وقد سبق أن جاءت القراءات في تلك الكلمة

في لهجة تميم وبكر بن وائل ، أما لهجة تهامة أو الحجاز فقد قرأ بها الحسن في قوله تعالى : « وما كنت متخذ المضلين عُضداً » بضميتين^(٧) .

٣- تفريع : « فُعل » بضم الفاء وكسر العين إلى « فُعل » بسكون العين .

وهذا الضرب خاص بالفعل المبني للمجهول ، ومن المعلوم أن الفعل في الماضي يضم أوله ويكسر ما قبل آخره في البناء للمجهول لكنه يحول إلى صيغة تفرعية أخرى عند تميم وبكر بن وائل وتغلب - وهي صيغة : « فعل » بضم الفاء وسكون العين ويمكن أن نورد الشواهد الآتية لهذه الظاهرة :

١- عزى سيبويه إلى أبي النجم قوله : (لو عُصْر منه البان والمسك انعصر^(٨)) بضم العين وسكون الصاد - وأصلها : عصر - بالبناء للمجهول .

(١) الكهف آية : ٥١

(٣) مختصر شواذ القرآن ابن خالويه : ٨٠

(٥) اللسان : ٢٨٣/٤

(٧) المصباح : ٦٣٥/٢

(٨) الكتاب لسيبويه : ٢٥٨/٢ ، شرح الشافية : ٤٣/١ ، التصريح على التوضيح : ١٩٤/١ ، المختصر :

٢- ورد في كتاب المخصص استشهاده
بقول الشاعر : (ونفخوا في مدائنهم
فطاروا ^(١)) بسكون الفاء ، ولم يعز
البيت إلى قائل ، وفي نسخة السيرافي
المخطوطة ^(٢) على سيبويه عزى هذا البيت
إلى القطامي ، وكذلك في اللسان مادة
(ن ف خ ^(٣)) .

٣- جاء في كتاب « العققة والبررة »
ما عزى إلى معبد بن قرط العبدى في
هجاء أمه من قوله :
تلتهم الوسق مشدودا أشظته ^(٤)
كأنما وجهها قد سُفِعَ بالنار
بسكون الفاء - في « سفيع » .
وإذا بحثنا في كتب الطبقات والأنساب
وجدنا أن أبا النجم صاحب البيت الأول
من بكر بن وائل ^(٥) من بني عجل . وأن
القطامي : هو عمير بن شيم من بني تغلب ^(٦)
فيكون هذا التفریع من « فُعِلَ » إلى

« فُعِلَ » في بكر بن وائل ، وفي « تغلب »
الذي هو أخو بكر ، كما يطرد هذا التفریع
عند تميم أيضا ^(٧) .

وعلى الرغم من أن التفریع هذا في تميم
إلا أن الرضى المحقق - أخطأ عندما نسب
أبا النجم - إلى تميم ^(٨) في بيته السالف -
ولعل هذا النسب الخاطيء جاء له من شبهة
مؤداها : أن هذا التفریع عند تميم أيضا .

ويمكن أن تعلل صيغة التفریع السابقة
بأنهم كرهوا في « فُعِلَ » - الكسرة بعد
الضمة . فسكنوا هذه الكسرة حتى
لا ينثقل اللسان إلى الثقل ، وعلل صاحب
المخصص هذا ناقلا عن سيبويه قوله :
« كرهوا في « عُصِرَ » الكسرة بعد
الضمة ، كما يكرهون الواو مع الياء في
مواضع ، ومع هذا إنه بناء ليس من كلامهم
إلا في هذا الموضع من الفعل فكروها
أن يحولوا ألسنتهم إلى الاستثقال ^(٩) »

(١) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠ (٢) السيرافي على سيبويه : ٥-٣٢٤ تيمور خط .

(٣) وفي ديوان القطامي المطبوع سنة ١٩٦٠ ص : ١٤٣ « ونفخوا » .

(٤) كتاب العققة والبررة : لأبي عبيد معمر بن المثني : ٣٦٥ من لؤادر المخطوطات رقم ٧ ط أولى ، لجنة
التأليف والترجمة : ١٣٧٣ - ١٩٥٤ تحقيق عبد السلام هارون .

(٥) الشعر والشعراء : ٢٢٢ ط المعاهد ، المخصص : س : ١٤ ص : ٢٢٠

(٦) الشعر والشعراء : ٢٧٧ ط المعاهد .

(٧) شرح السيرافي على سيبويه : ٥-٣٢٣ ، كتاب سيبويه : ٢-٢٥٧ - ٢٥٨

(٨) شرح الشافعية : ١-٤٣ ، وانظر الهامش . (٩) المخصص : س ١٤ ص : ٢٢٠

وإذا التفتنا إلى كتاب الله - التمسنا في قراءته شواهد لهذا التفريع الذي جاء على لهجة تميم ، وبكر ، وتغلب :

١- قرأ أبو السمال قوله تعالى « ولعنوا بما قالوا »^(١) بسكون العين ، ولقد حسنت قراءة أبي السمال لأن الكسرة وقعت بين ضمتين^(٢) .

٢- كما قرأ مسلمة بن محارب « جزاء لمن كان كفر »^(٣) بإسكان العين في « كفر » .

٣- وجاء في شرح السيرافي مثل من أمثال العرب وهو : لم يحرم من قُصْد له^(٤) : بإسكان الصاد وأصلها : فصد - بالبناء للمجهول ، ولكن جاءت صورتها بالسكون في المثل - وهي ولا شك صيغة تفرعية من المبني للمجهول .

تلك هي أهم التفرعات وكلها في تميم ومن لف لفهم من بكر بن وائل وتغلب وربيعه .

٤- أما صيغة (فَعَل) بفتح الفاء والعين فلا تفرع فيها ؛ لأن الفتح

خفيف فلا داعي للخروج عنه ، قال سيبويه : وأما ما توالى فيه الفتحان ، فإنهم لا يسكنون منه ، فلا يقولون في جمل (بفتح الميم) جمل (بسكونها)^(٥) .

وفي ركاب سيبويه يسير السيرافي^(٦)

وابن جني حيث يقول في محتسبه معلقا على قراءة أبي السمال وأبي المتوكل وأبي الجوزاء (حتى يلج الجمل)^(٧) : وأما

الجمل - بالسكون فبعيد أن يكون مخففا من المفتوح لخفة الفتحة^(٨) .

وأرى أن كلا من سيبويه ومن تبعه في مذهبه من مثل السيرافي وابن جني وكثرة كثرة من النحاة غيرهم قد جانبهم الصواب أو جانبوه لورود ذلك في القرآن المقدس وفي التراث العربي وأمثلة ذلك من القرآن :

(أ) قراءة جمحفة من القراء (حتى

يلج الجمل في سم الخياط) بسكون الميم ، وذلك تخفيف من الفتح .

(١) المسألة : ٦٤

(٢) البحر : ٣-٥٢٣

(٣) سورة القمر آية : ١٤

(٤) شرح السيرافي : ٥-٣٢٣ مخطوط .

(٥) شرح السيرافي على سيبويه : ٥-١٦ خط بالتيمورية ، الكتاب ٢-٢٥٨ ، ٢-٢٨١

(٦) شرح السيرافي على سيبويه ٥-١٦ (٧) الأعراف : ٤٠ وانظر المحتسب في نفس السورة والآية .

(٨) وانظر كذلك شواهد الشافية : ١٨

(ب) وقرأ أبو عمرو بن العلاء
البصري التميمي وأحد القراء
السبعة «ويدعوننا رغبا ورهبا»^(١)
بالإسكان ، ورواه عنه هارون
عن أبي عمرو^(٢) ، وبهذا يكون
قد خفف أبو عمرو المفتوح.

(ج) كما خففت الجماعة المفتوح
في «كانتا رتقا»^(٣) وقراءة
الحسن وعيسى الثقفي وأبي
حيوة (رتقا) بالفتح^(٤).

(د) وفي معاني القرآن للفراء عند
قوله تعالى «سبع سنين دأبا»^(٥)
يقول الفراء «قرأ بعض قرائنا
- دأبا - فعلا . وكذلك بكل
حرف فتح أوله وسكن ثانيه
فتثقيله جائز إذا كان ثانيه
همزة أو غينا أو عينا أو حاء
أو خاء أو هاء»^(٦) ، والنحاة
يرون أن الفتح والسكون في
ذلك لغتان ، وكأنهم ينكرون

أن التسكين في ذلك تخفيف
من التحريك .

(هـ) ومن تخفيف المفتوح ما في
البدیع لابن خالويه في رواية
عن الكسائي أنه قرأ في الآية
٩٢ من النساء «ومن يقتل
مؤمنا متعمدا» ساكنة التأني .
وقد حكم النحاة على ذلك
القراءة بأنها في غاية الشذوذ
والوهن ، ثم يتراجعون قليلا
عن صلفهم فيقولون : (وسهله
مجاورة الفتحة للضمة) وكان
القراءات القرآنية لا تقبل
إلا بمثل هذا التعليل .

ومن التراث :

(أ) وقد ورد تخفيف المفتوح في
قول الأخطل النصراني :
وما كل مبتاع ولو سلف صفة
براجسع ما قد فاته برداد^(٧)

(١) الأنبياء : ٩٠

(٢) الأنبياء : ٣٠

(٣) يوسف : ٤٧

(٤) شواذ القرآن : ٩٢ لابن خالويه .

(٥) المحتسب : ٢-٦٢ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٦) معاني القرآن للفراء : ٢-٤٧

(٧) سلف صفة : وجب بيعه . برداد : اسم من الاسترداد .

يقول البغدادي في شرح شواهد الشافية^(١) : أصله سلف بفتح اللام .

(ب) وقول الراجز :

على محالات عكسن عكسا

إذا تسداها طلاباً غلسا

يريد غلسا بالفتح .

(ج) ونقل البغدادي عن كتاب

الضرائر لابن عصفور قول

الشاعر :

وقالوا ترابي فقلت صدقتم

أبي من تراب خلقه الله آدم

يريد : خلقه

(د) وقول أبي خراش :

ولحم امرئ لم تطعم الطير مثله

عشية أمسى لأيبين من البكم

يريد : من الهكم .

وابن جني في شرح التصريف للمازني^(٢)

يرى أن تخفيف المفتوح ضرورة ، وعند

أصحابه من الشاذ ، ثم يرى رأيا آخر

في توجيهه : سلف - في قول الأخطل

السابق : وهو أن يكون مخففا من فعل -

مكسور العين ، ولكنه فعل غير مستعمل

إلا أنه في تقدير الاستعمال وإن لم ينطق

به . وهذا تمحل عجيب من جني وابن جني

ثم ينقل عن سيبويه قوله (وهذا التسكين

لم نره في المفتوح البتة)^(٣) وقد وضعت

الحق في نصابه فظهر ترددهم في الخطأ ،

ومجانبه الصواب .

مواقف متشابهة :

وموقف النحاة السابق وتزمتهم حتى

في فهم كتاب الله يذكرني بموقفهم

في إنكار بعضهم إسكان حركة الإعراب ،

حيث يرى كثير منهم عدم حذفها

مطلقا في الشعر وغيره ، وهم محجوجون

بقراءات القرآن الموثقة ، فقد حذفت

الحركة في الفعل المضارع وقرأ أبو عمرو

ب حذف الحركة الإعرابية في « ينصركم »

في آل عمران والملك ، و « يأمركم » و

« يأمرهم » و « تأمرهم » و « يشعركم »

في الأنعام ١٠٩ ، « ويعلمهم » في البقرة

١٢٩ وقد عزي حذف الحركة الإعرابية

(١) ص ١٨ فما بعدها .

(٢) ١ - ٢١

(٣) شرح تصريف المازني ١ / ٢٢ لابن جني .

في القراءات السالفة إلى بني أسد ونميم وبعض نجد^(١) ، كما حذفت الحركة الإعرابية في الأسماء^(٢) ، وأيلتها القراءات القرآنية الموثقة الأمينسة ، وكما جاء حذف الحركة الإعرابية في النشر ورد كذلك في الشعر^(٣) . وهذا يشير إلى أن المكان السامي الذي كان لحركات الإعراب قد هبط ، إذ الإسكان قد بدأ ينازعها في مكانها ويستولي على أمكنتها ، وكيف لا يكون ذلك وقد صار الإسكان سمة لهجية لقبائل تتم وأسد وغيرها من قبائل نجد ، وقرأ على تلك الظاهرة أبو عمرو التميمي ، بل يظهر أن الإسكان قد زحف على الأماكن التي تسيطر عليها الحركة الإعرابية ، وما يؤيد وجهة نظري ما جاء في النشر « وقد قرأ بإسكان لام الفعل ... محمد بن عبد الرحمن بن محيصن » وإذا أدركنا البحث في كتب الطبقات لنعرف إلى أي بقعة ينتمي هذا الذي قرأ بالإسكان - أفادنا ابن الجزري في طبقاته « بأنه قرشي ، ومن قراء مكة^(٤) »

فكان ظاهرة الإسكان قد زحفت من نميم حتى اقتحمت دوائر الحجاز ، فأصبح الإسكان لا يقل شأنًا عن الحركة الإعرابية خذ مثلاً - يؤكد ما سبق - على سبيل المثال لا الحصر ، قراءة نافع (والأذن بالأذن) ٤٥ من المائدة . بإسكان الذال . ونافع حجازي قرأ بالإسكان كما ترى ، مخالفًا بيئته التي لا تسكن .

والغرض من ذهاب حركة الإعراب هو عامل الخفة والتيسير ، وقد فهمنا فيما تقدم أن نميًا وجيرانها يخففون عين الكلمة بإسكانها ، فإذا حذفوا الحركة الإعرابية فإنهم يعملون ذلك تمشياً مع نظامهم في التيسير والتخفيف ، ومع كل هذا نرى :

١- أن المبرد يزعم بأن قراءة أبي عمرو لحن^(٥)

٢- وسيبويه يحمل ظاهرة الإسكان في قراءة أبي عمرو على الاختلاس .

(١) انحاء فضلاء البشر : ١٣٦ وانظر إبراز الماني . ٢٣١ والنشر ٢ - ٢١٢

(٢) النشر ٢ - ٢١٤ ، والبحر ٢ - ١٨٨ ومختصر شواذ القرآن ١٤

(٣) شرح السيراني ١ - ٢٦٧ والخصائص ١ - ٧٤ دار الكتب ، وسيبويه ٢ - ٢٩٧

(٤) البحر ١ - ٢٠٦

(٥) طبقات القراء ٢ - ١٦٧

٣- وابن جني يسير في ركاب سيبويه

بل ويشنع على القراء ويرى أن روايتهم بالإسكان جاءتهم « من ضعف دراية ^(١) »

والحق أنه يجب ألا نلزم بقول النحاة وحدهم ، إذ القراء شركاء لهم في نقل اللغة ، بل قد كان من القراء أكابر النحاة .

على أنني أرجح أن الإسكان لم ينتصر على الحركة الإعرابية وحدها ، بل سيطر على حركات البناء ، في الخصائص ^(٢) ورد قول نهشل بن حري :

أفلما تبين غبّ أمرى وأمره
وولت ^(٣) بأعجاز الأمور صدور
وقول جرير :

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكمو
ماضى العزيمة ما في حكمه جَنَفُ
بتسكين الياء في رضى .

وقد يستطيع النحاة أن يقولوا شيئا ،
لأن الشواهد شعرية ، ولكنهم لن يستطيعوا

أن يقرلوا شيئا في قراءة أبي « وذروا
ما بقي من الربا ^(٤) » بكسر القاف
وسكون الياء ^(٥) .

على أن السكون عنصر له قيمة يمكن
أن تقارن بقيم الحركات فمثلا : هو
يمثل الإمكانية الرابعة وهي الخلو من
الحركة ، وله وظيفته وقيمه في التركيب
المقطعي ، وله سمة هامة موسيقية وذلك
في التفعيلات العروضية وله قيمة إيجابية
كذلك في النظام الفنولوجي ، وله مكانته
في الجانب النحوي إذ هو دليل الجزم ،
كما أنه دليل إعرابي في حالة الوقف
وأخيرا هو إمكانية من إمكانات البناء ^(٥) .

هذا ، ويظهر أن مشكلة السكون قد
أثارت نوعا من القلق في دوائر علمائنا
الأقدمين ، استمع إلى ما جاء في شواذ
القرآن لابن خالويه ^(٦) عند قوله تعالى
« ويدعوننا رغبا ورهبا » ^(٧) يقول ابن
خالويه سمعت أبا بشر النحوي يقول :

(١) الخصائص ١ - ٧٥ ط الهلال .

(٢) البقرة ٢٧٨

(٣) شواذ القرآن لابن خالويه ١٧ وانظر البحر ٢ - ٣٣٧ فقد عزاها إلى الحسن .

(٤) السكون . دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤ (٦) ص ٩٢

(٥) الأنبياء ٩٠

قال الأصمعي قلت لأبي عمرو : لم لا تقرأ
- رغبا ورهبا - بالسكون مع ميلك إلى
إلى التخفيف فقال : ويلك - أحمل
أنحف أم حمل - يعنى أن المفتوح لا يخفف
ثم يقول ابن خالويه : وسمعت ابن
مجاهد يقول : روى بالتخفيف في قوله :
رغبا ورهبا - هارون عن أبي عمرو .
ويفهم من تلك المحاورة :

(أ) أن العلاقة بين السكون والفتح
كانت غير واضحة تماما عند
الأقدمين .

(ب) وأن أبا عمرو قال : بأن
المفتوح لا يخفف ثم روى عنه من طريق
آخر تخفيف المفتوح ، ولا تعارض
ولا تناكر ؛ لأن الروايات موثقة وجاءت
على هذا .

إلا أن النظرة اللغوية الحديثة وجدت
حلاً لهذه المشكلة وذلك القلق حيث رأت
أن السكون له من الناحية الصوتية
جانبان .

١- جانب النطق والتأثير السمعي .

٢- جانب الوظيفة التي يقوم بها في

النظام الصوتي ، فهو من حيث الجانب
الأول عدم أو لا شيء ، ومن حيث الجانب
الثاني فهو عنصر له قيمة تقارن بقيم
الحركات . . وقد أطلق عليه (الحركة
الصفراء) نظرا لسلبية السكون في النطق ،
وإن كانت له قيمة إيجابية في النظام
اللغوي ، وخلاصة ذلك :

١- أنه يجوز أن نسمى السكون
حركة إذا نظرنا إلى قيمته الوظيفية .

٢- وهناك نظام وظيفي للحركات
مكون من أربعة عناصر : ثلاثة منها لها
تحقق صوتي مادي وهي : الفتحة والكسرة
والضمة . وعنصر واحد وهو السكون
(لا شيء) أو (عدم) من هذه الناحية^(١)
تقريب :

١- أرى مما سبق في إسكان حركة
البنية ، وحركة الإعراب - أنه من
خصائص تميم ، ومن جاورها كبكر بن
وائل ، وتغلب ومن لف لفهما .

٢- وأن لهجات الحجاز تحتفظ
بالصيغ دون حذف أو تغيير ، فالصيغ
ثابتة .

(١) السكون : دكتور كمال بشر مجلة المجمع ج ٢٤

٣- أن هذا التفريع في قبائل تميم وغيرها - تطور عن الصيغ الجازية الثابتة .

٤- أن ظاهرة حذف الحركات تتلاءم وتتم البدوية ، حيث أنهم يميلون إلى السرعة في النطق الذي ينتهي إلى الاقتصاد في الجهد العضلي ، ولا شك أن حذف الحركات فيه تيسير واقتصاد وهو ما يهدف إليه البدوي - بعكس الحجاز المتحضرة التي تهدف إلى إعطاء كل صوت حقه من الوضوح والبيان .

ودليل ذلك ما جاء في الخبر « نزل القرآن بالتفخيم » وقد اختلفت الأئمة في معنى هذا الحديث ، فبعضهم يرى أنه نزل بذلك^(١) ، ثم رخص في الإمالة وبعضهم شرحه بأن المقصود : أنه يقرأ على قراءة الرجال ، لا يخضع الصوت فيه ككلام النساء ، وآخرون بأن المقصود منه : أنه نزل بالشدة والغلظة على المشركين ، وبعضهم يرى أن المراد بالتفخيم : تحريك أوساط الكلم بالضم والكسر دون إسكانها^(٢) ، وأرجح أن

هذا المعنى الأخير هو المقصود دون غيره ، لأن من يرى أن معنى التفخيم نزوله بالشدة والغلظة على المشركين - مردود ، لأن القرآن الكريم كما نزل بالغلظة نزل كذلك بالرحمة والرفقة ، والذي يؤيد ما أرجحه ما ورد عن أبي عبيدة من قواه « أهل الحجاز يفخمون الكلام كله^(٣) » ، وكأن المقصود هو نطق الحركات كاملة دون الجور عليها بالتسكين ، وتلك سمة حجازية .

وهناك استثناء من تلك القاعدة العامة وهو أن أهل الحجاز يسكنون الشين من (عشرة) فيقولون « إحدى عشرة » على حين تميم تقول ذلك بالكسر . وهذا عكس ما نعرفه عنهما ، لأن المعروف أن تيمنا تسكن العين من فَعِلَ وفَعَلَة ، والحجاز يحركون ذلك ، ووردت نصوص تؤيد ذلك ، منها :

قوله تعالى : « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا^(٤) » فقد نسب أبو حيان لإسكان الشين إلى الحجاز ، وكسرها إلى

(١) لعله يقصد « الفتحة الصريحة » .

(٢) الإتقان : ١ - ٩٥

(٣) الإتقان : للسيوطي : ١ - ٩٥

(٤) سورة البقرة آية : ٦٠

تميم^(١) . وعن ابن خالويه - أن كسر الشين قراءة الأعمش^(٢) . كما قرأ ابن وثاب قوله تعالى : « وقطعناهم اثنتى عشرة أسباطا أمما »^(٣) بكسر الشين وهى فى تميم ، والجمهور بالإسكان وهى لغة الحجاز^(٤) ، وفى نوادر يونس « أن تهما تثقل عشرة ، وتكسر الشين . وأهل الحجاز لا يحركون »^(٥) .

وقد يعال لكل من اللهجتين حيث خالفتا معتاد لغتها ، وذلك أن المشهور عن الحجازيين تحريك الثانى من الثلاثى إذا كان مضموماً أو مكسوراً - وأما تميم فتسكن ذلك - وسبب المخالفة فى العدد [أنه قد نقضت فى كثير منه العادات من ذلك قولهم فى الواحد : واحد وأحد ، فلما صاروا منه إلى العدد قالوا : إحدى عشرة - فبنوه على فعلى ، ومنه اقتصارهم من ثلثمائة إلى تسعمائة على أن أضافوه إلى الواحد ، ولم يقولوا ثلاث مئات ولا أربع مئين^(٥) . ويرى ابن جنى « أن العدد موضع يحدث معه ترك الأصول »^(٦)

ولهذا تركت كل من اللهجتين لهجتها إلى لهجة أخرى ، فأسكن من كان يحرك ، وحرك من كان يسكن . والمقارنة مع بقية اللغات السامية فى هذا اللفظ تثبت أن اللفظ فى السامية الأم لم يكن فيه حركة بعد العين ، ففى العبرية هو לְאִשָּׁרָה ومعنى هذا أن لهجة الحجاز على الأصل ، على حين (عشرة) بالكسر فى تميم من قبيل اجتلاب الحركة ، وهو ما يسمى بالقلقلة^(٧) .

٥ - كما كانت كل قبيلة تسير فى لغتها على مقدار يكافئ طبيعتها ، فما رفضته القبيلة أو قبلته فإنما يخضع لعامل الثقل حيناً والخفة أحياناً ، وهاتان الصفتان لا تجمع عليهما جميع القبائل ، لأن مراتب الثقل والخفة متفاوتة ، ولهذا قد يدعون البناء من الشئ وهم يتكلمون بمثله فى لفظ آخر ، كما يتركون صيغاً سهلة لتوهمهم فيها سبباً من أسباب الثقل .

(٢) مختصر شواذ القرآن : ٥ / ٦

(٤) البحر : ٤ / ٤٠٦

(٥) شرح المفصل لابن يعيش : ٦ / ٢٧

(٦) المختضب : ابن جنى : ١ / ٣٢٥ / ٣٢٦ ، مخطوط بالتيمورية .

(٧) رابن : ٩٨

(١) البحر : ١ / ٢١٨

(٣) سورة الأعراف آية : ١٦٠

(٤) المزهر : ٢ / ٢٧٥

وقفه :

ولكن يظهر أن القبائل الشرقية - كتميم وبكر وربيعه وأسد وقيس وعقيل وغيرها من قبائل الشرق - لم تكن على درجة واحدة من الميل إلى تسكين البنية ، بل تتفاوت كل قبيلة عن الأخرى في ميلها إلى تسكين وسط الكلمة - تفاوتاً قليلاً - أمكني أن ألاحظه ، وأن أسجل تفاوته بين هذه القبائل الشرقية ، وإن كانت السمة الغالبة عليهم جميعاً هي ميلهم إلى التسكين .

ومراده التثقيب أى النطق بالحركات كاملة ، أى أن أسدا تنطق بالصيغة مكتملة ، على حين عزا التخفيف إلى تميم ، والمراد بالتخفيف التسكين ؛ لأن التسكين أخف على اللسان من غيره ، وقد نطقت الحجاز في هذا كـأسد^(٤) : أى باكتمال الحركات وأما بكر بن وائل فسارت سير تميم في التسكين ، قال ابن خالويه : بالبخل - (بفتح فسكون) لغة بكر بن وائل^(٥) ، وعلى هذه اللغات جميعاً قرأ القراء كما في البحر^(٦) .

١- فأسد وإن كانت تجنح إلى إسكان البنية - إلا أنها في بعض الأحيان تخالف ذلك ، فمن ذلك ما جاء في شرح السيراني على سيبويه من أن « فعل » بضم الفاء وسكون العين تضم بنو أسد عينه اتباعاً لأوله ، على حين « فعل » بضميتين فتسكنه تميم^(١) . وفي قوله تعالى « ويأمرون الناس بالبخل »^(٢) فقد عزا الفراء : التثقيب في « البخل » إلى أسد^(٣) ،

٢- وفي كنز الحفاظ أن الفراء حكى عن بني أسد قولهم : هل رأيت عيناً؟^(٧) بفتح العين والياء في معنى : أحداً . وبعض العرب يقول : ما بها عين بسكون الياء .

٣- وجاء في اللسان أن بني أسد تقول : في أسنانه حفر^(٨) . بفتح العين ، والحفر ما يلزق بالأسنان ، وغيرهم يقول : حفر . بسكون العين .

(٢) سورة النساء آية : ٣٧

(٤) البحر : ٢٤٧ / ٣

(٦) البحر : ٢٤٦ / ٣

(٨) اللسان : ٢٨١ / ٥

(١) شرح السيراني على سيبويه : ٦ / ٥

(٣) البحر : ٢٤٧ / ٣

(٥) مختصر شواذ القرآن : ابن خالويه : ٢٦

(٧) كنز الحفاظ : ٢٧٣

فالسمة الغالبة في هذه النصوص لبنى أسداً أنها آثرت الحركات على السكون ، وإنما قلت في هذه النصوص فقط ؛ لأن المأثور عندها حذف الحركة مثل قراءة « نذرا » في المرسلات ، « وعرفا » فيها أيضاً ، « وخبراً » في الكهف ، فالإسكان كما ذكر صاحب الإتحاف لغة تميم وأسداً وعامة قيس ، والضم لغة الحجاز^(١) ، وأرجح أن الأصل الضم في هذه الأمثلة ، وأسكن تخفيفاً . فمن النصوص نرى أن أسداً كانت تتردد في حذف الحركات ، أي أنها كانت حيناً تحذف ، وأحياناً لا تحذف ، وليس هذا اضطراباً في الظاهرة - بل يسهل علينا تعليل ذلك : أن أسداً من القبائل الكبرى ذات البطون الكثيرة ، والعمائر المتعددة ، فيمكن أن نعزو صيغ حذف الحركات إلى قبائلها المتاخمة لتميم ، والصيغ المكملة الحركات إلى قبائلها التي تنحدر إلى ما يقرب البيئات الحجازية ، تلك التي كانت تحرص على اكتمال الحركات . إلا أن حذف الحركات في أسداً أكثر من اكتمال الحركات ؛ لأن قبائلها كانت أكثرها في

المنطقة الشرقية والوسطى من الجزيرة العربية تلك كانت تؤثر حذف الحركات .
٢- أما قيس فقد تقدم أنها أحياناً تسير في ركاب تميم وبكر بن وائل في حذف الحركات القصيرة ، ولكن لانعدم أن نرى بعض الروايات التي تنسب إليها اكتمال الحركات مثل ما جاء في خزانة الأدب من أن قيساً تقول « الضَّبْع » بضم الباء ، وتميم تسكنها^(٢) ، وورد نص مثله في المصباح^(٣) . ويرى البغدادي أن التخفيف الواقع في الكلمة نحو (عضد) بضم الضاد سائغ في حال السعة ، لأنه لغة لقبائل ربيعة^(٤) ، وأرى أن قبائل قيس كانت تتردد بين حذف الحركة ، وبين عدم حذفها ، وليس معنى هذا اضطراب الظاهرة ؛ إذ أن قيساً كانت شعباً عظيماً - تفرق إلى عدة قبائل ، وتوزعت قبائلها على محيط شاسع في الجزيرة العربية ، وبعض قبائلها كانت في وسط الجزيرة كعقيل وغنى ، وبعضها الآخر كان يسكن مناطق الحجاز . لذلك أرجح أن قبائلها التي كانت تسكن

(١) الإتحاف : ١٤٣

(٢) المصباح : ٥٤٥ / ٢

(٣) الخزانة : ٣٦٩ / ٢

(٤) الخزانة : ٣٦٩ / ٢ ، ٥٢١ / ٣

شرق الجزيرة ووسطها كانت تحذف الحركة القصيرة كعقيل - فقد روى اللسان أن يوم (الجمعة) بسكون الميم لغة بني عقيل، وأهل الحجاز تقول: الجمعة - مثقلة^(١) - أى مع عدم حذف الحركة والأصل فيها السكون ، فمن ثقل أتبع الضمة الضمة ، ومن خفف فعلى الأصل . وعلى لغة عقيل قرأ الأعمش^(٢) ، ومما يؤيدنى فى هذا رأى ما جاء فى الإتحاف من عزو تسكين الوسط فى « نذرا » بالرسلات ، « وخبرا » فى الكهف إلى تميم ، وأسد ، وعامة قيس^(٣) . فقله « وعامة قيس » دليل على أن قيسا لم تكن جميعها تحذف الحركة ، بل قبائلها الضاربة فى البادية كعقيل وغنى وغيرهما بدليل ما أوردته فى عقيل . وأما بقية قيس المتصلة بالحجاز كغطفان وغيرها - فإنها لم تكن تحذف الحركة وشأنها فى ذلك شأن الحجاز بدليل أن الحجاز كانت تقول « الجمعة »^(٤) بالحركات كاملة . وكلما اتجهنا إلى مناطق الحجاز وجدنا استكمال الحركات

فى الكلمة والمحافظة عليها ، بدليل أن هذيل وهى فى مناطق الحجاز أثر عنها كما جاء فى المخصص عن أبى عبيد أنها كانت تقول : « نجد » بضمين فى (نجد)^(٥) بالسكون ، والدليل على ذلك ما قاله أبو ذؤيب

فى عانة بجنوب السبي مشربها
غور ومصدرها عن مائها نجد^(٦)

بضمين ، وعزا الأصمعى هذه الصيغة إلى الحجاز وهذيل^(٧) ، وفى معجم البلدان أنها لغة هذيل خاصة^(٨) . وعلى أى حال فسواء كانت اللهجة هى لهجة الحجاز وهذيل ، أم هذيل وحدها فإنها تؤيد ما نذهب إليه من أن الحجاز وما جاورها من هذيل وبطون قيس - كانت لا تحذف الحركات القصيرة .

وأما تميم وبكر بن وائل وقبائل ربيعة . وأكثر قبائل أسد . وعامة قبائل قيس المتاخمة لتسيم - فإنها كانت جميعا تنجح إلى حذف الحركات القصيرة ، ولعل هذا

(١) اللسان : ج ٩ مادة جمع .

(٣) الإتحاف : ١٤٣

(٥) المخصص : س ١٢ ص : ٤٨

(٧) اللسان : ٤ : ٤٢٥

(٢) المصباح ١ / ١٧٠ - ١٧١

(٤) اللسان : ج ٩ مادة جمع .

(٦) ديوان الهذليين : ١ / ٢٤ دار الكتب

(٨) معجم البلدان : ٨ / ٢٥٢ ياقوت .

يتفق مع طبيعة البدو في السرعة في نطق الكلمة ، ولهذا جانب الصواب الأستاذ عبد الوهاب حمودة في كتابه « القراءات واللهجات ^(١) » حيث ذكر أن تسكين العين في « رسل » لغة أهل الحجاز والتحريك لغة بني تميم ، ويبدو أن الدكتور شوقي ضيف مال إلى ما رآه الأستاذ عبد الوهاب حمودة ^(٢) أيضا .

وقد وقع أبو حيان نفسه فيما وقع فيه عند تفسيره لقوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل » ^(٣) حيث ذكر أن قراءة الجمهور - بالرسل - بضم السين ، كما قرأ الحسن ويعحي ابن يعمر بتسكينها ^(٤) « ثم قال أبو حيان « وتسكين عينه لغة أهل الحجاز ، والتحريك لغة بني تميم » ^(٥) .

ومن مجانبية الصواب في حركة العين من الفعل المعتل أن رجلا أخطأ بحضرة

أبي عمرو بن العلاء حين أنشد قول المرقش الأصغر :

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره
ومن يغو لا يعدم على الغي لائما .

فقال له أبو عمرو أقومك أم أتركك
تتسكع في طمّتك ؟ فقال : بل قومني .
فقال : قل : ومن يغو (بكسر الواو) ^(٦)
ألا ترى إلى قوله تعالى : « وعصى آدم ربه فغوى » ^(٧) . وإنما أخطأ المنشد لأن الفعل من باب : قضى يقضى

وقد نرى حذف الحركات تارة واكتمالها تارة أخرى في اللغات السامية أيضا كما رأينا في لهجات القبائل ففي الأكدية Uznu وهي في العبرية Ozen ^(٨) باكتمال الحركة ، ونجدها في العربية : أذن - باكتمال الحركة تارة وبحذفها تارة أخرى ، وذلك في قراءة

(١) ص : ٣٧ ط أولى .

(٢) تاريخ الأدب العربي ١ - ١٢٦ د . شوقي ضيف (٣) سورة البقرة آية : ٨٧

(٤) البحر المحيط ١ - ٢٩٧

(٥) سورة طه آية : ١٢١

(٦) طبقات اللغويين ٢٩ للزبيدي .

(٨) التطور النحوي ٤٤ برجستراسر .

نافع « والأذن بالأذن » ٤٥ من المائدة .
ونافع بن أبي نعيم صاحب هذه القراية
مدني حجازي ، ومع ذلك فقد خالف
بيئته التي لا تسكن .

وقد تؤثر عين الكلمة حركة في موضع ما
ثم ترفض نفس الحركة من الكلمة نفسها
في موضع آخر ، وليس السبب في ذلك
عامل الثقل أو الخفة كما قد يتوهم ،
ولمّا يرجع إلى تحقيق الموسيقى الصوتية
وانسجام النغم ، ففي قوله تعالى : « إلى
شيء نكر » القمر : ٦ . حرك عين
الكلمة ؛ لأن النظام العام للسورة أثر
الحركة في آياتها ، على حين رفض
الحركة في الكلمة نفسها في قوله تعالى :

« وعذبناها عذاباً نكراً » الطلاق : ٨ .
وذلك تحقيقاً لموسيقا السورة التي أثرت
سكون العين^(١) في آياتها .

وفي النهاية : نرى أن نظام العربية
في ضوء ما سبق من النصوص والشواهد
قد حقق من خلال الحركات والسكنات
وتقاصفها على الصيغ - فيضاً غامراً من
كثرة الوجوه وحركية الانتقال ، ونظاماً
منتظماً متواكباً مع الدلالة في نسق صوتي
خاص ، وهذه المساواة بين الصيغ اللفظية
ومعانيها يشير إلى تمدن العرب في لغتهم
من جانب ، كما يعدُّ نمطاً فريداً لسياسة
الحروف وحركاتها من جانب آخر .

أحمد علم الدين الجندي

(١) انظر أمثلة مختلفة للموسيقا وأثرها في :

(أ) أبو زكريا الفراء ٣٠٤ د . مكى الأنصاري .

(ب) التصوير الفني في القرآن .

(ج) أثر القرآن في تطور النقد العربي ٦٣ د . زغلول سلام .

أمثال عامية..

بين القرنين: التاسع والرابع عشر الهجريين

للأستاذ محمد قنديل البقلى

هذا كله محتاج إلى الصائغ الحكيم الذى يجمع الكثير فى قليل ويختار من الكلمات أدلها ومن الألفاظ أنفذها ومن العبارات أجزلها ليجعل من حكمه آية مبنى ومعنى .

وبعيد أن يكتب لحكم البقاء ما لم تتوفر فيه الخبرة والوعى والصدق وحسن الأداء لكى يجرى على الألسنة ويعيه الناس جيلا بعد جيل يقضون به فى أمورهم المشاكلة وكأنهم فى ذلك قضية ولكن دون أن يعنوا أنفسهم بدراسة ودون أن يعنوا أنفسهم بوعى ودون أن يعنوا أنفسهم بصدق الحس ، ودون أن يعنوا أنفسهم بحسن الأداء ، بل حسبهم أن يقيسوا حاضرا بغائب ، وما أيسر ما يكون هذا القياس عليهم ، ثم بعدها يحكمون بهذه الأحكام التى حفظوها ، وحفظوا المراءى لهذه الأحكام لن يكون إلا عن إيمان بها ، وبمدلولها

معايش صاحب تجربة يملئها مرة عملا ، وعلينا مرة كلمة ، ولن يبلغ هذا العمل ، كما ان تبلغ تلك الكلمة مبلغ التجربة إلا حين يكون هذا العمل أو تكون تلك الكلمة حكما لا يتزعزع ولا يجرح ، وإلا فقد هذا الحكم أثره . وهذا الحكم لا يبلغ أن يكون حكما إلا بعد أن تسبقه قضايا تحمل المقدمات نفسها ، والملايسات نفسها ، والنتائج نفسها ، لا يختل من ذلك شئ وإلا اختل الحكم . واتحاد كل من المقدمات والملايسات والنتائج لا يعنى أن يكون على صورة واحدة ، أو على مرتبة واحدة ، بل قد تختلف صورها كما قد تختلف مراتبها . من أجل هذا كان الاستقصاء الذى يبلغ بالاستقصى إلى الحكم يعوزه جهد كثير وتعثر شامل ، كما يعوزه رأى ثاقب وبصيرة نافذة وخبرة واسعة ، ثم بعد

ومضمونها ، وهذا الإيمان بهذه الأحكام لن يتم للمرء إلا إذا حذر ما تحذره الأحكام ورغب فيما ترغب فيه هذه الأحكام ، عندها تكون الأحكام على لسانه أنفذ وأقوى لأنه سوف يضمن عليها من وحيه وعقيدته فيزيد الناس استمساكا بما يستمسك به هو وبعدها عما يبتعد عنه .

وهذه الأحكام كما لم تبلغ مبلغها عبثا كذلك لم تؤثر عبثا فهي تجربة الماضين للآحقين وأدب من سبقوا يؤدبون به من خلفوا .

ومن المعروف أن الأمثال التي يتداولها الشعب هي حكم نتيجة لتجارب هذا الشعب وتسجيل قولي لبعض ما مر به من أحداث استخلص منها مآثر ومواعظ ، وأبى أن يهملها أو ينساها فسجلها في هذه الكلمات التي يتناقلها الناس بالرواية جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر ، مما جعل الأمثال تأخذ طابعا خاصا من ألوان فن القول ، وأصبحت الأمثال مرآة للشعوب نستخلص منها اتجاه الشعب وخصائصه الاجتماعية مما لا نجده مسجلا في أي لون من ألوان

الأدب أو المعرفة . فالمؤرخون لا يذكرون دقائق الحياة الاجتماعية على نحو ما تصوره الأمثال . والشعر لا يصف إلا نواحي خاصة من نواحي الحياة الاجتماعية هي التي يراها الشاعر بنظره هو دون أن يراها المجتمع نفسه . ولكن الأمثال هي التي أجمع عليها الشعب ينطق بها الجاهل والمتعلم والفقير والغنى . هي التي تجري على ألسنة طبقات المجتمع ، فهي المعبر إذن عن اتجاهات ونواحي هذا المجتمع دون غيرها .

فمصر عرفت منذ أقدم عصورها بفن القول ، ولها طابعها الخاص في النواحي الأدبية التي تمتاز بها عن غيرها من البلدان . ولها حياتها الاجتماعية الخاصة التي هي نتيجة لتلك البيئة المصرية ، وكثرت فيها الأمثال التي عبر عنها المصريون عن تجاربهم الطويلة العديدة ، وعن نواحي حياتهم المتأثرة بما كان في المجتمع المصري من مخطط ورضى ، وجد وهزل ، نطق المصريون بهذه الأمثال وتداولوها منذ أقدم عصورهم ، ولو قُدر للمصريين أن يحفظوا أمثالهم القديمة في عصورهم المختلفة ، ودونوا هذه الأمثال لاستطعنا

أن نرجع عددا كبيرا من الأمثال التي
ننطقها اليوم إلى عصورها التاريخية .

فدما لا شك فيه أن كثيرا من الأمثال
المصرية الحالية عرفها المصريون منذ قرون
عديدة وخاصة هذه الأمثال التي تتحدث
عن تقلبات الجو ، أو التي تتحدث في
الشئون الزراعية ، فمثل هذه الأمثال
قديمة . ولكن لاندري على وجه التحديد
متى ظهرت لأول مرة بين الشعب المصري .
وكذلك نقول عن كثير من الأمثال
التي تمس حياتنا الاجتماعية ، فمن حسن
الحظ أننا نجد في كتاب مصري ينسب
إلى القرن التاسع الهجري (الخامس عشر
الميلادي) وهو كتاب « المستطرف في
كل فن مستظرف » للإبشيهي ، بابا
خاصا بالأمثال المصرية ، جمع فيه مؤلف
الكتاب عدة أمثال تبلغ نحوا من ثلاثمائة
وخمسين مثالا . إذا قرأناها سنجد أنها
تتفق في كثير من ألفاظها مع ما ينطق
به رجل الشارع اليوم ، وهذا إن دلّ
على شيء فيأثما يدل على أن هذه الأمثال
كانت موجودة قبل القرن التاسع للهجرة ،
وأنها بقيت على حالتها يرويها الشعب جيلا
بعد جيل ، ويأخذها الصغير عن الكبير

بدون تغيير يذكر لا شيء إلا لأنها
ما رأت تشل الحياة المصرية بالرغم مما
أصاب حياتنا من تغيير وتطور . وهذا
يدل من ناحية أخرى على أن مصر تتمتع
بميزة المحافظة وبحب الجديد في الوقت
نفسه .

ومن يدرس الأدب المصري في عصوره
المختلفة تتضح له هذه الحقيقة ماثلة
وتظهر ظهورا لافتا في مختلف حياتنا .
فمصر كما لاحظها مؤرخو الأدب المصري
تحب الاحتفاظ بشخصيتها وبتقاليدها ،
فهي محافظة على هذا النحو ، ولكنها من
ناحية أخرى تحب أن تعرف كل شيء
جديد على أن تخضع هذا الجديد لمزاجها
وتقاليدها .

وهكذا استطاعت مصر أن تحافظ على
أمثالها بنفس الصيغ التي وردت عند
المصريين في القرن التاسع الهجري ، كما
أضافت إلى هذا التراث القديم أمثالا
جديدة هي نتيجة لما طرأ على مصر من
تطورات جديدة .

فيذا نظرنا إلى هذه الأمثال التي دونت
في القرن التاسع نستطيع في سهولة ويسر

أن نقسمها إلى عدة أقسام، نستطيع أن
نلمس في بعضها أنها لا تزال مستعملة
إلى اليوم . وهذا القسم من الأمثال هو
أكثر ما جاء في هذا الباب من الكتاب
فمثل قوله :

- إذا كان صاحبك عسل لا تلحسه كله
- المستعجل والبطي عند المعدية يلتقي
- إذا غاب عنه أصله كانت دلائله فعله
- إيش أنت في الحاره يا منخل بلا طاره
- والله العدو ما يبقى حبيب حتى يصير
الحمار طبيب

- تبات نار تصبح رماد لها رب يدبرها
- جارك مرآك إن لم ينظر وجهك نظر
قفاك

- جوزوها له مالها إلا له
- جوزوا مشكاح لريمه ما على الاتنين
قيمه

- حاجه ما تهكم وصي عليها زوج أمك
- حب وداري واكره وداري

- زى ما هي ومانه إلا قلوب ملانه
- ركبتهك ورايه حطيت يدك في الخرج

- رزق الكلاب على المجانين
- راحت على جمل وجات على قُطه مال
دى الشيلة إلادى الحطة
- سل مجرب ولا تنسى الطبيب
- شيء ما ييجي على القلب عنايته صعب
- شري العبد ولا تربيته
- صباح الخير يا جارى أنت في دارك
وانا في دارى

- ضرب الحبيب كأكل الزبيب
- طبق وجارية على صحن بساريه
- طعامك ما جاني ودخانك أعماني
- طار طيرك وأخذ غيرك
- طول الغيبة وجه بالخيبة
- كل وبخلاق عنيك عزومة انحسبت
عليك

- قالوا للجمل زمر قال لاشفف ملمومة
ولا أيادى مفرودة

- قالوا للذبة طرزي قالت خنمية أيادى
- كشكال داير ولا علامة مقطوعة
- لولاك يا كمي ما أكلت يا فمي

- لولاك يا لساني ما انسكيت يا قفاه
- لو كان فيها خير ما رماها الطير

- ما شلتك يا دِمَعَتِي إِلَّا لَشِدَّتِي

- من عاشر الحداد احترق بناره

- نوايه تَسْنَدُ جَرَّهُ قال والزَّيْرُ الكبير

- لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من

ييجي

- الكلام لك يا جاره إلا إنت حماره

- إش تعمل الماشطة في الوش المشوم

- أرملة عدس ومزوجة عدس

- جارية وزبديّة على باذنجانة مقلية

- خطبوها تعزّت

- زمر بالزميرة تبان لك العاقلة من

المجنونة

إلى غير ذلك من هذه الأمثال العديدة

التي ما نزال نردها إلى اليوم بنفس

الألفاظ التي كان يتحدث بها المصريون

منذ خمسمائة عام . ولا شك أن هذه

الأمثال كانت أقدم من هذا القرن

التي دوّنت فيه ، ومن يدرى لعلها

ترجع إلى ذلك العصر الذي بدأ فيه

ظهور الآداب الشعبية المصرية ظهوراً

لافتاً ، وهو العصر المملوكي الأول ،

أي في النصف الثاني من القرن السادس

للهجرة ، وما بعده ، فإن بقي لنا

من أدب شعبي لهذا العصر ألفاظ

لا نزال ننطق بها إلى الآن وتعبيرات

هي نفس التعبيرات التي نستعملها

في بعض القرى المصرية وبعض الأحياء

الشعبية ، فلعل هذه الأمثال ظهرت

بهذه الصورة في تلك العصور . ولكننا

لا نستطيع أن نجزم بذلك . ولعل

أساتذة الفيلولوجي وأساتذة الأدب

المصري في العصور الوسطى يستطيعون

أن يحدثونا عن ذلك كله .

وأذكر هنا بعضاً من المؤلفات جاءت

بعد كتاب المستطرف للإبشيهي أو التي

في عصرنا ونقلت إلينا الكثير من هذه

الأمثال كما رواها الإبشيهي ومنها :

١- الشيخ محمد شكرى : مجمع

الأمثال العامة المصرية ، مخطوط

بالتيمورية رقم ٥١٩ تيمور .

٢- محمود عمر الباجورى : أمثال

المتكلمين من عوام المصريين - مصر ١٣١١ هـ

٣- كرلو لنديرج الأسوجى : الأمثال

السائرة والأقوال الدائرة عند أولاد

العرب - لندن ١٨٨٣

التطور الذى تطورته مصر فى مدى هذه القرون . أبعدت الحياة المصرية بعض الشيء عما كانت عليه . فأصبحت هذه الأمثال لا تنطبق على حياتنا الحديثة مثال ذلك :

- بدوى مقروح لقى التمر أين يخلى ويروح .

فهذا المثل حل محله قولهم : « رزقه فى رجليه » واختفى المثل القديم ، ومن يدري فلعله لا يزال عند بعض الريفيين .
مثل آخر قولهم :

- ذكروا مصر والقاهرة قامت باب اللوق بحشائشها .

هذا مثل كان يضرب عند ما كانت منطقة باب اللوق المعروفة بالقاهرة مملوءة بالحشائش ، وكان يخشى الناس من ازدياد هذه المنطقة ، فلا شك أن من ينظر الآن إلى باب اللوق وحى من أعمر أماكن القاهرة لا يستطيع أن يضرب بها المثل بما كان فيها من خراب وحشائش . ثم قوله : ذكروا مصر والقاهرة والمقصود بكلمة مصر فى العصور الوسطى « الفسطاط » وكانت الفسطاط من أجمل مدن القطر المصرى وكانت تنافس القاهرة فى الذكر لدرجة أن

٤- شرف الدين بن أسعد : جمع ،
الأمثال المصرية العامة - نشرها بوركهارت .
لندن ١٨٣٠

James Richard Jewett : Arabic-o
proverbs and proverbial phrases,
New Haven 1890.

٦- أحمد تيمور : الأمثال العامة
المصرية ، القاهرة ١٩٤٩

٧- شفيقة شبير : جمعت الأمثال
الاجتماعية والفكاهية .

٨- فائزة حسين راغب : حقائق الأمثال
العامة . القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٩- نعوم شقير : أمثال العوام فى مصر
والسودان والشام ، مصر ١٨٩٤

١٠- Mrs. A.P. Singie : جمعت
أمثال العوام من مصر والسودان والشام -
نشرها إنو ليتمان ، مصر ١٩١٣

١١- محمد قنديل البقلى : وحدة
الأمثال العامة فى البلاد العربية ، القاهرة
١٩٦٨

وأما القسم الثمانى من هذه الأمثال التى
دونت فى القرن التاسع فهى أمثال
لانسبعها اليوم فى مصر لا شىء إلا لأن

المؤرخين عندما كانوا يؤلفون كتبهم التاريخية يذكرون مصر والقاهرة معاً ، فمثلاً كتاب «لأبي المحاسن بن تغرى بردى» بعنوان « النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة » والسيوطى له كتاب بعنوان « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » . وعلى هذا النحو ورد هذا المثل وجعل مصر أى الفسطاط معطوفة على القاهرة لما كان بين البلدين من التنافس والرقى فى التحضر . أما الآن فالفسطاط لا وجود لها ، بل حل محلها مصر القديمة حتى نستطيع أن نتحدث عنها فى الأمثال فى جيلنا الحديث ، ولذلك اختفى هذا المثل من أمثالنا الحديثة .

ومثال قوله أيضاً :

— رأوا سكران يقرأ قالوا : غنّ تشاكل روحك .

فالمعروف فى ذلك العصر ، أى فى القرن التاسع الهجرى أن كلمة قراءة كان المقصود بها قراءة القرآن الكريم وتجويده ، كما أن المعروف فى كل العصور وفى كل البيئات أن السكير الذى يقرأ ويغن فى قراءته كأنه يتشاجر مع نفسه ، فلا شك أن ظروف التعليم والقراءة فى عصرنا هذا تختلف عما كانت عليه فى العصور الوسطى ،

والقراءة الآن أصبحت ليست وقفا على تلاوة القرآن الكريم ، ومن ثم أصبح هذا المثل لا ينطبق على حالتنا الحاضرة ولذلك اختفى .

ومثل آخر ورد فى هذه المجموعة هو قولهم :

— هانت الزلابية حتى أكلها بنو وائل .

فهذا المثل يدل على أن المجتمع المصرى فى هذه العصور الوسطى كان لا يزال يحتفظ إلى حد ما بالنسبة القبلية وخاصة هذه الطبقة من المجتمع التى سماها المؤرخون طبقة الأعراب ، وكان فى هذه الطبقة الأغنياء والفقراء والرفيع والدليل ، فهذا المثل يدلنا على أن بنى وائل فى مصر كانوا من الطبقات الدليلة حتى ضرب بذلتهم هذا المثل ، ومن حسن الحظ أننا نعيش الآن فى جو اجتماعى لإشتراكى تعاونى لانلمس فيه أثر العنجهية القبلية ، ولا ينتسب أحد إلى طبقة دون أخرى ، فالكل سواء ولذلك لانرى هذا المثل بين أمثالنا الحديثة .

وكذلك قولهم في الأمثال القديمة :

بقى للكلب سرج وغاشية وغلمان
وحاشية .

ذلك عندما كان الأغنياء يركبون
المطايا ذات السروج والغواشي ، ولهم
عبيد وحاشية ، أما الآن فالأغنياء
يركبون السيارات الكاديلاك بدلا من
الخيول أو البغال وليس لهم عبيد وإن كان
لهم خدم ، ولذلك لا ينطبق هذا المثل
على عصرنا الحالي .

وقولهم :

خلت زوجها مكروب وراحت تشوف
المصلوب

فهذا المثل لا ينطبق على عصرنا
الحديث لأن الصلب لا يكون في الميادين ،
كما كان الأمر في العصور الوسطى .

أما القسم الثالث من هذه الأمثال
التي ذكرها الابشيهي فهي هذه الأمثال
التي تتعلق ببعض النواحي الجنسية ،
التي لا نستطيع أن نذكر عنها شيئا في

هذا الغرض . ومن الغريب أن هذا القسم

من الأمثال يختلف تمام الاختلاف عن
ذلك الذي نسمعه الآن وعمما يشبهه بالرغم
من أن الألفاظ تكاد تكون واحدة ولكن
مدلول المثل مختلف جدا .

ونلاحظ في هذا القسم كثرة ما يقال
عن النقاب الذي كانت تضعه المرأة
المصرية على وجهها ، وما كان يجر النقاب
من ويلات وما شئع به على كل متنقبة مما
يجعلنا نحمد الله الآن على أن تنبهننا إلى
تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ، ونبذ
النقاب إلى غير رجعة حتى لا ينطبق
علينا الآن ما كان يقال عن المرأة صاحبة
النقاب في العصور الوسطى .

وهكذا أمثالنا تدل علينا قديما وحديثا ،
ولعلنا نعمل على دراسة أدبنا القومي
دراسة صحيحة شاملة ، ولعل الذين
يهتمون بأمر الفولكلور المصري وما فيه
من آداب شعبية يعملون على إيجاد هذه
العلاقة بين حاضرتنا وماضينا ، عسانا ننتفع
بالماضي للمستقبل ثم لإحياء ما يفيد
في نهضتنا الحالية .

محمد قنديل البقلي

من التراث اللغوي

لامدية

منظور بن مرثد الأسدي



جمعها وحققها وعلق عليها:
الدكتور رمضان عبد التواب

الأرجوزة^(١)، فاجتمع لي منها ست وأربعون بيتاً^(٢)، عرفت مطلعها^(٣)، ورتبتها حسبها بدالي من معاني أبياتها. وقد دلت على اختلاف الروايات في بعض هذه الأبيات، وانتقيت من الشروح الماثورة هنا وهناك ما يبين معناها، وخرجتها في مصادرها المختلفة التي وقعت لي.

أما صاحبها، فقد قال عنه الأمدى إنه هو «منظور بن حبة الأسدي، وحبته أمه، ويعرف بها^(٤)»، ومع ذلك فإننا لانعثر له على أثر في كتاب محمد بن حبيب: «ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم بأمه»، الذي نشره عبد السلام

نظري إلى هذه الأرجوزة،

لمنظورين مرثد الأسدي،

اشتغالي بموضوع الضرائر الشعرية، منذ زمن ليس بالقصير؛ فقد اضطر هذا الراجز إلى تشديد أو آخر كلمات كثيرة في أرجوزته تلك، بسبب ضرورة الوزن والتعافية؛ مثل كلمات: الأول، وأرغل، والطول، والعطيل، والخلخل، والمكحل، ومبدل، وعيهل، والمرحل، والكلكل... وغيرها.

ومن هذه الأرجوزة حوالي ثلاثين بيتاً في «مجالس ثعلب»، غير أن في بعضها هناك سقطاً وتحريفاً. وقد قلبت كثيراً من المصادر، بحثاً عن أبيات هذه

(١) قال البغدادي في خزائن الأدب ٢ / ٥٥٢: «وهي أرجوزة طويلة»، أورد منها شراح شواهد سيبويه جملة، وكذلك أبو علي الفارسي في المسائل العسكرية.

(٢) قال محقق سر صناعة الإعراب (١ / ١٧٨) في هامشه: «وعدة ما وجدنا من أبياتها ثمانية عشر بيتاً مفرقة في بطون الكتب»!!

(٣) نص على ذلك في شرح شواهد الشافية ٤ / ٢٤٨ والمختضب ١ / ٢٧٦

(٤) المؤلف والمختلف ١٤٧

وأما أبوه فاسمه «مرثد». وهو ينسب
في المصادر إلى أبيه وإلى أمه ، وهذا
ما جعل البغدادى (في شرح شواهد الشافعية
٤/ ٤٤٨) يظنه شخصين ، فيقول :
«والبيت من أرجوزة طويلة لمنظور بن
مرثد الأسدى ، وقيل لمنظور بن حبة
الأسدى» ! أو لعله يقصد أنه يسمى
بهذا وبذاك ؛ فقد قال (في خزانة الأدب
٢/ ٥٥٣) : «وهذه الأرجوزة نسبها
السخاوى في سفر السعادة لمنظور بن مرثد
الأسدى ؛ قال : وقيل لغيره . ونسبه
الصاغاني في العباب لمنظور بن حبة
الأسدى ، وهما واحد ؛ فإن مرثداً أبوه
وحبة أمه ، فبعضهم ينسبه إلى أبيه ،
وبعضهم إلى أمه . قال الصاغاني في
العباب : منظور بن حبة ، راجز من بني
أمد ، وحبة أمه . واسم أبيه مرثد بن
فروة بن نوفل بن نضلة بن الأشر بن
جحوان بن طريف بن عمرو بن قعين .»

وقد كناه أبو محمد الأسود الغندجانی
 «أبا مسعر»^(۳) . وهو شاعر وراجز
 محسن^(۴) . قال عنه الآمدی ، بعد أن
 ساق بعض شعرد : «وله أيضا أراجيز
 جیاد»^(۵) . كما ذكر المرزبانی أنه
 إسلامی^(۶) .

وهو في أرجوزته هذه يتحسر على
 مفات من عمره ، ويشكو من هجران
 محبوبته ، التي يسميها « ليلي » ،
 كما يسميها « بجمل » أو « هند » أو
 « مي » كذلك ؛ إذ تعرضت له بحسرتها
 وجمالها ، فسلبت له وخلست فؤاده ،

(۳) هامش معجم الشعراء ۲۸۱

(٢) معجم الشعراء ٢٨١

(٤) المؤلفات والمخطوطات ١٤٧

(٦) معجم الشعراء ٢٨١

ولم يكن ليرضى بها بديلا ، غير أنها
 بخلت عليه بالوصل ، وطمعت مع
 الظاعنين ، فأخذ يسلى همومه ، ويشفى
 وجده وهيامه ، بوصف راحلته ، وقد
 أبدع في هذا الوصف ، حتى كأن
 الأرجوزة قد قيلت في وصف الإبل .
 وفيما يلي نسوق هذه الأرجوزة :

- ١ - ليت شباني كان للأول*
- ٢ - وغض عيشي قد خلا أرغل*
- ٣ - من لي من هجران ليلى من لي
- ٤ - والحب من حبالها المنحل*
- ٥ - تعرضت لي بمكان حل*
- ٦ - تعرض المهره في الطول*
- ٧ - تعرضاً لم تال عن قتل لي
- ٨ - بمثل جيد الرئمة العطب*
- ٩ - ملء البريم متاق الخلخل*
- ١٠ - ومقلتان جؤننا المكحل*
- ١١ - فأردفت خبلاً على خبل لي
- ١٢ - كالثقل إذ عالى به المعلى*
- ١٣ - يا صاح لا تكثر بها عدلاً لي
- ١٤ - فلم أكن والمالك الأجسل*
- ١٥ - أرضى بإلف بعدها مبذل*

- ١٦ - بخلة عنها ولا مختل*
- ١٧ - إن أصبح عن داعي الهوى المضل*
- ١٨ - صحو ناسي الشوق مستبسل*
- ١٩ - مقتصر للصرم أو مسدل
- ٢٠ - إن تبخلى يا جمل أو تعلى*
- ٢١ - أوتصبحي في الظاعن المؤلى
- ٢٢ - أو تعدني عن حاجها حاج لي
- ٢٣ - نسل وجد الهائم المغسل*
- ٢٤ - ببازل وجناء أو عيهل*
- ٢٥ - ترى مراد نسعه المدخل*
- ٢٦ - بين رحي الحيزوم والمرحل*
- ٢٧ - بسلم من دفيه المزل*
- ٢٨ - مثل الزحليف بنعف التل*
- ٢٩ - نوط إلى صلب شديد الخل*
- ٣٠ - وعنق كالجدع متمهل*
- ٣١ - تقصر عنه هدبات الجل*
- ٣٢ - إذا اعتلى عرض نيف قل*
- ٣٣ - أذرى أساميك عتيق آل*
- ٣٤ - بأوب ضعى مريح شمل*
- ٣٥ - كأن مهواه على الكلكل*
- ٣٦ - وموقعا من ثفنيات زل*

٣٧- بعد السرى من التمدى السخضل

٣٨- فى عبش الصبح وى التجلى

٣٩- موقع كفى راهب مصل

٤٠- لعلها تسعف أو لعل

٤١- فى طلب الحاج أو التسلى

٤٢- ياصاحبى خوصا يسأل

٤٣- من كل ذات ذنب رقل

٤٤- حرقها حمض بلاد فل

٤٥- وغتم نجم غير مستقل

٤٦- فما تكاد نيبها تولى

* * *

فروق الروايات :

١- فى المحتسب ٢٧٦/١ : « عاد للأول »

٤- فى مجالس ثعلب ٥٣٣/٢ : « والحبلى

من وصالها » .

٥- فى مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وتاج

العروس (عرض) ٥٣/٥ وإعجاز القرآن

للإقلانى ١٧٣ : « بمجاز حل » . وفى

المحتسب ١٣٧/١ : « بمجار » تصحيف .

٧- فى اللسان (عرض) ٣٠/٩

وإصلاح المنطق ١٧٠ والوساطة للجرجاني

٤٦٤ وتهذيب اللغة ١٧/١٤ : « تعرضت »

وفى شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ :

« تعرضا لم تعد » . وفى تاج العروس

(طول) ٤٢٣/٧ والصحاح (قتل)

١٧٩٩/٥ : « لم يأل » . وفى سر

صناعة الإعراب ٢٣٥/١ وشرح شواهد

الشافية ٢٤٩/٤ واللسان (أنن) ١٧٨/١٦ :

« عن قتالى » .

٩- فى مادة (نخل) من اللسان ٢٣٤/١٣

والتاج ٣٠٩/٧ : « ملأى البريم » .

١١- فى تاج العروس (ردف) ١١٦/٦ :

« خيلا على خيل » تصحيف .

١٥- فى اللسان (بدل) ٥١/١٣ :

« أرضى بخل » .

١٧- فى مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وشرح

شواهد الشافية ٢٥١/٤ : « إن صح » .

١٨- فى شرح شواهد الشافية ٢٥١/٤ :

« ضحوة » !

٢٠- فى اللسان (عسس) ١٥/٨ والمحكم

لابن سيده ٣٠/١ : « إن تهجرى ياهند » .

وفي أمالي ابن الشجرى ٥٠/١ : « إن تبخلى يامى » .

٢٣- في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ : « فسل هم الوامق » . وفي المحكم لابن سيدة

١/٦٥ : « فسل وجد » . وفي التاج (عهل) ٤٠/٨ : « الهائم المعتل » تصحيف

٢٥- في شرح ابن يعيش ٨٢/٩ : « مزاد سعد » تحريف

٢٦- في شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ : « بين رجبى » . وفي شرح ابن يعيش ٨٢/٩ : « بين رجا » .

٢٧- في اللسان (زلل) ٣٢٥/١٣ : « من دفعة مزل » .

٢٩- في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ : « شديد الحمل » . وفي تهذيب اللغة

٥٧٢/٦ واللسان (خلل) ٢٣٣/١٣ : « ثم إلى هاد شديد » . وفي جمهرة

اللغة ١/٦٩ والصباح (خلل) ١٦٨٩/٤ : « ثم إلى صلب شديد » . وفي التاج

(خلل) ٣٠٦/٧ : « تمت إلى صلب » تحريف .

٣٠- في اللسان (خلل) ٢٣٣/١٣ :

« فى الجدع » . وفي جمهرة اللغة ١/٦٩

والتاج (خلل) ٣٠٦/٧ : « وعنق أتلع » .

٣٢- في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ : « إذا اغتدى » .

٣٤- في اللسان (نوف) ٢٥٨/١١ : « بعطف ضبعى » ، وبعده : « وىروى : بأوب » .

٣٥- فيما عدا مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ والأضداد لأبي

الطيب ١٢٨/١ : « كأن مهواها » . وفي قوافى الأخفش ٩٠ : « أقول إذ خرت

على الكلكل » ، وهو خلط لهذا البيت بببيت آخر هو : « أقول إذ خرت على

الكلكال » وبعده : « ياناقتى ماجلت من مجال » . انظر : تأويل مشكل

القرآن ٢٣٤ وشواهد التوضيح ٢٣ والإنصاف ١٦

٣٦- في نوادر أبي زيد ٥٣ : « من نفثات » . وفي اللسان (كلل) ١١٧/١٤ :

« وموقفا من ثفناة » تحريف .

٣٨- في الأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١

واللسان (غيش) ٢١٣/٨ « أو التجلى » وفي هذيب الألفاظ ٤١٢ : « أو التتلى » .

٣٩- في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ :
« راءب مصل » . وفي اللسان (كلال)

١٤/١١٧ : « موضع كفى » .

٤٢- في تهذيب إصلاح المنطق ٣٧/١
« يا ذائديها نخوضن » . وفي شرح

المفضليات ١٣١ : ٥٧٠ ، ٦٣٦ :

« يا ذائديها خوصا » .

٤٣- في المقاييس ٢٢٨/٢ : « لبن
رقل » .

٤٥- في الاقتضاب ٣٠٩ : « وغيم

نجم » وهي رواية نص عليها في اللسان

(حرق) ١١ / ٣٢٦ وتهذيب إصلاح

المنطق ١ / ٣٨

٤٦- في الاقتضاب ٣٠٩ : « بينها

تولى » تصحيف .

* * *

الشروح اللغوية :

٢- في شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ :

« شدد لام أول وأرغل كذلك ، وهو

بالغين المعجمة . قال صاحب العباب :

وعيش أرغل وأغرل أى واسع » .

٤- في شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ :

« قال أبو علي في المسائل العسكرية :

المنحل لا يخلو من أن يكون محمولا

على (الحبل) أو (الحبال) وكلا الأمرين
قبيح » .

٥- في جمهرة اللغة ٤٩٧/٣ :

« يريد : تريك عرضها أى جانبها ،

وقولهم : عرضت لفلان بكذا وكذا ،

إذا لم تبينه له » .

٦- في إعجاز القرآن للباقلاني ١٧٣ :

« تريك عرضها وهي في الرّسن »

والطّول ، كعنب : الحبل الطويل يربطه

أحد طرفيه بيد الدابة والآخر بوترد

أو نحوه ؛ لتدور فيه وترعى ولا تذهب

لوجهها ، وقد شددها الراجز للضرورة .

٧- في اللسان (عرض) ٣٠/٩ :

« واعترض الفرس في رسنه وتعرض :

لم يستقم لقائدة » . وفي تهذيب إصلاح

المنطق ٢ / ٢٩ : « لم تأل : لم تقصر

في اعتمادها قتلى . تعرضت له كما تتعرض

المهرة في طولها ، تفعل ذلك لنشاطها » .

وقد أفاضت المصادر في شرح الرواية

الأخرى لهذا البيت ، وهي : « عن

قتلالى » ؛ فقال في اللسان (طول)

١٣/٤٣٩ : « ويروى : عن قتلالى ،

على الحكاية ، أى عن قولها : قتلاله » .

وفي سر الصناعة ١ / ٢٣٦ : « هكذا

أنشدنيه (أبو علي) . عن قتلا . وحمله
تأويلين : أحدهما أنه قال : بجوز أن
يكون أراد الحكاية ، كأنه حكى
النصب الذي كان معتادا من قولها في
بابه ، أي كانت تقول : قتلا قتلا ، أي
أنا أقتله قتلا ، ثم حكى ما كانت
تلفظ به ... والوجه الآخر الذي أجازته
أبو علي في قوله : عن قتلا ، أنه قال :
يجوز أن يكون أراد : أن قتلا ، أي
أن قتلتني قتلا ، فأبدل الهمزة عينا ،
فهذا أيضا من عننة تميم . وقال في
اللسان (قتل) ١٤ / ٦٦ : « أراد
عن قتلى ، فلما أدخل عليه لاما
مشددة ، وصار الإعراب فيه ، فتح
اللام الأولى ، كما تفتح في قولك :
مرت بنمر ونمرة وبرجل وبرجليس .
قال ابن بري : والمشهور في رجز منظور :
لم تأل عن قتلا ، على الحكاية ،
أي عن قولها : قتلا له ، أي اقتلوه ،
ثم يدغم التنوين في اللام ، فيصير
في السمع على ما زواه الجوهري (قَتَلَى) .
قال : وليس الأمر على ما تأوله . »

٨- في المحكم لابن سيدة ٣٢٠/٢
واللسان (عطيسيل) ٤٨٣/١٣ :

« والعطيل والعطبول من الظباء والنساء :
الطويلة العنق . وقوله أنشده ثعلب :
يمثل جيد الرئمة العطيل ، إنما أراد العطيل ،
فشدد للضرورة . »

٩- البريم : خيط فيه ألوان تشده
المرأة على حقوبها ، والمتاق : المملوء .
وقال في اللسان (خلل) ٢٣٤/١٣ :
« أراد متاق الخلل ، فشدد للضرورة ،
والخلل لغة في الخلل ، أو مقصور
منه ، واحد خلاخيل النساء . »

١٠- الجون : الأسود المشرب بحمرة ،
أراد أنها سوداء مكان الكحل بلا كحل ،
والمكحل : مكان وضع الكحل ، وشدد
لامه للضرورة .

١١- في اللسان (ردف) ١٤/١١ :
« وأردف الشيء بالشيء وأردفه عليه :
أتبعه عليه . »

١٥- في اللسان (بدل) ٥١/١٣ :
« إنما أراد مبدل ، فشدد اللام للضرورة .
قال ابن سيدة : وعندي أنه شددتها
للقوف ، ثم اضطر فأجرى الوصل مجرى
الوقف . »

١٨- الصحوّ : مصدر من مصادر صحا يصحو . والمستبل : الذى برأ وصح .
وفى شرح شواهد الشافية ٢٥١/٤ :
« ومستبل من أبل من مرضه إذا صح
وتوجه إلى العافية » .

٢٠- فى خزانة الأدب ٥٥٢/٢ :
« وقوله : إن تبخلى ، هو من البخل ،
أى إن تبخلى علينا بوصلك ، وجمل
بضم الجيم : من أساء نساء العرب .
وتعتلى : من الاعتلال ، وهو التمارض
والتمسك بحجة » . وانظر كذلك
شرح شواهد الشافية ٢٥٠/٤

٢١- فى خزانة الأدب ٥٥٢/٢ :
« والظاعن من ظعن - من باب نفع -
إذا ارتحل . والمولى : من وليت عنه ،
إذا أعرضت عنه وتركته . وتنتلى ،
وتصبحى معطوفان على تبخلى ؛ ولهذا
جزأ بحذف النون » .

٢٢- فى شرح شواهد الشافية ٢٥١/٤ .
« وتغلنى : تتجاوزنى . وحاج : جمع
حاجة » .

٢٣- فى شرح شواهد الشافية ٢٥٠/٤ :
« نسل : من التسلية ، وهى تطيب

النفس ، وهو جواب الشرط . والمغتل -
بالغين المعجمة : الذى قد اغتلت جوفه من
الشوق والحب والحزن ، كغلة العطش » .
وفى خزانة الأدب ٥٥٢/٢ : « نسل :
جواب الشرط ، مجزوم بحذف الياء ،
وأوله نون المتكلم ، من التسلية ، وهو
إذهاب الهم ونحوه بالسار . قال أبو زيد :
السلو طيب نفس الإلف عن إلفه .
والوجد : الغم والحزن . والهائم :
أراد به الشاعر نفسه ، وهو من هام إذا
خرج على وجهه لا يدري أين يتوجه ، إن
سلك طريقةً مسلوكة ، فإن سلك طريقاً
غير مسلوكة ، فهو راكب التعاسيف ،
كذا فى المصباح . والمغتل - بالغين
المعجمة : من الغلّة بالضم . وهى حرارة
العطش »

٢٤- فى نوادر أبي زيد ٥٣ : « قال
أبو الحسن : عَيْهَلٌ ، وجاء فى الشعر :
عَيْهَلٌ ... والوجناء : الوثيرة القصيرة .
والعيهل : الطويلة ... قال أبو الحسن :
حفظى عن الأصمعى الذى لا أشك فيه أن
الوجناء الغليظة ، مأخوذة من الوجين ،
وهو ماغلغل من الأرض . والعيهل :
السريعة » . وفى الصحاح (عهل)

١٧٧٨/٥ : «الیهل من النوق : السريعة .

قال أبوحاتم : ولا يقال جمل عیهل ...

وربما قالوا : عیهل مشددا في ضرورة الشعر .

وفي المحتسب ١/٧٦ : « يريد :

العیهل ، فنوی الوقف ، فثقل ثم أطلق

وهو يريد الوقف » . وفي خزانة الأدب

٢/٥٥٢ : «وقوله : ببازل ، متعلق

بنسل . والبازل : الداخل في السنة

التاسعة من الإبل ، ذكرا كان أو أنثى ،

والمراد هنا الثاني لقوله : وجناء ،

وفسرها أبوزيد بالوثيرة بالثاء المثثة ،

وهي الكثيرة اللحم . والتي لا تتعب

راكبها . والمشهور تفسيرها بالناقاة

الشديدة . والعیهل : فسرهما أبوزيد بالطويلة .

وقال غيرد : هي السريعة . قال صاحب

العباب : العیهل والعیهلة : الناقاة السريعة .

قال أبوحاتم : ولا يقال جمل عیهل .

وتشديد اللام لضرورة الشعر اه . وبه

يظهر فساد قول السخاوی في سفر

السعادة : إن العیهل النجيب من الإبل

الأنثى عیهلة ، ويرد عليه أيضا قوله :

وجناء » . وانظر سفر السعادة للسخاوی

١١٠ ب .

٢٥- مراد النسع ، بفتح الميم : المكان

الذي يتحرك فيه النسع من جانبي الدابة

وبطنها . والنسع : الحبل أو السير

يضفر ، ويجعل حزاما للدابة . والمدخل

الذي يدخل بعضه في بعض الضفر .

وشدد اللام للضرورة .

٢٦- الحيزوم : الصدر . والرحى من

البعير : هي القرص المستدير الذي

يلامس الأرض إذا برك . والمرحل :

حيث يشد الرّحل ، وشدد لامه للضرورة .

وقال في اللسان (دخل) ١٣/٢٥٤ :

«إنما أراد المُدْخَلَ والمَرْحَلَ ، فشدد

للووقف ، ثم احتاج فأجرى الوصل

مجرى الوقف » .

٢٧- الدف والدفة . الجنب . والمزل :

من الزلل وهو الزلق . وفي اللسان (زلل)

١٣/٣٢٥ : « من دَفَّة مَزَلٌ » . قال ابن

سيادة : «يجوز أن يكون : مَزَلَّ بدلا من سلم

ولا يكون نعتا ؛ لأن مَفْعَلًا لم يعجى صفة .

ويجوز أن تكون الرواية : مُزَلَّ . بضم

الميم »

٢٨- الزحاليف : جمع زحلوقة ، وهي

المكان الأملس ، الذي يتزلّج عليه

الصبيان من فوق التل . ونعف التل :

ما انحدر منه . ومعنى هذه الأبيات أن

الموضع الذي يقع عليه النسع بين رحى

الحيزوم والمرحل ، يتحات شعره حتى
يصير أملس كالزحاليق بنعف التل .

٢٩- نوط ، يريد : نيط ، على لغة من
يقول : «بوع» في «بيع» . وفي اللسان
(خلل) ٢٣٣/١٣ : «والخل : عرق في
العنق متصل بالرأس» .

٣٠- في اللسان (مهمل) ١٥٧/١٤ :
«تمهلّ اتمهلاً ، أى اعتدل وانتصب» .

٣١- الجَلَّ بالفتح : شراع السفينة .

٣٢- في اللسان (نوف) ٢٥٨/١١ :
«فلاة نياف : طويلة عريضة» .

٣٣- في اللسان (سهك) ٣٣٠/١٢ :
«وسهكت الدابة سهوكاً : جرت جرياً
خفيفاً ، وقيل سهوكها : استنانها بميناً
وشمالاً . وأساهيكها : ضروب جريها ،
واستنانها ... أراد : ذى آل ، وهو السرعة
وإن شئت قلت : إنه وصفه بالمصدر» .
والعتيق : الكريم ، يريد به البعير .

٣٤- في اللسان (شمل) ٣٩٤/١٣ :
«وجمل شمل وشملال وشمليل : سريع» .

٣٥- في تهذيب الألفاظ ٤١٢ : «الكلكل :
الصدر . واحتاج إلى تشديد اللام من أجل

القافية» . وفي خزانة الأدب ٥٥٢/٢ :
«وقوله : مهواها ، مصدر بمعنى الهوى
والسقوط . والكلكل كجعفر : الصدر
وتشديد اللام ضرورة أيضاً» .

٣٦- في نوادر أبي زيد ٥٣ : «الزَلَّ :
الملس» . وفي تهذيب الألفاظ ٤١٢ :
«والزَلَّ القليلة اللحم» . وفي خزانة
الأدب ٥٥٢/٢ : «وثقنات : جمع ثفنة ،
بفتح المثناة وكسر الفاء بعدها نون ،
وهو ما يقع على الأرض من أعضاء الإبل
استناخ وغلظ كالركبتين وغيرهما .
وزَلَّ- بالضم : جمع أزلَّ ، وهو الخفيف ،
وفسره أبو زيد بملس ، وهو غير مناسب
إذ المراد تشبيه الأعضاء الخشنة الغليظة
من الناقة بكثرة الاستناخة ، بكفى راهب
قد شئت وخشنت من كثرة اعتماده عليها
في السجود» .

٣٨- في خزانة الأدب ٥٥١/٢ وشرح
شواهد الشافية ٢٥٠/٤ : «والغَبْشُ -
بفتحتين : بقية الليل ، وأراد بالتجلى :
النهار» . وفي تهذيب الألفاظ ٤١٢ :
«التلى : ما يتلو ضوء الفجر الأول
من الضوء الذي بعده . ويروى : أو التجلى :
أن يعم الضوء كل شيء» .

٣١- في شرح شواهد الشافعية ٢٥٠/٤ :
« شبه الأعضاء الخشنة من الناقة بكثرة
الاستناخة ، بكفى راهب قد خشنتا
من كثرة اعتماده عليهما في السجود » .
وفي تهذيب الألفاظ ٤١٢ : « شبه موقع
ثفنته إذا برك ، بموقع كفى راهب على
الأرض إذا صلى . قال وعندى أنه
أراد أن يشبه يدي الراهب وركبته
بثفنت البعير ، فاقتصر على ذكر اليدين
لأنه يعلم أن المصلي لا يدع يديه على
الأرض ويرفع ركبتيه » . وفي خزانة
الأدب ٥٢/٢ : « وروى : رجلى راهب ،
بدل : كفى راهب » .

٤٢- في اللسان (خوص) ٣٠٠/٨ : « ابن
الأعرابي خوص الرجل : إذا ابتداءً
بإكرام الكرام . ثم اللثام ... وفسره
فقال : خوصاً أى ابتداءً بخيارها وكرامها
يقول : قدم خيارها وجلتها وكرامها
تشرب ، فإن كان هنالك قلة ماء كان
لشربها ، وقد شربت الخيار عَفْوته
وصَفْوته . قال ابن سيده : هذا معنى
قول ابن الأعرابي ، وقد لطفنا أنا تفسيره .
ومعنى (بَدَلُ) أن النافة الكريمة تنسل
إذا شربت فتدخل بين ناقتين » . وفي

المقاييس ٢٢٩/٢ : « يقول : قرباً إبلكما
شيئاً بعد شيء ، ولا تدعاهما تذاك على
الحوض » أى تزدهم عليه .

٤٣- في شمس العلوم ٢٦٠/٢ : « والرفل :
الطويل أى قرباً إبلكما شيئاً بعد
شيء » . وفي تهذيب إصلاحي المنطق
٣٧/١ : « والرفل : التام » وفي اللسان
(خوص) ٣٠٠/٨ : « وقوله : من كل ذات
ذنب رفل . قال : لا يكون طول شيء
الذنب وضفود إلا في خيارها » .

٤٤- في أساس البلاغة ١٦٨/١ : « حرق
المرعى الإبل : عطشها » . وفي تهذيب
إصلاحي المنطق ٣٨/١ : « حَرَّقَهَا : أى
حَرَّقَ أجواف الإبل رعى الحمض ، وليس
أها ماء » . وفي اللسان (فلل) ٤٧/١٤ :
« الفيل : الأرض القفرة » . وفي إصلاحي
المنطق ٢٥ : « والفيل : الأرض التي لم يصبها
مطر ، وجمعها : أفلال . وقد أفللنا ، إذا
وطئنا أرضاً فلا » .

٤٥- في إصلاحي المنطق ٢٥ واللسان (فلل)
٤٧/١٤ : « الغتم : شدة الحر الذي يأخذ
النفس » . وفي تهذيب إصلاحي المنطق
٣٨/١ : « والغتم : شدة الحر والأخذ

بالنفس ؛ أى طلع نجم الحر . ويروى :
غيم نجم ، والغيم : العطش . وفى
اللسان (غم) ٣٢٩/١٥ : « غير مستقل :
أى غير مرتفع ؛ لثبات الحر المنسوب
إليه ؛ وإنما يشتد الحر عند طلوع الشعري
التي فى الجوزاء » .

٤٦- فى تهذيب إصلاح المنطق ٣٨/١ :
« والنيب : جمع ناب ، يريد أنها قد
اشتد عليها العطش ، فما تكاد تولى عن
الحوض لما وردت ؛ لما نالها من العطش » .
وفى الاقتضاب ٣٠٩ : « أى ما تكاد تولى
عن الحوض لشدة حاجتها إلى الماء » .

تخريج أبيات القصيدة :

١- شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ وبلا
نسبة فى المحتسب ٢٧٦/١

٢- شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ وبلا
نسبة فى المحتسب ٢٧٦/١

٣- شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤
والخصائص ٢٦٢/٢ وبلا نسبة فى مجالس
ثعلب ٥٣٣/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧٧/١ ؛
٢٣٥/١ وشرح ابن يعيش ٨٢/٩

٤- شرح شواهد الشافية ٢٤٨/٤ وبلا
نسبة فى مجالس ثعلب ٥٣٣/٢ وسر

صناعة الإعراب ١٧٧/١ ؛ ٢٣٥/١ وشرح
ابن يعيش ٨٢/٩

٥- شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤
ولسان العرب (طول) ٤٣٩/١٣ (قتل)
١٤/٦٦ وجمهرة اللغة ٤٩٧/٣ وتاج
العروس (عرض) ٥٣/٥ (طول) ٤٢٣/٧
وتهذيب إصلاح المنطق ٢٩/٢ وبلا
نسبة فى مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وسر
صناعة الإعراب ١٧٨/١ ؛ ٢٣٥/١ واللسان
(أنن) ١٦/١٧٨ وشرح ابن يعيش
٨٢/٩ والصحاح (طول) ٥/١٧٥٤ (قتل)
٥/١٧٦٩ وإعجاز القرآن للباقلاني ١٧٣
والمحتسب ١٣٧/١ والقوافى للأخفش ٩٠
وشرح القصائد السبع ٥٠

٦- شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ واللسان
(طول) ٤٣٩/١٣ (قتل) ١٤/٦٦ وجمهرة
اللغة ٤٩٧/٣ وتاج العروس (عرض)
٥٣/٥ (طول) ٤٢٣/٧ وتهذيب إصلاح
المنطق ٢٩/٢ وبلا نسبة فى مجالس
ثعلب ٥٣٤/٢ وسر صناعة الإعراب
١٧٨/١ ؛ ٢٣٥/١ واللسان (عرض) ٩/٣٠
(أنن) ١٦/١٧٨ وإصلاح المنطق ١٧٠
وشرح ابن يعيش ٨٢/٩ والصحاح (طول)
٥/١٧٥٤ (قتل) ٥/١٧٩٩ والوساطة
للجرجاني ٤٦٤ وإعجاز القرآن للباقلاني

١٧٣ وتهذيب اللغة ١٧/١٤ والمحتسب^{٥٦}
١٣٦/١ وشرح القصائد السبع ٥٠
والقوافي للأخفش ٩٠

٧- شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ ولسان
العرب (طول) ٤٣٩/١٣ (قتل) ٦٦/١٤
وتهذيب إصلاح المنطق ٢٩/٢ وتاج
العروس (عرض) ٥٣/٥ (طول) ٤٢٣/٧
وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وسر
صناعة الإعراب ٢٣٥/١ واللسان (عرض)
٣٠/٩ (أنن) ١٧٨/١٦ وإصلاح المنطق
١٧٠ والصحاح (قتل) ١٧٩٩/٥ والوساطة
للجرجاني ٤٦٤ وتهذيب اللغة ١٧/١٤

٨- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٤/٢
وبلا نسبة في مادة (عطيل) من اللسان
٤٨٣/١٣ والتاج ٢٤/٨ والمحكم لابن
لابن سيده ٣٢٠/٢

٩- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٤/٢
وبلا نسبة في مادة (خلل) من اللسان
٢٣٤/١٣ والتاج ٣٠٩/٧

١٠- المحتسب ١٣٧/١ ٢٧٦/١٤

١١- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
في مادة (ردف) من اللسان ١٤/١١
والتاج ١١٦/٦

١٢- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
في مادة (ردف) من اللسان ١٤/١١
والتاج ١١٦/٦ وهو في المحكم لابن سيده
٢٥٢/٢ ولسان العرب (علا) ٣١٦/١٩

١٣- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢

١٤- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
في اللسان (بدل) ٥١/١٣

١٥- مجالس ثعلب ٥٣٤/٢ وبلا نسبة
في اللسان (بدل) ٥١/١٣

١٦- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢

١٧- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وشرح شواهد
الشافية ٢٥١/٤ وسفر السعادة ١١٠ ب .

١٨- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وشرح شواهد
الشافية ٢٥١/٤

١٩- مجالس ثعلب ٥٣٥/٢

٢٠- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٢٤٩/٤ واللسان (عهل) ٥٠٩/١٣

وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وسفر السعادة
١١٠ أ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة

في اللسان (عسس) ١٥/٨ والمحكم
لابن سيده ٣٠/١ وأمالى ابن الشجرى

١/٥٠ والصحاح (عهل) ١٧٧٩/٥

٢١- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافعية ٢٤٩/٤ واللسان (عهل) ٥٠٩/١٣
وسفر السعادة ١١٠ أ وخزانة الأدب
٥٥١/٢ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة
في اللسان (عسس) ١٥/٨ والمحكم
لابن سيده ٣٠/١ وأمالى ابن الشجرى
٥٠/١ والصحاح (عهل) ١٧٧٩/٥

٢٢- شرح شواهد الشافعية ٢٥١/٤ وسفر
السعادة ١١٠ ب .

٢٣- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافعية ٢٥٠/٤ وخزانة الأدب ٥٥١/٢
وسفر السعادة ١١٠ أ ١١٠ ب ؛ ومادة
(عهل) من اللسان ٥٠٩/١٣ والتاج
٤٠/٨ وأراجيز العرب ١٥٨ وبلا نسبة
في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وسر صناعة
الإعراب ١٧٨/١ والمحكم لابن سيده
٦٥/١

٢٤- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافعية ٢٥٠/٤ ومادة (عهل) من
اللسان ٥٠٩/١٣ والتاج ٤٠/٨ وسفر
السعادة ١١٠ ب ؛ وتهذيب الألفاظ ٤١٢
وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وأراجيز العرب
١٥٨ ولرجل من بنى أسد في سيبويه

والشنتمرى ٢٨٢/٢ وبلا نسبة في مجالس
ثعلب ٥٣٥/٢ وسر صناعة الإعراب
١٧٨/١ ولسان العرب (بدل) ٥١/١٣
(فوه) ٤٢٣/١٧ والخصائص ٣٥٩/٢
والمحتسب ١٠٢/١ ؛ ١٣٧/١ ؛ ٢٧٦/١
والمقاييس ١٧٣/٤ والمنصف ١١/١ والصحاح
(عهل) ١٧٧٩/٥ والمتع في التصريف
١١١/١ والمحكم لابن سيده ٦٥/١ ؛
٣١٣/٤ والإنصاف ٤٥٧ والقوافى .
للأخفش ٩٠

٢٥- شرح شواهد الشافعية ٢٤٩/٤ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وسر
صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان العرب
(دخل) ٢٥٤/١٣ وشرح ابن يعيش
٨٢/٩

٢٦- شرح شواهد الشافعية ٢٤٩/٤ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٥/٥ وسر
صناعة الإعراب ٧٨١/١ ولسان العرب
(دخل) ٢٥٤/١٣ وشرح ابن يعيش
٨٢/٩

٢٧- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢
وبلا نسبة في اللسان (زلل) ٣٢٥/١٣

٢٨ - شرح شواهد الشافية ٢٤٩/٤ وبلا
نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٥/٢ وسر
صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان العرب
(دخل) ٢٥٤/١٣

٢٩ - من قصيدته في مجالس ثعلب
٥٣٦/٢ وينسب إلى جندل بن المثنى
الطهوى في جمهرة اللغة ٦٩/١ وتاج
العروس (خلل) ٣٠٦/٧ وهو بلا
نسبة في المنصف ٢٠٥/١ والمحتسب
١٧٨/٢ ومادة (خلل) من الصحاح
١٦٨٩/٤ ولسان العرب ٢٣٣/١٣ وتهذيب
اللغة ٥٧٢/٦

٣٠ - من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وينسب إلى جندل بن المثنى الطهوى في
جمهرة اللغة ٦٩/١ وتاج العروس (خلل)
٣٠٦/٧ وبلا نسبة في المنصف ٢٥٠/١
ولسان العرب (خلل) ٢٣٣/١٣ (مهمل)
١٥٧/١٤ وتهذيب اللغة ٥٧٢/٦

٣١ - مجالس ثعلب ٥٣٦/٢

٣٢ - منه قطعة محرفة في مجالس ثعلب
٥٣٦/٢ هي : « إذا اغتدى عر » .
وهو بلانسية في مادة (نوب) من
اللسان ٢٥٨/١١ والتاج ٢٦٣/٦

٣٣ - من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وبلانسية في اللسان (نوب) ٢٥٨/١١
(سهك) ٣٣٠/١٢ وتاج العروس
(نوب) ٢٦٣/٦ (سهك) ١٤٦/٧

٣٤ - من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وبلا نسبة في اللسان (نوب) ٢٥٨/١١
(شمل) ٣٩٤/١٣ وتاج العروس
(شمل) ٣٩ / ٧

٣٥ - نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد
الشافية ٢٥٠/٤ ومادة (كلل) من
اللسان ١١٧/١٤ والتاج ١٠٣/٨ وسفر
السعادة ١١٠ ب وتهذيب الألفاظ ٤١٢
وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وأراجيز العرب
١٥٩ وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢
وسر صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان
العرب (فوه) ٤٢٣/١٧ والمحتسب
١٠٢/١ والمنصف ١١/١ وتوجيه إعراب
أبيات ملغزة ١٥٥ والمعاني الكبير ٢١٨/١
والصحاح (كلل) ١٨١٢/٥ والمحتسب
١٣٧/١ والمحكم لابن سيده ٣١٣/٤
والأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١ والقوافي
للأنخفش ٩٠

٣٦- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٢٥٠/٤ واللسان (كلل) ١١٧/١٤ وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وأراجيز العرب ١٥٩ وسفر السعادة ١١٠ ب ؛ وبلا نسبة في الأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١

٣٧- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ ٣٨- شرح شواهد الشافية ٢٥٠/٤ ، وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٥٥٢/٢ وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ والأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١ ولسان العرب (غبش) ٢١٣/٨

٣٩- نوادر أبي زيد ٥٣ وشرح شواهد الشافية ٢٥٠/٤ ومادة (كلل) من اللسان ١١٧/١٤ والتاج ١٠٣/٨ وتهذيب الألفاظ ٤١٢ وخزانة الأدب ٥٥١/٢ وأراجيز العرب ١٥٩ وسفر السعادة ١١٠ ب ؛ وبلا نسبة في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ وسر صناعة الإعراب ١٧٨/١ ولسان العرب (فوه) ٤٢٣/١٧ والصحيح (كلل) ١٨١٢/٥ والمحكم لابن سيده ٣١٣/٤ والأضداد لأبي الطيب ١٢٨/١ ٤٠- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢ ٤١- من قصيدته في مجالس ثعلب ٥٣٦/٢

٤٢- مقاييس اللغة ٢٢٨/٢ وشمس العلوم ٢٦٠/٢ وتهذيب إصلاح المنطق ٣/٧١ ولسان العرب (خوص) ٣٠٠/٨ وتهذيب اللغة ٤٧٥/٧ وتاج العروس (خوص) ٣٩٢/٤ وشرح المفضليات ١٣١ ؛ ٥٧٠ ؛ ٦٣٦ ولم ينسب في أى مصدر من هذه المصادر ، غير أنه ذكر في بعضها مع رقم ٤٤ وهو لمنظور .

٤٣- مقاييس اللغة ٢٢٨/٢ وشمس العلوم ٢٦٠/٢ وتهذيب إصلاح المنطق ٣٧/١ ولسان العرب (خوص) ٣٠٠/٨ وتاج العروس (خوص) ٣٩٢/٤ وشرح المفضليات ١٣١ ؛ ٥٧٠ ؛ ٦٣٦ ولم ينسب في أى مصدر من هذه المصادر ، غير أنه ذكر في بعضها مع البيت التالى ، وهو لمنظور .

٤٤- لسان العرب (نيب) ٢٧٥/٢ والتاج (نيب) ٤٩٨/١ وينسب لأبي صالح مسعود بن قيد الفزارى في التكملة ٢٨١/١ وتاج العروس (حرق) ٣١٣/٦ (فلل) ٦٦/٨ (غم) ٢/٩ وبلا نسبة في لسان العرب (خوص) ٣٠٠/٨ (حرق) ٣٢٦/١١ (فلل) ٤٧/١٤ (غم) ٣٢٩/١٥ وإصلاح المنطق

٢٥ وتاج العروس (مختصر)

٣٩٢/٤ أساس البلاغة

١٦٨/١ والصحاح (نيب) ٢٣٠/١

(حرق) ١٤٥٨/٤ (فلل) ١٧٩٣/٥

(غم) ١٩٩٥/٥ وتهذيب إصلاح المنطق

٣٧/١ والاقتضاب ٣٠٩ وتهذيب اللغة

٨٣/٨ ؛ ٣٣٥/١٥ وشرح المفضليات

٦٣٦

٤٥- ينسب لأبي صالح مسعود بن قيد

الفزارى فى التكملة ٢٨١/١ وتاج العروس

(حرق) ٣١٣/٦ (فلل) ٨/٦٦ (غم)

٩/٢ مع البيت السابق . وبلا نسبة

فى لسان العرب (حرق) ١١/٣٢٦

(فلل) ١٤/٤٧ (غم) ١٥/٣٢٩

والصحاح (نيب) ١/٢٣٠ (فلل)

١٧٩٣/٥ (غم) ٥/١٩٩٥ وتهذيب

إصلاح المنطق ٣٧/١ والاقتضاب ٣٠٩

وتهذيب اللغة ٨٣/٨ ؛ ٣٣٥/١٥ وشرح

المفضليات ٦٣٦

٤٦- لسان العرب (نيب) ٢/٢٧٥ وتاج

العروس (نيب) ١/٤٩٨ وينسب لأبي

صالح مسعود بن قيد الفزارى فى التكملة

٨١/١ وتاج العروس (فلل) ٨/٦٦

وبلا نسبة فى اللسان (فلل) ١٤/٤٧

وتهذيب إصلاح المنطق ١/٣٧ والصحاح

(نيب) ١/٢٣٠ والاقتضاب ٣٠٩ وشرح

المفضليات ٦٣٦ وإصلاح المنطق ٢٥

قائمة المصادر :

١ - أراحيز العرب ، للسيد توفيق

البكرى - القاهرة ١٣٤٦هـ

٢ - أساس البلاغة ، للزمخشري -

القاهرة ١٩٢٢

٣ - إصلاح المنطق ، لابن السكيت -

تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون -

القاهرة ١٩٥٦

٤ - الأضداد فى كلام العرب ،

لأبي الطيب اللغوى - تحقيق الدكتور

عزة حسن - دمشق ١٩٦٣

٥ - إعجاز القرآن ، للباقلانى - تحقيق

السيد أحمد صقر - القاهرة ١٩٥٤

٦ - الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ،

للبطليوسى - نشر عبد الله البستاني -

بيروت ١٩٠١

٧ - ألقاب الشعراء ومن يعرف منهم

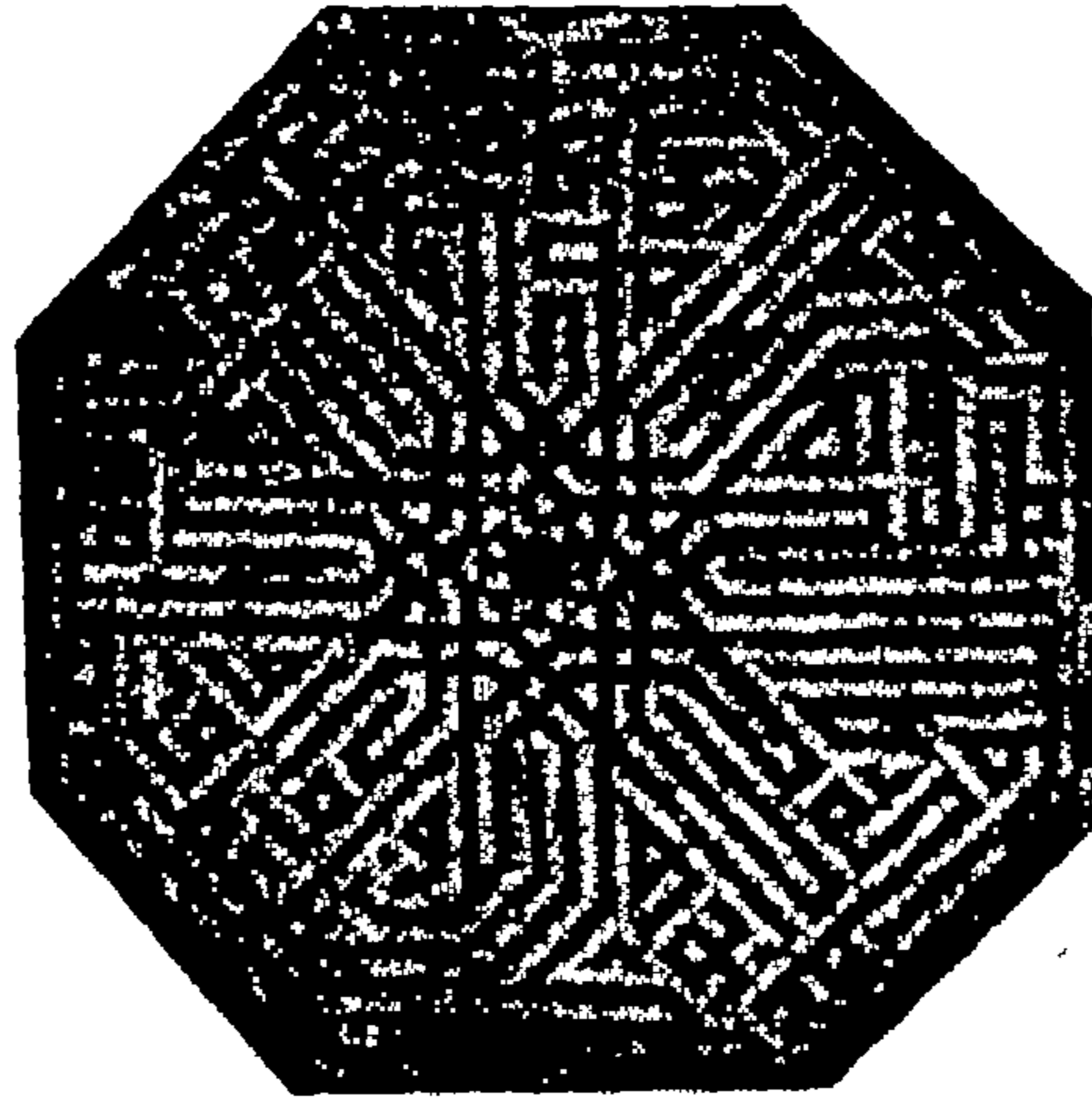
بأمره ، لمحمد بن حبيب - المجلد الثانى

- من نواذر المخطوطات - تحقيق عبدالسلام
هارون - القاهرة ١٩٥٤ .
- ٨ - الأمالى لابن الشجرى - حيدر
آباد بالهند ١٣٤٩ هـ .
- ٩ - الإنصاف فى مسائل الخلاف بين
النحويين البصريين والكوفيين ، لأبى
البركات بن الأنبارى - تحقيق محمد
محيى الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٥٣
- ١٠ - تاج العروس من جواهر القاموس
للزبيدى - القاهرة ١٣٠٦ هـ .
- ١١ - تأويل مشكل القرآن ، لابن
قتيبة الدينورى - تحقيق السيد صقر -
القاهرة ١٩٥٤
- ١٢ - التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج
اللغة وصحاح العربية ، للصاغانى -
تحقيق عبد العليم الطحاوى - القاهرة ١٩٧٠
- ١٣ - تهذيب لإصلاح المنطق ، للتبريزى -
القاهرة ١٩٠٧
- ١٤ - تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت -
نشر لويس شيخو - بيروت ١٨٩٥
- ١٥ - تهذيب اللغة ، لأبى منصور الأزهري -
تحقيق عبد السلام هارون وآخرين -
القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧
- ١٦ - توجيه إعراب أبيات ملحزة الإعراب
المنسوب للرماني - تحقيق سعيد الأفغانى -
دمشق ١٩٥٨
- ١٧ - جمهرة اللغة ، لابن دريد الأزدي -
تحقيق كرنكو - حيدر آباد بالهند
١٣٤٤ - ١٣٥١ هـ .
- ١٨ - خزنة الأدب ، لعبد القادر البغدادى
بوراق ١٢٩٩ هـ .
- ١٩ - الخصائص ، لابن جنى - تحقيق
محمد على النجار - دار الكتب المصرية
بالقاهرة ١٩٥٢ - ١٩٥٦ .
- ٢٠ - سر صناعة الإعراب ، لابن جنى -
تحقيق مصطفى السقا وآخرين -
القاهرة ١٩٥٤
- ٢١ - سفر السعادة وسفير الإفادة .
لعلم الدين السخاوى - مخطوط بدار
الكتب المصرية برقم ٧٨ مجاميع م .
- ٢٢ - شرح شواهد الشافية ، لعبد القادر
البغدادى - تحقيق محمد الزفزاف
وآخرين - القاهرة ١٣٥٦ هـ .
- ٢٣ - شرح الشواهد للشنتمرى - على هامش
كتاب سيبويه - بوراق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ .

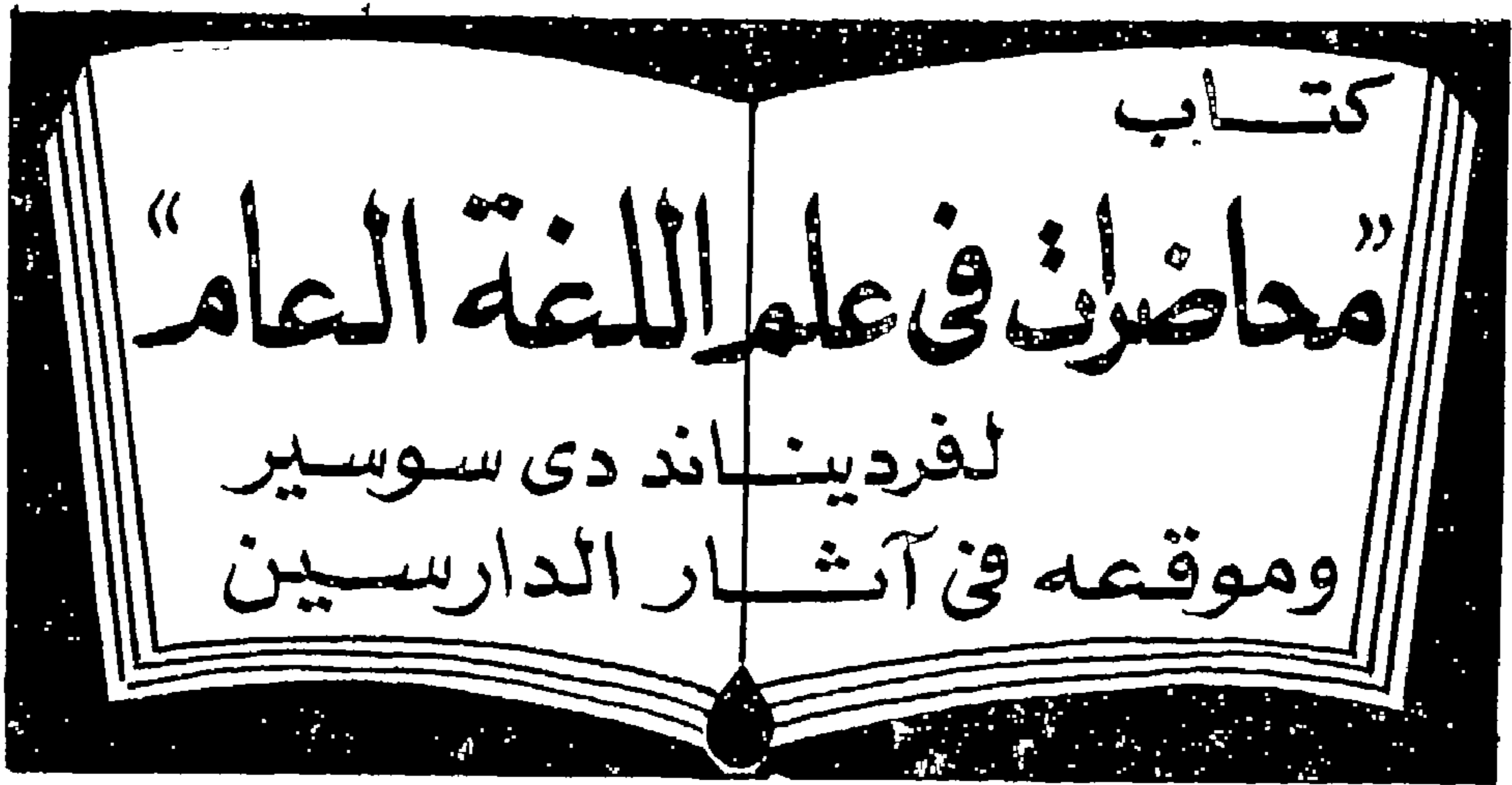
- ٢٤- شرح القصائد السبع الطوال
الجاهليات ، لابن الأنباري - تحقيق
عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٦٣
- ٢٥- شرح المفضليات ، لأبي محمد
القاسم بن بشار الأنباري - تحقيق
لايل - بيروت ١٩٢٠
- ٢٦- شرح ابن يعيش للمفصل -
المطبعة المنيرية بالقاهرة (بلا تاريخ) .
- ٢٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب
من الكلوم ، لنشوان بن سعيد الحميري -
طبعة عيسى الحلبي بالقاهرة (بلا تاريخ) .
- ٢٨- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات
الجامع الصحيح ، لابن مالك - تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي - القاهرة ١٩٥٧
- ٢٩- الصحاح للجوهري = تاج اللغة
وصحاح العربية ، لأبي نصر الجوهري -
تحقيق أحمد عبد الغفور عطار -
القاهرة ١٩٥٦
- ٣٠- القوافي ، لأبي الحسن سعيد بن
مسعدة الأنخفش - تحقيق الدكتور
عزت حسن - دمشق ١٩٧٠
- ٣١- الكتاب ، لسيبويه - بولاق ١٣١٦ -
١٣١٧ هـ .
- ٣٢- لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي
بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧ هـ .
- ٣٣- المؤلف والمختلف ، للآمدي -
تحقيق عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦١
- ٣٤- مجالس ثعلب - تحقيق عبد السلام
هارون - القاهرة ١٩٦٠
- ٣٥- المختضب في تبين وجوه سواد
القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني -
تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين -
القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٣٦- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ،
لابن سيده الأندلسي - تحقيق مصطفى
السقا وآخرين - القاهرة ١٩٥٨ وما بعدها .
- ٣٧- المعاني الكبير ، لابن قتيبة الدينوري
حيدر آباد بالهند ١٩٤٩
- ٣٨- معجم الشعراء ، للمرزباني - تحقيق
عبد الستار فراج - القاهرة ١٩٦٠
- ٣٩- مقاييس اللغة ، لابن فارس -
تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة
١٣٦٦ - ١٣٧١ هـ .

- ٤٠- الممتع في التصريف ، لابن عصفور
الإشبيلي - تحقيق فخر الدين قباوة -
حلب ١٩٧٠
- ٤١- المنصف ، لابن جنى - شرح
التصريف للمازني - تحقيق إبراهيم مصطفى
وعبد الله أمين - القاهرة ١٩٥٤
- ٤٢- النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري-
نشر سعيد الشرتوني - بيروت ١٨٩٤
- ٤٣- الوساطة بين المتنبي وخصومه ،
لعلی بن عبد العزيز الجرجاني - تحقيق
على البجاوی ومحمد أبو الفضل إبراهيم-
القاهرة ١٩٥١

رمضان عبد التواب



تعريف ونقد



للدكتور كمال محمد بشر

نورين Noreen ، ماشيس Mathesius
تروبتسكوي Trubetzkoy [، ميه Meillet
وهيلمسلف Hjelmslev : ولكن دي سوسير
يفوق هؤلاء جميعاً بميزتين مهمتين :

١ - تعد أفكار دي سوسير وآراؤه بداية
علم اللغة الحديث بوصفه موضوعاً أكاديمياً
مستقلاً ، كما يبدو في صوته الحاضرة .

٢ - كثير من الموضوعات والتعريفات
العلمية المعترف بها في العالم الآن ، والتي
تعد أساسيات في الدراسات اللغوية الحديثة ،
قد اتضحت لأول مرة على يديه وبفضل
جهوده الخاصة (١) .

ومما يؤكد أهمية آراء هذا العالم ويشير
إلى خطورة أفكاره ، أن أصبح اللغويون
[المحترفون يصنفون ويقسمون إلى مجموعات ،
منسوبين إليه جميعاً . فهم على رأى أستاذنا
فيرث - أما :

١ - Saussureans

= السوسيريون .

٢ - anti - Saussureans

أواخر القرن الماضي
وأوائل هذا القرن الذي
نعيش فيه ، حظى الدرس
اللغوي بالقارة الأوروبية بعقريّة نادرة المثال .
ونعني بتلك العقريّة ذلك اللغوي السويسري
الشهير فرديناند دي سوسير Ferdinand
de Saussure

ويحتل دي سوسير في نظر الدارسين
مكانة خاصة ، قل أن يشاركه أويديانيه
فيها غيره من اللغويين المحدثين . إنه في
نظرهم أحد الرواد القلائل الذين وضعوا
حجر الأساس لعلم اللغة الحديث . وهو
بالإضافة إلى ذلك يمثل مدرسة فكرية جديدة
من نوع لم يألفه الناس من قبل : مدرسة
استطاعت أن ترسم حدوداً واضحة المناهج
من البحث كانت بمثابة اللبنة الأولى لكل
الاتجاهات الجديدة في الحقل اللغوي المعاصر .

لسنا ننكر أن القارة الأوروبية قد شهدت
في تاريخها الطويل شخصيات لغوية أخرى
فذة ، أمثال همبولت Humboldt ،

(1) See, Robins: General Linguistics: An Introductory Survey, P. 32.

= معارضو السوسيريّين .

Post — Saussureans — ٣

= السوسيريون المتأخرون .

أو ٤ — non — Saussureans^(١)

= اللاسوسيريون .

وما ذلك في رأينا إلا لأن دي سوسير قد أثر في الدارسين تأثيرا لا يعدله بحال تأثير أى لغوى فرد على الإطلاق ؛ فقد نجح الرجل في إثارتهم جميعاً وشد انتباههم إليه ، بما ألقى في الحقل اللغوى من أفكار جريئة ومبادئ غير مألوفة لهم من قبل . وقد حمل هذا بعض الدارسين إلى اتباعه والتحمس لتعاليمه كما دفع آخرين إلى معارضته والتصدي لنظرياته .

ولا ترجع شهرة دي سوسير ومكانته العلمية إلى كثرة نتاجه أو كثرة المنشور منه . فكل ما نشر في حياته لا يتجاوز ستائة صفحة ، ومضى تشمل رسالته للدكتوراه التى اتبع فى كتابتها الخطوط التقليدية لمناهج البحث ، كما تشمل بحثاً قيماً عن « نظام الحركات » Vowel system فى اللغة الهندية الأوربية الأم : Proto—Indo—European وقد قام بهذا العمل الأخير وهو فى سن

العشرين (أو الثانية والعشرين ، على ما يرى بعضهم)^(٢) حين كان طالبا بجامعة ليبزج . ويقول الدارسون : إن هذا البحث — بالرغم من اعتماده على حقائق كانت معروفة آنذاك — يعد أشمل دراسة وأعمقها فيما تختص بهذا الموضوع (٣) . وتنتظم هذه الصفحات المذكورة كذلك دراسات أخرى من أنواع متفرقة .

أما شهرة دي سوسير الحقيقية فتنسب فى الأساس إلى محاضراته القيمة التى ألقاها على طلابه فى معهدين كبيرين من معاهد العلم فى أوروبا . أولهما : معهد الدراسات العليا بباريس École de Hautes Études حين كان فى الوقت نفسه يشغل منصب الأمانة العامة للجمعية اللغوية هناك .

وثانيهما : جامعة جينيف ، حين تربع على كرسى الأستاذية سنة ١٩٠٦ خلفاً للعالم الكبير Joseph Wertheimer

وقد كانت هذه الفترة الثانية — فترة أستاذه بجنيف — أخصب سنى حياته وأكثرها تأثيراً فى عقول الدارسين . وهذه الفترة نفسها — بالرغم من قصرها — هى التى شاهدت أفكار هذا العبقري تتجاوز

(1) Firth : Papers in linguistics, P.179.

(٢) انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية لكتاب دي سوسير :

Course in General Linguistics, P. XI, translated by W. Baskin (Peter Owen, London 1960).

وانظر أيضا :

New Trends in Linguistics, by B. Malmberg, P. 36.

(٣) مقدمة الترجمة الإنجليزية للكتاب السابق ص xi

الحدود التقليدية للبحث اللغوي ، وتخط
للباحثين خطوطاً جديدة تنسم بالأصالة
والابتكار .

ولقد ألقى الأستاذ محاضرات هذه الفترة
اثنية على ثلاث دورات . بدأت عام
١٩٠٦ ، وانتهت عام ١٩١١ . وكان
المفروض أن تخصص هذه المحاضرات كلها
لعلم اللغة العام ، ولكن دى سوسير اضطر -
بحكم طبيعة عمله في الفترة الأولى - إلى أن
يرجع من آن إلى آخر على تاريخ اللغات الهندية
الأوروبية ووصف مشكلاتها . ولقد كان
من نتائج هذا السلوك - كما يقرر ناشرو
هذه المحاضرات - أن الجزء الأساسي من
موضوعه (وهو علم اللغة العام) لم يحظ
بالعناية التي يستحقها (١) .

وقد أدى هذا إلى حرمان الدارسين من
مادة قيمة كان بوسع دى سوسير أن يقدمها
إليهم في سهولة ويسر .

وفي سنة ١٩١٣ وضع القدر نهاية لهذا
الفكر الحصب بوفاة دى سوسير ، تاركاً
طلاب اللغة جميعاً بدون مرجع يلجئون
إليه لتوضيح آرائه ونظراته ، وهي آراء
لا يغني فيها أى مرجع آخر ، ونظرات
يعوزها البسط والتفصيل أحياناً ، هذا
بالإضافة إلى أنها - في جملتها - من ابتكار
الرجل ومن صنع ذاته وحده .

وقد كان ذلك حافزاً للناهين من طلابه
إلى جمع « مذكراتهم » الخاصة بعد مراجعتها
ومقارنتها بما عسى أن يكون الأستاذ قد
تركه من مخطوط لدى أسرته ، وضم
ذلك كله بعضه إلى بعض وإخراجه في صورة
كتاب كامل يحمل ذلك العنوان المشهور
في الدرس اللغوي الحديث :

Cours de linguistique générale

وخرج الكتاب إلى الناس لأول مرة
سنة ١٩١٦ (٢) بعد جهود شاقة قام بها
تلميذاه الوفيان Charles Bally و Albert
Sechehaye . وقد ساعدهما في بعض
المراحل تلميذ ثالث هو A. Reidinger وقد
اضطروا جميعاً إلى اتخاذ خطوات معينة
تضمن صحة المادة وسلامتها والظفر بأفكار
أستاذهم كاملة دون تزييف .

ولم يكن هذا العمل بطبيعة الحال أمراً
هيناً ، فمذكرات الطلاب مهما بلغت من
الدقة يعوزها الوضوح والكمال أحياناً ،
بما قد يلحقها من اضطراب العبارة أو
تكرارها ، أو تداخل الأفكار بعضها ببعض .
ويزيد في هذا الاضطراب والخلل أن دى
سوسير كان يلقي بأفكاره على طلابه
ارتجالاً ، كما كان كثير الحركة أثناء الإلقاء
وقد جعل هذا السلوك مهمة التسجيل لما يقول

(١) مقدمة الناشرين للكتاب المذكور ص xiii .

(٢) ترجم الكتاب إلى الألمانية سنة ١٩٣١ ، وإلى الإسبانية سنة ١٩٤٥ ، كما ظهرت له ترجمة انجليزية سنة
١٩٦٠ انظر ص ٢٢٩ ، ملحوظة (٢) ونحن في سبيل الانتهاء من ترجمته إلى العربية .

أمراً فيه قدر كبير من الصعوبة . ويروى كذلك أن الأستاذ كان يطلق العنان لأفكاره أحياناً وينتقل من نقطة إلى أخرى بدون تنبيه لطلابه أو تحذير لهم ، حتى ليكاد يخرج عن الموضوع أو يناقض نفسه من آن إلى آخر .

وقد وضع طلابه القائلون بهذه المهمة هذه الأمور كلها نصب أعينهم . ومن ثم راحوا يجمعون ما يمكن جمعه من مذكرات الدورات الثلاث ومقارنتها بعضها ببعض ، معتمدين على محاضرات الدورة الثالثة كنقطة بداية للعمل . وفي نهاية المطاف خرجوا بالكتاب في صورة متكاملة .

ولكن بالرغم من هذا الجهد الكبير فقد بدت بالكتاب بعض أوجه القصور التي يستطيع أن يدركها من له دراسة بالبحث اللغوي .

من أهم هذه الوجيه في نظرنا ما يتسم به الكتاب من تعقيد واضطراب في العبارة أحياناً ، حتى ليعجز المرء في أكثر من مناسبة عن إدراك المقصود . وذلك بالطبع أمر يمكن تفسيره ، إذ من الصعب أن ترقى عبارة الطالب إلى عبارة الأستاذ في الدقة والوضوح ، وبخاصة في مثل تلك الظروف التي أحاطت بالقاء دي سوسير لمحاضراته . وقد أحس الناشرون بهذا الأمر ، فكانوا

يعمدون إلى توضيح ما استبهم بإشارات تفسيرية في هامش الكتاب .

وقد يوجه النقد مباشرة إلى الناشرين في بعض النقاط . من ذلك مثلاً أنهم حاولوا نسبة بعض الحقائق العلمية إلى أستاذهم ، بالرغم من أنها كانت معروفة من قبله ، ونوقشت بالفعل في بحوث سابقة لمحاضراته ، كما يبدو ذلك الأمر جلياً في بعض القضايا التي أثرت حول موضوع التطور الصوتي Phonetic change . ولكن الناشرين - ولدركين احتمال توجيه هذا النقد - يجيبون - وهم على حق - بأن ما نسبوه لأستاذهم في هذا المجال ليس تزيفاً للأمر ، وإنما هو في الحقيقة من صناعه ، وإن كان ذلك من زاوية معينة . تتمثل تلك الزاوية في قدرة دي سوسير على ربط هذه القضايا بموضوع آخر لا شك إطلاقاً في أنه صاحبه وصانعه بالدرجة الأولى ، وهو منهجه الخاص بعلم اللغة الذي نعتة « بالسنكروني » synchronic في مقابل علم اللغة « الدياكروني »^(١) diachronic (انظر ص ٢٣٤) .

على أن بالكتاب نقاط ضعف أخرى ، تظهر في المادة العلمية ذاتها ولكنها هذه المرة ترجع إلى دي سوسير نفسه . من هذه النقاط ما نلاحظه هنا وهناك من إيجاز مغل ، حيث يكتفي الأستاذ أحياناً بلمس

(١) انظر مقدمة الترجمة الإنجليزية للكتاب ، ص Xiii وما بعدها .

بعض المسائل المهمة لمسا خفيفاً ، فيترك القارئ نهبا للغموض وسوء الفهم . وقد حدث ذلك بالفعل عندما عرض للسيانتيك أو علم الدلالة أو « السيمية » باصطلاح مجمع اللغة العربية بالقاهرة . فقد أشار إلى هذا الموضوع إشارات عابرة لا تشفى غلة ، ولا تمكن الدارس من التعرف على رأى دى سوسير فيه تعرفاً دقيقاً . هذا ما فعله دى سوسير ، بالرغم من أنه قد ناقش في ثنايا كتابه بعض الجوانب المهمة للسيمية ، كالرمز اللغوي مثلاً أو ما سماه le signe linguistique ، وبالرغم من أن فكرته عن هذا « الرمز » كانت بمثابة الانطلاقة الحقيقية لعلم « السيانتيك » الحديث ، كما كانت أساساً مهماً لتفريع قضاياها وإثارة مشكلاته ، على نحو ما يجرى في الدراسات المعاصرة الخاصة بهذا العلم .

ربما يعتذر عن دى سوسير هنا بأنه في حقيقة الأمر لم يكن يهدف في هذه المحاضرات إلى معالجة كل نقاط الدرس اللغوي ، وإنما كانت لديه أفكار معينة ، يرمى إلى إبرازها وتأكيد أهميتها حتى يتبناها طلابه والدارسون من بعده .

وقد يؤخذ عليه كذلك أنه أهمل أحد طرفي « ثنائيته » المشهورة والمعروفة باللغة langue والكلام parole (١) ، ولم يعطه نصيباً من النظر والدرس . لقد

ركز دى سوسير جل اهتمامه أو كله على « اللغة » ووجه كل عنايته إلى « العلم » الذي يكرس جهوده لبحثها وهو « علم اللغة » بالمعنى الصحيح ، على حين لم يأخذ « الكلام » في حسبانته إلا على ضرب من التسامح وفي حدود ضيقة إلى أبعد حد . ولم يشأ دى سوسير كذلك أن يضع منهجاً أو أن يخطط مبادئ علم معين لدراسة « الكلام » في الوقت الذي يعترف فيه بأنه يستحق الدراسة ، وبالرغم من أنه صاحب ثنائية « اللغة - الكلام » التي كان ينبغي أن تقابلها ثنائية في المنهج أو طرائق البحث .

ولا يعدم قارئ الكتاب كذلك أن يجد أفكاراً يناقض بعضها البعض الآخر ، كما يظهر ذلك مثلاً في استعمال بعض المصطلحات . « فالرمز اللغوي » le signe linguistique بوصفه مصطلحاً ، قد خرج باستعماله عن المفهوم التقليدي وهو « الدال » signifiant وأطلقه على معنى جديد ينتظم مجموع شيئين متلازمين ، هما « الفكرة » concept (أو ما يشار إليه عادة بالمدلول Signifié) والصورة الذهنية للأصوات sound — image (أو ما يعرف عند الآخرين بالدال signifiant). وهذا يعنى أن « الرمز اللغوي » عنده وحدة متكاملة ذات جانبين لا يمكن فصلهما أو عزلهما بعضهما عن بعض ، شأنهما في ذلك شأن صفحتي الورقة (٢) .

(١) انظر ص ٢٣٥ وما بعدها .

(٢) انظر : المبرج ، السابق ص ٤١ - ٤٤

وليس ينكر أحد على دى سوسير أو غيره حقه في استعمال المصطلحات في مفهومات جديدة ، متى قام بتحديددها ، وبيان المقصود منها ، ولكن الذى نأخذه عليه هو أنه قد خالف هذا الاستعمال بنفسه أحياناً ، حيث كان يطلقه على المعنى التقليدى ، وهو « الدال » فقط ، الأمر الذى أدى إلى الخلط وسوء الفهم لبعض مسائل الكتاب .

ومهما يكن من أمر فكتاب دى سوسير يعد واحداً من تلك الآثار العلمية التى وضعت على الطريق معالم بارزة في مناهج البحث اللغوى الحديث والتى كونت - بجديتها وعمقها - علماً مستقلاً له كيانه الخاص .

ولسنا نبالغ إذا قررنا أن محاضرات دى سوسير هذه كانت أكبر أثراً من غيرها في هذا المجال ، لاحتوائها على أفكار ومبادئ تعرف لأول مرة في تاريخ الدراسات اللغوية ، أو على الأقل تولت شرح أو تفنين أمثلة جزئية من الأفكار ، كانت تطلق قبله هنا وهناك دون القدرة على الربط بينها وإخراجها في صورة نظريات أو مناهج متكاملة .

ولعل أبرز سمة يتصف بها كتاب دى سوسير هي اهتمامه بالمبادئ العامة دون الدخول في الدقائق والتفصيلات ، أو التعرض للأمثلة الجزئية إلا في النادر اليسير . وفي هذه الحالة الأخيرة ، تظهر عبقرية

الرجل في محاولة التعرف على الحيوط الرفيعة التى تربط هذه الدقائق بعضها ببعض والتى تقود إلى استخلاص قاعدة عامة على نحو ما من هذه الأمثلة المتفرقة .

والكتاب فوق هذا وذاك يمثل خلاصة آراء هذا اللغوى الكبير واتجاهاته نحو عدد من المسائل الخطيرة التى تكون في جيلتها نظرية متكاملة ، جديدة أن تنسب إليه وحده . والحق أن مناقشة أية مسألة من هذه المسائل - على نحو ما جرى في محاضرات دى سوسير - تقود في نهاية المطاف إلى نظرية خاصة بهذه المسألة أو تلك . ولكننا بالرغم من ذلك نعد هذه النظريات « الجزئية » أو « النوعية » حلقات متصلة من التفكير تأخذ بيدنا في النهاية إلى كل متلائم الأطراف متناسق الوحدات ، تتمثل فيما يمكن أن يسمى « نظرية دى سوسير في البحث اللغوى » .

وقد كانت أفكار دى سوسير ومبادئه اللغوية تدور في عمومها حول هدفين رئيسين : أولهما : تصحيح بعض الآراء الزائفة التى كانت تشيع في أوساط التقليديين من اللغويين . وثانيهما : محاولة تخليص البحث اللغوى من تبعيته للعلوم الأخرى وتخصيص علم مستقل ذي حدود معينة يقوم على النظر في اللغة والكشف عن حقيقتها .

كما كان دى سوسير كذلك يصدر في كل ما أتى به عن فكرة معينة ألحت عليه إلحاحاً شديداً في كل أعماله . تتمثل

هذه الفكرة في أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، وليست كائناً حياً (إلا على ضرب من المجاز) أو هي حقيقة اجتماعية social fact يمكن أو ينبغي أن تخضع لما تخضع له الظواهر الاجتماعية الأخرى من التحليل العلمي . واللغة بهذا المعنى ، ينبغي أن نأخذها - حين نتناولها بالدرس - على أنها « نظام تركيبى » تتحدد قيمة كل عنصر فيه بالإشارة إلى وظيفته ، أى إلى علاقته بالعناصر الأخرى في هذا النظام ، لا بالإشارة إلى خواصه اللغوية ، فيزيائية كانت أو سيكلوجية .

والمبادئ اللغوية التى ألقى بها دى سوسير إلى العاملين فى الحقل اللغوى كثيرة متنوعة . ولكننا هنا سوف نقصر الحديث على مبدئين أو فكرتين اثنتين . ذلك ، لأن دى سوسير هو الرائد الأول فيهما ، أو - على أقل تقدير - هو صاحب الفضل فى إبرازهما بتلك الصورة التى أدت إلى إحداث ثورة فى التفكير اللغوى ، وإلى دفع هذا التفكير إلى آفاق علمية لم يحلم بها سابقوه . أضف إلى هذا أن هاتين الفكرتين تكونان - فى حقيقة الأمر - الإطار العام لوجهة نظر هذا اللغوى الكبير فى دراسة اللغة ، كما أنهما تنتظمان - بطريق مباشر أو غير مباشر - أهم الأفكار الجزئية المتناثرة هنا وهناك فى محاضراته .

هاتان الفكرتان هما : أولاً : التفريق التام بين طريقين لدراسة اللغة سبهما

« التحليل السنكرونى » و « الدراسة الدياكرونية » . ثانياً : التفريق التام بين ما أطلق عليهما la parole و la langue .

وقد كانت هاتان الفكرتان كلتاهما تمثلان اتجاهين مختلفين تماماً عما تعارف عليه التقليديون من اللغويين .

الفكرة الأولى :

جاء دى سوسير فوجد اللغويين من قبله يقصرون دراستهم للغة على النهج التاريخى الصرف ، أو النهج التاريخى المشوب بشيء من الوصف المبنى على أفكار فلسفية أو معيارية . وقد كانت هذه الدراسة ذاتها ناقصة من بعض وجوهها ؛ إذ كانت تعنى - فى الأغلب الأعم - بتتبع الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى ، لا بوصفها عناصر فى نظم لغوية تتبين قيسها بمواقعها فى هذه النظم ، وإنما بالنظر إليها كما لو كانت ظواهر منعزلة ، أو - بالأحرى - كما لو كانت أمثلة جزئية لا تخضع لقواعد مطردة .

ثار دى سوسير على هذا الخط التقليدى ، ورأى أن هناك طريقين مختلفين لدراسة اللغة . أما أحدهما فسماه المنهج « الدياكرونى » diachronic أو التاريخى historical أو ما يدعى أحياناً بالنظرة « الديناميكية » dynamic والثانى هو طريق التحليل « السنكرونى » synchronic أو ما عرف فيما بعد

بالوصفي descriptive وقد ينعت أحياناً
« بالثابت » static .

ثم أخذ دى سوسير يفرق تفريقاً تاماً بين هذين الطريقتين ، فالمنهج الدياكروني أساسه تعدد الفترة الزمنية ، حيث يلاحظ الدارس الظواهر اللغوية من فترة زمنية إلى أخرى ، قصداً إلى التعرف على ما أصابها من تغير وتطور . ولكن « المنهج السنكروني » خاصته الأساسية وحدة الفترة الزمنية ، مع قصر وظيفة اللغويين في هذه الحالة على النظر في وحدات التركيب اللغوي للوقوف على نوع العلاقات الداخلية بينها في هذا التركيب . إن الدارس — على هذا المنهج — لا يدخل عامل الزمن في حسبانته ألبته ، وإنما يعنيه أولاً وآخراً أن يأخذ اللغة على أنها « نظام تركيبى » ثابت في نقطة محددة من الزمن لا يتعدها .

فالمنهجان في نظره صالحان للدراسة ، وضروريان للبحث اللغوي ، ولكن مع التمييز بينهما والتفريق بين وظائفهما . ومن ثم لا يجوز الخلط بينهما أو العمل بهما معاً

في آن . وحذر دى سوسير من اعتماد الدراسة السنكرونية على النظرة التاريخية ، لما يعقب ذلك من الخلط في النتائج اللغوية ، ولكن الطريقة الدياكرونية لها أن تلجأ إلى المنهج السنكروني ، بل إن ذلك أمر ضروري حيث إن تعدد الفترة الزمنية يعنى — بداهة — انتظام العمل لأكثر من دراسة سنكرونية سابقة ، كل واحدة منها تختص بفترة زمنية واحدة .

الفكرة الثانية :

أنهى دى سوسير مناقشته الطويلة في الموضوع السابق بأن المنهج السنكروني هو المنهج الواجب اتباعه في تحليل اللغة ، بالمعنى الحديدي الذي أراده لها .

ومن ثم كان عليه أن يحدد أو أن يبين ما يعنيه « باللغة » التي يرى وجوب إخضاعها لهذا المنهج . بدأ دى سوسير هذا التحديد وذلك البيان بالتفريق بين ثلاثة مصطلحات وثلاثة مدلولات ليصل إلى مقصوده . هذه المصطلحات هي :

(١) lalangue, la parole, le langage

(١) المصطلحات الثلاثة التي استعملها دى سوسير في هذا المقام (Parole, langue, langage) وهي مصطلحات فرنسية ، وهي ذات دلالات خاصة عنده ، كما سيتبين لنا في هذا البحث . ومن ثم حرص كثير من الدارسين على الاحتفاظ بها دون الالتجاء إلى ترجمتها حتى لا يختلط الأمر ويسوء الفهم . ونحن من جانبنا نقرر أن أيًا من هذه المصطلحات لا يمكن ترجمته إلى العربية ترجمة دقيقة بكلمة واحدة ، على ما هو المفروض أن يتبع في مجال المصطلحات العلمية . أما الترجمة المناسبة لهذه المصطلحات — في رأينا — فهي (على الترتيب المذكور بالنسبة للمصطلحات الفرنسية السابقة) : اللغة بالمعنى العام أو المطلق ، اللغة بمعنى النظام التركيبى ذي الحدود والقواعد المعينة (وهذا المعنى لا ينطبق إلا على اللغة المعينة ، كالعربية فقط أو الإنجليزية فقط إلخ . . .) . ثم الكلام الفعلي . وقد نكتفى في هذه الحالة الأخيرة بلفظة « الكلام » وحدها ، قاصدين بها ذلك النشاط اللغوي المنطوق من المتكلم الفرد في الموقف =

le langage مصطلح فرنسي يستعمله
دى سوسير ليريد به ما يمكن أن
يسمى « اللغة بالمعنى المطلق » . أنها - عنده -
أشبه بالملكة أو الطاقة اللغوية . وهي دائما
تتضمن جانبين متقابلتين ، فهي تتضمن
نظاما ثابتا مقررًا established system
كما تتضمن التطور والديناميكية evolution .
أو قل : إنها تنتظم مجموع الأحداث النطقية
الواقعية في الكلام الفعلي ، كما تنتظم القواعد
اللغوية المقررة في البيئة الاجتماعية المعينة .

لأنها - بهذا المعنى - شئ غير متجانس
heterogenous غير واضح الحدود ،
وهي ملك الفرد والمجتمع كليهما ؛ فهي فردية
 واجتماعية معا (individual and social) .
واللغة بالمعنى المطلق عند دى سوسير
لها اتصال بمحالات من أنواع شتى ، مجالات
فيزيائية مادية physical وفسولوجية
نفسية physiological and psychological
ولكن هذه اللغة (langage) ينقصها
مبدأ التجانس والوحدة ومن ثم لم يكن في
استطاعتنا دراستها دراسة علمية . والحق أنه
ليس هناك علم وحيد يمكن أن يخضعها للنظر

والبحث ، كما أنه ليس في مقدورنا أن نحدد
لها مكانا في أجناس الحقائق الانسانية ؛ إذ من
الصعب التعرف عليها أو اكتشاف وحدتها ،
لأنها - كما يقول هو - inconnaissable .

هذان الجانبان المتقابلان اللذان تتضمنهما
« اللغة بالمعنى العام » أو langage يشيران إلى
« ثنائية » دى سوسير الشهيرة أو ما سماهما
parole و langue .

أما la parole فيطلقه دى سوسير
على ما يمكن أن ندعوه « بالكلام » أو عملية
الكلام " speaking . ويعنى به النشاط
الصوتي المادي ، أو هو عبارة عن تلك الأصوات
والأحداث المنطوقة بالفعل من المتكلم الفرد
في الموقف المعين . وهو لذلك فردى فقط
individual ونفسى مادي psychophysical .
والفرد صاحبه وهو المسيطر عليه : يغير فيه
بالزيادة والنقص والتطوير . و parole
شئ غير ثابت ، إنه مرتبط باللحظة التي
يؤدى فيها . إنه ليس حقيقة اجتماعية ، وإنما
هو نشاط فردى إيجابي غير مستقر ،
وهو وظيفة الفرد وحده la sujet parlant .

= المعين ، على نحو ما قصد دى سوسير نفسه بمصطلحه الثالث parole . وهذا المصطلح ذاته قد جرت عادة الدارسين
من يكتبون بالانجليزية على ترجمته بالكلمة « speech » . ولكن مترجم كتاب دى سوسير آثر مصطلحا
آخر هو speaking ليعنى به parole وخصص المصطلح "speech" للدلالة على ما سماه دى سوسير langage
(اللغة بالمعنى العام) . وما جرى عليه هذا المترجم الفاضل أدق في نظرنا لأن كلمة speaking أصدق في الدلالة على
ما عناه دى سوسير باللفظة parole ، وأقرب إلى المفهوم الذي رآه لهذا المصطلح الأخير . ولسوف نسير في هذا البحث
وفقا للترجمة العربية التي اخترناها وإن كان هذا لا يمنع الجمع بين هذه الترجمة ونظيرها الفرنسي بلفظه ،
أو الاختصار على المصطلحات الفرنسية وحدها ، إذا اقتضى الأمر ذلك قصدا إلى الدقة في التوضيح أو إلى الاختصار
في صيغ المصطلحات .

ثم ينتقل دى سوسير إلى الكلام عن *la langue* ، فيصورها لنا بالطريقة التالية :
إذا استبعدنا من هذا العموم المسمى *langage* وأخذنا منه كل العناصر الفردية التي تتمثل في الكلام الفعلي ، وكل الأصوات المنتشرة في الهواء ، وكل الأحداث الفعلية الواقعة من أفراد المتكلمين ، أو - بعبارة أخرى - إذا أبعدنا واستخلصنا *la parole* من *le langage* فسوف يبقى لدينا أهم شيء في الموضوع ، أو سوف نحصل على هدفنا الأصلي وهو *la langue* أو « اللغة بمعنى النظام الثابت » أو أنماط العادات والقواعد اللغوية التي استقرت في أذهاننا نتيجة لممارسة النشاط الكلامي الإيجابي في البيئة .

langue إذن ليس فيها أصوات مادية حقيقية ، وإنما تحتوى على وحدات صوتية ذهنية أو فونيمات *phonemes* وليس بها كلمات أو جمل منطوقة بالفعل وإنما بها أجناس صرفية نحوية . وهي عرقية تقليدية ، وهي وظيفة جماعة المتكلمين *la masse parlante* . لأنها ملك هذه الجماعة وليس للفرد عليها من سلطان ، وهي لذلك اجتماعية فقط *social* ونفسية صرفة *psycho* *logical* وهي مخزونة في شبه نظام دقيق في الوعي أو العقل الجماعي *collective conscience*

إن *langue* بهذا الوصف الذي أتى به دى سوسير إنما تنطبق على اللغة المعينة كالعربية فقط أو الانجليزية فقط ، آخذين في الحسبان خاصتيهما الأساسيتين وهما كون كل منهما « نظاما » ، لا أحداثا منطوقة ، وكون هذه اللغة أو تلك اجتماعية ، تنسب إلى جماعة المتكلمين ، لا إلى الأفراد ، بوصفهم أفراداً .

ويوضح هاتين الخاصتين معا تفسيره « للغة » بهذا المعنى المعين بأنها « حصيلة كل القوانين اللغوية التي تحدد استعمال الأصوات والصيغ ووسائل التعبير النحوية والمعجمية في البيئة اللغوية المعينة » .

وهي - بهذا أو مع هذا - « نظام تركيبى » مكون من وحدات ذات قيم خلاقية لا يمكن التعرف عليها أو الكشف عنها إلا بتحديد مواقعها وبيان علاقاتها مع جاراتها في التركيب . وفي رأيه أن ذلك إنما يتم بطريق التحليل السنكرونى .

والفرق بين اللغة والكلام كالفرق بين القاعدة وتطبيق هذه القاعدة . والناس لا يتكلمون القواعد وإن كانوا يتكلمون طبقاً لها ويحاولون تحقيقها مادياً ، كما يظهر ذلك في كلام الفرد في الموقف المعين . أو - على حد تعبير دى سوسير نفسه (١) - اللغة تشبه السيمفونية على حين يشبه الكلام العزف على الآلات الموسيقية بالفعل لتحقيق هذه السيمفونية

ماديا . أو قل : إن اللغة تقع من الكلام موقع القواعد التلغرافية من عملية إرسال الرسالة التلغرافية نفسها .

و *langue* يمكن أن تدرس وحدها ، أى بقطع النظر عن تحقيقها المادى وهو الكلام *parole* . فاللغات الميتة كالسنسكريتية واليونانية واللاتينية وغيرها تجرى دراستها الآن - كما جرت من قبل - فى الجامعات ومعاهد العلم المختلفة ، بالرغم من أن الناس لا يتكلمونها ، ولا يستعملها أحد فى التخاطب العادى .

أما الكلام فتحتاح دراسته إلى التعرض لأشياء أخرى ، أو على أقل تقدير ، لابد لهذه الدراسة من النظر فى اللغة ، إذ الكلام لا يكون إلا بوجود اللغة . وصاحبه - وهو الفرد - مضطر دائما إلى أن يتعلم هذه اللغة وإلى أن يظل دائما كما لو كان فى فترة تدريب على كيفية أداء هذه اللغة لوظيفتها .

وإلى هنا يصل دى سوسير إلى تفريق تام بين *langue* و *parole* ولكنه بالرغم من ذلك لا ينكر وجود علاقة بينهما ، كما لا ينكر اعتماد كل واحد منهما على الآخر . إن اللغة - عنده - أداة الكلام من جهة وهى نتاجه من جهة أخرى ^(٢) . فاللغة تمد الكلام بالقواعد والقوانين التى يجرى على سننها تحقيقه المادى الفعلى ، كما أنها - بوصفها

مجموعة من النظم الذهنية - ترسب فى أذهان الجماعة اللغوية المعينة وتختزن فى هذه الأذهان بعد الاستماع الطويل المتكرر إلى المتكلمين ، بوصفهم أفرادا - فى البيئة الخاصة .

والكلام هو الآخر ضرورى لبناء اللغة وتكوينها . وهو وسيلتها إلى التطور والنمو ، ويتم التطور عن طريق تأثيرنا بكلام الأفراد الكثيرين من حولنا ، الأمر الذى يؤدى إلى تغيير عاداتنا اللغوية أو تعديلها .

واللغة بهذا المعنى الذى قرره دى سوسير يمكن التعرف عليها وعلى حدودها . وهى متجانسة *homogenous* ولها بذلك مكان بارز بين الحقائق الإنسانية . ومن ثم نستطيع تناولها بالدراسة ، بل إن اللغة - بهذا المفهوم الخالص - هى الموضوع الأساسى لعلم اللغة

وليس يعنى هذا أن الكلام شئ لا يستحق الدراسة . إنه جدير بها . ولكن هذه الدراسة لا تتم - فى رأيه - فى إطار علم اللغة بالمعنى الصحيح . وإذا كان من الضرورى سحب المصطلح « علم اللغة » عليهما معا (*langue* و *parole*) . وجب علينا حينئذ أن نتكلم عما يمكن أن نسميه « علم لغة الكلام » *linguistics of speaking* فى مقابل « علم لغة اللغة » *linguistics of language* ، على شريطة ألا نخلط

بينهما بحال من الأحوال (١). ومع هذا كله فقد استقر رأى دى سوسير على أفراد langue وحدها بالدراسة وعلى تخصيص « علم اللغة » لها دون غيرها .

....

وإذا كان لنا أن نقف على مدى التأثير الذى أحدثته أفكار دى سوسير فى البحث اللغوى وأن نتعرف على نوع هذا التأثير واتجاهاته أصبح من الضرورى أن نصاحب كتابه المذكور فى رحلته التاريخية الطويلة ، وأن نواكب محاضراته هذه فى مسارها العلمى عبر قارات العالم المختلفة .

لقد بدأت هذه المحاضرات رحلتها فور ظهورها فى صورة كتاب لأول مرة عام ١٩١٦ م . ومنذ ذاك التاريخ حتى هذه اللحظة ، والكتاب يوالى أسفاره ويجد فى مسيرته عبر قارات الدنيا ، غربها وشرقها ، على سواء ، وإنك لتجده يحتل مكانا بارزا فى مكتبات دور العلم وقاعات المدرس ومنتديات الفكر اللغوى فى كل بلد أراد لنفسه أن يحظى بنصيب من هذه الثروة العلمية الجديدة وتلك الأصالة المنهجية اللتين حملهما الكتاب إلى الناس .

وقد اتخذ تأثير الكتاب فى أعمال الدارسين من بعد دى سوسير صورا عدة ونحا فى ذلك نواحي مختلفة . وإنه لمن الصعب فى هذا المقام أن نحصر هذه الصور أو أن نعدد تلك المناحي . وبحسنا أن نشير هنا إلى أمثلة محدودة فقط من صور هذا التأثير ، وبخاصة فيما يتعلق بمبادئه الأساسيين اللذين سبقت الإشارة إليهما . ونعنى بهما التفريق بين المنهج الدياكرونى والمنهج السنكرونى ورأيه فى مفهوم « اللغة والكلام » والعلاقة بينهما . [٢]

وأول ما يلفت النظر فى هذا الشأن هو أن الكتاب استطاع أن يجذب إليه عددا من اللغويين وأن يوحد بين اتجاهاتهم وأفكارهم الرئيسية بحيث أصبحوا يكونوا مدرسة لغوية جديدة ، عرفت فيما بعد بمدرسة دى سوسير ، أو مدرسة جنيف . . .

من أشهر أعضاء هذا المدرسة تلميذه الوفى تشارلز بيبه الذى « طبق مبادئ أستاذه فى التحليل السنكرونى على اللغة الفرنسية ، والذى استخدم هذه المبادئ ذاتها فى عتد مقارنة بين نظامى اللغتين «الفرنسية والألمانية» . وكذلك سار هذا التلميذ فى ركاب أستاذه

(١) بالرغم من اعتراف دى سوسير « بأهلية » الكلام بالدراسة وبالرغم من اقتراحه اطلاق اسم « علم لغة الكلام » linguistics of speaking على العلم الذى يمكن أن يتولى شئونه - فإنه لم يشأ أن يحدد طبيعة هذا العلم ، أو أن يبين جوانبه . وقد كان هذا مدعاة إلى اتهامه باهمال أحد طرفى ثنائيته (اللغة - الكلام) كما سبق أن أشرنا إلى ذلك (انظر ص ٢٣٢) . وقد رأى بعض تابعيه (مثل بالمسار الانجليزى على ما يروى يسبرسن فى كتابه « الانسانية والأمة والفرد من وجهة نظر لغوية » ص ١٥) أن علم النفس هو المختص بالنظر فى « الكلام » ، على حين قرر كثيرون أن « علم الأصوات » (الفوناتييك phonetics فى مقابل الفونولوجيا phonology) هو الذى يعنى بدراسته والبحث فيه .

بقبوله مبدأ التفريق بين اللغة والكلام ، وإن كان يرى أن أستاذه قد بالغ في النظر إلى اللغة على أنها شيء عقلي صرف ، وأنها نتيجة العقل الجماعي . أما هو (بييه) فيؤكد أهمية العنصر العاطفي في اللغة .

أما أشهر تلامذته وأهمهم على الإطلاق فهو اللغوي الفرنسي الدائع الصيت أنطوان ميه الذي أخذ بوجهة نظر الأستاذ فيما يتعلق باللغة بوصفها « نظاما متكاملا متناسق التركيب مترابط الوحدات » والذي حذر - كما فعل أستاذه من قبل - من خطر دراسة عناصر اللغة منعزلة عن سياقها التركيبي . ولكن ميه بالرغم من هذا يميل إلى مخالفة الأستاذ في بعض النقاط . من ذلك مثلا أنه « يأسف لما تعنيه النظرة التركيبية للغة » كما أرادها دي سوسير - من التجاهل الواضح للبشر الذين يستعملون اللغة ومن إغفالها لهذا العنصر المهم عند التحليل » .

وقد رأى هذا الرأي نفسه اللغوي الأسباني « أمادو ألونسو » أحد المتأثرين بأراء دي سوسير وأفكاره الجديدة . يلخص « ألونسو » موقفه من هذه القضية بقوله : « إن نظرية دي سوسير اللغوية قد ظفرت بوضوحها الرائع وبساطتها المميزة على حساب تجاهل أهم شيء في الموضوع وهو العنصر البشري في اللغة » .

ولم يقف تأثير الكتاب عند هذا الحد الذي ينتهي بتجميع عدد من التلامذة حول آراء

الأستاذ ومبادئه ، وإنما استطاعت نظريات دي سوسير ومناهجه أن تنفذ بعمق واتساع واتساع عريض إلى أعمال اللغويين المحترفين على اختلاف بيئاتهم واتجاهاتهم الفكرية .

لقد أحدثت فكرة دي سوسير في التفريق بين المنهجين الدياكروني والسنكروني في دراسة اللغة ردود فعل واسعة متباينة ، فعارضها قوم في بداية الأمر ، مقررين سلامة القول بوجود هذين المنهجين ، ولكن التفريق التام بينهما - كما فعل الأستاذ الأول - أمر مبالغ فيه ولا تسوغه طبيعة اللغة ذاتها . وحجتهم في ذلك - كما يرويها واحد منهم وهو يسبرسن الدنمركي - أن الدراسة السنكرونية التي لا تأخذ عامل الزمن في الحسبان ألبتة لا يمكن تطبيقها تطبيقا سليما على اللغة ، إذ من الصعب « تثبيت » هذه اللغة ووصفها دون الإشارة إلى ما قد تخضع له من تغير وتطور . ودعموا حجتهم هذه بمجموعة من التساؤلات أوردها لنايسبرسن المذكور على هذا النحو : « متى يجوز لنا أن نقرر أن حالة ما من حالات اللغة قد انتهت ، وأن حالة أخرى قد حلت محلها ؟ » كيف نتعامل مع تلك الآثار اللغوية القديمة التي تسلت وعادت إلى الحياة في أساليب لغوية معينة ؟ أو « كيف إذن نتناول هذه المستويات اللغوية المختلفة الظواهر ، كاللغة الدارجة ، وأساليب النثر العادية ، أو أساليبه الراقية ؟ » أهذه المستويات لغات مختلفة أم هي لغة واحدة ؟

على أن هذه المعارضة لم تمنع مبدأ التفريق بين المنهجين من الانتشار والذيع ، بحيث أصبح لكل منهج أتباع وأشباع . وكان المنهج السنكروني أسعد حظا من صاحبه وتلقاه الناس بالقبول ، واتجه إليه معظم الدارسين المحدثين فأفادوا منه ، وطبقه كل واحد منهم بصورة أو بأخرى ، والتزموا - بوجه خاص - بما تضمنه هذا المنهج من وجوب النظر إلى اللغة بوصفها « نظاما تركيبيا » تظهر قيمة وحداته بطريق النظر في علاقتها بعضها ببعض .

وهكذا امتد المنهج السنكروني وأصبح يعنى شيئين متلازمين ، أولهما وصف الحقائق اللغوية ، كما هي في التركيب في فترة زمنية معينة ، ومن ثم أطلق عليه فيما بعد « المنهج الوصفي » وثانيهما : تناول اللغة على أنها شكل « تركيبى » لا مادة منظوقة ، مع الأخذ في الحسبان أن اللغة « كل متكامل » تظهر قيم وحداته عن طريق وظائفها ، وذلك بالإشارة إلى جاراتها في التركيب ذاته . وقد سمي هذا الوجه الثانى فيما بعد « بالنظرة التركيبية » أو « التركيبية الشكلية » في البحث اللغوى .

ولسنا نبالغ إذا قررنا منذ البداية أن معظم الاتجاهات اللغوية الحديثة التى تؤكد أهمية منهج الوصف فى دراسة اللغة إنما ترجع مباشرة بطريق أو بآخر إلى دى سوسير نفسه ، كما ترجع إليه كذلك كل الأفكار الجديدة فيما يتعلق بالنظرة التركيبية إلى اللغة .

تجد هذين الجانبين كليهما واضحين فى أعمال اللغوى الإنجليزى « فيرث » الذى لا يجيد عن مبدأ الوصف فى كل ما أخرجه هو وتلامذته إلى الناس ، كما تراه يلتزم بصورة أو بأخرى بالنظرة التركيبية إلى اللغة . اننا لا ننكر أن فيرث هو الآخر كان رائد مدرسة خاصة به ، تنسب إليه وحده ، كما لا ننكر أنه كان كثير الاعتراض على الفكرة « التركيبية » للغة . بالمعنى الذى عناه رجال التحليل الفونيمى أو التحليل الصوتى الوظيفى ، من الأمريكان . ولكنه من المؤكد كان من رجال « النظرية التركيبية » بالمفهوم الذى أراده دى سوسير . نلاحظ هذا فى بعض مصطلحاته ، كما نلاحظه فى طرائق تحليله للغة .

ولقد أفاد الأمريكان المحدثون من المنهج السنكروني عند دى سوسير . أفاد منه زعيمهم بلومفيلد المتوفى سنة ١٩٥٣ م ، فالتزم بمبدأ الوصف التزاما واضحا كما طبق النظرة التركيبية فى آثاره وأهمها كتابه الموسوم « باللغة » والمنعوت « بإنجيل علم اللغة » عند الأمريكان . غاية الأمر أن بلومفيلد خلط عمله هذا بمنهج مرحلى ، قوامه النظرة السلوكية إلى الأحداث اللغوية . إن هذه الأحداث عنده لا تعدو أن تكون ردود فعل لمثيرات أو دوافع ، تتبعها استجابات عملية . على أن هذا المنهج السلوكى ذاته لم يخل بالوفاء بمبادئ الوصف والتحليل التركيبى ، وهى مبادئ ترجع فى أساسها إلى العبقرى السويسرى دى سوسير .

ومنذ أن خط باومفيلد هذا الخط ،
والدراسات اللغوية الأمريكية كلها على
اختلاف اتجاهاتها لا تستطيع تجاوزه ؛
فالوصف أصبح القاعدة العامة عند تلامذته
ولاحقيه ، كما سيطرت النظرة التركيبية
على جل أعمالهم . يبدو ذلك واضحاً في
أعمال « زليج هارس Z. Harris »
المؤسس الحقيقي للنظرة التركيبية في أمريكا ،
كما يشهد على ذلك كله كتابه المسمى « طرائق
في علم اللغة التركيبية Methods in Structural
Linguistics » .

وكل ما هنالك أن دراسات « هارس »
في هذا الكتاب كانت مركزة على الجانبين
الصوتي والصرفي للغة دون كبير اهتمام
بالجانب النحوي .

وفي هذه الأيام يخرج إلينا اللغوي
الأمريكي « تشومسكي chomsky » بنظرية
عدوها آخر صيحة في البحث اللغوي ،
وهي ماسموها « نظرية النحو التحويلي
Transformational grammar » .
وإنك إن دقت النظر في تفاصيلها استطعت
أن ترجعها بصورة أو بأخرى إلى فكرة
دى سوسير عن اللواصة التركيبية للغة .

والحق أن الأمريكان متأثرون أشد تأثر
بالمناهج السنكروني عند دى سوسير بل
لعلهم بالغوا في ذلك ؛ اذ هم الآن يعاملون
اللغة ويتناولونها بالتحليل ، كما لو كانت
شيئاً جامداً لا يتحرك ، شيئاً لا يصيبه
التغير والتطور .

وجدير بنا هنا كذلك أن نشير إلى أن
« النظرة السنكرونية » عند دى سوسير
قد وجدت طريقها إلى أعمال الدراسين
في مدرسة « براج اللغوية » على الأقل
في فترات الأولى ، أو مرحلتها « الكلاسيكية »
كما يطلقون عليها أحياناً . نعم ، لقد كان
لهؤلاء القوم - كما يقولون - معرفة من نوع ما
بالمناهج السنكروني والطبيعية السنكرونية
للغة ، ولكن فكرة دى سوسير في هذا
الشأن كانت الدافع القوي لتعميق هذه
الدراسة وجعل هذا اللون من التحليل خطاً
تفكيرياً عاماً في رحاب هذه المدرسة .

وهناك في جانب آخر من جوانب القارة
الأوروبية نجد ذلك العالم الدنمركي الشهير
« هيلمسلف » الذي تأتى آثاره امتداداً حقيقياً
لطريق دى سوسير في التركيز على « الخواص
التركيبية » للغة ، وفي تناولها على أساس أنها
« بناء » أو « شكل » form « لا مادة
منطوقة substance » . إنه يصرح
أكثر من مرة أن مهمة علم اللغة إنما هي
وصف وحدات اللغة في التركيب وبيان
العلاقات بين هذه الوحدات .

ويستمر هيلمسلف في تعميق هذه النظرة
وتأصيلها حتى يصل بها إلى دراسة رياضية ،
مستخدماً في ذلك مناهج علم الجبر ووسائله
في التحليل اللغوي . وكان دائماً الإلحاح
على وجوب الاهتمام « بجوانبه » اللغة ،
لا بجوانبها « البرانية » ، ومن ثم كان من أهم

أهداف نظريته الوصول إلى ما سماه « علم اللغة الجوانى » ، لأنه — مثل دى سوسير — ينكر أن تكون اللغة مجرد أسماء لمسميات أو مجموعة من الرموز أو علامات مميزة للأشياء في الواقع الخارجى ، إنها عنده مجموعة من العلاقات والارتباطات بين عناصر التركيب ،

والخلاف الواضح بين الرجلين إنما يظهر في إهمال هيلمسلف للجانب « العقلى أو النفسى للرمز » اللغوى وتركيزه على تحليل هذا « الرمز » بطريق « الوظائف الداخلية » التى يتكون منها والوظائف الخارجية التى تربطه بغيره من الوحدات اللغوية ، ويتم ذلك كله في إطار الطريقة « الجوانية » للتحليل .

وبالرغم من أن هيلمسلف ينص على أنه وصل إلى نظريته هذه مستقلاً عن غيره ، فإنه لا ينكر فضل دى سوسير عليه ، وإفادته منه . لقد رأى في أعمال دى سوسير تأكيداً لآرائه وتشجيعاً لها . وفي اعتقاده أن نظريته هي أول نظرية تمشي في إطاره على الأسس التى وضعها دى سوسير في نظريته التركيبية .

أما رحلة هذا الكتاب بالنسبة للمبدأ الثانى من مبادئ دى سوسير — ونعنى به — مبدأ التفريق بين « اللغة » و « الكلام » — فإنها رحلة أطول مدى وأكثر تشعباً وأعماق تأثيراً من صاحبها (١) .

(١) إن دى سوسير يعد في نظرنا الرائد الأول في التفريق بين اللغة *langue* والكلام *parole* ، بالوجه الذى طلع علينا به ، وبالصورة التى رسمها وحدد معالمها ، بحيث أصبح الجانبان كما لو كانا من طبيعتين مختلفتين ، وبحيث أدى هذا التفريق إلى إحداث تغيير ثورى في النظر إلى اللغة وإلى خلق مناهج بحث جديدة ما كان لها أن تظهر لولا هذا الابتكار .

ولكن هذا لا ينشئ مجال من الأحوال وجود نوع ما من التفريق أو التقابل بين اللغة والكلام في التراث اللغوى الإنسانى قبل عصر دى سوسير ، ويظهر هذا التفريق النوعى في صورتين رئيسيتين :

أولاهما تتمثل في وجود مصطلحات معينة في بعض اللغات تومئ أو تشير إلى هذا التفريق النوعى . ففي اللغة العربية مثلاً ، يوجد المصطلحان : اللغة والكلام ، وبجانبهما أيضاً يوجد مصطلح ثالث هو « اللسان » . وهذه الثلاثية موجودة في اللغة الانجليزية كذلك . فهناك *speech, language, tongue* . وكان المصريون القدماء يستعملون أحياناً المصطلح *ro* (بمعنى فم) في مقابل « لغة » ، على حين كانت الكلمة *mūdet* تمثل « الكلام الفعلى » *speaking* .

أما اللاتينية ففيها المصطلحان : *lingua* و *sermo* ، وفي الألمانية : *sprache* و *Rede* ، وفي الهولندية : *taal* و *rede* وفي السويدية : *språk, tal* ، وفي الأسبانية : *habla* و *lenguage* . (جاردنر : نظرية الكلام واللغة ص ١٠٧ ، ومالمبرج : اتجاهات حديثة في علم اللغة ص ٤٠) .

ففي هذه اللغات كلها يغلب أن يطلق المصطلح « لغة » أو ما يقابله (وهو الأول من اليمين في كل حالة) على المرفق أو النظام اللغوى العام ، أو على الحقائق اللغوية بوصفها وحدات في نظم مقررة يجرى عليها التقليد في البيئة اللغوية المعينة ، على حين يستعمل « الكلام » وما يرادفه في معنى النشاط المعنوى أو النطق للإنسان أو في معنى الأحداث اللغوية الواقعة بالفعل من المتكلم .

الدارسين من بعده إلى اتجاهين رئيسيين في هذا الشأن .

أما الاتجاه الأول فهو اتجاه معارض ، ويتزعمه اللغوي الدنمركي يسبرسن الذي ينص على أن هذا التفريق يخالف طبيعة الأمور وواقعها . فاللغة والكلام جانبان لشيء واحد ، وكلاهما عقلي ومادي وكلاهما اجتماعي وفردى ، وليس أحدهما أولى

عندما صرح دى سوسير بأن اللغة وحصيلة من الرموز المخزونة في أذهان الجماعة وأنها بذلك عقلية اجتماعية ، ومن ثم كانت الموضوع الأول والأخير لعلم اللغة ، وأن الكلام المنطوق شيء مادي فردى وبذلك لا يدخل في نطاق علم اللغة بمعناه الصحيح — عندما قرر دى سوسير ذلك تشعبت آراء

على أن هذا التقابل في استعمال هذه المصطلحات لا يرق بحال إلى مستوى التفريق الذى جاء به دى سوسير . فن الواضح أن هذه المصطلحات (أو أغلبها) ذات مفهومات واسعة ، وقد يحدث التداخل أو الخلط بينها أحياناً . « فاللغة » في العربية مثلاً مصطلح ذو مدلولات عدة ، فقد يطلق على الأسلوب ، وقد يعنى اللهجة ، وربما أطلق على « الكلام » نفسه ، هذا بالإضافة إلى معناه التقليدى المشهور .

« والكلام » هو الآخر قد يعنى أشياء كثيرة ، منها : اللغة ، ومجموعة الأصوات المنطوقة ، والمحادثة واللهجة ، وقد يكون مرادفاً للجملة ، كما في نحو قول ابن مالك : كلامنا لفظ مفيد ، كاستتم .

وقد يشير إلى هذا التداخل أو الخلط ما لمسناه من استعمال بعض هذه اللغات لهذه المصطلحات . ففي الألمانية والسويدية تستعمل الكلمتان *sprache* و *sprack* في معنى « اللغة » على حين أن المصطلح الانجليزى *speech* يطلق على « الكلام » ، بالرغم من انتهاء هذه الكلمات الثلاث إلى أصل لغوى واحد ، كما هو معروف . وفي السويدية تعنى الكلمة *tal* « الكلام » ولكن المصطلح الهولندى *taal* يعنى « اللغة » .

وعلى فرض أن هناك فروقا دقيقة بين « اللغة » و « الكلام » في الاستعمال العام لهذه اللغات ، فإن هذه الفروق ذات طبيعة تختلف عما عناه دى سوسير بمصطلحيه المشهورين ، على الوجه المبين سابقاً . ولهذا لم يجد أكثر العلماء بدا من الالتزام في غالب الأحيان بالمصطلحات الفرنسية التى استعملها هذا اللغوى الكبير في هذا المجال ، حيث تأكدوا أن غيرها من المصطلحات في اللغات الأخرى لا يستطيع الوفاء بما يرمى إليه دى سوسير ويعنيه .

أما الصورة الثانية التى تشمر بوجود فروق بين « اللغة » و « الكلام » في التراث اللغوى ، فتظهر فيما يرويه التاريخ عن الهنود القدماء . يروى التاريخ أن هؤلاء الهنود قد وجدت لديهم فكرة التفريق بين هذين الجانبين ، ونصوا على أن « الكلام شيء ، ومعرفة العناصر التى يحتوى عليها هذا الكلام شيء آخر » ، أو بعبارة أخرى — كما يقرر أستاذنا فيرث — « لقد أكد الهنودوس القدامى الفرق الكبير بين الكلام ومعرفة هذا الكلام .. أو تحليله من طريق نسبتهم أول تحليل للكلام — وبالتالي نسبتهم أسس قواعد الكتابة — إلى الإله أندرا *Indra* » (انظر : فيرث *Tongues of Men*, P. 15.) .

وواضح من هذا أن هؤلاء الهنودوس كانوا يدركون خواص كل من اللغة والكلام . ولكن هذا الإدراك — في نظرنا — لم يمتد هذه المرحلة إلى ما بعدها ، بحيث تظهر آثاره في الدرس العلمى ، وبحيث يضيف جديداً في طرق البحث اللغوى . وحقيقة الأمر أن هذا التفريق الهندى بين الجانبين كان صادراً عن دافع دينى بحت ، ظهرت نتائجه في نسبة تلك الأعمال العظيمة — وهى القدرة على التحليل اللغوى ووضع أسس الكتابة — إلى آلهتهم .

وبهذا كله استقر لنا الرأى الذى تبينناه ، وهو أن ما قام به دى سوسير في هذا الموضوع يعد أول محاولة علمية في تاريخ البحث اللغوى .

من الآخر بالنظر والدراسة . وإذا كان لنا أن نفرق بينهما كان ذلك على أساس الواقع والاستعمال ، فنقول مثلاً : لغة الجماعة ولغة الفرد . وفي رأى أصحاب هذا الاتجاه أن دى سوسير فى نقطته هذه كان متأثراً بأراء « دركايم » فى التركيب الاجتماعى وفكرته حول ما أسماه « العقل الجماعى » أو « الشعور الجماعى » و « العقل الفردى » أو « الشعور الفردى » .

ويميل إلى هذا الرأى فى عمومته أستاذنا فيرث . والحق أن فيرث لم يتورط فى موضوع التفريق بين اللغة والكلام بالصورة التى خرج بها دى سوسير إلى الأوساط اللغوية . إن فيرث لا يرى التفريق بينهما ، إذ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، لا فى النظر ولا فى التطبيق . ويبدو أن فيرث كان أكثر اهتماماً بالأحداث المنطوقة - سواء أسميتها لغة أم كلاماً ؛ لأن هذه الأحداث هى اللغة الحية التى تحمل فى طياتها الحقائق الاجتماعية والثقافية فى المجتمع المعين . وسر هذا الاهتمام من فيرث ليس غريباً عن منهجه العام فى دراسة اللغة . إنه منهج يقوم على نظرية « المقام » أو سياق الحال context of situation . ومعناه عنده أنه لا يمكننا دراسة اللغة منعزلة عن سياقها الاجتماعى الذى تستعمل فيه .

ويسير الاتجاه الثانى فى ركب الأستاذ مع خلافات يسيرة لا تخرج السائرين فى هذا الطريق عن الإطار العام الذى حدده دى سوسير . ومن البديهي أن يسلك تلامذته هذا النهج ، كما سبق أن بينا فيما يتعلق بتلميذه « بيه » الذى وافق أستاذه فى قضيته هذه ، ولكنه تخلف عنه حين قرر أن دى سوسير قد بالغ فى التفريق بين اللغة والكلام .

وهناك خارج « مدرسة جنيف » يقابلنا « بالمار » الإنجليزى الذى يحدو حدو دى سوسير فى مبدأ التفريق فى عمومته ، ويقدم لنا تفسيرات أخرى لبيان الفرق بين اللغة والكلام . إنه يشبه الفرق بينهما بالفرق الذى يوجد بين القواعد والنظم والتلغرافية وإرسال الرسالة التلغرافية نفسها عن طريق استخدام هذه القواعد . أو قل إنه كالفرق بين قواعد الموسيقى ونظمها وبين العزف نفسه .

وكذلك الحكم على جاردنر الذى ينضم فى نظرنا إلى أصحاب هذا الاتجاه . يظهر اتباعه لهذا المنهج فى تفسيره للحقيقة اللغوية وعناصرها وشرحها لعملية اللغوية وميكانيكيته .

والحق أن جاردنر يفصح عن منهجه هذا بعنوان كتاب له ينتظم صراحة وبلا غموض فكرة التفريق السويسرية ، إذ أطلق عليه The Theory of Speech and Language « نظرية اللغة والكلام » .

وامتد هذا التأثير إلى واجد من أشهر المهتمين بالسيمانتيك أو علم المعنى في إنجلترا. ذلك هو أولمان الذى يسير على الدرب ذاته ، حين يقرر بوضوح أن « اللغة نظام من رموز صوتيه مخزونة فى أذهان أفراد الجماعة اللغوية ، ولكن الكلام نشاط مترجم لهذه الرموز الموجودة بالقوة إلى رموز فعلية حقيقية » .

ولم يكتف أولمان بهذا التفريق النظرى ، بل ظهر أثره فى أعماله فى أكثر من صورة . من ذلك مثلا أنه ينص على أن التحليل اللغوى ينبغى أن « يسير فى خطين متوازيين » أحدهما يعنى بالجانب المادى وهو يتمثل فى الأصوات المنطوقة بالفعل والآخر يختص بالنظر فى الجانب العقلى وهو المعنى .

وما هذان الجانبان فى نظرنا إلا انعكاس صادق لفكرة « الثنائية » التى جاء بها دى سوسير . ويظهر هذا التأثير بصورة أعمق فى مواضيع أخرى مهمة أولاها أولمان عناية كبيرة .

من أبرز هذه المواضيع ما شغل أولمان به نفسه حين أراد تفريع علم اللغة إلى فروعها المختلفة . لقد قام هذا الباحث بتفريع هذا العلم تفريعا يطابق هذه الثنائية اللغوية مطابقة تامة . من ذلك مثلا أنه لم يدخل « الفونائيك »

(علم الأصوات Phonetics) فى قائمة فروع علم اللغة على أساس أنه مختص بالنظر فى أصوات الكلام ، وهى أصوات مادية ، ليس من شأن اللغوى أن يعرض لها إلا بوصفها وسيلة لا غاية . أما العلم الذى نص عليه ، وراه أهلا لنظر اللغويين فهو « الفنولوجيا » (أى علم وظائف الأصوات Phonology) أو علم الوحدات الصوتية للغة ، لا الأحداث الصوتية المنطوقة فى الكلام الفعلى .

أما التأثير الواضح لفكرة التفريق بين اللغة والكلام التى أتى بها دى سوسير فيظهر فى أعمال مدرسة مشهورة فى البحث اللغوى الحديث تعرف « بمدرسة براج اللغوية » . نلمس هذا التأثير عميقاً فى ذلك المبدأ المنسوب إلى رواد هذه المدرسة فى فترات الأولى . ونعنى به مبدأ التفريق التام بين علمين أو منهجين اثنين لدراسة الأصوات ، أحدهما هو « الفونائيك » ، والآخر هو « الفنولوجيا » . ويخصصون الأول لدراسة الأحداث الصوتية المنطوقة فى الكلام الفعلى ، أما الثانى فيكرس جهوده فى النظر فى النظم الصوتية للغة المعينة ودراسة وظائف أصواتها فى التركيب .

ولقد كان هناك فى أواخر القرن التاسع إحساس عام بين اللغويين بوجوب التفريق

بين الأصوات المنطوقة ، وأصمات الأصوات
أو الوحدات الصوتية . فكر في هذا التفريق -
بصورة ما - يسبرسن الدنمركى وسويت
الإنجليزى ، ولكن وضع الحدود الفاصلة
بين الجانبين إنما جاءت بطريقة حاسمة على
يد الدارسين التشيكيين . وكان زعيمهم فى
هذا الشأن هو العالم الشهير « تروبتسكوى »
الذى وضع أسس « الفنولوجيا » ، ومناهج
البحث فيه ، بوصفه فرعاً من فروع التحليل
اللغوى ، مناظراً ومقابلاً للفوناتيک .

ولقد اعتمد تروبتسكوى فى عمله هذا
على فكرة دى سوسير فى التفريق بين اللغة
والكلام ، حيث طابق هذه الثنائية بثنائية
« الفوناتيک والفنولوجيا » وحكم على الفوناتيک
بأنه من العلوم الطبيعية ، على حين عد
الفنولوجيا منهجاً لغوياً أو فرعاً مهماً من
فروع علم اللغة . وبالرغم من اعتراف
تروبتسكوى بأهمية الفوناتيک بالنسبة للفنولوجيا
وعلم اللغة بعامة ، فقد قوبل بما قوبل به دى
سوسير من اعتراضات على مبدأ التفريق
بين الجانبين ، فكلاهما مبالغ فى نظرته ،
لذا اللغة والكلام - فى رأى المعارضين -

شيئان لا ينفصلان ، وكذلك لا تتم الدراسة
الصوتية دراسة دقيقة دون الاعتماد على
الفوناتيک والفنولوجيا كليهما .

ومهما يكن الأمر فمن المؤكد لدى
الدارسين أن مبدأ التفريق الذى أتى به
دى سوسير هو الأساس الحقيقى لظهور
مدرسة صوتية مميزة ، ما كان لها أن تظهر
بمنهجها هذا لولا أفكار هذا السويسرى
العظيم . هذه المدرسة هى « مدرسة براغ
للصوتيات » .

وهناك فى الجانب الآخر من الصورة
مجموعة من اللغويين فى بلاد العالم المختلفة
لم تشأ أن تقف عند مسألة التفريق بين اللغة
والكلام وقفة خاصة ، وأن تبدى رأياً
حاسماً واضحاً فيها ، ولكننا مع ذلك نلمح
فى آثار بعضهم الميل أحياناً إلى التسليم بمبدأ
التفريق فى بعض صورته .

من ذلك مثلاً ما يعتمد إليه البعض فى
أمريكا بالذات من محاولة الإشارة إلى
الطبيعة المادية للكلام فى مقابل الطبيعة التركيبية
أو « النظامية » للغة . ومن ثم نرى هؤلاء

يضعون حدوداً من نوع ما بين الفوناتييك
والفنولوجيا . حتى لتجد الواحد منهم يعد
« الفوناتييك » فرعاً ثانوياً من فروع علم
اللغة ، أو تخرجه نهائياً من هذا الحقل ،
على حين يضع الفنولوجيا في قائمة الفروع

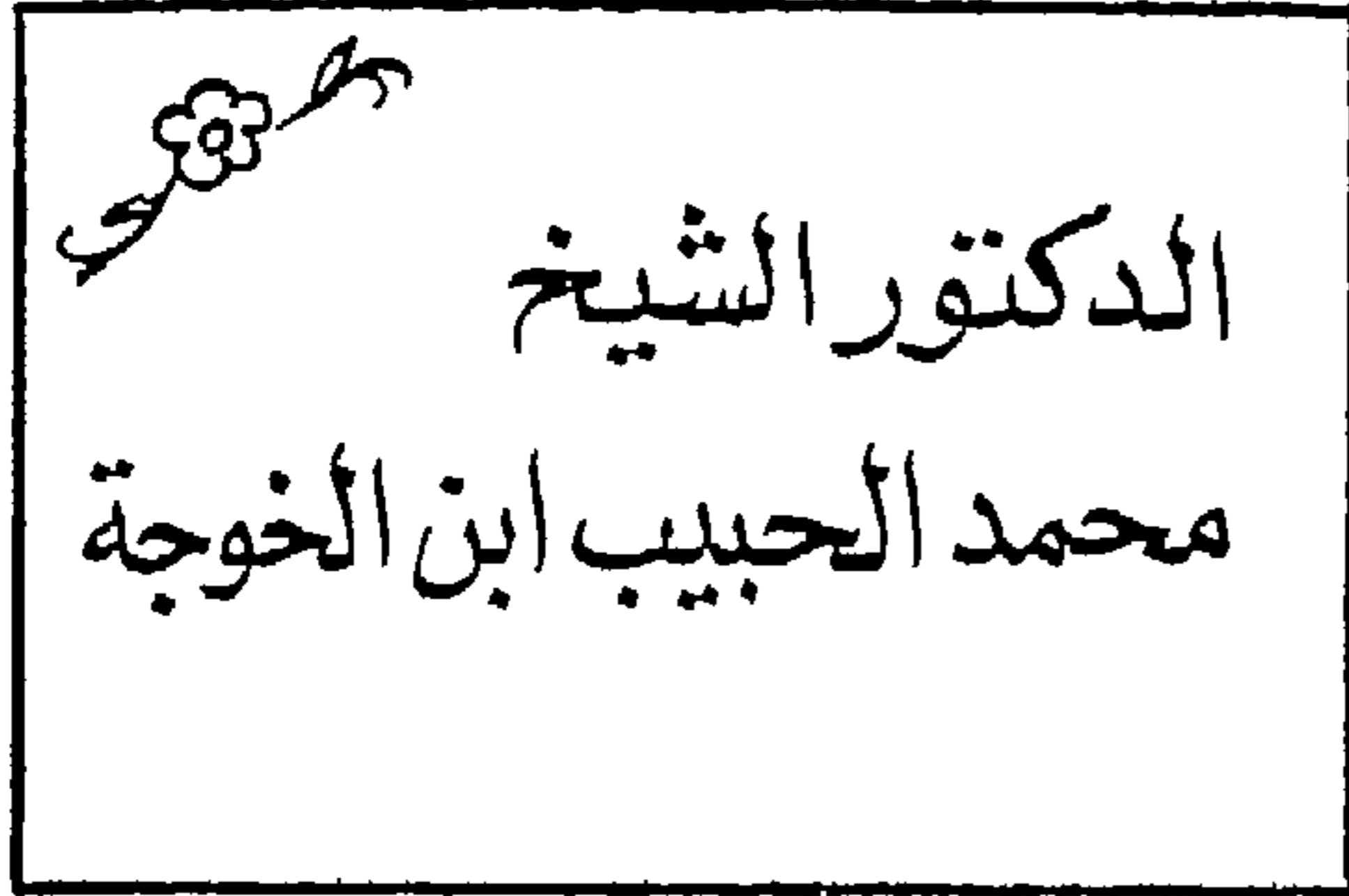
الأساسية لهذا العلم ، بوصفه منهجاً يعنى
باللغة أو بنظامها الصوتي ، لا بالأحداث
المادية للكلام المنطوق . يظهر هذا السلوك
في أعمال هُكت الأمريكي ، ويشبهه إلى
حد ما في ذلك روبنس الإنجليزي .

كمال محمد بشر



شخصيات مجعية

في الساعة السادسة من مساء الاثنين ٢٩ من ذى الحجة سنة ١٣٩١هـ
الموافق ١٤ من فبراير سنة ١٩٧٢ ، أقام المجمع في دار الجمعية المصرية
للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع ، حفل استقبال الدكتور
الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة عضو المجمع من تونس ، وفيما يلي
ما ألقى في الحفل من كلمات :



كلمة الأستاذ زكي المهندس في استقبال

إننا إذ نستقبل الزميل الجديد لا نلسى
أن اسم تونس الشقيق ، وقد اقترن بهذا
المجمع وقت نشأته ؟

فقد كان المرحوم الأستاذ حسن حسني
عبد الوهاب من أولئك الرواد الأوائل
الذين حملوا رسالة المجمع وشارك في وضع
الأسس والقرارات التي مازلنا حتى اليوم
نفيد منها ، ونعمل في ضوئها ، ثم بعد ذلك
أتى إلينا المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور ، فكانت له مواقف وكلمات
وتعليقات في المجمع مازلنا نذكرها له
بالإعجاب والتقدير :

وهأنح أولاء الليلة نظفر بعالم جليل كما
ظفرنا في العام الماضي بأستاذ جليل ، وهكذا
سيظل تونس دائما يزودنا بالعلماء الأجلاء
الذين يشاركوننا في تأدية رسالة المجمع ،
وإننا لعل ثقة أن زميلنا الجديد بما يعرف
عنه من نشاط وكفاية سيشغل هذا الفراغ

أيها السادة : في مثل هذا اليوم من العام
الماضي وفي هذه القاعة نفسها سعد المؤتمر
باستقبال زميل كريم وعالم جليل هو السيد
الأستاذ الشاذلي القليبي وزير الثقافة التونسي
الذي اختير عضوا عاملا بالمجمع من تونس
الشقيق ، خلفا للعالم الكبير الأستاذ المغفور له
حسن حسني عبد الوهاب :

والليلة سعد المجمع كل السادة أن
يستقبل زميلا كريما آخر من تونس الشقيق
وخلفا للمرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور وهو السيد الدكتور الشيخ محمد
الحبيب ابن الخوجة عميد كلية الشريعة
وأصول الدين في جامعة الزيتونة وأحد أركان
النهضة الفكرية العربية ، وإن المجمع إذ يهنئ
الزميل الجديد بما نال من ثقة وتأييد ليسره
كل السرور أن يرى كفاية عربية جديدة
تضاف إلى كفاياته ، ونشاطا علميا جديدا
سيلتقى بنشاطه ، وكذلك كان المجمع . وسيظل
مثابة للثقافات العالية وملتقى للكفايات الممتازة

الذى تركه المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الفاضل
ابن عاشور بيننا ، وسيكون خير خلف
لخير سلف ، فمرحباً بالزميل الحديد في أسرة
المجمع ، وأهلاً به بين الخالدين . أما الآن .

— أيها السادة — فسيتولى استقبال الزميل
الحديد الكريم الدكتور مذكور الأمين العام
لمجمع اللغة العربية ، فليفضل وشكراً .

• • كلمة الدكتور ابراهيم مذكور

سيدي الرئيس ، سادتي :

زرت تونس منذ ثلاث سنوات في مهمة
خاصة بتكليف من المجمع ، ولمست حين
ذاك أن للعربية فيها جذوراً أصيلة وعميقة ،
بغم منافسة الفرنسية الشديدة وتعصب
فريق لها . وبدأت لي آثار ذلك واضحة في أقلام
الكتاب وعلى ألسنة الخطباء في الإذاعة
والصحافة ، في الدرس والمحاضرة ، في
الأندية والمجالس ، بل في الحديث الدارج
بين الناس ، ولم يتسع لي الوقت لتفهم مدى
هذه الظاهرة ، والوقوف على ما وراءها
من عوامل وأسباب .

ونعمت هذا العام بزيارة هذا القطر
الشقيق مرة أخرى ، فتوثقت صلتى به ،
ووقفت على كثير من شئونه ، وزاد اتصالي
بشبابه وشيوخه ، وتنقلت بين أطرافه
وجوانبه ، وزرت عدداً غير قليل من مدنه
وشواطئه . ولست في حاجة أن أتحدث عما
خطيت به من رعاية وعناية أعتقد مخلصاً
أن مردها الأول إلى مجمعكم الموقر ، ولاني

لعاجز كل العجز عن أن أوفي تونس والتونسين
حقهم من الحمد والثناء ، أما الزملاء
والأصدقاء فأنا مدين لهم بمودتهم الصادقة
وأخوتهم الكريمة ، وأتيحت لي الفرصة مرة
أخرى لأتبين في دقة موقف العربية في هذا
القطر الشقيق ، وقد وجدت صامدة لتقلبات
الدهر ، تصارع وتجاد ، وتسترد مكانتها
بعد ما أقامه الاستعمار في طريقها من أشواك ،
ولا سبيل بحال للغة أخرى أن تحل محلها ،
ولا غرابة فالشعب التونسي عربي صميم ،
عربي في أصله ونشأته ، يعتز بماضيه
وتراثه ، ويسعى جاهداً إلى أن يستعيد
مجد الأغلبية والحفصيين ، عربي في حاضره ،
يحس إحساساً صادقاً بعرويته ، ويشعر
شعوراً خالصاً بأنه جزء من الوطن العربي
الكبير . يهتز طرباً لأمجاده وانتصاراته ويأسى
حزناً وكداً على ما يحل به من ويلات ونكبات
وإن شعباً أنجب ابن رشيق القيرواني بالأمس
وأبا القاسم الشابي اليوم لا يمكن أن تصاب
العربية فيه بسوء .

ومن حسن حظ هذا البلد الأمين أن قام فيه معهد من معاهد الإسلام الخالدة ، وهو جامع الزيتونة ، ثمرة الماضي وعون الحاضر. وهو أحد مساجد ثلاثة في أفريقيا لها شأنها في تاريخنا الثقافي الطويل ، قام إلى جانب الأزهر والقرويين على رعاية التراث الإسلامي وتعهده . أسس أولا ليكون مصلى ومقرا للعبادة ، ثم شاء الحفصيون أن يجعلوا منه أيضاً معهد للدرس والبحث ، فجلبوا إليه الشيوخ والعلماء من الأندلس وصقلية . وأصبح جامعة إسلامية مكتملة ، تعنى بالعلوم العقلية والعقلية ، فدرس فيها الفقه والحديث والتفسير ، والتاريخ والأدب واللغة ، كما درست الفلسفة والرياضة والطب . وكان لهجرة علماء الأندلس في القرن السابع الهجري إلى تونس شأن في ازدهار ثقافي كبير عمر بضعة قرون . واتصلت الزيتونة بالمعاهد الإسلامية الأخرى ، وبخاصة الأزهر الشريف .

وتخرج فيها عدد غير قليل من الأئمة والعلماء ، والكتاب والأدباء ، ويكفي أن أشير إلى أن ابن خلدون عالم تونس الكبير نهل من حياضها .

قضت هذه الجامعة التونسية نحو ثمانية قرون تسير في طريقها ، وتنشر العلم والثقافة. وفي القرن التاسع عشر أريد تطويرها ، والتطور سنة من سنن الحياة . ولم ير القائمون عليها بأساً في أن يسايروا الزمن ويلأثموا بين الحاضر والماضي . وما الجمعية

الخلدونية إلا صورة من صور هذا التطور ، أنشئت عام ١٨٩٦ على هدى من تعاليم الأستاذ الإمام ، وقد كان له بتونس صلات وثيقة وقصد بها أن تعلم فيها العلوم العصرية باللغة العربية ، وأقبل عليها طلاب الزيتونة ، ورغبوا في أن يمتد هذا التعليم إلى معاهدهم ، واستجاب المسؤولون لذلك ، وأخذت حركة الإصلاح تقوى وتشتد . وجمعية قدماء الصادقية دعامة أخرى من دعائم التجديد والإصلاح ، ربي أبناؤها على أساس من الثقافة الفرنسية ، ولكنهم ما لبثوا أن مزجوها بالثقافة العربية ، فتلاقت الصادقية في البداية مع الخلدونية ، وقد قاما معا على أكتاف الزيتونة ، وجاء الصلح للتطور المنشود .

وقد أضحت الزيتونة نفسها واحدة من كليات جامعة تونس الحديثة ، وتضطلع بوجه خاص بعلوم الشريعة وأصول الدين ، وتؤدي رسالة عظمى في ميدان الثقافة التونسية ، ولا يقف إشعاعها عند تونس وحدها . بل يمتد إلى أبناء أقطار أخرى في أفريقيا وآسيا . يقدون إليها وينهلون من حياضها .

وللزيتونة أيد على مجمعنا هذا ، أسهمت فيه منذ إنشائه ، أمدته بأئمة أعلام ، وغذته بغذاء صاف كريم . فكان الحضر حسين من أعضائه المؤسسين ، ولا تزال بحوثه القيمة حجة يرجع إليها . واختير الشيخ الجليل محمد الطاهر ابن عاشور بين أوائل

أعضائه لمراسلين ، وهر من نعرف تفانيا
في خدمة اللغة والدين ، ، امتسسا كما بكلمة
الحق ، أطال الله بقاءه ونفع به الإسلام
والمسلمين . وحسنى عبد الوهاب ، وإن
كان صَادَ النشأة ، لم يفته أن ينهل من جامع
الزيتونة ، فأكثُ التردد عليه وعلى خزائن
كتبه حتى اختلط بالمحيط الزيتوني وامتزج به ،
قد كان من أعضاء المجمع المؤسسين .
ونعنا معه بزيتوني آنحركب هو الخالد الذكر
محمد الفاضل ابن عاشور ، وقد عرفتموه
فاضلا حقا ، وعالما كبيرا ، وإماما من أئمة
الأدب ، اللغة والفقه والتشريع .

* * *

ها نحن أولاء نستقبل اليوم تلميذه
وصفيه ، الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة ،
وهو زيتوني النشأة والثقافة . نستقبله ليشغل
كرسى استاذة ، ولو كان الأمر ميراثا ما كان
أحد أحق به منه ، على أنكم اخترتموه وانتم
على يقين من أنه خير خلف لخير سلف .
وما اظن انى رايت تلميذا شبيها بأستاذه
شبه الحبيب بالفاضل . يحاكيه في زيه وسمته ،
ويتسم بما اتسم به من شمائل وخلال ، ويسر
على نهجه في درسه وبخثه .

وقد قدم الاستاذ لكتاب « مناهج
البلغاء » الذى أخرجه التلميذ ، وفي هذه
المقدمة ما يعبر عن البنية الروحية والود
الأثر ، يقول الفاضل : « لأنه سرى في نفس
الحبيب ما سرى من نفحات نفس ومدارك

عقل وحسى » . ورحمة الله على الراحل
الكريم ، ومرحبا بالقادم العزيز ، وسأترجم
له في اختصار ، وأشير إلى شىء من جوانب
نشاطه وثقافته .

ولد الحبيب في أوائل العقد الثالث من هذا
القرن ، ونشأ في بيئة دينية محافظة ، وأسهم
في تثقيفه البيت والمدرسة ، فالتحق بالمدارس
القرآنية الابتدائية ، وكان أبوه يرعاه ويوجهه ،
ويشرف على دروسه في اللغتين العربية
والفرنسية ، وفي سن الرابعة عشرة دخل
المدرسة الصادقية ولم يكده يمضى فيها عامين
حتى بدأت الاضطرابات السياسية ، ولم يكن
بد من أن يسهم فيها شاب مثله ، وداعى
الوطن عنده مستجاب دائما ، وكان جزاؤه
أن نال شرف السجن والطرده من المدرسة
في سبيل أمته وبلاده . وما أن أطلق سراحه
حتى ألحق بجامع الزيتونة ، وفيه أتم دراسته
الثانوية والعالية . واستطاع أن يضيف إليه
دراسة قانونية ، وحصل على شهادة الحقوق
التونسية ويوم أن اكتمل لإعدادة اجتذبه
المعاهد المختلفة ، فدعى للتدريس في ثانوية
الجمعية الخلدونية ، وثانوية الدراسة الزيتونية ،
ومعهد البحوث الإسلامية للجمعية الخلدونية ،
ولما تجاوز الرابعة والعشرين . وفي عام
١٩٥٠ نجح في مناظرة التدريس من الطبقة
الثانية ، وانتدب بعد ذلك بقليل أستاذا
بالتعليم العالى بالجامعة الزيتونية ، وقضى
فيها إحدى عشرة سنة . ثم شاء أن يضيف
الثقافة الغربية إلى ثقافته العربية ، فالتحق

بجامعة باريس التي منحتها درجة الدكتوراه
بمرتبة « الامتياز الفائق » بعد عامين اثنين ،
وأصبح في آن واحد الشيخ الزيتوني والدكتور
السربوني . ثم عاد إلى وطنه ينشر العلم في
أرجائه ، ويوفي الزيتونة بعض حقها عليه ،
وقد عين أستاذا بها ، ولم يبعده عنها إلا
عمل بمصلحة النشر بوزارة الثقافة أشرف
فيه على إخراج طائفة من الكتب القيمة ،
وهو اليوم عميد الكلية الزيتونية للشريعة
وأصول الدين .

ولم يقف نشاط الحبيب عند تونس
بل جاوزها إلى أوساط ثقافية مختلفة ، فدعى
للتدريس في جامعة محمد الخامس ، والقرويين
بفاس ، وجامعة بنغازي ، وبكلية الشريعة
والدراسات الإسلامية بالبيضاء . وحاضر
بدار الفكر بالرباط ، وفي الجزائر بدعوة
من وزارة الثقافة . وكان للمشرق فيه
نصيب ، فحاضر في معهد الدراسات العربية
العالية بالقاهرة ، وفي جامعة آل سعود بمكة .
أما رحلاته وأسفاره فتعددة ، زار في
العالم الإسلامي القاهرة ، وبيروت ، وجدة ،
والمدينة ، وكراتشي ، وفي أوروبا باريس ،
ولندن ، وبرلين ، وبون وفرנקفورت ،
وليبتز ، وبلجراد ، وبودابست . وأسهم
فيما يزيد على عشرة مؤتمرات ، بين أدبية
وثقافية ، عقدت في تونس أو في غيرها من
عواصم العالم الإسلامي . واشترك في عدة
هيئات ، فهو عضو بلجان الموسوعة الفقهية
وإحياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو قديم بالجمعية الخلدونية ، وعضو
بالشبيبة المدرسية لجمعية قداماء الصادقية ،
ورئيس للشبيبة الزيتونية ، وجمعية طلبة
شمال أفريقيا ،

وما أشبه الحبيب في نشاطه العلمي
بشيخه الفاضل ، لإنتاجه غزير ومتنوع ،
درس وحاضر وحقق وأخرج ، وكتب
وألّف ، كتب بالعربية وبالفرنسية معا ،
قام بهذا كله ولما يبلغ الخمسين في نشاط
الشباب ورجاحة الشيوخ . ويدور إنتاجه
حول أبواب ثلاثة : بحوث إسلامية ،
ودراسات في الأدب واللغة والتاريخ ،
وتحقيق لبعض نفائس التراث القديم .
فعرض الزميل الكريم للعمل والجهاد في
الإسلام ، وعالج موضوع الأخلاق الإسلامية
وموقف الإسلام من التطور والتجديد وقد
ظهرت سلسلة من هذا أخيرا تحت عنوان :
مواقف إسلامية وعنده أن الإسلام دين جد
وعمل لا خمول وكسل ، والعمل فيه مناط
التكليف وأساس المسؤولية ، « وقل أعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »
والجهاد لفظة إسلامية واسعة الدلالة ، يقصد
بها خاصة مجاهدة العدو الظاهر والعدو الباطن ،
وترمى مجاهدة العدو الظاهر أولا إلى نصحه
ودعوته إلى الرشاد ورفع راية الأمن والسلام ،
فإن أبي إلا العدوان والخصومة لم يكن بد
من الذود عن الحياض والدفاع عن دار

الإسلام : وليس عدونا الباطن شيئاً سوى أهوائنا وشهواتنا ، ومجاهدتنا لها هي الجهاد الحقيقي أو الجهاد الأكبر ، لنقف في طريقها ونترفع عن الخطايا والدنايا . ولم يكن الجهاد في الإسلام قط مجرد عدوان للظفر والغلبة ، أو الاستعمار والسيادة ، ولا محل لأن يفسر فقط بالحرب والقتال ، بل هو معالجة طويلة ومتنوعة ربما كانت الحرب آخر وسائلها . ومن الخطأ أن يقال إن الإسلام لم ينشر إلا بالسيف . ولا شك في أن الدعوة الإسلامية السمحة تقوم على أساسين هامين : كفالة الحريات ، وإقرار السلام « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » ، « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله » ، « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » . ويحرص الزميل الكريم في بحوثه هذه على أن يصدر عن الكتاب والسنة وأن يستخلص منهما الأهداف الحقيقية للإسلام . وهو يرى أن تعاليم الإسلام تواجه شئون الدين والدنيا ، وليس فيها ما يتعارض مع أصول الحضارة الصحيحة أو الرقي السليم . أما الدعايات الهدامة ، والأيديولوجيات الكاذبة فليست من الدين ولا من الحضارة في شيء . وهل من سبيل لأن تقوم حضارة على الماديات وحدها إنها بذلك أشبه ما تكون بحياة الغابات والجاهلية الأولى والإباحية المطلقة ، وهذا ما تشقى به بعض المجتمعات الغربية اليوم ، وما أجدر مجتمعاتنا الإسلامية أن تتحرر من هذه الآفات . وللشيخ حديث طويل في هذا

ألقاه تحت عنوان : « الإسلام وأزمة مجتمعاتنا الحاضرة » بالجزائر في ديسمبر الماضي بمناسبة الأسبوع الثقافي التونسي ،

وقد غنى زميلنا بالدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية عناية كبيرة ، فعرض لبعض الكتاب والشعراء القدامى والمعاصرين ، أمثال الشاب الظريف ، وصفي الدين الحلبي ، وشوقي ، والحارم ، وأحمد أمين . واتجه خاصة نحو الأدب ، التونسي ، يحيى ماضيه ، ويحلل حاضره ، تتبع مراحلها ، من الفتح والمعهد الأغلب إلى الدور العبيدي والصنهاجي ، ومنه إلى العهد الحفصي ثم التركي ، ويقف عند العصر الحديث عصر النهضة والتجديد . وله عشر محاضرات في الشعر العربي المعاصر بتونس ألقى في معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة ، ولم يفته أن يعالج موضوع الأزجال والموشحات في الأندلس وبلاد المغرب العربي .

واستوقفته الدراسات النحوية والبلاغية طويلاً ، فدرس نشأة النحو العربي ، وبين المدارس النحوية المتعاقبة في المشرق العربي ، وأشار إلى ما أدخل على النحو من إصلاحات وتجديدات وعلى نحو شبيه بهذا تصدى لنشأة علم البلاغة والمذاهب البلاغية ، وعالج قضايا النقد وما يتصل بها : وفرق بين المدارس البلاغية المختلفة ، وبين أثرها في الفنون الأدبية .

وله بحث طريف ودقيق في هجرة
الأندلسيين إلى أفريقية في القرن السابع
الهجرى ، وهى هجرة أشرنا إليها من قبل ،
وسبق للشاعر الطليل أن توقعها قبل ذلك
بنحو قرن ونصف حين قال :

يا أهل أندلس شدوا رحالكـــــــــــــــم
فما المقام بها إلا من الغلـــــــــــــط
السلك ينثر من أطرافه وأرى
سلك الجزيرة منشورا من الوســـــــــــــط
من جاور الشر لا يأمن بوائقهـــــــــه
كيف الحياة مع الحيات في سفـــــــــــــط
وقد اتجه مهاجرو الأندلس نحو شمال
أفريقيا ، فاستقر به منهم من استقر ،
وأوغل في الرحلة فريق آخر ، اتجه نحو
مصر والشام والحجاز . وكان لتونس من
هؤلاء المهاجرين نصيب كبير ، نزلوا أهلا
ومكانا سهلا ، وأسهموا في الحضارة والثقافة
التونسية إسهاما واضحا ، ولا تزال في
تونس أسر معروفة بأصولها الأندلسية ،
وأ أسرة آل عاشور واحدة منها . ويحرص
الأستاذ الحبيب على أن يقف عند الأثر
الثقافي لهذه الهجرة ، ويلاحظ بحق أن
هؤلاء المهاجرين قد غدوا الحركة الفكرية
في تونس بغذاء خاص ، فكان منهم القراء
 والمحدثون ، والفقهاء والمؤرخون ، والأدباء
والعلماء . ويسرد صاحبنا أسماء عدد وفير
منهم ، نذكر من بينهم ابن الأبار الأديب
الشاعر من بلنسية ، وكان من أوائل الوافدين
(٦٣٥ هـ) ، وابن البيطار (٦٤٥ هـ)

النباتى الكبير ، وهو من مالقه ، أقام بتونس
 زمنا ، ثم رحل إلى مصر ، وكان رئيس
 العشابين بها وابن سيد الناس (٦٥٧ هـ)
 الفقيه والمحدث تلميذ ابن خروف وابن جبير ،
 وهو من أشباليه ، وابن عصفور (٦٦٩ هـ)
 النحوى المشهور تلميذ الشلوبين ، وهو من
 أشباليه أيضاً ، وحازما القرطاجنى (٦٨٤ هـ)
 الشاعر والناقد واللغوى ، ولزميلنا صلة
 وثيقة به سنعرض لها بعد قليل . وعن هؤلاء
 وزملائهم الآخرين أخذت الأسانيد الأندلسية ،
 وعرفت المذاهب النحوية ، وحفظ الشعر
 والأدب الأندلسى ، وكتب العلم والتاريخ .
 ونشأت باختصار مدرسة أندلسية تونسية ،
 كان فيها الفقهاء والمحدثون ، والنحاة
 واللغويون ، والنباتيون والرياضيون .

وللشيخ الحبيب ولع خاص بأحياء التراث
وتحقيق النصوص ، وأغلب الظن أن شيخه
الأكبر الطاهر ابن عاشور وأستاذه الفاضل
غرسا في نفسه ذلك . فأولع به في شبابه
الباكر ، وكان من أحب الأشياء إليه أن
يتردد على المكتبة العبدلية ، وأن يقتنى نفائس
المخطوطات .

وقد حقق وأخرج كتاب « منهاج البلغاء
وسراج الأدباء » لحازم القرطاجنى ، وهو
الذى قدمه بجامعة باريس ، ونال به شهادة
الدكتوراه ، واتصلت عنايته بحازم ، فحقق
ديوانه ، وهو تحت الطبع الآن . وحقق
كذلك رحلة ابن رشيد (٧٢١ هـ) . وكتابين

آخرين له في الحديث ، وهما : « السنن الأبين والمورد الأمعن في السند المعنعن » ، « وإفادة النصيح » ، ونرجو أن يخرج هذا كله للقراء قريباً .

ولصاحبنا منهج مرسوم في التحقيق وإقامة النص ، وهو منهج على دقيق يعتمد على التاريخ اعتماداً كبيراً ، فيستوعب المراجع كلها : قديمها وحديثها ، مفصلها ومجملها ، مخطوطها ومطبوعها ، عربيها وأجنبيها . ويوازن بينها في نقد محكم ، ويستخلص منها أوثق المعلومات وأصح الأحكام ، ويثبت الآراء المختلفة مرجحاً بعضها على بعض ، ومحاولاً الفصل في أدق المواقف وأعقدّها . يتأهب لما يحاول تحقيقه ، فيجمع كل ما يهتدى إليه من أصوله ، ولا يفوته أن يستعين بما أمكن بكل ما ورد منه على ألسنة باحثين آخرين . يعرف بالأشخاص والأماكن ، ويشرح الألفاظ الغامضة والعبارات المأثورة . ويختتم تحقيقه بمعاجم للمصطلحات والألفاظ الغريبة وبفهارس للأعلام والآيات والأحاديث والأمثال والأشعار . وكل ذلك في ترتيب واضح ، وأسلوب سهل ولغة دقيقة . والحق أن زميلنا يعول على التاريخ التعويل كله ، وقد تطلب هذا منه اطلاعاً واسعاً ، وقراءة مستفيضة . وأضحى حاجة في تاريخ الثقافة التونسية بخاصة ، والإسلامية بعامة .

والنموذج القيم في التحقيق الذي أخرجه خير شاهد على ذلك ، فقد شاء بتوجيه من

أستاذه الفاضل ، أن يخرج كتاب « منهاج البلغاء وسراج الأدباء » لحازم القرطاجني ، عرفه مخطوطاً منذ عهد مبكر ، واستعان به في عام ١٩٥٦ على تدريس النقد ومناهجه لطلبة كلية اللغة العربية بالجامعة الزيتونية ، وأخذ يقلب صحائفه ، ويتدارسه ، واستقر رأيه على إعداد نشره وطوال عامين كاملين بباريس تفرغ له تفرغاً تاماً ، ثم أخرجه بتونس عام ١٩٦٦ في ثوب أنيق .

وقد دهد له بمدخل طويل يقع في نحو ٩٠ صفحة ، ترجم فيها للمؤلف ، متتبعا كل المصادر التي عرضت له من أقوال حازم نفسه ، أو ما كتبه عنه معاصروه ، أو ما سجله له رجال التاريخ والطبقات وبخاصة السيوطي والمقري . واستخلص من ذلك كله ترجمة كاملة تكشف عن مراحل حياة الرجل وتوضح البيئة السياسية والفكرية التي عاش فيها ، وتعرض لمصنفاته المخطوط منها والمطبوع ، « والمقصورة » على رأسها ، وتبين أثرها في المشرق والمغرب . ثم اتجه الحبيب إلى تحليل الكتاب نفسه ، فحتمق عنوانه ، ونلخص موضوعه ، وشرح منهجه ، وأشار إلى العوامل التي أثرت فيه . ولاحظ بحق أنه مؤلف محكم الترتيب ، وضع في صورة أقسام ، ومناهج ، ومعالم ، ومعارف وإضاءات ، وتنويرات ، وخارج بذلك عن أسلوب التأليف المعهود . وبرغم ترتيبه الدقيق لم يخل من غموض وتعقيد ، لاستعمال الفاظ غريبة ، واستحداث مصطلحات

جديدة ، وإسراف في المصطلح الفرنسي وهو مع هذا يؤذن باطلاع واسع ، وإحاطة تامة بالأدب العربي ، يستشهد حازم بالشعر الجاهلي والأموي والعباسي ، كما يستشهد بشعر المشاركة والمغاربة المتأخرين . ويشير إلى بعض النقاد والبلاغيين السابقين ، أمثال قدامة بن جعفر (٢٩٤ هـ) وأبي هلال العسكري (٣٩٥ هـ) ، وابن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ) ، وابن الأثير (٦٠٦ هـ) ، والآمدي (٦٣٠ هـ) ، والخفاجي (١٠٦٩ هـ) ، ولكن من الخطأ أن يظن أنه قنع بمجرد الأخذ عنهم بل له محاولات لا تخلو من ابتكار وأصالة ، وكتابه « المهاج » لون خاص من ألوان الدراسة الأدبية .

والواقع أن هذا الكتاب يتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع دار حوله شيء من الأخذ والرد ، ونعني به موضوع الصلة بين الدراسات الأدبية العربية وبعض الآراء والنظريات الأدبية الهلينية ، وقد أنكر هذه الصلة فريق ، وأيدها آخرون ، وسبق لابن الأثير أن ذهب إلى أن كلام أرسطو ومن بعده ابن سينا في الخطابة والشعر لغو ، ولا يستفيد به صاحب الكلام العربي شيئاً ، ولكننا نعتقد أنه لم يبق اليوم شك في أن البلاغة العربية تأثرت بالفلسفة والمنطق على الأخص ، وقدما فرق بين الطريقة الكلامية والطريقة الأدبية ، وما الأولى إلا درس للبلاغة في ضوء الكلام والفلسفة . ويشهد تاريخ البلاغة

بأن الكثيرين ممن كتبوا فيها فلاسفة أو متفلسفون ، كقدامة ابن جعفر ، والخرجاني (٤٧٢ هـ) وحازم القرطاجني واضح وصريح كل الصراحة في هذه الناحية ، فقد أخذ بآراء أرسطو وتلاميذه من المشائين العرب ، وعول على كتاب « الشعر » لابن سينا ، وأحال عليه عدة مرات ، وهو مستمد من كتاب « الشعر » الأرسطي . ولا غرابة فحازم تلميذ ابن رشيد وإن لم ينقل عنه وآثر النقل عن الفارابي وابن سينا ، ونزعته الفلسفية والمنطقية واضحة .

سادق :

لقد عنيّا بتاريخ الثقافة العربية في عصورها الأولى ، وعالجنا شيئاً من تاريخها المعاصر والحديث ، وأغفلنا مرحلة طويلة بين هذين الطرفين . أغفلنا أو كدنا ما بين القرنين السادس والثاني عشر الهجري ، وهي حقبة على ما بها جديرة بالبحث والدرس .

وفي جهود زميلنا الكريم الأستاذ الحبيب ابن الخوجة ما يلتقي أغصانها عليها ، وما يكشف عن الصلات الوثيقة بين ثقافة المغرب الإسلامي ، وثقافة المشرق . وقد رأيت كيف طوف بأرجاء الثقافة العربية وأحاط بجوانبها المختلفة ، وفي زمالته الكريمة خير عون لجميع الخالدين على أداء رسالته . والسلام عليكم ورحمة الله ، ، ،

• • كلمة الدكتور الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة

بسم الله الرحمن الرحيم
صلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة الرئيس الموقر
حضرات الأساتذة أعضاء الجمع المحترمين
سيداتي الفضليات ، سادتي الكرام

جرت عادة هذا الجمع الجليل - كغيره
من الجامعات العلمية واللغوية في مختلف البلاد -
باقتبال الأعضاء الجدد في جلسة علنية عامة ،
يقدم فيها أحد الأعضاء العاملين العضو
المنتسب ، ثم يتلوه هذا بالحديث عن صاحب
المقعد الذي يخلفه فيه تقريراً لاستمرارية
العمل بالجمع وتخليداً للراحل الذي زان من
قبل تلك المؤسسة العلمية الموقرة بمواقفه
وخدماته وعمله وآثاره .

ولاني حين يقم بي إقحاما في هذا المقام
الجليل : لأتعثر في مشيتي حياء ، وبعقد
لساني شعوري بحقيقة أمرى ، وأفقد العبارة
الموفية بما يطلب منى وتدعوني ضرورة
هذا الموقف إليه .

وأبديني بادئ بدء مصروفا إلى رد
التحية ، وشكر الأستاذ الجليل أمين الجمع

على ما حباني به من عطف وشملي به من
رعاية يحاول بهما أن يرفع من منزلتي لديكم
ويقربني منكم بما تستطيعون به الاطمئنان
إلى القادم عليكم الذي يعتقد في قرارة نفسه
أنه لا يريد إلا الاستفادة منكم ، والانتفاع
بتجاربكم ، والمسايرة لمناهجكم ، لكونه
قاصرا عن المشاركة لكم مشاركة مركزة
فيما بلوتم من أسرار البيان ، وحقائق
وتصارييف لغة القرآن . واني لا أقدر على
أن أوفيه حقه فقد شرفني بما عرض له
وذكرني به عرضا وذكرنا بصوران كمال
خلقه وجميل أدبه وما أعرب عنه وترجم
عليه من حسن ظن بي أرجو محاولة تحقيقه
بما يكسبني محبتكم ، ويدني منكم .

وهل أشك في تفضلكم بذلك ، أو أتردد
فيما أطمع وأتطلع إليه من صداقتكم وحبكم
وقد بذلتم الشواهد عليه أولا وآخرها .
فكنتم المقترحين لعضويتي المبادرين بلإكراهي
في غيبتى حين شتم أن أكون لجمعكم عضوا
مراسلا ، ومن بعد عام رشحتونى لأكون
عضوا عاملا .

وليس لي ما أطمح به إلى هذه المنازل
الشريفة العالية إلا ما طبعت عليه من إخلاص
للعربية ، وتفان في خدمتها ، وذود عنها ،

أنا في جميع ذلك مدين به للراحل العزيز
أستاذي وشيخي مقام والدي ، العلامة
محمد الفاضل ابن عاشور ، تغمدہ اللہ
برضوانہ : وأسكنہ فسيح جناته .

وإني لأزجي لكم من الشكر على ثقتكم
الغالية التي أعز بها اعتزازي ببلغتي وأدب
قومي ، ما يكافئ جهودكم الجبارة في
الحفاظ على العربية ، والدعم لها ، والحرص
على إنمائها وإثرائها ، والمساعدة على تطورها
والهوض بها ، تطورا ونهوضا تستعيد به
ما سلف من مجدها ، وتكون معه لغة
إنسانية عالمية . لاتضيّق بشيء مما تمتد إليه
أيدي الناس . أوعن لهم من آراء وأفكار
ونظريات وقوانين ومصطلحات وأغراض
وعلوم وفنون .

وإن في الأعمال التي يشتغل بها مؤتمركم
في كل عام مما يتصل بأصول اللغة والمعجمات
والمصطلحات والبحوث والدراسات ، وفي
ما يصدر عن المجمع من منشورات ومعاجم
وكتب ، وفي ما تقوم به اللجان العلمية
من تحقيق ودرس على مر الأيام وطوال
السنين ، وفي ما تتجهون إليه وتنمونونه
وتؤكدونه من صلات المجمع بالهيئات
والمؤسسات العلمية ، ما هو كفيل بما نؤمله
لغة العربية من ازدهار ، وللسان الوحي
الإسلامي من غلبة وظهور .

وإني لأحس بالفراغ الكبير الذي تركه
الراحل الخالد فضيلة الأستاذ المقدس المبرور

محمد الفاضل ابن عاشور بينكم ، وأشعر
بما تشعرون به لذكراه من أسى على فراقه .
وأعلم أن أي واحد من بعده من أهل بلده -
لا يمكنه أن يشغل ذلك الفراغ الذي تركه ،
أو يقوم بالدور الذي كان يقوم به معكم بهذا
المجمع .

فلقد كان - رحمه الله - فردا فيما تجمع
فيه من خصال وكمالات ومعارف وآداب
ولطائف وأذواق . وكان وحده الذي
يستطيع أن يمثل بصدق هذا المجمع - بمجمع
اللغة العربية - ببلده ، كما كان يمثل أحسن
تمثيل ببلده المسلم العربي التونسي به . ولا غرو
في ذلك فقد كان طود علم ، وقمة فكر ،
أجمع الناس من حوله في الأجيال التي
تخرجت عليه وعاشت معه على كونه
المثل والرائد والأسوة . وقبلوا في تقدير
ولاجلال رئاسته الفكرية والعلمية في كل
ميدان حل به أو مجلس ظهر فيه .

تعود معرفتي به إلى أيام الدراسة الثانوية
زمن كنت تلميذا في الصفوف الأولى بالمدرسة
الصادقية . وكان كل ما نتصل بهم من
الأساتذة هناك يطبقون على تعظيمه وإكباره ،
وينعتونه بالعلامة البحر . حتى إذا تحولت
إلى الجامع - جامع الزيتونة الأعظم كعبة
العلوم الإسلامية والعربية بإفريقية ،
رأيت فيه علما لا نظير له في الشيوخ
والمدرسين ، يتميز عن جميعهم بكمال الذات
والأدوات ، وبعد الغور ، واتساع النظر ،

وشمول المعرفة . وقد اقتضى ذلك فيما أحسب حسن تخرجه على شيخنا الأستاذ الإمام والده أطال الله عمره المبارك ، وأخذ به بالمنهجين المتكاملين والوجهتين المتلاقيتين فيه ، الأصالة والتفتح .

يشهد لأصالته مارواه وسمعه وقرأه ودرسه ودرسه من أمهات الكتب الحليلة والمصنفات العظيمة المعتمدة في العلوم اللسانية والشرعية جميعا . فقد حضرنا دروسه للمطول ، والبيضاوى بحاشية الشهاب ، والعقائد النسفية ، وجمع الجوامع للجلال المحلى . وهو إلى عظيم غوصه ، وبديع تقريراته ، وكمال تدبره لتلك المؤلفات وما كتب عليها ، جليل المحاضرة ، جميل المذاكرة ، عجيب التدقيق والتحرير للقضايا ومسالكها ، والمسائل ومتفرعاتها . لا يكاد يسأل في شيء إلا أجاب عنه ، مع شرح ومقابلة وتفصيل وتعليل . وهو إلى هذا الجانب العظيم فيه الذى ينفرد به يضم إلى كمال الدراية حسن الرواية في هذا العصر ببلدنا ، لا يعرف ذلك منه إلا النزر اليسير من طلابه والمنتسبين إليه .

وقد خصنى - رحمه الله وبرد ثراه - بعد دراسة طويلة عليه ، وانقطاع كامل إليه بالإجازة العامة في كل ما قرأته عليه وسمعته منه ، وما يتحمله من شيوخه من الطرق . وأتحفى بعد ذلك من بين تلك الأسانيد بأعلاها وأكملها قائلا في التمهيد له : « وهذا السند العزيز الغالى هو ما لا نعلم أحدا في الدنيا يحدث به الآن غير والدنا - أدام

الله عزه - وهو ، زيادة على خصوصية جمعه بين الصحيحين ، يكون أعلى إسناده مجمع على استيفاء شروطه يحدث به في الصحيحين ، إذ يكون فيه بين الابن الخباز وبين الإمامين البخارى ومسلم ثلاثة عشر راويا ، ويكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة عشر راويا في ثلاثيات البخارى » . وكتب لى ذلك شاهدا به على نفسه « كتب الله له في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، في يوم الأربعاء خامس شهر رمضان المعظم من سنة ست وستين وثلاثمائة وألف » .

ثم قرأت بين يديه موطأ الإمام مالك ، وهو بمسك بيده الشريفة نسخة ، وكتب لى في آخر نسختى ، عند تمام التلاوة ، ما نصه :

(الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم . قرأ على ابنى العزيز محمد الحبيب ابن الخوجة جميع الأحاديث التى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأقواله وأفعاله وإقراراته من مسند أو مرسل أو بلاغ مما تضمنته برواية يحيى عن مالك فى الموطأ . وكانت قراءته بهذه النسخة ، غير معتمد على طبعها لما فيها من تحريف ، قراءة تحقيق وإتقان قدر الطاقة فى أربعة أيام ، وذلك بالمسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة . وكان الحتم بعد صلاة العشاء من ليلة الجمعة لأربع بقين من ذى الحجة

سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف بالروضة
الشريفة بين منبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبره الكريم ، محمد الفاضل ابن
عاشور) .

ومن لطيف الأسانيد التي تحملتها منه
وأقرأ بها الجامع الصحيح لأمر المؤمنين
في السنة أبي عبدالله محمد بن إسماعيل
البخاري المسلسل بالمحمدين :

محمد الحبيب ابن الخوجة ، عن شيخى
وأستاذى سيدى محمد الفاضل ابن عاشور ،
عن والده سيدى محمد الطاهر ، عن جده
الشيخ محمد العزيز بوعتور ، عن شيخ
الإسلام محمد ابن الخوجة ، عن الشيخ
محمد بن التهامى الرباطى ، عن محمد بن
عبد السلام النصاصرى ، عن محمد بن الحسن
التطاوى ، عن محمد بن عبد العزيز الحنفى ،
عن محمد بن علاء الدين البابلى ، عن الشيخ
محمد حجازى ، عن الشيخ محمد الغيطى ،
عن محمد بن محمد الزنجى ، عن محمد
الحضيرى ، عن محمد المراعى ، عن فخر
الأئمة محمد القرقشندى ، عن محمد بن فليج ،
عن محمد بن مسلم الحنبلى ، عن محمد
ابن أحمد بن عبد الرحيم المقدسى ، عن محمد
ابن عبد الواحد ، عن محمد بن أبي القاسم
القطان ، عن محمد ابن محمد الحفيد ، عن
محمد بن طاهر المقدسى ، عن محمد بن
عبد الواحد البرار ، عن محمد بن أحمد

ابن حمدان ، عن محمد مكى ، عن محمد
ابن يوسف الفريرى ، عن الإمام محمد
محمد بن إسماعيل البخارى .

وليست هذه الأسانيد مقصورة على
رواية الحديث النبوى الشريف أو العلوم
الشرعية بل له منها ، كما تدل على ذلك
الإجازة العامة ، ما يضبط روايته الكتب
الأدبية ، ومن ذلك سنده الذى نروى به
ديوان الحماسة عن طريق أبي العلاء المعرى
الذى كان أعلم أهل عصره به - عن أبي
عبد الله النمى ، عن أبي رياش ، عن
عبد السلام البصرى ، عن أبي المطوف
الأنطاكى ، عن أبي تمام .

وتنطق بتفتحه محاضراته التاريخية والأدبية
ودروسه فى الفرق وفى المناهج الأدبية وما
كان يتعرض له أثناء ذلك من آراء وأفكار
للمستشرقين وغيرهم بالنقد والمناقشة
والتصحيح بعد مطالعات واسعة وشاملة
لكتبهم ، وتحليل دقيق لمواقفهم ، سواء
منها ما يتصل باللغة أو الأدب أو القرآن أو
التاريخ أو الحضارة العربية الإسلامية .
وقد كان العامة والخاصة ينشالون مع الطلاب
على حلقاته أو فصله أو قاعة المحاضرة التى
يكون بها ، يغترفون من معينه الذى لا
ينضب ويتلقون عنه ما لا يستطيعون الحصول
عليه بمفردهم فكان يفرغ فى أسماعهم
نتائج مطالعاته المختلفة المتنوعة مرتبة منسقة
مصفاة لا تشوبها شائبة غموض أو لبهام
ولا يكدرها توقف أو حيرة .

فعلى أساس تلك الأصالة المثالية التي تشد
راحلتنا الكريم بمصادر اللغة العربية ومنابع
التشريع الإسلامى ومناهج الفكر والنظر فى
الثقافة والحضارة الإسلامية التي تجعله لا
يصدر فى شأن من شئونه إلا عن ملاحظة لها
وتقدير لحايتها ومراعاة وحفاظ على قوانينها
وأذواقها ، وعلى أساس هذا التفتح النير
الذى كان به الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
الرجل الأصيل مواكبا لعلوم وثقافات
وحضارة عصره ، عائشا زمنه ، منتبها
لكل ما يجرى به من تغير وتطورات ،
متفاعلا معه تفاعلا ينأى به عتق القعود
والرجعية ويدفع به إلى الإصلاح .

قامت شخصية الراحل العزيز وتركزت
جهوده وأعماله ، فكان الشيخ الحليل
وأستاذ الأساتيد ، إليه المرجع فى كل
عويص ، وعنده المصدر لكل بحث قد زاد
فى تعلق الناس به ، وإقبالهم عليه ، وحرصهم
على زيارته والاتصال به ، بره واحتفاؤه
بكل من يلقاه منهم ، وإعائته ومجاملته لكل
من يقصد إليه فى حاجة أو مهم . ولم تعرفه
فقط حلقات الدرس والمجالس العلمية والأدبية
بل تجاوز نشاطه ذلك الحد ليكون شأنه فى
مجتمعه شأن العالم المسلم والرجل المصلح الذى
ينهض بأعباء قومه ويعنيه من أمرهم ما يعينهم .
فوقف إلى جانب العمال الذين استولى على
شئونهم المستعمرون ، وألهوهم بالتنظيمات
النقابية التي سخروها لخدمة مصالحهم .
فدعاهم بداعى الإسلام والإيمان للتكتل
والتجمع ، والخروج من ذلك السلطان

القاهر القاهر إلى سلطان وحدة وطنية
ترعاهم بعنايتها وتشملهم برحمتها ورعايتها
وهكذا بخطبه الحماسية الإيمانية ودعوته
الإسلامية الدينية بعث منظمة للشغاليين -
أسندت إليه رئاسته الشرفية - قابل بها
منظمة العمال الفرنسية .

وتنقل - وأنا فى معيته - من أجل التأليف
بين عناصر العمال ، والإحكام لروابط
الحركة القومية النقابية من أقصى البلاد إلى
أقصاها يخطب فى المساجد والنوادي يدعو
إلى الإئتلاف وراى الحركة الشغيلة التونسية .
فكان صوته يرن فى كل مكان وكلماته
تردد على جميع الأذان تعرض على الاتحاد
وتحث عليه . ومن كلمة فى مثل هذه المواطن
قوله بمدينة صفاقس فى اجتماع نقابى :

« وهكذا قامت نقابة المدرسين ومعلمي
المدارس القرآنية لتطبيق المبادئ الإسلامية
فى تأييد العامل ونصرة الشغل . فالشريعة
الإسلامية قد أزال كل معنى من معانى
التفريق ، والفوارق الظاهرة حكمت بتميز
الطبقات ، على أن فى كل عصر كانت فيه
مبادئ الإسلام مطبقة ، كانت فيه الفوارق
معدومة ، فالحروب أو الفتن التي تقوم بين
الطبقات الاجتماعية إنما هى ناشئة على غير
مبادئ الإسلام . فمن واجب المسلم أن
يشعر بما يربط بينه وبين أخيه من موثيق
الأخوة التي هى أمتن من النسب . فالمدار
على الاتحاد القلبي لا على ما يرتديه الشخص
من البرنس الأبيض والرداء الأزرق » .

وقد كانت روحه الوطنية العارمة التي يذكها إيمانه بالعروبة ويصهرها تمسكه بالإسلام هي التي حملته مع بعض إخوانه زعماء الحركة الوطنية على إقامة مؤتمر ليلة القدر الذي زج بأثره مع ثلة منهم إلى السجن . وبهذه الروح أيضا شارك في العمل التحريري الحزبي ، وخطب على منبر معهد البحوث الإسلامية داعيا ، بعد التحليل والدرس لأوضاع العالم العربي والإسلامي ، إلى وجوب التفكير في تمتين الروابط بين مختلف أقطار الجامعة الإسلامية ، وبذلك الروح أيضا احتفل وأقام مهرجانات عيد العروبة .^٣

فكانت العناصر الثلاثة المقومة لشخصيته ، وهي الوطنية والعروبة والإسلام ، بادية في كل عمل يأتيه أو أثر يصدر عنه ، لا يشعر بواحد منها على حساب الآخرين ، ولا يخضع للمفاهيم الضيقة التي تعنيها أو توجه إليها الحركات الانفصالية التي لا تهدف إلى ما يهدف إليه في اتجاهه القومي التونسي المغربي العربي الإسلامي . وهو كذلك دائما ما قامت الحقيقة الإسلامية في النسب الإقليمية والعربية فإذا ضعفت تلك الحقيقة لم يحتفل بالنسب لأنها فقدت جوهرها وعمدت القوة المحركة فيها ، والدافعة لها .

بهذه الروح وتلك المبادئ طبع دراساته الإسلامية والأدبية كالحركة الفكرية والأدبية في تونس في فجر هذا القرن ، وأعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي . وأركان

النهضة الأدبية بتونس ، ثم عنون لها بتحليلاته الفلسفية ومواقفه الإصلاحية .

فالإسلام في اعتقاده فكر ونظر ، يملك طاقات عجيبة ، ويصنع بذاته لمعتقيه أصول النهضة كما يرسم لهم مناهج الحضارة ومسالك الرقي والازدهار . أكد ذلك عند حديثه عن نسبة التفاعل بين الكندي وبغداد حين قال :

« فالإسلام يدعو البشر إلى سبيل من النظر العقلي : يسلكونه متجردين عن آثار الوراثة والعصبية ، متخلصين من تضارب القوى الذهنية ، بين عقلية وإحساسية وإعتقادية ، حتى يصلوا بأنفسهم إلى إقامة الحكمة الحق : المتجانسة مع العقل الصحيح والفطرة السليمة الجامعة لما تشتت بين مذاهب الحكماء من صواب المنزهة عما علق بها من خطأ ، حيث تكون العقيدة بنت عقل إرادي جعل الوجود كله ميدانا لحركته » .

وهكذا تتجه الفلسفة الإسلامية اتجاهها الخاص بها ، فتختلف في مادتها بعض الاختلاف عن مادة فلسفة السابقين ، وتتبع منهجا مفردا يميزها عن غيرها ، ويكون لها به الغنى عنها والظهور عليها . ولتوضيح ذلك وتقريره يمضي شيخنا قائلا :

« وما كانت الفلسفة الإسلامية بحاجة إلى هذه المادة من فلسفة الأوائل لتنبع منها وتتكون بها ، لأنها فلسفة تخرج من صميم العقيدة الإسلامية ، ولكنها كانت بحاجة إلى

الحكمة القديمة لتجمع أطرافها . وتسيطر عليها بالبحث الفاحص والحكم الممحض ثم لتخرج منها فلسفة جامعة مهيبة قوامها روح النظرة الإسلامية ، ومادتها كل ما أنتجته الأوائل من آراء وما سلكت من مذاهب ، ومنهجها التقريب بين كل ماظنه الأوائل متباعدا ، والتأليف بين ما حسبته متنافرا ، وخاصة في ما بين العقل والعقيدة والطبيعة وما بعد الطبيعة .

وعلى هذا النحو من تحليل الفلسفة الإسلامية أو النظر والفكر الإسلامى ببيان خصائصه وإبراز ظواهره ومميزاته يتجه العلامة المرحوم شيخنا الفاضل إلى التفريق أولا بين العلم والمعرفة والثقافة ليتخلص من ذلك إلى الحديث عن مقومات الثقافة الإسلامية وما تتميز به ذاتيا عن غيرها من الثقافات . وهنا يظهر العمق الذى يعالج به هذا الموضوع الدقيق . وهو قبل أن يحلل ركائز الثقافة الإسلامية الأربع يمهّد لذلك بقوله :

« وإن الثقافة الإسلامية ذاتية للإسلام ، ناشئة عن خصوصيات تعاليمه ، وخصوصيات المناهج التربوية التى كونت بها الدعوة الإسلامية أمة الإسلام ، فرديا واجتماعيا ، فى الاعتقاد والفكر والسلوك . وبذلك كان للثقافة الإسلامية منهجها الذى اختلف عن جميع المناهج الثقافية ، وسارت به المعرفة والحضارة فى تاريخ الإسلام سيرة ذات مميزات هى التى برز بها التفكير الإسلامى

على النحو الذى برز عليه فى التاريخ الوسيط وهذا المنهج الثقافى الإسلامى يقوم من خصوصيات تتحقق من تلاقيها وتفاعلها ماهية الثقافة الإسلامية . وتعتمد تلك ، الخصوصيات على أربعة أركان : الروح والمادة والوضع والحركة .

فإذا فقد ركن من تلك الأركان ، فأعوزت المادة الروح ، أو خانت الحركة الوضع ، حصل مامنه نستغرب اليوم ، وما هو مشاهد من فروق بين العالمين الأوربى والإسلامى .

« فان حركة تداول التراث العلمى بينهما ثلاثة قرون لم تكن نتائجها بين العالمين متساوية ولا متقاربة بل كانت فما يظهر للعيان متعاكسة فإذا كان اقتباس الغرب عن الإسلام قد أفاد تقدما واستقلالا وتفوقا ، فإن اقتباس الإسلام عن الغرب لم يفده عزة ولا استغناء ولا ارتقاء بل أصابه بخنوع متواصل وتبعية متظاهرة وما زاده إلا خبالا .

ولن يعود شأن المسلمين إلى المستوى الثقافى السليم الاصيل الا متى شعروا بأن العلم الرياضى والطبيعى سند للعلم الدينى ودعامة من دعائمه وأن العلم الدينى روح توجه بها المدارك العلمية الرياضية والطبيعية .

« فهناك يعود العالم الإسلامى إلى الأصالة الفكرية ، وينزع عن التقاليد ، وتبدو عبقريته بالإسلام كما بدت به أولا ، إذ يستمد من ذاتيته الإسلامية روحاً ثقافية

متجانسة مع روحه الاعتقادية ، تجعل التعليم الإسلامى باللغة القرآنية أصلا للتعليم فى مراحل كفاة ، ينمو مع نمو الفرد طبيعا وفكرا ويمتد إلى طلب المعارف واللغات طلبا حثيثا بدافع من الذات ، ولغاية زكية سامية من الدين ، فيدرك أن منهجه الإسلامى هو منهجه الأصلى لا التقليدى ، وأنه لن يبلغ مبلغ الأهم التى يتطلع إلى اللحاق بها ، إلا إذا طلب العلم على منهجه الذاتى ، وبدافع من نفسه كما طلبت هى العلم على منهج ذاتى لها وبدافع من أنفسها . سنة الله ولن نجد لسنة الله تبديلا .

فالروح الإسلامى ، والتربية الدينية ، والوازع الدينى ، والتمسك باللغة مع مراعاة متطلبات العصر ومقتضياته والاستجابة لمستلزمات رقيه وتطوراته هى الأصول النظرية والطرائق العلمية ، التى جاهد فقيدنا العزيز فى تركيزها ، وعمل مخلصا من أجل الدعوة إليها والحث على التمسك بها . أعلن عن ذلك فى غير ما مناسبة وصرح به فى مقامات مختلفة ، تنطق بذلك بحوثه ودراساته عن منهج الثقافة الإسلامية ، وعن روح الحضارة العربية ، وعن التشريع الإسلامى وغيرها ، كما تردد صدق ذلك ندواته ومحاضراته وخطبه بوطنه وخارج وطنه .

فله ما بذل الراحل الخالد فقيدنا العزيز أبو عياض محمد الفاضل ابن عاشور ذلك الداعى ، المجاهد فى سبيل اللغة والإسلام ، المكافح المناضل فى سبيل إرساء قواعد الثقافة العربية وبعث وتجديد الحضارة ،

الإسلامية جزاه الله عن العربية والإسلام خيرا ، وأفاض عليه من شآبيب الرحمة ، وواسع المغفرة ما يرفع مقامه فى عليين ، ويحشره به مع عباده المخلصين من الشهداء والصالحين ، وأحسن أوائك رفيقا : □

ولانى وأنا أخلفه فى مقامى هذا ، وقد بوأتمونى - شكر الله لكم - مقعده بينكم لأوجه من هذا المكان إلى روحه الزكية الطاهرة ، وهو فى دار الخلد ، هذه التحية الخالصة من ابن بار به ، يعرف حقه عليه ، ويحاول قدر الطاقة الجهرى على سننه والالتساء به فى ما كان له عنوانا من الفضائل الخلقية والكمالات العلمية . وأرجو الله أن يكتب لى من التوفيق ما أكون به عند حسن ظنكم جميعا ، وأن يمدنى بعونه وأيده كما أسهم معكم - لا زلتى للغة الضاد حماة ، ولأعجابه دعاة ، ولروائعها بناء - فى الخدمات الجليلة التى تقومون بها والأعمال العملية التى تعكفون عليها والجهود الجبارة التى ما فتئتم تبذلونها قصد حماية العربية وصونها ورعايتها وتعزيزها . أقدرنى الله على أن أكون حريا بالانتساب إليكم والعمل معكم وسدد خطانا جميعا للاطلاع بأعباء المسؤوليات الثقيلة التى تنوء بها كواهلنا من أجل أن نعيد للغة القرآن شبابها وماسلف من زاهر عهودها وأن نحقق لها الانطلاقة الكبرى بفضل ما توفر لها من شمول واتساع مادة وحيوية تجعلها دوما ثابتة ولتطورات الزمان ومقتضيات الحضارة الجديدة مواكبه .

في الساعة الخامسة من مساء الأربعاء ١٣ من شوال سنة ١٣٩١ هـ
الموافق اول ديسمبر سنة ١٩٧١ م اقام المجمع في دار الجمعية المصرية
للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع حفل تأبين للمفطور له الدكتور
عبد الرزاق السنهورى عضو المجمع ، ولهما يلى الكلمات التى القيت
في الحفل :

الدكتور عبد الرزاق السنهورى

كلمة الأستاذ زكى المهندس

في تأبين المرحوم

مصطفى نظيف ، الذى اغتالته المنية فجأة
ثم ودعنا بعده الزميل الكريم المرحوم الأستاذ
عبد الفتاح الصعيدى الذى دهمته سيارة
وهو في طريقه إلى المجمع ليشارك في حفل
تأبين المرحوم الأستاذ مصطفى نظيف .

وما نحن أولاء نجتمع الليلة لتكريم ذكرى
راحل كريم ثالث وهو المغفور له الدكتور
عبد الرزاق أحمد السنهورى . لقد وافته المنية
في شهر يونيه الماضى حين كان المجمع في
عطلة السنوية . وكان قد اعتكف عنا عامين
كاملين ، أخذ يصارع فيها المرض ، ولكنه
انتهى إلى حيث أراد الله لكل حى أن ينتهى .

لقد كانت خسارتنا فيه فادحة وفجيعتنا
فيه أليمة ، وقد ترك بيننا فراغا ليس من السهل
أن يشغله سواه ، على أننا إذ نبكى السنهورى
الليلة ، فإننا لانبكى فيه عضوا مجمعيًا ممتازا

سيداتى ، ومساتى :

لقد كان السيد الدكتور طه حسين رئيس
المجمع ، حريصا على أن يشارك في تأبين
الفقيد الكريم ، ولكن نظرا لحالته الصحية
فقد اضطر إلى الاعتكاف والاعتذار ،
ولأنى باسمه وباسم المجمع أحبيكم وأشكر
لحضراتكم كريم مواساتكم لنا في تأبين
الفقيد . ولأنه ليعز علينا أن نرى الموت
يختطف زملاءنا واحدا وراء الآخر وفي
فترات متقاربة ، فما تكاد دموعنا تجف على
[زميل راحل حتى تعود فتهمر على زميل
آخر ، ففي عام واحد ودع المجمع ثلاثة من
أعضائه العاملين الذين كان يعتز بهم ،
ويعتمد في تحقيق رسالته على علمهم ونشاطهم .

لقد ودع المجمع في صدر دنيا العام
الزميل الكريم والعالم الجليل المرحوم الأستاذ

فحسب ، ولكننا نبكى فيه عالما من أعلام القانون ، ورائدا من رواد الفكر والثقافة .

نبكى فيه عالما تجاوزت كفايته القانونية حدود بلده وشع ضوؤها على كثير من البلاد العربية . ولعل أصدق ما وصف به السهورى أنه « ديفامو » عمل ونشاط ؛ فقد اجتمع له من صفات الصبر والجلد والقدرة على مواصلة العمل ، ما لم يتهيأ للقليل جدا من الناس .

وأذكر أنى اجتمعت به ذات مساء

فى لجنة من لجان وزارة المعارف وهو يومئذ وزيرها ، وفى أثناء الاجتماع انطفأ النور وطالت مدته وشاء الرفاق أن يؤجلوا عمل اللجنة إلى موعد آخر ، ولكنه أبى وأصر على أن تتم اللجنة عملها وأمر بإحضار بعض الشموع ، وظلت اللجنة تعمل فى ضوء الشموع حتى عاد التيار .

هذا - أيها السادة : - هو فقيدنا الذى نجتمع الليلة لتكريم ذكره ، رحمه الله وطيب ثراه ، وجعل الجنة مستقره ومثواه .

• • كلمة الدكتور محمد مصطفى القللى

سيداتى ، سادتى

فقدنا الأستاذ الإمام : فقدنا رجل القانون النابغة الفذ الدكتور عبد الرزاق السهورى ، وقلمما يجود الزمان بمثله . ذلك قضاء الله ولا راد لقضائه ، ولا حيلة إلا الصبر والامثال لمشيئته . . . إنا لله وإنا إليه راجعون

إن الخطب جلل والحسارة فادحة ، لا لمجمع اللغة العربية وحده ولا لمصر وحدها بل وللشرق كله ، ولعالم القانون بصفة عامة .

كان - عليه رحمة الله - نسيج برد وحده . فلماذا بكيته فلانما أبكى فيه أمة مجتمعة فى شخصه

نبكى فيه العالم المتبحر والباحث المدقق والأستاذ المتمكن والمؤلف الفياض والمشرع الحصيف الثاقب النظر ، والقاضى النزيه الجرى العادل ، الذى لا يرى إلا الحق سلطة تعلو على سائر الرعوس ، والذى ينتصر للمظلوم ولو كان من خصومه والحاquدين عليه ، ويقتص من الظالم وإن كان من أقرب الأقربين إليه ، أو كان له النصيب الأوفى من الهيمنة والسلطة الغاشمة . نبكى فيه الوطنى الغيور المخلص فى وطنيته ، والاشتراكى الصادق النظر المدرك لأوجاع أمته ، نبكى فيه الرسول المؤمن برسالته ، والعربى الوفى

لعروبته ، العامل على استعادة مجدها والتقريب بين أبنائها وتوثيق الألفة بين قلوبهم .

نبكى فيه كل هاتيك الفضائل والمناقب :
تعددت ميادين جهاده وتنوعت المهام التي اضطلع بعثها ، وامتد نشاطه إلى سائر البلاد العربية أستاذ ومؤلفا ومشرعا . وتوالت أبحاثه ومؤلفاته فيضا غزيرا في القانون وخاصة في القانون المدني ، فخاض لنا ثروة علمية طائلة لا يدانيه فيها أحد ، وتراثا خالدا من محكم البيان وصائب التفكير ، ونموذجا رائعا لحسن الأداء وسلاسة التعبير . كنز ثمين لا تبلى جدته ، وذخر دائم لا غنى عنه لرجال القانون على اختلاف مشاربهم في سائر البلاد العربية .

لقد مكنه من كل هذا الإنتاج الضخم وهياً له تلك المنزلة السامية سواء في مصر أو في الوطن العربي بصفة عامة ما حباه الله به من مواهب عقلية وخلقية فذة وما استقر في قرارة نفسه وأمام ناظره من مثل عليا تغياها طول حياته :

منحه الله عقلا منطقيا مرتبا ، وذهنا نافذا لا يرضى بالقشور أو السطحيات ، وإنما يعمل في تودة حتى يكشف عن أصول الأشياء ويصل إلى كبد الحقيقة . وأفرغ عليه صبورا وطول أناة في كل ما يفعل . فكان جلده وتفانيه في العمل مدعاة للإعجاب بل وللإشفاق عليه . إنما ذلك كله يرجع إلى حبه لفنه . فقد كان محبا لفنه إلى أقصى درجات الحب . وهذا هو سر تفوقه وإنتاجه الغزير

في هذا الميدان . كان يضحى في سبيل عمله بكل الاعتبارات أيا كانت . كان عمله وخاصة في ميدان القانون والقانون المدني في الطليعة هو متعته وغداؤه ، وهو سلوته وهو هناؤه . وكانت أسعد الأوقات تلك التي يقضيها بين كتبه وأوراقه يطالعها ويناقشها ويستوعب ما فيها ، أو مع إخوان من الصفوة الممتازة يجادلونه ويجادلهم في شتى المسائل وخاصة المشكلات القانونية . ولم يكن يضمن في هذا السبيل بوقته أو براحته أو بصحته . تعرض له المشكلة فلا يزال يقلب فيها ويجزئها ، ويستعرض سائر وجوهها ومختلف الاحتمالات في مجاباتها وحلها . ويتناقش مع المختصين فيها ، ويستمع إلى كل رأى وإن كان يسرف في معارضة رأيه ومناقضته ، كل ذلك في صبر وفي جلد ودون أدنى ملل مهما طال النقاش ، كما لو لم يكن أمامه في الحياة سوى تلك المشكلة ، يتأمل فيها ويراجع من سبق أن عالجوها ويستوعب آراء من يتناقشون معه . وبعد هذا الدرس وهذا التحصيل يستخلص النتيجة التي ينتهي إليها فإذا بها آية في سداد الرأى وسلامة التفكير ، تدل على تلك العقلية المنطقية المرتبة وعلى ذلك الذهن النافذ الوقاد .

كان يؤمن إيمانا عميقا وجوب سيطرة القانون . فالقانون هو صوت العدل مجسما يبين للناس كافة حدود حقوقهم والتزاماتهم سواء في علاقة الأفراد بعضهم ببعض أو في علاقتهم بأرباب السلطة العامة والقباضين على

مقابلتهما . والقانون روح قبل أن يكون نصا
ومعنى قبل أن يكون حرفا ، ولهذا يجب
أن يكون تعبيرا صحيحا عن الوضع العادل
السليم ، يستهدف المصلحة العامة في غير جور
أو حيف أو محاباة . ولهذا أيضا لا بد أن
يرسخ في نفوس الحاكمين والمحكومين وجوب
احترامه والإذعان لأوامره ونواهيه . ذلك
لأن القانون هو الذى ينظم سير الناس في
طرقات الحياة ، ويحدد أبعاد ما لهم وما عليهم .
فهو الدرع الواقى لكل فرد سواء في نفسه
أو في ماله أو في عرضه أو في كرامته . وعلى
أساس القانون السليم العادل يجب أن تقيم
الأمة بناءها وإلا انهار كل ما تبنيه أو يتخيل
البانون أنهم يقيمونه . كانت هذه نظرة
الكريم الراحل . نلمس أمثلة عليها بارزة في
قراراته وأحكامه وهو رئيس لمجلس الدولة ،
وفي مشروعاته الدستورية التى عهد إليه
بوضعها . وفي الحق أن القانون أشبه بشرطى
المرور ينظم لأفراد الشعب سيرهم في طرق
الحياة . وبلدتهم فيه سلطة القانون أشبه
بطريق مزدحم بالمسارة خال من إشارات
المرور ومن ينظمه . ومؤدى ذلك دون
ما ريب فرضى لاحد لها ، واختلال ضحيته
الضعفاء والراجلون .

وكان عليه رحمة الله - في هذا السبيل صلبا
في الدفاع عن الحق الذى يمثله القانون عنيدا
في اللود عن حياضه . اختطفته السياسة
فترات ما لتفيد من عبقريته ومن نبوغ فكره
وهو في غرتها كالعهد به طول حياته ،

عادلا في تصرفاته مستهدفا المصلحة العامة
دون سواها ، مضحيا في خدمتها بوقته وصحته
أبعد ما يكون عن التطلع إلى كسب مادي
أو مظهر ما من زيف الحياة ، مما يتكالب عليه
الناس ويتسابقون ويتفانون في الوصول إليه ،
ولم يكن ينسى وهو في دوامات السياسة فنه
الحبيب وأبحاثه في القانون المدنى خاصة ، فلم
تنقطع صلته به بل ظل يوالى تأليفه ومحاضراته ،
وعدت عليه تيارات السياسة أيضا ضيقا
بحيدته وطمعا في إمالته ، فلم يهن ولم تفل
عزيمته . وظل كما هو كالطود الراسخ
لا تلين قناته ولا يلتوى عوده ، شديد الإيمان
بالله وبعدائه وبأنه جل شأنه ناصر للحق وإن
طالت غشاوته .

وكان في طليعة المؤمنين بأن وحدة الشعوب
العربية غاية أولى يجب أن تتضافر الجهود من
كل النواحي لتحقيقها . ففي ذلك القوة الحقة
للعروبة وإعلاء كلمتها في المجال الدولى ،
والوسيلة الناجعة لاستعادة مجدها ورد كيد
الحاقدين عليها والطامعين في ثروات أقطارها .
وكان في دنا الميدان الحندى الباسل والداعية
الحصيف الرأى والثاقب النظر . فأخذ
يستعين بنف للتقريب بينها ، وذلك عن طريق
توحيد الشافة القانونية وتوحيد التشريعات
أو تقاربها . بهما ينهل أبناء البلاد العربية في
هذا الصدد من معين واحد وتربط بينهم في
معاملاتهم وتصرفاتهم أيا كانت أنظمة واحدة
وتؤلف بين قلوبهم أصول ومبادئ راسخة
لديهم مؤمنين بها جميعين عليها .

كان السنهورى - تغمده الله برحمته - شخصية نادرة تنوعت مواهبه وتعددت مآثره . وكانت حياته صورة مشرفة للعاملين [المخلصين المجاهدين ، ومثلاً عالياً جديراً أن يحتذيه الناشئون ويجرى على نهجه الحاكمون والمصلحون . وكم يطول بي المقام بعد هذه النظرة المجملية لو حاولت أن أحصى آثاره ومناقبه . وحسبى أن أستعرض فى عبارات موجزة خطواته فى الحياة وثمرات إنتاجه ، وكلها صفحات ناصعة وضاعة ، هى ماثار للإكبار والإعجاب وعلى مثلها فليعمل العاملون .

نشأ الفقيه الكرم بالإسكندرية . وكان مولده بها فى سنة ١٨٩٥ . وبعد أن أتم دراسته الابتدائية بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية التحق بمدرسة رأس التين الثانوية ثم بالمدرسة العباسية وحصل منها على شهادة البكالوريا سنة ١٩١٣ وكان ترتيبه الأول بين الناجحين فى القسم الأدبى . ثم التحق بمدرسة الحقوق بقسم المنتسبين وحصل على ليسانس الحقوق سنة ١٩١٧ وكان ترتيبه الأول بين خريجي ذلك القسم . وعين فى ذلك العام بالنيابة العامة . ثم عن رغبته حللته سنة لتدريس مادة القانون بمدرسة القضاء الشرعى خلفاً للمرحوم الأستاذ الكبير أحمد بك أمين . وإذ أعيد إرسال البعثات الدراسية للخارج عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى أوفد صيف سنة ١٩٢١ إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه فى القانون فالتحق بكلية الحقوق

فى ليون . وهناك كان اتصاله بالعلامة الكبير الأستاذ إدوار لامبرت الذى كان فيما مضى ناظراً لمدرسة الحقوق الخديوية . وكان لهذا الاتصال أثر كبير فى توجيه النشاط العلمى للمرحوم الدكتور السنهورى . ذلك لأن الأستاذ لامبير كان زعيم المنادين بأهمية دراسة القانون المقارن فى ذلك فائدة محققة سواء من حيث دراسة القانون القائم أو البحث فى مجال التشريع عن أصلح الأنظمة وأوفها بحاجيات الأفراد ، وتقرير الأحكام العادلة فى معاملاتهم وشئى تصرفاتهم . وفعلاً أنشأ الأستاذ لامبرت معهداً للقانون المقارن . وعن هذا الأستاذ الحليل أشرب المرحوم الدكتور السنهورى حبه للدراسات المقارنة . وقد أسهم فعلاً بنصيب كبير فى هذا المجال فى المقارنة بين القوانين الوضعية وأحكام الشريعة الغراء .

ومن كلية الحقوق بليون حصل على الدكتوراه فى العلوم القانونية سنة ١٩٢٥ وكان موضوع رسالته « القيود التعاقدية على حرية الفرد فى العمل » . وقد عنى فيها خاصة بدراسة أحكام القضاء الإنجليزى وتناول فيها بحث المعايير القانونية المرنة مقارنة إياها بالقواعد الجارية . ثم حصل على الدكتوراه فى العلوم السياسية والاقتصادية سنة ١٩٢٦ وكان موضوع رسالته « الخلافة الإسلامية وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية » . وحصل كذلك على دبلوم معهد القانون الدولى بجامعة باريس .

وهكذا نرى أنه قد اتسعت آفاق دراساته
القانونية فناول في تحصيله مواد القانون
الخاص والقانون العام ولا سيما مادة القانون
الدولى .

وبعد أن أتم دراساته في الخارج عاد إلى
مصر سنة ١٩٢٦ وعين مدرسا بكلية الحقوق .
وربما لا يعرف الكثيرون أن الدكتور
السهرى ذلك القطب العملاق في القانون
المدنى عندما عاد من بعثته في الخارج كان
المقرر أن يعين لتدريس القانون الدولى .
ولكن نظرا لعدم نخلو المكان في ذلك الوقت
عهد إليه بتدريس القانون المدنى فتفوق فيه
وأبدع ، وكان له ذلك الإنتاج الضخم الغزير
الذى يعد ثروة غالية وكثرا ثميننا لرجال
القانون . وليس هذا بمستغرب فالفضل في
ذلك إنما يرجع إلى تلك العقلية الجبارة
والعبقرية الموهوبة وما يلقاها إلا ذو حظ
عظيم .

وسرعان ماتخطى درجات الترقى بالكلية
حتى صار أستاذا للقانون المدنى . وفى كلية
الحقوق تجلى نبوغه وبرزت شخصيته
الفاضلة العظيمة . فكان الأستاذ العطوف
على تلامذته ، القريب إلى قلوبهم ، المحب
إلى أسماهم ، المتفانى في تثقيفهم وإرشادهم
وتيسير عويص المشكلات أمامهم ، يحرصون
كل الحرص على محاضراته ويترسمون
أسلوبه ومنطقة فيما يلقيه أو يكتبه . وأخذت
تنوال مؤلفاته القيمة . فأخرج في سنة ١٩٣٠
كتابه في « شرح عقد الإيجار » جرى فيه على

نهج علمى ممتاز . ثم أخرج سنة ١٩٣٤
مؤلفه الشامخ « فى نظرية العقد » وهو يقع
فى نحو ألف صحيفة من القطع الكبير . وكان
هذا الكتاب بحق فتحا علميا جديدا فى الفقه
المدنى فى مصر ، وتلقاه كبار رجال القانون
وخاصة من أساطين القضاء بكل تقدير
وترحيب .

وقد نشر بعد ذلك كتابه « الموجز فى
النظرية العامة للالتزامات » فى ٧٥٠ صحيفة
وهو مرجع مبسط شامل لطلاب القانون .
كما أخرج كتاب « أصول القانون » بالاشتراك
مع الأستاذ الدكتور أحمد حشمت أبوستيت

وفى سنة ١٩٣٥ ندب عميدا لكلية الحقوق
فى بغداد بالعراق فاصطحب معه نخبة من
خيرة الشبان الأكفاء . وهناك وضع الأسس
السليمة التى قامت عليها دراسة القانون وأرسى
قواعد النظام المحكم لكلية الحقوق ببغداد .
وكان حصيفا وعمليا فأفرع جهده فى المواءمة
والمقارنة بين المبادئ الحديثة فى القانون المدنى
وبين « أحكام المجلة » التى كانت سارية
بالعراق وقتئذ ، ووضع مؤلفين فى هذا
الصدد لطلاب الكلية . وطلب منه وزير
العدل المرحوم رشيد على الكيلانى مشروعا
للقانون المدنى فلم يتمكن إلا من وضع مشروع
لعقد البيع .

ولم تطل إقامته بالعراق . وبعد عام عاد
إلى مصر واختار معه العشرة الأوائل من
أبناء كلية الحقوق ببغداد وألحقهم بكلية

الحقوق بالقاهرة . وكان من هؤلاء نواة الأساتذة العراقيين الذين اضطلعوا بتدريس القانون هناك فيما بعد .

وفي أواخر سنة ١٩٣٦ انتخب عميدا لكلية الحقوق بالقاهرة . ثم نزعته السياسة من التدريس إلى القضاء المختلط في سنة ١٩٣٧ فكان القاضي النابه بن زملائه من القضاة الأجانب . ثم اختير مستشارا مساعدا بقلم قضايا الحكومة .

وحدث أن استجابت الحكومة في ذلك العهد إلى ماسبق أن نادى به من قبل من وجوب وضع قانون مدنى جديد للبلاد . فقد سبق أن نشر مقالا مسهبيا في هذا المعنى بمجلة القانون والاقتصاد في سنة ١٩٣٦ في العيد الخمسينى للمحاكم الأهلية . ولذا نزلت الحكومة عند فكرته هذه شكلت في أول الأمر لجنة لتعديل القانون المدنى ، وكان السنهورى من أبرز أعضائها . ثم انتهى الأمر بإسناد مهمة التعديل إليه وحده في سنة ١٩٣٨ . وكان أن انقطع لوضع مشروع القانون المدنى ، أفرع فيه جهده مستعينا في ذلك بنخبة من خيرة رجال القانون الأكفاء ، واشرك معه في أول الأمر أستاذه العلامة الحليل إدوار لامبير . وفي هذا المشروع سد ما بالتشريع القائم من ثغرات على ضوء ما جرت به أحكام القضاء واستقرت عليه ومادعت إليه ضرورات الحياة والأخذ والعطاء بين المتعاملين ، وما اهتدى إليه المشرعون . مختلف البلاد الراقية تحقيقا

للعادل فيما نجم عن تطور أساليب الحياة وما ترتب عن ذلك من مشاكل وتضارب بين الحقوق والالتزامات وساعده في مجهوده الموفق في هذا المشروع تضلعه في أحكام الشريعة الغراء وسعة اطلاعه فاقتبس منها وأفاد منها أيا فائدة .

وانتهى وضع مشروع القانون المدنى الحديدي سنة ١٩٤٥ ثم مر في مجلس النواب والشيوخ بعد إدخال تعديلات قليلة عليه وصدر في أواخر شهر يولييه سنة ١٩٤٨ . وأكشف لكم هنا عن ناحية مشرفة في عمله الحليل الذى تفانى في إنجازه تدل على زهده وإكباره للمعنويات دون الماديات . فقد عرضت عليه الحكومة القائمة وقتئذ مبلغا ضخما لقاء الجهد المضنى الذى بذله في هذا العمل العظيم وأصح عليه وزير العدل حينئذ الحاحا شديدا فرفض بكل إباء ، وأنا أعلم في يقين مدى حاجته وقتئذ ، وآثر أن يقدم صنيعه خدمة للوطن ولا يبتغى عليه أجرا فأجره عند الله ، والله عون له ورازقه ، فهو هو عبد الرزاق كما كان دائما ، خدمة القانون والقانون وحده هدفه وغايته .

وقد رأى من واجبه أن يشرح للمطلعين والباحثين ذلك القانون الذى وضعه . فقام بتأليف كتابه القيم « الوسيط في شرح القانون المدنى » وهو مؤلف في عشرة أجزاء استغرق في تأليفها عشرين سنة . وكل جزء منها يتكون من ألف صحيفة أو يزيد ، وبعض الأجزاء يتكون الواحد منها من مجلدين .

وقد أتم الجزء الأخير من هذا الكتاب وهو في مرضه الأخير ، ولم يقعه المرض عن تنفيذ ما عزمه ، ولتمام رسالته التي يؤمن بها حق الإيمان . وهذا الكتاب موسوعة مسهبة في القانون المدني ، وهي ذخيرة علمية لاتداني . وكما يقول عنها بحق أحد الأساتذة الأجلاء : « إنها تذكرنا بالمجلدات الضخمة التي كان يعكف على تأليفها فقهاء الإسلام في العصور الأولى ويفرغون لها العمر كله . ولكن الغرابة تزول إذا ما عرفنا أن ذلك المؤلف الذي اضطلع بكل هذا العبء وحده هو الدكتور السنهوري » .

ولمعاناً في خدمة المادة والتيسير على الطالبين والباحثين كان يعتزم - كما أفصح عن ذلك في مستهل كتابه « الوسيط » - لإخراج موجز يقتصر فيه على بيان الأصول والقواعد الأساسية ، وكذلك لإخراج شرح مستفيض في مؤلف باسم « المبسوط » . وقد أثر أن يبدأ بالوسيط فهو كما أشار إليه بمثابة الحلقة الوسطى من عقد واحد تجمله فيصبح وجيزاً وتفصله فيصير مبسوطاً .

وقد أصدر فعلاً في سنة ١٩٦٦ كتاب « الوجيز في نظرية الالتزام بوجه عام » ، لخص فيه الأجزاء الثلاثة الأولى من الوسيط وهو يقع في ١٣٠٠ صفحة . وكان في نيته أن يلخص كل ثلاثة أجزاء من الوسيط في جزء واحد من « الوجيز » .

وفضلاً عن هذه المؤلفات نشر الفقيه

أبحاثاً ومقالات عديدة باللغة العربية واللغة الفرنسية في مختلف المجالات العربية والأجنبية ، وكلها كسب عظيم للثروة العلمية . أسوق منها خاصة ما يأتي :

باللغة العربية :

١ - تنقيح القانون المدني وعلى أي أساس يكون (الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية سنة ١٩٣٣) .

٢ - من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدني العراقي (مجلة القضاء العراقية سنة ١٩٣٦) .

٣ - مشروع تنقيح القانون المدني المصري (مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٤٢) .

٤ - الروابط الثقافية والقانونية بين البلاد العربية (المجلة المصرية للقانون الدولي سنة ١٩٤٦) .

٥ - عقد البيع في مشروع القانون العراقي (مجلة القضاء العراقية) .

٦ - الانحراف في استعمال السلطة التشريعية (مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥٢) .

٧ - تطبيق نظرية الظروف الطارئة (مجلة المحاماة سنة ١٩٦١) .

٨ - الإسلام والشرق (السياسة الأسبوعية ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٢) .

٩ - الوحدة العربية (في ثلاث مقالات)

(مجلة الرابطة العربية سنة ١٩٣٦)

وباللغة الفرنسية :

١ - المعيار في القانون (في مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ جيني سنة ١٩٣٧) .

٢ - الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصرى (في مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ لامبير سنة ١٩٣٨) .

٣ - المسئولية التقصيرية (بالاشتراك مع المرحوم الأستاذ الدكتور حلمى بهجت بدوى ، في مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٣) .

٤ - المسئولية التقصيرية في الشريعة الإسلامية (مجموعة بحوث مؤتمر القانون المقارن بلاهاى سنة ١٩٣٧) .

٥ - الشريعة الإسلامية أمام مؤتمر القانون المقارن بلاهاى (مجلة القانون والاقتصاد سنة ١٩٣٧) .

٦ - مجلس الدولة (بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور عثمان خليل عثمان ، في مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥١) .

ومن نواحي عظمة البشورى العلمية تمكنه من الشريعة الإسلامية . فقد كان يؤمن بأن فقهاء الشريعة قد خلفوا كنوزا ثمينة من خير ما تنتج القرائح وتهتدى إليه العقول الناضجة في التخريح والتدليل والعمل على تحقيق المصالح بين الناس . ولذلك

كان يرى أن الشريعة الغراء مصدر عظيم من مصادر التشريع . وله في هذا الصدد بحث رائق باللغة الفرنسية بعنوان « الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصرى » وقد نشر في مجموعة البحوث المهداة إلى الأستاذ لامبير كما سبق وأشرت إليه . وقد عكف على دراسة الشريعة دراسة عميقة ومفصلة . ولم يقتصر في ذلك على منهب معين بل تناول المذاهب المختلفة بالبحث والتحليل والمقارنة . ولهذا لم أدهش حينما قرأت لأحد تلامذته النابهن أنه سمع من أحد الثقات أن الأساتذة المتفرغين لدراسة الشريعة الإسلامية في الجامعات البريطانية يعتبرون السهورى دون أدنى جدال الإمام الخامس بعد الأئمة الأربعة .

وإن أنس لأنسى جهده الرائع الموفق في مؤتمر القانون المقارن الذى عقد في لاهاى في صيف سنة ١٩٣٧ . فقد صاحبه أنا ونخبة من أساتذة كلية الحقوق كأعضاء في ذلك المؤتمر الذى كان يتناول موضوعات مختلفة في شتى فروع القانون . كان الفارس المحلى في ميدان أبحاث القانون المدنى وفى المقارنة مع أحكام الشريعة الغراء بوجه خاص والدفاع عنها ضد من يتجنون عليها ، وما أكثرهم ، ويردون إلى القانون الرومانى فضل ما جادت به قرائح الفقهاء وثمرات اجتهادهم .

ومن آثاره الخالدة في خدمة الفقه الإسلامى ما قام به في معهد الدراسات العربية العليا . فقد تقدم لمجلس جامعة الدول العربية بمشروع

لإنشاء معهد للدراسات العربية ووافق المجلس على إنشاء المعهد في مارس سنة ١٩٥٢ . وعين السهوري رئيسا لقسم القانون بالمعهد منذ إنشائه وظل رئيسا له حتى أواخر سنة ١٩٥٩ . وقد قام بإلقاء المحاضرات في الفقه الإسلامي ونشرت هذه المحاضرات على نفقة المعهد في كتابه « مصادر الحق في الفقه الإسلامي » وهو ذخيرة قيمة ويقع في ست أجزاء . وقد طبعه المعهد ثلاث طبعات .

ولم يقتصر نشاطه في مجال القانون على الدرس والنظر ، بل أن آثاره في ميدان العمل والتطبيق بارزة عديدة . فقد عمل في المحاماة في فترات متقطعة أكثرها طولا ما بين سنتي ١٩٤٢ و ١٩٤٥ وله في هذه الحقبة مذكرات قيمة قدمها لمحكمة النقض في قضايا خطيرة حدثني عنها أحد تلامذته النجباء الذين عملوا معه في تلك الفترة ، وخص بالذكر منها مذكرة مستفيضة في أكثر من مائتي صحيفة كان لها صيت مدو وكان موضوعها : « وصية غير المسلم وخضوعها لأحكام الشريعة الإسلامية » . وتعتبر مرجعا علميا ثمينيا في بابها . وما يوثق في شأنه في عالم المحاماة أن أرباب القضايا كان يعجبون لتواضعه في تقدير أتعابه وفي رفض القضايا المجزية .

ومن أروع آثاره الخالدة في ميدان العمل والتطبيق والتي تعد بحق خدمة جليلة للعروبة وللتقريب بين أبنائها نواحي نشاطه في مجال التشريع . فقد قصدت إليه أغلب البلاد العربية لتفيد من غزير علمه وواسع خبرته

في وضع تشريعاتها الحديثة . فوضع للعراق قانونها المدني الذي جمع فيه بين أحكام القوانين الوضعية العصرية وأحكام الشريعة الإسلامية . إذ كان الساري في العراق من قبل « مجلة الأحكام العدلية » . وهي مجموعة قواعد قانونية مستمدة من الفقه الإسلامي على مذهب الأمام أبي حنيفة جرى العمل بها منذ التبعية فيما مضى للدولة العثمانية . وقد رأى بصادق نظره أن لا يقطع الصلة بين الماضي والحاضر وآثر التدرج على الطفرة .

كذلك قام عليه رحمة الله بوضع القانون المدني في سوريا وقانون الينيات وهو يشمل قواعد الإثبات الموضوعية وإجراءاتها ، كما وضع القانون المدني في ليبيا، وتكفل بوضع جميع قوانين الكويت الأساسية ودستورها وكذلك وضع الدستور السوداني . وكان آخر عمل تشريعي قام به في البلاد العربية مشروع وضع دستور لاتحاد إمارات الخليج العربي، ولكنه لم يتمكن من إتمامه نظرا لحالته الصحية التي لم تكن تساعد على السفر إلى تلك المنطقة لدراسة ظروفها وعوائدها وتقرير ما يلائمها . كذلك وضع لإمارة البحرين مجموعة من القوانين العصرية قال عنها أحد الأساتذة المحترمين أنها تعد من المفخر التشريعية .

ومن الصفحات الخالدة الوضاعة في تاريخه عهد رئاسته لمجلس الدولة ، وما بدا منه في ذلك العهد من مواقف حازمة جريئة وما قرره من مبادئ سامية عادلة صونا للحريات

وكبحا لافتيات السلطات الحاكمة وعنتها .
وليس من المبالغة في شيء إذا قيل بأنه حين
يذكر مجلس الدولة فإنه يذكر مقرونا باسم
السنهوري . فقد جعل من مجلس الدولة حصنا
منيعا لحماية حريات الأفراد وملاذا أميناً من
عدوان الحاكمين .

لقد تولى رئاسة ذلك المجلس في سنة ١٩٤٨
وظل به حتى عام ١٩٥٤ . وفي تلك الفترة
عمل جاهداً على أن يحقق على خير وجه الغاية
التي من أجلها أنشئ ذلك المجلس . وقد
عبر عن ذلك في تقريره سنة ١٩٤٨-١٩٤٩
بقوله : « إن مجلس الدولة له رسالة جليلة
سامية ، فهو يقف إلى جانب الإدارة
المصرية يعاونها فيما تحمل من أعباء وتبعات
ولأول مرة في تاريخ مصر الحديث يقوم
مجلس الدولة ويصبح حقيقة واقعة .
بل لعله أن يكون حقيقة رائعة . روعته أن
الإدارة المصرية أعلنت بقيامه أنها تقف
إلى جانب الحق والقانون لا تظلم ولا تتعسف »
« وأن صدرها يتسع للشاكي يناقشها الحساب
فتتصفه أو تتصف منه . وروعه أن الأفراد
والجماعات يرون فيه غوثاً للملهوف ولذا
للغائد وموثلاً للحريات » .

وحسبي أن أشير إلى بعض المبادئ
الجوهرية التي قررها والمواقف الحميدة
التي حرص عليها والتي تعد مفخرة في سجل
مجلس الدولة .

في قمة المبادئ السليمة التي أرساها حق
القضاء في رقابة دستورية القوانين ، وذلك

خلافاً للرأي الراجح في ذلك الوقت :
أوضح في بيان مفهم أن السلطة القضائية
وهي تراقب تقدير السلطة التشريعية لا تقوم
بعمل تشريعي يحول دونه مبدأ الفصل بين
السلطات ، ولكنها تقوم بعمل قضائي محض
هو تعرف القانون الواجب التطبيق في النزاع
المطروح أمامها . فإذا تعارض التشريع مع
الدستور وجب عدم تطبيق التشريع
المخالف وتطبيق الدستور سيد القوانين في
البلاد .

ومن تصرفاته العادلة الرشيدة انتصاره
لحرية الصحافة ، فقد وقف بالمرصاد لما
كانت تقرره الحكومة من تكيم حرية
الصحف وتعطيلها . لقد أدرك بثاقب نظره
الصادق أن حرية الكلمة وحرية الصحافة
خاصة هي أول ضمان للحريات عامة ،
وأن حرية الصحافة سياج واق من عبث
الحاكمين وطغيانهم . ولهذا أصدر بوصفه
رئيساً لمجلس الدولة القرارات بوقف ما كانت
تصدره الحكومة من أوامر بتعطيل بعض
الصحف رافضاً أن يعتبر القرار الصادر بتعطيل
جريدة أو برفض الترخيص بإصدارها
أو إلغاء الترخيص عملاً من أعمال السيادة ،
واو كان صادراً من مجلس الوزراء . واتبع
هذه القرارات بالفصل في الموضوع من
محكمة القضاء الإداري بإلغاء القرارات
الإدارية الصادرة من مجلس الوزراء . سار
على هذا النهج في إنصاف الصحف حتى وإن
كان أربابها من خصومه .

كذلك وقف في حزم وصلابة ضد امتناع بعض الوزراء وقتئذ عن تنفيذ الأحكام التي تصدر من مجلس الدولة ، ووصم هذا الامتناع بأنه مخالفة قانونية خطيرة لأصل من الأصول التي تملها المبادئ الدستورية العليا ، وقضى بأن هذا يعد خطأ جسيماً يندرج تحت الجرائم التي يعاقب عليها جنائياً ، ويعد خطأ الوزير الذي يقدم على ذلك مستوجبا لمسئوليته الذاتية في ماله الخاص عن التعويض المطالب به دون خزانة الدولة .

وتفيض أعداد مجلة مجلس الدولة في عهده بأحكامه وقراراته العادلة الحكيمة ، وتروى مواقف الحازمة الحريثة ضد تحدى بعض الحكومات التي كانت تضيق به ذرعا في أوائل عهده ، وتحاول أن تحمله على التخلي عن منصبه . ولكنه ظل كالطود الراسخ مؤمنا ببادئه السامية المحايدة بعيدا عن التحيز أو الغرض لا يعبأ بالتحدى وتعطيل وجوه الإصلاح التي كان يقترحها للنهوض بالمجلس .

أن ذكره العطرة في مجلس الدولة تحدث عن مثل عال ضربه لما يجب أن يكون عليه القاضي من النزاهة والعدل ، فلا يخشى في الحق لومة لائم ولا يبطئ رأسه لصاحب النفوذ مهما علا قدره وأمعن في عتوه وعدوانه . وقد قرأت للسيد ضياء شيت خطاب رئيس ديوان التدوين القانوني بالعراق أن إحدى الصحف البريطانية قالت في تعليق لها على احتدام المرحوم السنهوري : « ليت في بريطانيا قضاة مثل هذا الرجل » .

ولم جانب نشاطه القانوني الفياض علما وعملا كان له نشاط في ميدان الإدارة والسياسة فقد عين وكيلا لوزارة العدل كما عين وكيلا لوزارة المعارف ثم وزيرا لها مرتين . وكان في كل هذه المراحل هو هو معدته الأصل لا يتغير ، هدفه المصلحة العامة أولا وآخرها مضحيا في ذلك بمصالحه الخاصة وبراحته ، وتصرفاته في مختلف الشؤون والمشكلات لا يبغي من وراءها إلا وجه الحق والإنصاف ، لا يقعه في هذا السبيل أية اعتبارات مهما كان شأنها . وقد ترك في وزارة المعارف آثارا جلية . وكان من أول ما عني به وضع سياسة ثابتة للتعليم يكون قوامها إنصاف المعلم وتوفير الاستقرار والكرامة له مع توسيع قاعدة التعليم وتوجيه الطلاب إلى ما يتلاءم مع احتياجات المجتمع من أنواع التعليم الفني ، الزراعي والصناعي ، الذي لا جدال في أنه دعامة أساسية لتقوية البنيان الاقتصادي للدولة . كذلك عمل على دعم سلطة المناطق التعليمية واستقلالها ، كما عني كل العناية بالتوسع في إنشاء دور التعليم المصرية في السودان .

هذا وقد أوفد إلى مؤتمرات دولية عديدة . ففضلا عن المؤتمرات القانونية التي شهدا ، كان رئيس الوفد المصري إلى لندن في مؤتمر فلسطين سنة ١٩٤٦ ورئيس الوفد المصري في الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٦ وعضوا في الوفد المصري الذي تقدم بشكوى مصر ضد إنجلترا أمام مجلس الأمن سنة ١٩٤٧ .

ويتوج هذه المواهب النادرة والمناقب التي ذكرتها ما كان للفقيه العزيز من شأوعظيم في مجال اللغة وآدابها . فقد أوتي حظا كبيرا في تحصيلها ، وبدا ذلك جليا رائعا في مؤلفاته وعديد كتاباته . وهو دون أدنى ريب في طليعة الأفذاذ في أدب العبارة في القانون . يمتاز أسلوبه بالرصانة والأحكام والسلاسة ، وكان مجددا في تعبيراته التي يستعملها موقفا في اصطلاحاته التي يبتكرها . كان مثالا فريدا في بلاغة الأداء وسهولة التعبير . وستظل مؤلفاته وكتاباته نموذجا يحتذى في حسن البيان والإفصاح عن المراد في عالم القانون .

وقد حظى مجمعنا بانضمامه إليه في سنة ١٩٤٦ فأسهم بأرائه واقتراحاته الناضجة . وقد عرض فكرته حول تطور لغتنا العربية ومسايرتها لتطور المجتمع وحاجياته في مؤتمرات المجمع .

ومما ذكره في ذلك المقام قوله في مؤتمر عام ١٩٤٨ ما يأتي :

« اللغة العربية ليست مقصورة على ما قاله أسلافنا وأجدادنا في العصور السابقة ، بل هي تتسع لتشمل ما نقوله نحن في عصرنا الحاضر . ولا يملك الأموات من هذه اللغة أكثر مما يملك الأحياء » .

ثم يستطرد ويقول :

« هناك وجه شبه حقيقي فيما بين اللغة العربية والفقه الإسلامي ، هو في أن الفقه واللغة

على السواء مصادرهما واحدة . مصادر الفقه الإسلامي كما تعلمون الكتاب والسنة ، أي النص ، ثم القياس والإجماع . ومصادر اللغة العربية هي أيضا النص ، وهو هنا ينحصر في هذه الألفاظ والعبارات التوقيفية التي ورثناها عن أجدادنا الأولين والتي يأبى بعض منا إلا أن يقف عندها ، وهم في ذلك يعتبرون أهل الظاهر في اللغة ويقابلون أهل الظاهر في الفقه . ثم القياس ، وبه يقول فيما أعلم جمهور الزملاء في المجمع ، فيستنبطون صيغة من أخرى سماعا وقياسا ، ويشتقون وينحتون . ثم الإجماع وهذا هو المصدر الذي أحب أن أسترعى إليه أنظاركم ، فإن الإجماع في اللغة كالإجماع في الفقه مصدر جوهري ، وهو الذي يكفل التطور في اللغة كما كفل التطور في الفقه . وقد لا يريد بعض منا أن يعترف بهذا المصدر أو يقره . ولكنه مصدر يفرض نفسه ، وتحتّمه سنن الوجود ، ويقتضيه القانون الطبيعي . واللغة التي لا يعترف بالإجماع مصدرا لها لغة لا تلبث أن تنطوي على نفسها ، ثم تذبل وتموت ، والذين ينكرون الإجماع مصدرا للغة ، ينكرون على هذه اللغة أن تعيش .

والإجماع معناه حق المساواة ما بين السلف والخلف . وهو حق هؤلاء جميعا في أن يصنعوا لغتهم على قدر حاجتهم ، فيكون لكل جيل نصيب في ذلك . وكما أن الذي يراه المسلمون في الفقه حسنا فهو عند الله حسن ، كذلك ما يراه الناطقون بالعربية

في جيل من الأجيال حسنا فهو في اللغة حسن .

لأنستطيع أن ننكر على أى جيل حقه في أن يساهم في صنع لغته ، وفي أن يبتدع من الألفاظ ما يفي بحاجاته ، وما يتمشى مع حضارته ، ومتى فعل ذلك فإن الألفاظ التي ابتدعها تكسب مكانا مشروعاً في اللغة لا يجوز لأحد إنكاره . »

هذا هو النابغة العظيم الذي نفتقده اليوم . كان منارا للعلم وداعية للحق ، ومعلما أميناً ارتوى من فيض علمه قولا وكتابة آلاف الطالبين والباحثين . كان نورا تجلى في سماء البلاد العربية كافة ، أضاء لها سبل الحياة عن طريق القانون ، وعاملا على التأليف بن قلوب أبنائها وتوحيد تفكيرهم والتقريب في الأخذ والعطاء بينهم .

وقد رأت الدولة حلوكعبه وسمو منزلته فمنحته أخيراً سنة ١٩٧٠ جائزة الدولة التقديرية تكريماً له واعترافاً بفضله . والسنهوري من ذلك الطراز الذي ترتفع به الوظائف وتزدان به الجوائز . وهو من حيث تقدير العارفين في سائر الوطن العربي في أعلى عليين .

ولئن غاب شخصه الكريم عنا فستظل ذكراه خالدة أمد السنين ، وسيظل المرشد الأمين والحكيم الصائب الرأي ، يستنجد بترائه وينهل منه الطالبون والمدافعون والقضاة والمشرعون ، ويحتكم إلى سداد رأيه المتنازعون والمتقاضون . فهو السند الأمين لصاحب الحق ، ومطلع النور في الظلمات الخسومة ، وصائب الرأي ما أفتى به وما قاله السنهوري .

رحمه الله رحمة واسعة وأنزله فسيح جناته في عداد الأبرار الأخيار المخلصين .

• • قصيدة الأستاذ محمد عزيز أباطة

الحليم الذي يتوج بالغفرا
ن آلاءه على عبْدانه^(١)
كل حيّ فان . وما الحيّ إلا الله
سه في حوله وفي سلطانه

ظلم الموت ، إن في أحضانه
مرفاً للغريق في أشجانه
ومجازاً إلى جوار طهور
ساكب حوله سنا رحمانه

(١) عبدان وعبيد جمع عبد

والردى راصد . وكل ابن أنثى
بين فكَّيْهِ مُنْظَرٌ لأوانه
يتلقى الصباح في أردانته
ويراه المساء في أكفانه
ما الحياة التي نعيش غرور
نحن نلتذذ على بهتانه
إن حب البقاء غشَّى^(١) على المو
ت وحض الورى على نسيانه
غَيَّبَ الموتُ شافعيَّ^(٢) زمانه
وأصاب القانونَ في بُرهانه
يعظم الخطب في العظيم إذا لم
يَرَقَ راقٍ إلى عوالي مكانه
نكَّسَ الفقه رأسه يوم أودى
وانطوى سامداً^(٣) على أحزانه
أى صافٍ منه تدافع سهلاً
مُعْجِزاً من جَنَانِه لبَنَانِه
صاحبَ الفقه منذ هلَّ صَبَا الفقه
سه إلى أن أشعَّ^(٤) في ريعانه
راضٍ للباحثين جامعَه الصَّغْـ
بَ وأرعى لهم عَصِيَّ عِنَانِه
وحبَّاهم من المراجع بالغَيْـ
ثِ نُضِيءُ الشُّرُوحِ في هَطْلَانِه
مُغْنِيَاتٍ عن غيرِهِنَّ جَلَالُه
نُ بَعِيدُ الْآفَاقِ مِنْ إِمْكَانِه
صَادِرَاتٍ عَنْ رَأْيِه . لَا يَسُوقُ الـ
حُكْمَ إِلَّا إِنْ صَحَّ فِي مِيزَانِه
جهد فردٍ تَغْيَا المَجَامِعُ ذَاتُ الـ
عَزْمِ عَنْ صَوْفِه وَعَنْ إِتْقَانِه
صَفْوَةُ الْقَوْلِ أَنَّهُ عَبْقَرِيٌّ الـ
سَجِيلِ غَيْرُ الْمَسْبُوقِ فِي مِثْلَانِه
ذو حَيَاةٍ فِي فَضْلِه . حِينَ بَعْضُ الـ
خَلْقِ ذُو خَيْلَةٍ^(٥) عَلَى نُقْصَانِه
جَمْعَ الشَّرْقِ وَحْدَه فَتَلَاقِي
فِي دِيَابِيجِ عِلْمِه وَبَيَانِه
مِنْ أَقَاصِي خَلِيجِه لِدَمَشْقِ
مِنْ طَرَابُلُسِه إِلَى بَغْدَادِه^(٥)

(٢) السامد : المجهول المتحير

(٤) الخيلة : الكبر والعجب

(٥) إشارة إلى أن الفقيه هو الذي سن قوانين الكويت وليبيا وسورية والعراق وغيرها .

(١) الإشارة الإمام الشافعي رضي الله عنه

(٣) أشعت الشمس : تلالاً نورها

وطوى العرب عند ضفاف من التَّقْ

نين أعلى وشد من أركانه

فجنوا من نضير بستانه الفي

نان أبهى ما رف من ألوانه

وانتشوا من رحيق راووقه^(١) العد

ب وضموا الصفوف حول دنانه

لم من شملهم طراز من التش

سريع باتوا في أمنه وضمانه

ثم عادوا إلى التخاذل مفتت

سين في خلقه وفي إعلانه

أه لو يخلصون لانبعث الشر

ت وردت له نباهة شأنه

اختلاف الآراء قد يلد الخي

ر ويبني إن عف عن شنانه

إن هذى الحياة وهى صراع

لم توطأ لقابع في هوانه

رب وميض مبشر لاح في الأف

في سنبلو غدا مدى لعانته

نههوا الحزن إنه في رفاته

حط عنه ما مضى في حياته

حط عنه الأذى يشن فيشقى ال

حر في وقده وفي لفحاته

سادن العدل أعرض العدل عنه

ساخراً من يقينه وحصاته

رأيه العذر عد من سيئاته

والإباء الوقور من سقطاته

وعظيم الرجال يغرى به الحق

يد فيضفى السنا على حسناته

حسد الحاسدين يغضى عن السف

ح ويرى للطود في شرفاته

إن رأى الإنسان ضرب من العر

ض ، هما الأكرمان من حرمانه

فإذا ساقه اشتطارت قوى الش

ر فالتوت برزقه أو بذاته

ولذا البغي لم تنله فأمهل

له تفل الأيام حد شبابه

ليس حكماً ؛ حكم يشق من الإز

هاب مهواته إلى شهواته

ليس شِعْباً ؛ شَعْبٌ يَقْرُ على الضَّ	كَادَ لولا حَيَاؤُهُ وَجَلالُ الـ
يَمِ وَيَشْفِي غَلِيلَهُ في نِكَائِهِ	سَعْلِمَ يَروى أَساءُهُ في عِبْرَاتِهِ
إِلَيْهِ عَبْدُ الرِّزَاقِ أَضْفَى عَلَيْكَ اللـ	لَمْ يَمِتْ عَالِمَ جَماهِيرُ أَهْلِ الـ
هُ مِنْ فَضْلِهِ وَمِنْ رَحْمَاتِهِ	سَفِيحُهُ مَهْمَا يَشْعَبُوا مِنْ رُواتِهِ
وَتَوَلَّاهُ مِنْ رِضاَهُ بِفَيْضِ	لا . ولا المَشْرَعُ الخِصْمُ الَّذِي فـ
يَتَوَالى عَلَيْكَ في جَنائِهِ	مَجْرَتْ لِلشَّرْقِ فَاسْتَقَى مِنْ فُرَاتِهِ
يُكْرِمُ اللّهُ نافعَ النَّاسِ قَبْلَ الـ	أَنْتَ حَيٌّ وَإِنْ طَوَّنَكَ المَنابِيا
مُنْطَوِي في صِيامِهِ وَصَلَاتِهِ	وَمِنْ النَّاسِ مَيِّتٌ في حَيَاتِهِ
جَزَعِ المَجْمَعِ الوُقُورُ وَهَلْ يَجْـ	
سَزَعُ إِلَّا لِلصَّمِّ مِنْ نَكْبَاتِهِ	

● ● كلمة الأسرة للأستاذ حنفي محمود الفزاري

أساتذتي الأجلاء :	الخطباء الأجلاء ، تلك الكلمات الفياضة بكل
سيداتى وسادتى :	معاني الإجلال والإكبار ، الزاخرة بكل
	عواطف الوفاء والإخلاص—أن تجعلوا منه
	حفلاً يمدنا بأسباب الزهو به ؛ فقد أصبحنا
	أسرة أخرجت إلى الأمة عظيماً من عظمائها .
يوسفنى أن تغيب عن هذا الحفل كريمة	على أن الراحل العظيم لم يكن فرداً في
الراحل العظيم؛ إذ هى فى خارج البلاد تواصل	أسرة وإنما كان واحداً في أمة، عاش حياته
دراساتها العليا فى صحبة السيدة والدتها .	يعمل لها وينشر فقهه ، ويطوف ببلاد الأمة
	العربية يضع دساتيرها وقوانينها ليقيم أقوى
	عناصر الوحدة بينها .
ولقد أريد لهذا الحفل أن يكون حفل	
تأبين للفقيد الكبير، ولكنكم استطعتم بشرف	
حضوركم وأنتم الصفوة المختارة من رجال	
العلم والقانون وما دوى فى أرجائه من كلمات	

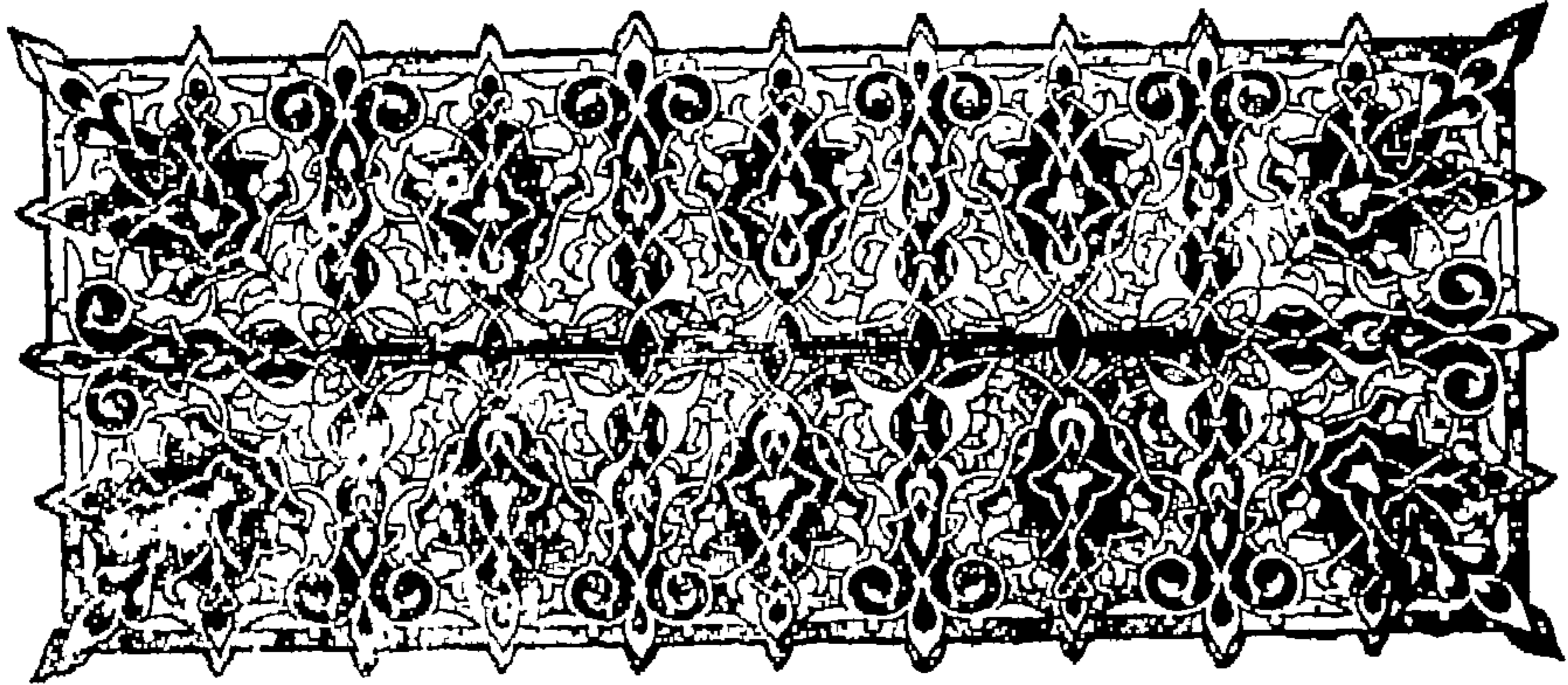
ولقد سعى سعيه يبتغي الحياة في مواجهة الموت، فدانت له الحياة، وبقي بقاء فقهه وعلمه وإن ذهب عنها كما يذهب أصحاب الرسائل؛ فالراحل العظيم من هذا ينتمى إلى أسرته القانونية التي ظل عقله ينبض بحبها، مكرسا حياته لها. وليس أمامي إلا أن أعترف بأنه فقيدكم قبل أن يكون فقيدنا .

لقد كان يغالب عدوا واحدا هو الزمن فقد كان يسابقه خشية أن يحين الأجل قبل أن يفرغ من تدوين علمه وفقهه .

ومعذرة إذا رأيتم أن هذه الكلمة قد خالطها لسان واحد من تلاميذه فوق لسان واحد من أسرته؛ إذ أن أجداد الرجل العظيم هي حديث أمته لا حديث أسرته .

ويكفيينا - نحن أسرته - أن يكون لنا شرف الانتساب إليه .

أطال الله بقاءكم، وجزاكم عنا خير الجزاء .



الام المجمع في دار الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء
والتشريع في الساعة السادسة من مساء الثلاثاء ٣٠ من ذي الحجة
سنة ١٣٩١هـ الموافق ١٥ من فبراير سنة ١٩٧٢ ، حفل تأبين للدكتور
قبرى حافظ طوقان عضو المجمع من الاردن . وفيما يلي ما القى في الحفل:

الدكتور قبرى حافظ طوقان

كلمة الأستاذ زكى المهندس في تأبين المرحوم

سادتى

إنه ليحز علينا أن نجتمع الليلة لتأبين زميل
كريم وعالم جليل هو المنفور له الأستاذ
الدكتور قبرى حافظ طوقان .

لقد تركت وفاته في نفوسنا الحزن ،
وأعمق الأسى .

لقد كان رحمه الله - يتابع أعمال المجمع عن
كثب ، وكان عاملاً نشيطاً يمدنا بكثير من
بحوثه ومقالاته ، وقد نشرنا له في مجموعة
البحوث ثلاثة لها بحوث قيستها وأثرها .

على أن الفجعة في طوقان ، ليست فجعة
المجمع وحده ، أنها فجعة الأداة العربية بأمرها
لأنها فجعة العلم والعلماء في كل قطر عربى .

لقد استطاع - طيب الله ثراه - بمؤلفاته
ومقالاته أن يجلو أمامنا أمجاد العرب العلمية ،
وأن يؤكد لنا ما سبق أن أكده بعض المنصفين
من علماء الغرب من أن الطريقة الحديثة في
البحث العلمى مدينة بنشأتها وتنظيمها لجهود
علماء العرب .

فى الوقت الذى كانت فيه أمريكا لا تزال
فى عالم الخفاء وكانت أوروبا لا تزال تعيش
فى جهالة جهلاء ، وظلمة عمياء ، كانت
للعرب طاقات علمية مبدعة خلاقة ، تبحث
وتحال وتلاحظ وتجرب وتصل إلى نتائج
علمية ، كان لما أثرها وخيارها فى نهضة
أوروبا .

على أن الفقيده - رحمه الله - كان من رجال
العالم القلائل الذين اجتمعت لهم دقة العالم
ونخيل الأديب ، وعهدنا بكثير من رجال
العالم أنهم لا يحفلون بالأدب ، ولا يقيمون
له وزناً فى حياتهم ، ولكن فقيدنا - رحمه
الله - كان يعنى بالأدب عنايته بالعلم ، كان
عاماً أديباً ، أو أديباً عالماً . وإذا كان العلم
يمثل العقل الإنسانى فى أعظم صورته ، فإن
الأدب يمثل العاطفة الإنسانية فى أنبل
صورها ومظاهرها .

لهذا كان الفقيده يعنى بالأدب عنايته بالعلم .
إن النزعة الأدبية لم تفارقه حتى وهو يعالج
مسائل العلم . فإذا كان العلم من شأنه أن
يدرّبنا على التفكير المنطقى وعلى التماس الحق ،

وعدم الاسترسال مع العواطف ، ويكشف لنا عن أسرار الكون وأعاجيبه ، فإن الأدب يعالج النفس الانسانية في جميع مظاهرها ويضيء في نفوسنا تلك الجوانب المظلمة . وهو كذلك يغني على أذواقنا رقيقاً وتهدياً وجمالاً .

القدرة على تذوق الشعر والأدب حتى لقد حاولت أن أقرأ شيئاً لشكسبير فلم أظفر منه بطائل ، ولئن أتيحت لي أن أبدأ حياتي مرة أخرى لأفرضن على نفسي قراءة الأدب والشعر كل يوم .

ويحضرني في هذه المناسبة كلمة قالها (داروين) وهو العالم المشهور صاحب نظرية أصل الأنواع ، قال في أسى وحسره ما معناه : إن كثرة مزاويتي للعلم قد أفقدتني

رحم الله الفقيد وجزاه عما قدم للأمة العربية بخير ما يجزى به عباده المخلصين العاملين . أما الآن أيها السادة - فسيتولى تأبين الفقيد نيابة عن المحجم الزميل الدكتور عبد الحليم منتصر ، فليتفضل مشكوراً .

• • كلمة الدكتور عبد الحليم منتصر

لعمري لئن خطفتك المنايا
ووارتك تحت ظلام الحفر
فما زلت في كل نفس تعيش
عبيراً زكاً وضياء غمر

النادرة ، وكتب ونشر وأذاع مئات المقالات والأحاديث والمحاضرات في كثير من الحواضر العربية والأجنبية .

لقد كنا في مطلع نهضتنا العلمية ننقل المعرفة عن غيرنا نقلاً ، ونظن أنها علوم مستوردة كلها من الخارج ، حتى جاءت المدرسة العظيمة والشجرة الباسقة يتزعمها المرحومون مصطفى نظيف وعلي مشرفة وعبد الحميد حمدي والأمير مصطفى الشهابي وقدرى طوقان وأصواتهم تجلجل في المؤتمرات العلمية مصححة تاريخنا العلمي ومطعمة شجرة المعرفة لدى الأجيال الصاعدة بثقافة علمية عربية أصيلة ، وغدت أسماء ابن سينا وابن الهيثم والخوارزمي والبيروني والصوفي وابن يونس والحازن

أيها السادة :
يعز على نفسي جداً ، أن أقف في مكاني هذا ، موثقاً صديق العمر ، زميلنا وفقيدنا العظيم الدكتور قدرى طوقان الذي شارك في جميع المؤتمرات العلمية العربية التي عقدت في العواصم العربية ، وكان خير سفير علمي للفكر العربي في الدول الأجنبية ، وقف حياته على الدراسة والبحث الحصب ، وأنشأ مكتبة تضم الألوف من الكتب والمخطوطات

وجابر وغيرهم كثير . غدت مألوفة لدينا وغدا فضلهم معترفاً به بيننا ، وعرفنا أننا لسنا دخلاء على المعرفة العلمية وإنما نحن أهل أصالة فيها ، وقد رنا فضل هؤلاء على النهضة العلمية العالمية ، هذا الفضل الذى اعترف به المنصفون من الأجانب ، فقالوا إن الحضارة المصرية القديمة هى ينبوع الحضارات جميعاً وإن الحضارة العربية الإسلامية هى الفبع الأصيل للعلوم الطبيعية من كيمياء وطبيعة ورياضيات وفلك وطب ونبات وحيوان ومعادن ، هى النبع الذى تزودت منه النهضة العلمية الأوروبية وإن العلماء العرب فى العصر الإسلامى هم الذين قدموا لأوروبا زاد نهضتها العلمية . ومن الحق أن نقول إن فقيدنا العظيم كان أيسر هؤلاء حركة وانتقالاً بين العواصم الأوروبية والعربية ، فكان خير سفير للفكر العلمى العربى فى كل رجا من أرجاء العالم [حملته إياه قدماءه . ويفضل هؤلاء الأعلام امتدت جذور شجرة ثقافتنا العلمية إلى منابعها الأصيلة ، وأصولها العربية العميقة ، فاستقام عودها وامتدت فروعها ، وكشفت أوراقها وانخضوضرت براعم وأغصانها ، وعرفنا فضل الخوارزمى على الحساب والجبر وأن ابن مسكوية وابن خلدون وإخوان الصفا ، قد سبقوا داروين ولا مارك فى القول بالتطور وأثر البيئة على الأحياء ، وأن الخازن قد سبق تورشيلى ونيوتن ، فى القول بالحاذبية ، وأن ابن الهيثم قد سبق ديكارت وغيره فى الضوء ونظرياته .

وأن جابراً أول من أسس الكيمياء على دعائم التجربة الصحيحة الدقيقة ، وأن الصوفى كان نقطة تحول فى علم الفلك ، وأن الرازى وابن سينا والزهرائى كانوا بمثابة المصابيح التى أضاءت منها أوروبا قناديلها فى القرون الوسطى فى علوم الطب ، وأن ابن النفيس قد سبق هارفى فى كشف الدورة الدموية الصغرى ، وأن الجاحظ لم يكن إماماً من أئمة الأدب فحسب بل إنه لإمام فى العلم التجريبى كذلك بما أجرى من تجارب علمية على الحيوان . وأن ابن الهيثم سبق باكون فى القول بالطريقة العلمية ، وأن ابن يونس مكتشف البندول لا جليليو كما يقال عادة . وأن ماتعرفه أوروبا باسم قاعدة البيرونى أو معادلة البيرونى لإيجاد نصف قطر الأرض ، إنما هو فضل يجب أن يعرفه أبنائنا ومن الخير أن نذكر أن فقيدنا العظيم كان الفارس المحبلى فى هذا الميدان ، ميدان تحقيق التراث العلمى العربى والتعريف به فيقول : إن الروح العلمية عند العلماء العرب والمسلمين ، إنما تتجلى فى إخلاصهم للحقيقة ، وتمجيدهم للعقل ، والتقيد بأحكامه ، مما دفعهم فى كثير من الأحيان إلى مخالفة فلاسفة اليونان .

كما ظهرت روحهم العلمية ، فى عدم إيمان كثير منهم بالتنجيم والدعوة إلى إبطال نظريات تحويل المعادن إلى ذهب وانهم يدفعون إلى صميم الموضوع فى دقة وإيجاز وضبط وإحكام ، تسيطر على هذا كله روح عامية صحيحة وكذلك امتاز أسلوب

الفارابي المعلم الثاني ، وابن سينا المعلم الثالث بالعمق والدقة والاعتماد على المنطق لأنه الآلة العاصمة للذهن من الخطأ ، ومع اعترافهما بفضل المعلم الأول أرسطو ، إلا أنهما يخالفانه في أشياء ويقولان إنه لا ينبغي أن يختار على الحق . ويورد اعتراف باكون بابن رشد كفيلسوف يتعمق ، صحيح كثيرا من أغلاط الفكر وأضاف إلى ثمرات العقول ثروة لا يستغنى بها عنها لسواها . وأدرك كثيرا مما لم يكن قبله معلوما لأحد . وأزال الغموض من كثير من الكتب التي يتناولها بحثه وأثبت أن الغرب اقتبس فلسفة ابن رشد ، وكان من حسناتها أن حلت عقل الفكر الأوروبي ، وفتحت أمامه أبواب البحث والمناقشة على مصاريعها ، وكيف أن الغزالي قد جعل أول شرائط البحث عن الحقيقة أن يكون الباحث ذا عقل مستقل تماما ، فالحقيقة لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق بحث حر مختار . وقد ندد في جميع أعماله وبحوثه بالتفكير الموسوم بالتبعية والتقليد .

ويورد أقوالا مشابهة كثيرة لابن الهيثم والكندی والبيروني ، يتحدث عن شجاعة البيروني الفكرية وحبسه للاطلاع العلمي ، وبعده عن التوهم وإخلاصه للحقيقة وتسامحه . ويدين كيف أنه كان في الواقع عبقريا مبدعا ، ذا بصيرة شاملة نافذة . وقول ابن طفيل بأهمية التجارب وأن أسرار العالم العربي المادى لا تفهم ولا تعرف إلا عن طريق

التجارب المتكررة بعد الملاحظة وإعمال العقل ، فلاشتغال بالأمور المادية والصناعات والعلوم هي الخطوة الطبيعية الأولى في سبيل الكمال الروحي ، ودعوة ابن خلدون أن يفكر العالم فيما تؤدي إليه التجربة الحسية ، وكيف حارب التنجيم بالأدلة العقلية ، وقوله إن الاشتغال بالكيمياء قصد الحصول على الذهب مضيعة للوقت ، قد انتحلها واشتغل بها بعض العاجزين عن معاشهم بالطرق الطبيعية وابتغاء المعاش من غير وجوهه الطبيعية .

وإن فقيدنا العظيم ليدعو الأمة العربية إلى الأخذ بالروح العلمية التي تجلت في التراث العربي عند العلماء العرب والمسلمين تلك الروح التي تمجد العقل وتدعو إلى التجربة والتجديد واحترام الأمانة العلمية والإخلاص للحق والحقيقة ، وتقديس حرية الفكر والاعتناق من أغلال التقليد وتدفع إلى التطور ، وبذلك يدفع المجتمع العربي إلى التقدم المستمر والنمو المتواصل ، وتحول دون تعطيل العقل وتجميده ، فينطلق متحركا خلاقا متتجا في سائر ميادين الحياة . ويلهب فقيدنا العظيم في بحثه عن فاعلية الفكر العربي في نقد الفكر اليوناني ، إلى أن الحضارة العربية ظاهرة طبيعية ليس فيها شذوذ أو خروج عن منطق التاريخ ، فلم يكن بد من قيامها حين قامت ، فقد قام أصحابها العرب بدورهم في تقدم الفكر وتطوره بأقصى الحماسة والفهم ، ولم يكونوا مجرد ناقلين كما قال بعض المؤرخين ، بل

إن في نقلهم روحا وحياة ، وكذلك لم يكن ميكانيكيا فهو أبعد ما يكون عن الحمود .

ففى فلسفتهم عناصر يونانية وهندية وفارسية ، ثم إن فيها ثمرات عبقرية أهلها ، خالفوا أرسطو وأفلاطون وجالينوس - وبطليموس . ويؤيد مذهب إليه سارتون بأنه لو لم ينقل إلينا العرب كنوز الحكمة اليونانية ويحافظوا عليها ، لتأخر سير المدنية عدة قرون ، وأنه كان لا بد من ظهور ابن الهيثم والبيروني والصوفي حتى يتسنى ظهور جاليليو وكبار وكوبرنيك . وأنه أولا أعمال العلماء العرب لا اضطر علماء النهضة أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية . وأن العرب كانوا أعظم معلمين في العالم وأنهم قد نقدوا واتقنوا وعملوا على تحسين وتصحيح وإثراء التراث اليوناني حتى سلموه إلى العصور الحديثة ، وما كان التحسين ، والتصحيح والإثراء ليم لو لا النقد والتمحيص . فقد وضعوا الكتب والمقالات في الشكوك على بطليموس وتصحيح أغلاط أرسطو وجالينوس وأفلاطون .

ويورد قول ابن الهيثم في الشكوك على بطليموس : « الحق مطلوب لذاته ، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده ووجود الحق صعب والطريق إليه وعمر » ، ولما نظرنا في كتب الرجل المشهور بالفضيلة ، يعنى بطليموس القلوذى ، وجدنا فيها علوما كثيرة ، ولما درسناها وميزناها ، وجدنا فيها

مواضع مشبهة وألفاظا بشعة ومعاني متناقضة إلا أنها يسيره في جنب ما أصاب فيه من المعاني الصحيحة ، ورأينا في الإمساك عنها هضمنا للحق وتعديا عليه ويعرض لآراء الكندي الحرثية في نشأة الحياة على الأرض وفي زرقاء السماء الناشئة من انعكاس الضوء على ذرات الغبار وبخار الماء العالق بالجو ، وأثر القمر في حركة المد والجزر ، ولآراء ابن حزم في أثر النجوم والكواكب ، وقوله : ليس لها تأثير في أعمالنا ، ولا لها عقل تدبرنا به إلا إذا كان المقصود أنها تدبرنا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا كتدبير الماء والهواء ونحو أثرها في المد والجزر ، وتأثير الشمس في عكس الحر وتصفيد الرطوبات . والنجوم لا تدلل على الحوادث المقبلة - وبين كيف أن ابن الهيثم قد قلب الأوضاع القديمة وأنشأ علما جديدا ، فقد أبطل علم المناظر وأنشأ علم الضوء بالمعنى الحديث وبالحدود والأصول التي نريدها الآن ، وأن أثر ابن الهيثم في هذا لا يقل خطورة عن أثر نيوتن في الميكانيكا وبشرح رأى ابن طفيل ومخالفته للكثيرين من معاصريه ومن الذين سبقوه من فلاسفة اليونان ، إذ قال بوحدة القوانين والأنظمة الكونية وشمولها ، مما يسيطر على النبات والماء والهواء والجماد يسيطر على الحيوان والإنسان وسائر الموجودات ، وأن العالم بجملته كشيء واحد يتصل بعضه ببعض ويتحرك في دائرة من الأنظمة والتوائين لا يخرج عنها ولا يشذ عنها .

ويتابع عالمنا عرض هذه الصفحات المشرقة من التراث العلمي العربي ، موضحاً أن العرب لم يكونوا مجرد نقلة أو مقلدين وأنهم لم يصبهم شلل الفكر ، بل لجأوا إلى العقل فجعلوه المرجع والأساس ولجأوا كذلك للامتحان والتجربة والدرس والبحث ، فنفذوا نظريات وآراء فلاسفة اليونان وعلماء الإسكندرية ونخالفوهم في القضايا والأحكام ، وعدلوا بعضها وصححوا بعضها الآخر ، ولم يعبأوا بالمصدر أو القائل ، بل ركزوا عنايتهم واهتمامهم بالنظرية أو الرأي والقول ، ولهذا أضافوا إلى المعرفة الإنسانية إضافات هامة ، يرى فيها المنصفون من الثقات والباحثين الغربيين عملاً هاماً من عوامل التقدم العلمي والنهضة العلمية الحديثة ، حتى قال دى فو : إن الميراث الذي تركه اليونان لم يحسن الرومان القيام عليه ، أما العرب فقد أتقنوه وعملوا على تحسينه وإثرائه حتى سلموه إلى العصور الحديثة . وكذلك ظل عالمنا يردد هذه الآراء في المؤتمرات والمحافل التي كان يرتادها ممثلاً الأردن ، بل الدول العربية جمعاء على مدى ربع قرن من الزمان ، وما أشك في أنه نجح إلى أبعد الحدود في تبين فضل العرب على الحضارة العلمية . ولا بد لي من الإشارة إلى دور فقيدنا العظيم في إنشاء الاتحاد العلمي العربي ومحاضراته في مؤتمراته المختلفة ، وكانت شعبة الأردن أو الاتحاد العلمي الأردني ، أول شعبة تتكون في هذا الاتحاد ، وكيف شاركت في اجتماع اللجنة التأسيسية في بيت مري بلبنان ، وكان

رحمات الله عليه لا يفتأ يدعو إلى التعاون العلمي بين العلماء والباحثين في العالم العربي باعتباره عنصراً أساسياً في نهضة العلم وأنه لا يمكن للبلاد أن تتقدم ولا أن يرقى مستواها المادى والاجتماعى إلا على أسس علمية سليمة وأن هذه المؤتمرات دلت على وعي علمي كما أنها تنبيه للشعوب العربية بأن العلم هو القوة الفعالة التي تنقل العرب إلى آفاق جديدة ، تحررهم من الماضي ومقاييسه ، وأنه طريق الرخاء والصحة وهو القوة بجميع معانيها .

أما روحه المرحية ، فقد كانت طبيعة فيه لا اصطناع فيها ، ولذا كان نجم كل مؤتمر وكل ندوة وكل اجتماع ، إنه مركز الإشعاع والإشراق الذي يتخلق حوله المجتمعون ، يستمتعون بحلو حديثه وطريف تعليقاته وعمق فكره وآرائه ، إنه الرفيق الذي لا تمل صحبته أبداً ولا تشبع من عذبه حديثه أبداً . وهو في العيد الألفى لابن سينا كأنما تسمع متخصصاً في أعمال ابن سينا باحثاً منقبا في ابن سينا وأعماله العلمية ، وفي العيد الألفى للبيروني كأنما هو الدارس المتخصص لأعمال البيروني ، وحين يعرض لأعمال ابن الهيثم أو الكندي أو الرازي أو الصوفي أو الفارابي فكأنما صرف عمره كله في دراسة مئات الدراسات والكتب التي تركها هؤلاء ، فهو يحيط بها إحاطة شاملة ويعرضها عرضاً أميناً وافيّاً ، لا يكاد يترك منها شاردة ولا واردة ، إنما هي دراسة استقصائية يعرضها في عمق وإيجاز .

وهو في اشتغاله بالحركة الوطنية ، كما أنما هو الزعيم الذي نيط به قيادة الحركة الوطنية ليسم بلاده ذرا المحد والاستقلال ، كما كان داعية إلى اتحاد الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج .

لقد ولد عالماً في مدينة نابلس بالأردن سنة ١٩١٢ وتخرج في الجامعة الأمريكية في بيروت ١٩٢٩ متخصصاً في العلوم الرياضية ومثل بلاده في أكثر من خمسة وعشرين مؤتمراً علمياً وثقافياً وإنسانياً في البلاد العربية والغربية في سويسرا والهند والباكستان وإيطاليا وأسبانيا ومصر والكويت ولبنان والمغرب والعراق ودمشق وهو عضو في المجمع العلمي العربي بدمشق والمجمع العلمي لدول البحر المتوسط بإيطاليا ورئيس الجمعية الأردنية للعلوم وعضو اللجنة القومية وعضو مجلس الاتحاد العلمي العربي بالقاهرة وعضو مجلس أمناء الجامعة الأردنية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ ١٩٦١ ، وانتخب نائباً للرئيس في المؤتمرات العلمية العربية جميعاً ومؤتمر المفكرين في لاهور ومؤتمر التعريب في الرباط .

أما عن كرمه وبسطة يده ، فيكفي أن أذكر لإصراره على دعوة وفد مصر في مؤتمر الحريجين بالقدس في الخمسينيات الوسطى . وكان يزيد على مائة وخمسين عضواً فلما راجعته في ذلك ترك لي الخيار أن أدعوه من أشاء فدعوت نحو الخمسين .

أعد لهم رتلاً من السيارات نقاتهم من القدس إلى نابلس ، حيث نسموا بكرم ضيافته وأمضوا يوماً لا أظن واحداً منهم ينسى قدرى الكرم المضياف صاحب المكتبة الزاخرة بالمؤلفات النادرة ولا المصانع التي يديرها ولا كلية النجاح التي يشرف عليها ، ولا هداياه الرمزية التي لا يفتأ يغمر بها أضيائه وأصدقائه .

أما وفاءه لأصدقائه فلا أكاد أعرف له ندا في هذا الوفاء ، فهو حين يحل مصر ، لا بد أن يتصل بأصدقائه وأن يزورهم ، وأن يحل لهم التذكارات وفي الحق أن أصدقائه هنا ، كانوا يباينونه الود والوفاء ، فما يعلمون بوجوده بين ظهرانيهم حتى يهرعون إليه للتحية والسلام ، وما ذلك إلا أنه أهل لكل تقدير ووفاء .

لقد أذاع عالمنا عشرات الأحاديث العلمية في الأقطار العربية والأوروبية ، وكتب العديد من المقالات وألقى الكثير من المحاضرات في العلم والتوجيه العلمي .

ونال عالمنا أرفع الأوسمه من الأردن والمغرب ، كما نال وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في عيد العلم العاشر في سنة ١٩٦٤ بالقاهرة ، وذلك تقديراً لخدماته للعلم والقومية العربية ، ومنحته جامعة البنجاب في الباكستان درجة الدكتوراه الفخرية عام ١٩٦٥ .

والباحثين في البلاد العربية « و » فعالية الفكر
العربي في نقد الفكر اليوناني .

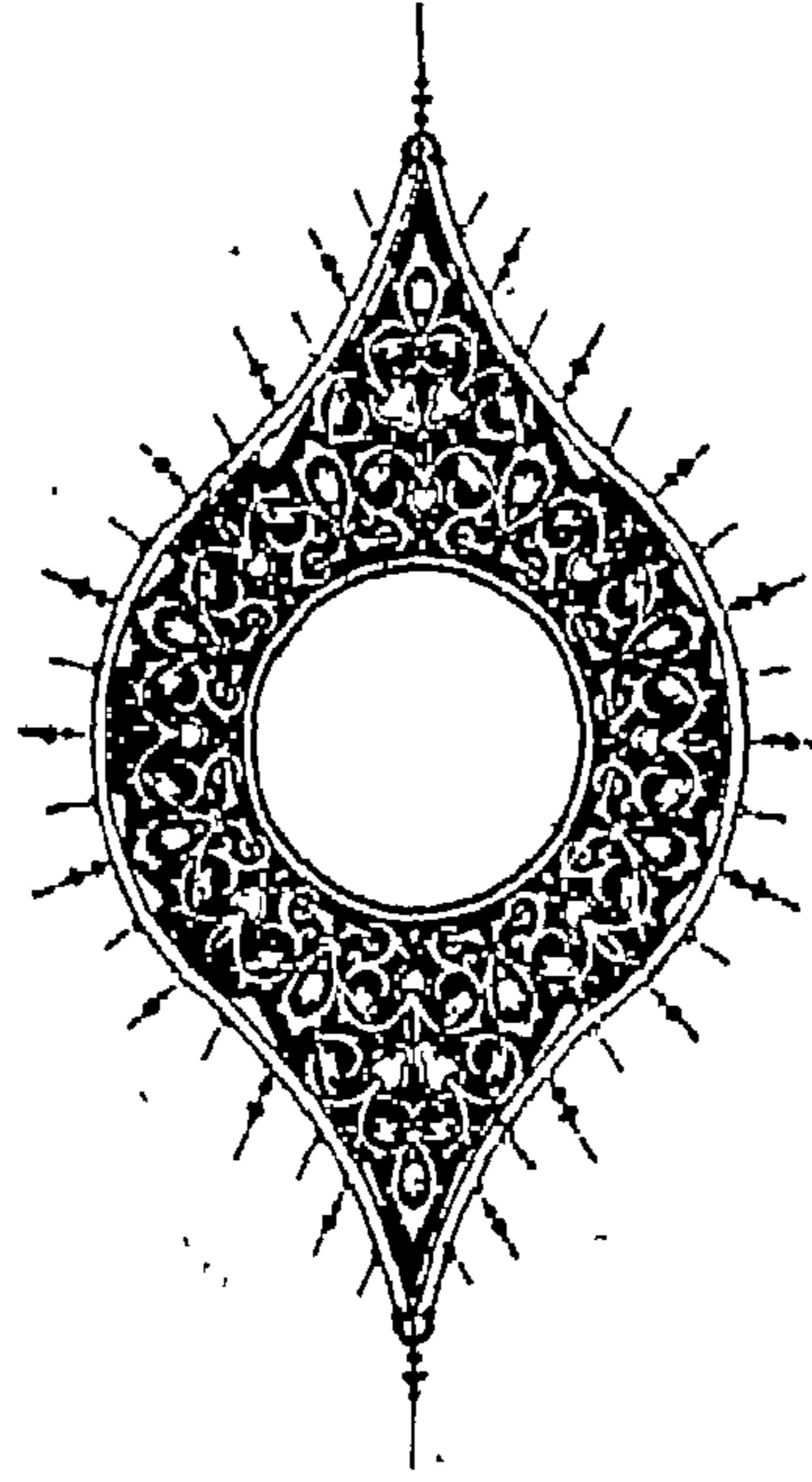
لقد عمل فقيدنا وزيراً للخارجية في الأردن
عام ١٩٦٤ ، وكان من أهم منجزات الوزارة
حينذاك تحسين العلاقات بين الأردن ومصر
وبقية الدول العربية ، وكانت طبيعته المرحية
تتجاني ومقتضيات هذه المناصب ، فكان
يصرف من يتولون حراسته سواء في الأردن
أو في خارجه ثم أن طبيعته الصريحة والحرية
إلى أبعد الحدود لم تتح له البقاء طويلاً في مثل
هذه المناصب التي قد تحتاج إلى مؤهلات
أخرى لم تكن متاحة لصاحبنا .

لقد عمل فقيدنا منذ تخرجه مدرساً بكلية
النجاح الوطنية بناباس ثم تولى إدارتها منذ
خمس وعشرين سنة ، وإن هذه الكلية لمدينة
لعالمنا بكل ما وصلت إليه من نجاح وازدهار
وقد علمت أن إدارتها فكرت في إقامة تمثال له
يقوم على صنعه مثال مصري ، كم أرجو أن
يتولى مجتمعنا الدعوة إلى أن تسهم مصر في
نفقات صنع هذا التمثال وإقامته ، فقد
كان فقيدنا مثلاً في عربيته ومتفانياً في حب
مصر والمصريين . وإنني لأقترح تخليداً لذكراه
أن يتبنى المجتمع الدعوة لإنشاء كرسي لتاريخ
العلم عند العرب في إحدى الجامعات العربية
في أي من البلاد العربية وليكن جامعة الأردن
أو الجامعة العربية في بيروت ،

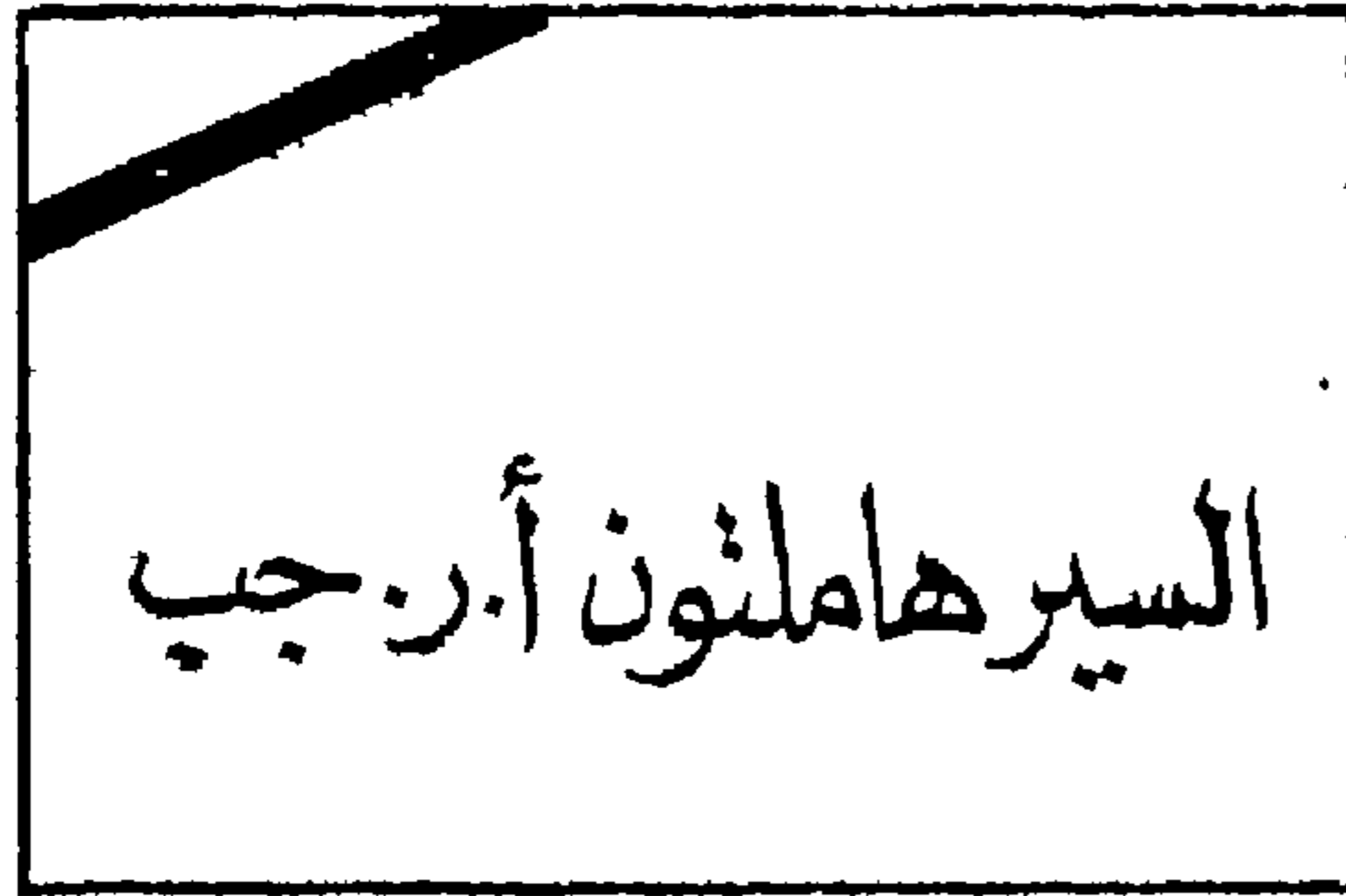
ولا يتسع المقام لعرض أعماله العلمية ،
ومعظمها يدور حول تراث العرب العلمي ،
وله كتاب بهذا العنوان طبع ثلاث مرات ،
عالج فيه أعمال العلماء العرب في العصر
الإسلامي ، أشاد فيه بأفضالهم على العالم
والحضارة العلمية وقال بحق إنهم كانوا
واسطة العقد بين العصرين الإغريقي
والإسكندري من ناحية وبين عصر النهضة
الأوروبية والعصر الحديث واستشهد بأقوال
كثير من المستشرقين من أمثال سارتون
ونيلليانو وسميث وبرنال وغيرهم . وبين
بما لا يدع مجالاً للشك فضل الحضارة العربية
على النهضة العلمية الأوروبية . ثم الأساوب
العلمي عند العرب ، والنزعة العلمية في
التراث العربي والعلوم عند العرب وقد طبع
عدة مرات ، ومقام العقل عند العرب ،
وأثر العرب في تقدم علم الفلك ونشاط
العرب العلمي . ذلك إلى جانب مؤلفات
ومحاضرات أخرى مثل نواح مجيدة من
الثقافة الإسلامية ، والكون العجيب ،
وبين العلم والأدب ، وجمال الدين الأفغاني
« والعيون في العلم » « وبعد النكبة » ، و « وعي
المستقبل » « والحالدون العرب » و « بين
البقاء والفناء » « وابن حمزة والتمهيد إلى
اللوغاريتمات ، كما أتى أمامنا في المجمع ثلاثة
نصوص تبيح « الروح العلمية عند علماء
العرب والمسلمين » ، و « التعاون بين العلماء

وكذلك عاش فقيدنا كتلة من النشاط
والحركة والبحث والدرس والكتابة والنشر
والسفر ، حتى وافاه القدر المحتوم وهو
في طريقه إلينا ظهر يوم ٢٦ من فبراير ١٩٧١ ،
اختطفه الموت فجأة في بيروت وإن مقعده
في الطائرة التي تغادر بيروت إلى القاهرة

لينتظره في عصر نفس اليوم ، رحمه الله رحمة
واسعة وأجزل له الثواب بقدر ما أعطى
للعلم والأمة العربية وتراثها العلمي من خدمات ،
وأحسن عزاء آلله وذويه ومحبيه وعارفه
فضله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما



في الساعة العادية عشرة من صباح الاثنين ١٢ من المحرم سنة ١٢٩٢ هـ
الموافق ٢٨ من فبراير سنة ١٩٧٢ القام المجمع في داره حفل تأبين للأستاذ
السير هاميلتون الكزاندر رسكين جب عضو المجمع من إنجلترا ، وفيما
يلى كلمة التأبين التي أقيمت في الحفل :



كلمة الدكتور مهدي علام في تأبين

كانت تمثل مرحلة قد انقضت في حياتنا الثقافية ،
وأنها ليست مما يشغل بال الأدباء اليوم .

وهنا أدركت لأول مرة أنني لم أكن أمام
رجل يقصر بحثه على الأدب العربي ، بل
كنت أمام أستاذ يورخ للفكر العربي الإسلامي ،
فقد أخبرني أنه لا يعنيه موضوع هذه الكتب
ولا مدى قبول ما فيها من أفكار . إنه يبحث
عن كل ما خطته أقلام المؤلفين في مصر
ليورخ له بل إن دائرة بحثه قد اتسعت ،
كما نعرف من مؤلفاته التي أخرجها في نحو
نصف قرن بعد ذلك ، حتى شمل نشاطه
العلمي السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين ،
ولم يحتل الأدب إلا منزلة لا تتميز عن سائر
هذه الفروع من المعارف ، إن لم تكن أقلها .

و كادت الصلة تنقطع بيننا منذ ذلك اليوم ،
حتى رأيت اسمه في المرسوم الذي صدر في
السادس من أكتوبر سنة ١٩٣٢ بإنشاء مجمع
اللغة العربية ، فاذا هو واحد من عشرين علما
من أعلام اللغة العربية وأدبها ، يمثلون مصر ،
وسائر العالم العربي ، وخمسة من كبار
المستشرقين يمثلون : إنجلترا ، وألمانيا ، وفرنسا ،
وإيطاليا ، وهولندا .

في خريف سنة ١٩٢٥ ، في مدخل
مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، عرفني
الأستاذ سير توماس آرنولد بشاب سامق
حيي هادئ الحركات ، يكاد يبدو مشغولا
عن محدثه وقال لي : هذا مستر جب ،
مساعد في تدريس اللغة العربية بمدرسة
اللغات الشرقية ولم يكن عملي يتصل بعمله
مدة دراستي هناك ، ولكننا كنا نلتقي في
الفينة بعد الفينة لتبادل تحية قصيرة ، أو
لحديث موجز عن أصل كلمة عربية .

وفي شتاء عام ١٩٢٨ ، وكنت قد عدت
إلى مصر ، اتصل بي هذا الأستاذ ، فتقابلنا
على فنجان شاي في القاهرة ، وسارع إلى
موضوع المقابلة ، سائلا عن مؤلفات بعض
رجال الفكر المعاصرين في مصر ، فذكرت
له ما أعرفه منها ، مع تعليقات وجيزة عن
رأيي فيها اعتقادا مني أنه كان يرغب في
هذه التعليقات . وحدث أنني لم أذكر
مؤلفات عالم شهير في ذلك الوقت ، فسألني
عنها ، فقلت له إنني لم أذكرها لأنني أعتقد
أنها كتابات لا تهمك باعتبارك متخصصا في
الأدب العربي ، ولأنها في رأيي كتابات

وكان فقيدنا أصغر هؤلاء العشرين سناً ،
بل كان عمره أقل من متوسط عمر الأعضاء
بنحو عشرين عاماً ، وأقل من سن بعض
الأعضاء بأربعين سنة ؛

هذا هو الفقيد الذي نجتمع اليوم لتأبينه
في المجمع الذي اتصلت حياته العلمية به منذ
أربعين سنة .

ولد هاميلتون الكزاندر وسكين جب في
الاسكندرية ، في الثاني من يناير سنة ١٨٩٥
من سلالة اسكتلندية أبا وأما ، وكان والده
مديراً لمزرعة تابعة لجمعية استصلاح الأراضي
الزراعية .

وفي سن الخامسة أرسل هاميلتون الصغير
إلى اسكتلنده ليتعلم هناك . وقضى في هذه
المرحلة اثني عشرة عاماً ، حتى سنة ١٩١٢ .
وفي خلال تلك المدة حضر إلى مسقط رأسه
مرتين لقضاء الصيف مع والدته التي كانت
ما تزال تقيم في مصر .

وقد شملت دراسته في هذه المرحلة اللغتين
العريقتين اليونانية واللاتينية ، واللغتين
الحديثتين الفرنسية والألمانية ، كما شملت
العلوم الطبيعية .

وفي سنة ١٩١٢ التحق الشاب الذي كان
في سنته الثامنة عشرة بجامعة أدنبرة . وهنا
ظهر له ميل يمكن أن نعزوه إلى ميلاده في
بلد عربي قضى فيه باكورة حياته ، فقد
التحق في السنة الجامعية الأولى بشعبة الدراسات
السامية ، لدراسة اللغة العربية والعبرية
والآرامية وكان أستاذه في اللغة العربية هو

الأستاذ ادوارد روبرتسون الذي سعدت
بزمالته بعد ذلك بربع قرن في جامعة
منشستر اثنتي عشر سنة ؛ وكثيراً ما حدثني
عن تلميذه النجيب هاميلتون جب . وكان
له أثر كبير في تحبيب دراسة اللغة العربية إليه
وانقطعت دراسة جب الجامعية بقيام
الحرب العالمية الأولى ، فقد التحق بالبحر
سنة ١٩١٤ وخدم في فرنسا من سنة ١٩١٧
حتى إعلان الهدنة سنة ١٩١٨

ثم عاد إلى الجامعة وحصل في سنة ١٩١٩
على درجة الليسانس (بنظام الحرب) وهي درجة
أنشأتها الجامعات البريطانية للطلاب الذين
قطعوا دراساتهم الجامعية للالتحاق بالقوات
المسلحة باسم War Degree

والتحق بعد ذلك بمدرسة اللغات الشرقية
بلندن . وكانت وليدة الحرب ، ولكنها
ضمت إلى جامعة لندن كلية من كلياتها .
وحصل منها على درجة الماجستير في اللغة
العربية سنة ١٩٢٢ ، وعين مدرسا مساعداً
فيها ، وكان موضوع رسالته « الفتوحات
العربية في وسط آسيا » ؛

وهنا تحدد في ذهنه المنهج العلمي الذي أراد
أن ينتهجه في حياته ، وهو التأريخ للحياة
العربية الإسلامية ، في سياستها واجتماعها
واقتصادها ودينها . وأعتقد أنني لا أعدو
الحقيقة إذا قلت إنه كان لأستاذه العظيم ،
سير توماس آرنولد ، أثر مباشر في هذا
الاتجاه فقد كان هذا العلامة أستاذاً للتاريخ
الإسلامي في جامعة لندن ، وكان جب
مساعداً له .

وقد قام في المدة التي كان يعمل فيها معه برحلتين علميتين ، إحداهما في شمال أفريقيا ، والأخرى في الشرق الأوسط .

وفي سنة ١٩٢٩ عين في جامعة لندن بلقب "Reader" للتاريخ الإسلامي واللغة العربية ويعبر هذا اللقب في الجامعات الإنجليزية عما نسميه في جامعاتنا أستاذا بدون كرسى ، ولما خلا الكرسى في سنة ١٩٣٠ بوفاة أستاذه ، سير توماس آرنولد ، شغله هذا الأستاذ الذي كان بمقياس السن شابا صغيرا ، حتى لقبه المستشرق ليثي دلاقيدا بالأستاذ الحدث السن "The young professor"

وكما خلف أستاذه في الكرسى الجامعي ، خلفه كذلك في الإشراف على دائرة المعارف الإسلامية سنة ١٩٣١ ، وكان هنا كذلك أصغر المشرفين على هذه الدائرة سنا. كان أصغر من ليثي دلاقيدا بتسع سنوات ، ومن فنسك بخمس عشرة سنة . وفي الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية كان أحد المشرفين الأصليين ، بعد ما تجلى من جهده في المدة التي حل فيها محل أستاذه في الطبعة الأولى .

وبقي الأستاذ جيب في جامعة لندن من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٧ حين خلا كرسى اللغة العربية في جامعة أكسفورد من شاغله الأستاذ مرجوليوث ، فشغله فقيدا من سنة ١٩٣٧ حتى سنة ١٩٥٥

وفي تلك السنة دعت جامعة هارفارد بالولايات المتحدة ، أستاذا ومستشارا للدراسات العليا - وبعد ذلك بعامين عين مديرا لمركز دراسات الشرق الأوسط . وفي سنة ١٩٦٤ تقاعد مع بقائه مشرفا على ذلك المركز .

ولا يتسع المقام للحديث عن النشاط العلمي للفقيه ، فكتابهاته تملأ آلاف الصفحات ، ومحاضراته استمع إليها علماء البلاد العربية والإسلامية ، وبعض البلاد الأوروبية والأمريكية .

وقد كرمته دول وهيئات علمية كثيرة . فقد منحته دولته لقب سير سنة ١٩٥٤ ، ومنحته فرنسا وهولندا بعض الأوسمة . وكان عضوا في الأكاديمية البريطانية ، والأكاديمية الدانمركية ، والجمعية الفلسفية الأمريكية ، وكان عضوا فخريا في الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم ، وعضوا فخريا في الأكاديمية الأمريكية للقرون الوسطى وعضوا مؤسسا في مجتمعنا هذا ، وعضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بدمشق ، وعضوا مراسلا بالمجمع العلمي العراقي .

وسأقتصر على لمحات من نشاطه .

ففي هذا المجمع اشترك الفقيه في لجنة رسم الحروف ، ولجنة الأصول ، ولجنة معجم فيشر ، ولجنة الأعلام الجغرافية ، ولجنة

اللهجات . وفي افتتاح دورة الانعقاد الثالثة سنة ١٩٣٦ جاء في خطابه قوله :

« قد أشار الزميل المحترم السيد محمد كرد على بك إلى أن المجمع قد تجاوز سن الرضاة ، ويدخل الآن في سن الحضانة ، واحتج بصغر سنه على من يلح عليه بأن ينوء بأعباء فوق طاقته الحالية .

والمجمع كله يؤيد ولا شك هذا الاحتجاج وما يزداد على ذلك أن سن الحضانة هي في الوقت نفسه سن التعليم والاستعداد لأعمال الرجولة ، وأن تجاربنا في سنى الطفولة قد برهنت على أن نجاح المجمع في تأدية وظيفته نحو العالم العربي يتوقف على استعدادنا لساوك طريق طويل المدى ، دارس المعالم - طريق الاكتشاف والتوسع ، وهو طريق لا يسلك إلا بشئ من الجرأة ، ولا يسلم من الضلالة فيه إلا من استعد له بكامل العدد ، وليس منا أحد إلا وهو يعترف بأنه تعلم في الدورتين اللتين مضتا كثيرا . واوضح لي بإشارة شخصية لقلت تعلم كثيرا جدا مما كان يجهله .

أما مدرستنا فليست محصورة بين هذه الجدر الأربعة ، بل تمتد إلى حدود العالم العربي وإلى ما وراءها . وياحبذا لو أن العالمين بأنواع العلوم والفنون الذين ينظرون إلى المجمع بعين العطف والإخلاص ، أجابوا دعوته إلى الاشتراك معه في أعماله . ولن يتحقق صعوبة وظيفة المجمع في القرن بين

تيار الحديد وتراث القديم إلا من جربها . فويل للغة مصادرها ومعجماتها ، دون الشعور الحى للناطقين بها ، وويل أيضا للغة ينطق ويكتب الناطقون بها طوع - أمواهم ويضربون بمعجماتها عرض الأفق لذلك كان رجائنا إلى المخلصين المنتقدين جميعا أن لا يلزمونا التسرع في إصدار الرأي قبل أوانه .

وبهذه الروح - روح الاجتهاد في العمل ، وروح التعاون نتقدم إلى أعمال الدورة الثالثة عسى الله أن يوفقنا إلى أن نجعلها ، كما قال معالي الرئيس وباشرافه الكريم ، حافلة بالخير والبركة على اللغة .

وفي مؤتمر الدورة الثالثة عشرة سنة ١٩٤٨ ألقى الفقيه كلمة جاء فيها :

« أفتتح كلمتي معترفا بالتقصير - أوبالأحرى بما يشبه التقصير - في التخلف عن شهود المؤتمرات الماضيين . على أني لم أقطع صلتى بالمجمع ، فلمنى لا أزال من أشد أعضائه تفاؤلا بمستقبله ، وإيماننا بمهمته .

وقد كنت خلال هذين العامين أعمل مع إخواني المستشرقين في إنجلترا . وقصة عملنا طويلة ، وهذا موقف اختصار . وربما أتاحت لي في غير هذه المناسبة فرصة لشرح التفاصيل وحاصل الأمر أننا ، أساتذة اللغات والثقافات الشرقية في إنجلترا ، كنا في هاتين السنتين متطوعين نجاهد في توسيع نطاق الدراسات الشرقية في جامعاتنا ، وقد تابعنا هذا الجهاد

في جبهتين مستقلتين ، جبهة حكومية ،
وأخرى داخلية .

فأما الجبهة الحكومية فقد ابتدأت بتأليف
لجنة رسمية مثلت فيها كثرة الوزارات
لبحث حالة الدراسات الشرقية في الجامعات
فاستمرت في البحث أكثر من سنة ، بل
نحو سنتين ، ودرست تقارير الجامعات
والمستشرقين ، وأصدرت تقريراً يسمى
تقرير سكار بارا ، دعت فيه إلى إرصاد
مبالغ وافرة لتشجيع الدراسات الشرقية
في الجامعات ، وحث الطلبة المتميزين على
التخصص في هذه الدراسات .

وأما الجبهة الداخلية فقد جمعت أساتذة
اللغات الشرقية وغرضها تنظيم الدراسات
الشرقية في جامعاتنا . والاستفادة مما كسبناه
من التجارب أثناء سني الحرب الماضية في
تعليم الضباط . وفي سنة ١٩٤٦ عقدنا مؤتمراً
عاماً في أكسفورد بمناسبة مرور مائتي سنة
على ميلاد سيرووليام جونز (Sir William Jones)
من أكابر المستشرقين في القرن الثامن عشر .
وقد اشترك في هذا المؤتمر أساتذة اللغات
والثقافات الشرقية ، وبحثوا في أساليب التدريس
ووسائل التعرف إلى الثقافة العربية والهندية
وغيرها من ثقافات الشرق ، وكيفية نشرها
بين الجمهور . وقد نجح المؤتمر نجاحاً أكاد
أقول عريباً . واتجه العزم إلى إنشاء جمعية
خاصة للمهتمين بهذه الدراسات ، لتواصل
عقد المؤتمرات والأبحاث لتنظيم أعمالنا ونشر

ثقافاتنا ، إذا سمحتم لي أن أقول ثقافاتنا . . .
وقد ألفت هذه الجمعية في مؤتمر عام انعقد
في كبردج في السنة الماضية ، وشرعت
الجمعية فعلاً في القيام ببعض الأعمال .

وفي أثناء ذلك فتحت جبهة ثالثة ، هي
جبهة ما وراء البحار ، فإن هذه الحركة في
انجلترا تردد صداها في بعض الدوائر العلمية
الأمريكية ، فدعت مؤسسة روكفيلر وفداً
منا للاتصال بالمستشرقين في جامعات أمريكا
والاشتراك معهم في بحث الأساليب الكفيلة
بتشجيع الدراسات الشرقية في الجامعات
الأمريكية ، وتنظيم وسائل التعاون في
هذه السبيل ، بين الأساتذة الانجليز والأمريكيين
وقد تم الاتصال المنشود ، ورسمت بعض
الخطوط العملية للقيام بغرضين : تشجيع
الدراسات الثقافية العربية في الجامعات
الأمريكية ، والتعاون على بث التعرف إلى
الثقافة الإسلامية والعربية في بلادنا .

وتلك هي الجهات الثلاث التي كانت تعمل
على تنظيم الجهود في السنتين الماضيتين وعسى
أن يراها الجمع جديرة باهتمامه .

وقد أشرت فيما سبق إلى أن الفقيه توج
أعماله العلمية بما قام به في جامعة هارفارد ،
ومركز دراسات الشرق الأوسط بها .

ومما يجدر بي أن أشير إليه ، بصدد
إشراف الفقيه على دائرة المعارف الإسلامية ،
أنه إلى جانب ذلك الجهد العلمي الشاق ،
قد ساهم بنحو ثلاثين مقالة في تلك الموسوعة

وكان من الطبيعي أن تكون مقالاته عن تاريخ بلاد وشخصيات عربية ، وموضوعات إسلامية . فمن ذلك مقالاته عن عدن ، والبحرين ، ومصر ، وحضرموت ، واليمن ، وعبد العزيز بن سعود ، ومحمد علي ، وسعد زغلول ، وعن اللغة العربية ، والخلافة والدروز .

كذلك أود الإشارة إلى كتاباته عن أعمال بعض الزملاء الجامعيين . فقد كتب عن قاموس شرف ، وعن إحياء النحو للمرحوم إبراهيم مصطفى ، وعن قرية ظلمة للدكتور محمد كامل حسين .

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية كان من حظي أن أترجم لسير هاميلتون مقالتين عن الأدب العربي ، نشرتا في مجلة « الأدب والفن » الأولى في العدد الثاني من السنة الأولى سنة ١٩٤٣ والثانية في العدد الأول من السنة الثالثة سنة ١٩٤٥ ، وأعيد نشرهما في كتابه « دراسات في حضارة الإسلام » سنة ١٩٦٢

“Studies on the civilization of Islam”

ومما جاء في المقالة الثانية بعنوان « نشأة الإنشاء الأدبي » محاولة الكاتب في تعريف الأدب ، إذ يقول :

« الأدب ، كما هو معروف لكل إنسان كلمة اصطلاحية تدل على إنتاج إنشائي ، من طراز خاص باللغة العربية . غير أن الكتابات التي تدرج تحت هذه الكلمة تنوع

تنوعا كبيرا في موضوعاتها ، وأساليبها ، وأغراضها ، بحيث يصعب أن نجد عبارة تشملها جميعا . ويترجم الكتاب الأوروبيون عادة كلمة أدب ، بهذا المعنى ، بالعبارة (Belle — lettres) أو الأدب الجميل ، أو الكتابة الرفيعة ، وهي عبارة تكاد تكون في صعوبة النظم العربي تعديدا .

ولأيسر لنا أن نعرف الأدب تعريفا سائيا . فنحدد ما لا يدخل تحته بأن نميزه من الكتابات التي في فقه اللغة ، والفلسفة ، والتاريخ والجغرافية ، وما إلى ذلك على أننا سنرى أن الحد الفاصل بينه وبينها ليس واضحا بحال من الأحوال . ولعل أقرب تعريف يتسنى لنا وضعه هو أن نقول إن كتابا في الأدب هو كتاب يكتبه مؤلفه وهو يشعر بغرض أدبي أو إنشائي ، سواء أكان يعالج موضوعا في فقه اللغة أو التاريخ أو الأخلاق أو التسلية المحضة ، فالمكاتب في فقه اللغة أو التاريخ مثلا يرمى في كتابته إلى هدف واحد ، هو تزويد القارئ بمعلومات أو تنظيم بعض الحقائق وتبويبها لتزود القارئ بمعلومات على حث أن كاتب الأدب يدخل في موضوعه أيا كان ذلك الموضوع ، عنصر الخيال أو الابتكار بما يضفي عليه ثوب الجمال أو الفن ، فيجعله سائغا شائقا للقراء الذي يشاكلونه في ميولهم وأذواقهم العقلية . ويحدث هذا طبعا بدرجات مختلفة في مستوياتها من حاسة الجمال المزهفة المثقفة التي تتميز بها الدوائر الأدبية الواسعة الاطلاع ، إلى الفجاجة والفظاظة التي تتمثل في دهماء الشوارع .

أوجز أعماله وأصغرها حجما ، هو كتابه
« الأدب العربي : مقدمة

”(Arabic Literature : On Introduction)

كما يدل على ذلك هذا العدد الكبير من
البحوث التي كتبها ، والتي تميزت إلى جانب
عمقها ، بتنوعها وتعددتها ، فكانت بمثابة
روضة يانعة مترامية الأطراف متنوعة الثمار
وكان بين أشجارها شجرة صغيرة جميلة
هي شجرة « الأدب العربي » .

باسم هذا المجمع الموقر ، الذي شرفني
بالتحدث باسمه في تأبين فقيدنا الكريم ،
أحيي هذا الإنتاج العلمي العظيم في ميدان الثقافة
العربية الإسلامية ، وأحيي صاحبه في مشواه
الأخير .

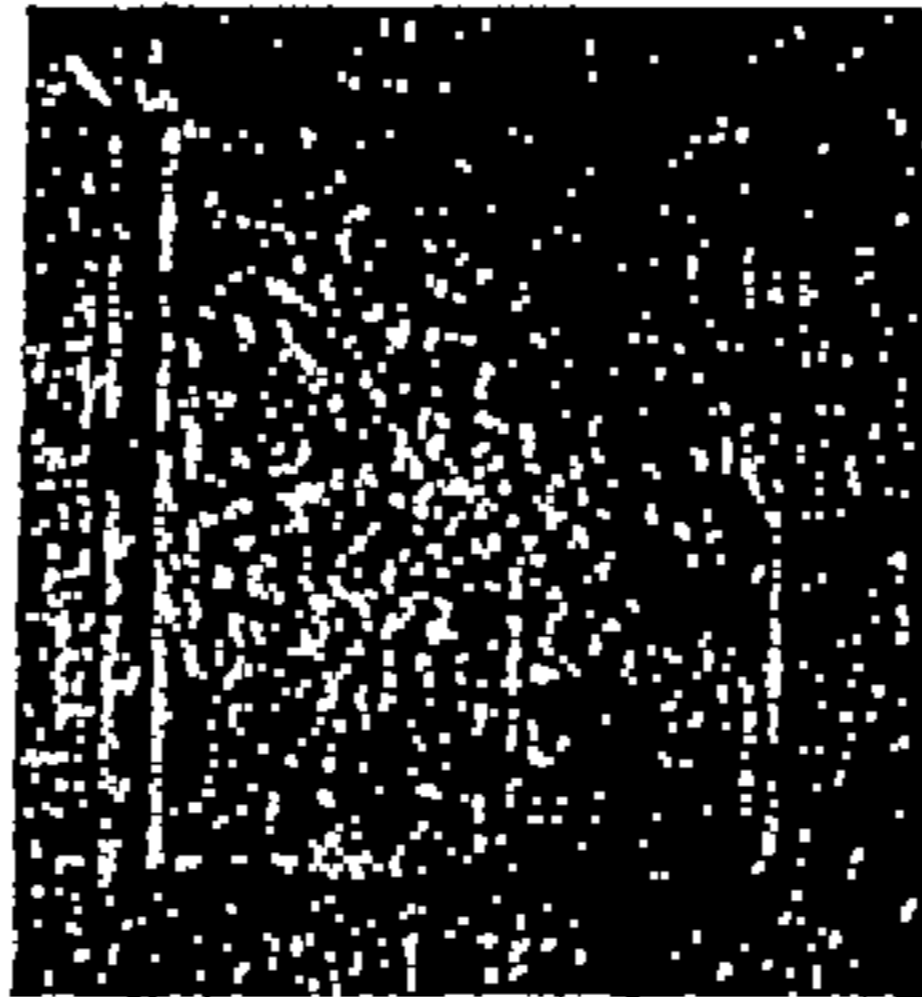
وإذا كان هناك مؤسسة قديمة باسم
مؤسسة جب : The Gibb Memorial
فإن مؤسسة معنوية جديدة لذكرى هاميلتون
جب قد أقامها لنفسه فقيدنا الكريم .

فسنجد عناصر من جميع هذه المستويات
مثلة في الانشاء الأدبي وأنه من أجل ذلك
كانت تلك الكتابة الأدبية إذا فهمت فهما
صحيحا ، هي المصدر الذي نجد فيه أصدق
صورة للمجتمع الاسلامي في القرنين التاسع
والعاشر ، ذلك المجتمع الذي كان مدهشا
في حيويته ، وبخثه ، وقوته ، وتشعب
نواحيه .

وبعد: ألم أقل من قبل أن اهتمام هذا الأستاذ
كان يدور في فلك التاريخ السياسي والاجتماعي
للمجتمع الاسلامي .

فها هو ذا يعلن أنه يستهدف من دراسته
للأدب العربي ، تحليل صور الحياة في
المجتمع الاسلامي .

لقد عاش هذا المستشرق العظيم دارسا
ومعلما في هذا الاطار الشامل للدراسات
الاسلامية . وما أبعدني عن انتقاص قدره
في يوم تكريم ذكراه ، إذا لاحظت أن





القرار الجمهورى بتجديد انتخاب

الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع :

صدر قرار جمهورى بتجديد انتخاب الدكتور طه حسين رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات اخرى ، تبدأ من ١٢/٧/ ١٩٧١ ، وفيما يلى نص القرار :

قرار رئيس جمهورية مصر العربية

رقم ٣١١٠ لسنة ١٩٧١

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ١١٤٤ لسنة ١٩٦٠ بإنشاء مجمع اللغة العربية ؛

وعلى قرار مجلس مجمع اللغة العربية بجلسته المنعقدة فى ١٥ من نوفمبر ١٩٧١ بانتخاب الدكتور طه حسين بالاجماع رئيسا للمجمع لمدة أربع سنوات ، تبدأ من ٧ من ديسمبر سنة ١٩٧١ ؛

قرر :

(المادة الاولى)

اعتماد انتخاب السيد الدكتور طه حسين رئيسا لمجمع اللغة العربية لمدة أربع سنوات تبدأ من ٧ ديسمبر سنة ١٩٧١

(المادة الثانية)

على نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الثقافة والاعلام تنفيذ هذا القرار .

صدر برياسة الجمهورية فى ١٣ ذى القعدة سنة ١٣٩١ هـ
(٣٠ ديسمبر سنة ١٩٧١ م) .

(انور السادات)

أعضاء جدد :

- انتخب عضوا بالمجمع كل من السيدين :
● الامام الاكبر الدكتور الشيخ محمد الفحام شيخ الجامع الأزهر ،
في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ محمد توفيق دياب .
- والأستاذ على السباعي - الرئيس السابق لقسم النحو بكلية
دار العلوم - في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الأستاذ أحمد حسن
الزبات .

وذلك في الجلسة التي عقدها مجلس المجمع في يوم الاثنين
١٩٧١/١٢/١٣

- كما انتخب عضوا بالمجمع الدكتور ناصر الدين الأسد - المدير العام
المساعد للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول
العربية - في المكان الذي خلا بوفاة المرحوم الدكتور قدرى حافظ
طوقان ، عضو المجمع من الأردن .

وذلك في الجلسة الختامية التي عقدها مؤتمر المجمع في ١٩٧٢/٢/٢١

فقيدا المجمع :

قبض الله تعالى الى رحمته روح المغفور لهما : الدكتور محمد
عوض محمد عضو المجمع - في ١٩٧٢/١/١٠ - والأستاذ سامي
الكيالي عضو المجمع المراسل من سوريا - في فبراير سنة ١٩٧٢ -
تفمدهما الله برضوانه ، والهمنا فيهما الصبر الجميل !!

خبراء جدد :

- وافق مؤتمر المجمع في جلسته الختامية المنعقدة في ١٩٧٢/٢/٢١
على اختيار بعض الأعضاء المراسلين ، وهم السادة :
- الدكتور زكي المحاسني (من سوريا) .
 - الأستاذ أحمد مشاري العلواني (من الكويت) .
 - الدكتور محسن مهدي (من العراق) .
 - الأستاذ على نصوح الطاهر (من الأردن) .
 - الأستاذ أبو القاسم محمد كرو (من تونس) .

صلاات المجمع الثقافية :

- ● ورد المجمع طائفة من المصطلحات الادارية ، بعث بها الأستاذ ابراهيم البرلسى - مستشار معهد الادارة العامة والخبير بلجنة القانون بالمجمع - وقرر المجلس بجلسته المنعقدة فى ١٢/١٢/١٩٧٢ احوالها على لجنة القانون ، لدراستها وايداء الراى فيها .
- ● بعثت جامعة هارفارد الامريكية الى المجمع بكتاب يعرض محاولة لتدريس اللغة العربية للطلبة الامريكيين ، فأحاله مجلس المجمع على الدكتور مهدى علام - عضو المجمع - لمراجعته وايداء الراى فيه . وقد قام الدكتور مهدى علام بدراسة هذا الكتاب وتقويمه ، وأبدى ملاحظات بعث بها المجمع الى جامعة هارفارد .
- ● عقدت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية لجنة فنية لدراسة احرف الطباعة العربية ودعت الى الاشتراك فيها مجمع اللغة العربية مع ممثلى الهيئات الثقافية المختلفة فى البلاد العربية ، وقد قرر المجمع ان يمثله فى اللجنة الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع ، كما قرر ندب الأستاذ محمد شوقى أمين الخبير بالمجمع لهذه المهمة أيضا . ولما انعقدت اللجنة اختارت الأستاذ محمد شوقى أمين مقرا عاما لها . فقدم تقريرا عن اعمالها عرض على مجلس المجمع فى جلسته المنعقدة فى ١/٢/١٩٧٢ فأحيل التقرير الى لجنة تيسير الكتابة بالمجمع ، وهذا نصه :

مجمع اللغة العربية ١٩٧١

تقرير

فى شأن ما قامت به اللجنة الفنية لدراسة احرف الطباعة العربية وهى اللجنة التى دعت اليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية

مقدم من الأستاذ محمد شوقى أمين

ممثل مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمقرر العام للجنة

١ - دعى المجمع الى تمثيله فى اللجنة الفنية لدراسة احرف الطباعة العربية ، وهى اللجنة التى قامت بتأليفها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية ، فقرر المجمع ان يمثله فيها الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع . وكان المجمع من قبل قد تفضل فندبنى أن اكون بين ممثلى الهيئات المدعوة الى هذه اللجنة ، وفى الموعد المحدد لأول اجتماع لها كلفنى الأستاذ زكى المهندس أن أبلغ اللجنة اعتذاره من التخلف .

٢ - وقد تفضلت المنظمة فاخترتني في الهيئة التحضيرية لاعداد الموضوعات التي تدرسها اللجنة ، وتحديد جدول أعمالها ، ثم كلفتني الهيئة أن أعد الثلاثة البحوث الآتية :

(١) مراحل البحث في تيسير أحرف الطباعة .

(ب) نظرة مقارنة وموازنة بين طريقة المجمع وطريقة الأستاذ احمد الأخضر في اختصار صور الحروف الطباعية .

(ج) كيف تعالج قضية الشكل في الطباعة ؟

وكذلك كلفتني اللجنة - من بعد - اعداد بحث رابع في الدلالة على الأصوات الأجنبية بعلامات في الكتابة العربية .

٣ - وقد عقدت اللجنة تسع جلسات بدأت يوم ١٩٧١/١١/٢٧ وانتهت يوم ١٩٧١/١٢/٢ وكانت الجلسات صباحية ومسائية في بعض الأيام ، وشهدتها ممثلون للمملكة الأردنية الهاشمية ، وجمهورية السودان الديمقراطية ، والجمهورية العراقية ، والجمهورية اللبنانية ، وجمهورية مصر العربية بهيئاتها التالية : مجمع اللغة العربية ، ومؤسسة الأهرام ، والهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ودار الكتب والوثائق القومية ، والمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، والهيئة العامة لسئون المطابع الأميرية .

وكذلك ممثل لمعهد البحوث والدراسات العربية ، ووفد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الى جانب بعض الباحثين ، وبينهم أحد المشتغلين بموضوع أحرف الطباعة العربية من جامعة أمستردام في هولنده .

٤ - وقد تفضلت اللجنة في جلسة افتتاحها ، فاخترتني مقررا عاما لها ، فتوليت تحرير جلساتها ، وتسجيل أعمالها ، وكنت بين أعضائها الذين تولوا صياغة قراراتها وتوصياتها .

٥ - وقد عنيت بأن اعرض على اللجنة مع البحوث الأربعة التي أعدتها لها وتدارسها أعضاؤها ، ما قام به « مجمع اللغة العربية » في مختلف الموضوعات المعروضة للبحث .

وكان للأستاذ الدكتور محمد مهدي علام عضو المجمع ، وممثل المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب في اللجنة - اثر عميق فيما دار من مناقشات ، وفيما انتهت اليه اللجنة من قرارات وتوصيات .

٦ - ويسرني أن انوه بما لقيت أعمال المجمع في اللجنة من تقدير وتأييد ، فقد كان فيما ووفق عليه بالاجماع مما يتصل بالمجمع أصالة في القرارات والتوصيات ما يأتي :

أولا - اعتبار النموذج الذي قدمه مجمع اللغة العربية بالقاهرة مطبوعا بعنوان « تيسير الكتابة العربية » أقرب النماذج التي عرضت تحقيقا لأكثر السمات التي اقترتها اللجنة لتتصف بها الحروف العربية الطباعية .

ولكن اغلب الأعضاء رأوا أن الأفضل استعمال حرفي العين المهملة والعين المعجمة في وسط الكلمة وآخرها بصورتيهما المقفلتين ، لا بصورتيهما المفتوحتين اللتين تجيئان في أول الكلمة .

ثانيا - قررت اللجنة استبعاد رقم ٢ ذى القنطرة وكتابته مستقيم الرأس أفقيا ، وذلك مما قررره المجمع ، ومما اتبع في طريقته لاختصار صور الحروف الطباعية .

ثالثا - الموافقة على تبني القواعد التى انتهى اليها المجمع في وضع الشكل في الكتب المدرسية على النحو المبين في تلك القواعد .

رابعا - توصى اللجنة المجامع اللغوية واتحادها أن تولى عنايتها للاتفاق على رسوم كتابية وطباعية للأصوات الأجنبية التى لا رموز لها في الهجاء العربى ، وأن يواصل مجمع اللغة العربية بالقاهرة جهوده في هذا النضال .

٧ - ومع هذا التقرير نصوص القرارات والتوصيات كاملة .

٨ - وأضيف الى ذلك أن أحد ممثلى الجمهورية اللبنانية وهو الأستاذ جورج اديب صاحب مسبك الحروف الحديث قدم لى رسالة مكتوبة الى رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة والى أعضائه يقرر فيها انه في حالة اقرار اللجنة لسمات حرف طباعى موحد واعتماد المجمع اياه ، فانه يسره القيام بحفريات هذا الحرف دون مقابل .

٩ - كذلك أضيف انه في أثناء مناقشات اللجنة عرض الأستاذ عبد الفتاح الكليسى ممثل الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية أن الهيئة محتفظة بقاعدة المجمع في اختصار صور الحروف وأن الهيئة مستعدة لسبك حروف بها لطبع ما ينتجه من أعماله ، على أن تستخدمها الهيئة في طبع التقارير والنشرات التى تطلب منها الوزارات والهيئات طبعها ، وفي تزويد المطابع الفرعية بها .

١٠ - وفيما اقترحه أحد ممثلى المنظمة أن ينظر في طبع أعمال اللجنة وبحوثها وفق الطريقة المجمعية لاختصار صور الحروف ، وسيضع اقتراحه بين يدى المنظمة .

وأخيرا أشكر للمجمع أنه أتاح لى شرف تمثيله في اللجنة كما أتاح لى شرف الاسهام في أعمالها على ضوء اسهامى في جهود المجمع في تيسير الكتابة العربية أثناء عملى فيه .

محمد شوقي أمين
الخبر بالمجمع

مؤتمر المجمع

انعقد مؤتمر المجمع في الدورة الثامنة والثلاثين لمدة خمسة عشر يوما ، بـلـات من ١٩٧٢/٢/٧ ، وحضره عدد كبير من أعضاء المجمع في البلاد العربية الشقيقة ، وعرضت فيه أعمال لجان المجمع ، وألقيت عدة بحوث ، وجرت حول هذا وذاك مناقشات وتعقيبات .

وسيصدر المجمع محاضر جلسات المؤتمر وبحوثه في مجموعة خاصة به .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الإدارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٢/٢٠٢

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
١٠٨٧ س ١٩٧٢ - ٢٠٠٢

